جـــــامـــــعـة الـــجـــزائـــر2

مـــعـــهـــد الـــتـــرجـــمـــة

ترجمة الرواية النسوية العربية بين مراعاة الأصل ومحاباة الهدف

دراسة تحليلة مقارنة لترجمة جون ليتشي (John Liechy)لرواية ليلى أبوزيد "الفصل الأخير" وترجمة ماريلين بوث (Marilyn Booth) لرواية رجاء الصانعي" بنات الرياض" من العربية إلى الإنجليزية)

رســـالـــة لـنـيـل شـــهـــادة دكـتـوراه العلوم فـــي الـــتـــرجـــمـــة

فـــرع: عـــربـــي-إنـجـلـيـزي-عـــربـــي

إعـداد الـطـالـبـة

مريم بوزمبراك

إشراف الأستاذ

أ.د.العياشي عيسي

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د جمال بوتشاشة.....رئيسا....أستاذ التعليم العالي.....جامعة الجزائر2

أ.د العياشي عيسي....مقررا...أستاذ التعليم العالي.....جامعة الجزائر 2

د.مريم بن لقدر.....عضوا...أستاذة محاضرة أ.....جامعة الجزائر2

د.بثينة عثمانية.....عضوا...أستاذة محاضرة أ.....جامعة الجزائر2

د.فاطمة الزهراء ضياف..عضوا...أستاذة محاضرة أ.....جامعة بومرداس

د.عبد القادر رسول...عضوا...أستاذ محاضر أ.....جامعة المدية

2020

كـلـمــة شـكـر وتـقـديــر

الحمد والشكر لله أوّلا وآخرا الذي بفضله عزّ وجلّ تمّ إنجاز هذا العمل المتواضع،وأتوجّه بجزيل الشكر والإمتنان للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور عيسي العياشي لكرمه في كل ما مدّني به من نصائح وتوجيهات وله منّي كل التقدير والإحترام.

الـفـهـرس:

مقدمة.....1

الفصل الأول:الحركة النسوية بين النشاط التحرري والإبداع الأدبي

1-0-تقديم الفصل 6

1-1-المرأة بين الماضي والحاضر.....8

1-2مفهوم الحركة النسوية.....11

1-3-النشاط النسوي في الغرب.....16

1-3-1-النشاط النسوي الأدبي في الغرب.....20

1-3-2-رائدات الأدب النسوي في الغرب.....22

1-4-النشاط النسوي في البلدان النامية.....25

1-4-1-النشاط النسوي في البلاد العربية.....27

1-4-1-لمحة عن وضع المرأة في المملكة العربية السعودية.....30

1-4-2-النشاط النسوي في المملكة العربية السعودية.....31

1-4-3-لمحة عن وضع المرأة في بلاد المغرب..... 33

1-4-4- النشاط النسوي في بلاد المغرب.....34

1-5-الإتجاهات المختلفة للحركة النسوية.....35

1-5-1-النسوية الليبيرالية.....36

1-5-2-النسوية الماركسية.....37

1-5-3-النسوية الإشتراكية.....38

1-5-4- النسوية الراديكالية.....39

1-6-أهداف الحركة النسوية.....40

1-7-تباين المفاهيم بين النسوية والجندروالأنثوية..... 42

1-8-تجليات التحرر في الإبداع الأدبي النسوي.....46

1-8-1-الأدب النسوي.....48

1-8-2-خصائص الأدب النسوي.....57

1-8-3-لمحة عن الأدب النسوي في البلاد العربية.....60

خلاصة الفصل.....63

الفصل الثاني:النص الروائي النسوي

2-0-تقديم الفصل.....65

2-1-الرواية كجنس أدبي حديث.....66

2-2-التطور التاريخي لجنس الرواية.....71

2-3-المرأة والكتابة.....81

2-4-صورة المرأة في بعض الروايات العربية..... 88

2-5-الرواية النسوية.....96

2-6-الرواية النسوية السعودية.....106

2-7-الرواية النسوية المغربية..... 117

-خلاصة الفصل.....123

الفصل الثالث: الترجمة والنسوية

3-0- تقديم الفصل.....124

3-1- الترجمة كممارسة حضارية.....125

3-2- الترجمة الأدبية.....128

3-2-1-خصائص النص الأدبي.والترجمة الأدبية.....134

3-3-التّرجمة والنسوية.....140
3-3-1-نظريات الترجمة التي تخدم حقل النسوية.....147
3-3-1-1-نظرية الترجمة الوظيفية.....147
3-3-1-2- نظرية تعدد النظم.....149
3-3-1-3- نظرية التوطين والتغريب.....152
3-4-ترجمة الرواية العربية.....155
خلاصة الفصل.....163

الفصل الرابع:الدراسة التحليلية المقارنة للمدونة

4-1-التعريف بالمدونة.....164
4-1-1-أسباب إختيار المدونة.....164

<u>أولا:رواية الفصل الأخير للكاتبة ليلى أبو زيد</u>

4-1-2-لمحة عن الكاتبة ليلى أبو زيد وروايتها.....166
4-1-3-ملخص الرواية.....170
4-1-4-الجانب النسوي في الرواية.....172
4-1-5-لمحة عن المترجم.....173
4-1-6-طريقة الترجمة.....173
4-2-خطة التحليل.....174
4-3-تحليل ومناقشة أمثلة المدونة.....176
4-3-1-العنوان.....176
4-3-2-الصورة المطبوعة على النسخة الأصلية والنسخة المترجمة.....177

4-3-3-نص ظهر الغلاف.....179
4-3-4- المقدمة.....180
4-3-5-الخاتمة.....181
4-3-6- الهوامش.....182
4-3-7-خصوصية الفعل الترجمي وعبقرية اللغات.....183
4-3-7-1- على المستوى المعجمي.....183
4-3-7-2 على المستوى النحوي.....194
4-3-7-3على المستوى الدلالي.....198
4-3-7-4- على المستوى الأسلوبي.....201
خلاصة.....209

ثانيا:رواية بنات الرياض للكاتبة رجاء الصاتعي:

4-4-1- لمحة عن الكاتبة رجاء الصانعي وروايتها.....211
4-4-2-ملخص الرواية.....216
4-4-3-الجانب النسوي في الرواية.....219
4-4-4-لمحة عن المترجمة.....220
4-4-5-طريقة الترجمة.....220
4-4-6-تحليل ومناقشة أمثلة المدونة.....221
4-4-6-1-العنوان.....221
4-4-6-2-الصورة المطبوعة على النسخة الأصلية والنسخة المترجمة..222
4-4-6-3-نص ظهر الغلاف.....225
4-4-6-4-المقدمة.....225

4-4-6-5-الخاتمة.....225

4-4-6-6-الهوامش.....226

4-4-6--7- على المستوى المعجمي.....227

4-4-6-8-على مستوى النحوي.....235

4-4-6-9-- على المستوى الدلالي..... 238

4-4-6-10- على المستوى الأسلوبي.....241

خلاصة 253

الخاتمة.....255

قائمة المراجع.....260

ملخص باللغة الإنجليزية.....268

ملخص باللغة العربية.....272

مسرد المصطلحات.....287

مقدمة:

لقد ظهر الأدب النسوي والرواية النسوية بشكل خاص لأوّل مرة في الغرب حوالي أواخر القرن الثامن عشر كمنحى جديد ومسلك حديث للتنديد والمطالبة بحقوق المرأة منطويا تحت لواء الحركة النسوية التي أسّس لظهورها مجموعة من المفكرين الذين ناضلوا وحاربوا وطالبوا بالتغيير والمساواة وإلغاء جميع أشكال التمييز والظلم الذي تعاني منه المرأة والسعي لاسترداد جميع حقوقها المسلوبة وأشهر هؤلاء:جون ستيوارت مل،ماري ولستونكرافت، فيرجينيا ولف...،وغيرهم.

اتخذت الحركة النسوية في بدايتها منحى سياسي إجتماعي تطالب فيه بحقوق المرأة السياسية والمساواة بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات، لتنتقل بعدها إلى ميادين وقطاعات أخرى ونظرا لردود الفعل الإيجابية التي لقتها هذه الحركة والإنضمام المتزايد للنسوة في صفوفها فقد راحت هذه الحركة تنتشر من بلد إلى آخر مستمدة مبادئها وقيّمها ومطالبها من قيّم ومبادئ وثقافة البلد الذي تنتمي إليه.

أدّت النجاحات التي حققتها الحركة النسوية باتجاهاتها المختلفة باستردادها المتزايد للحقوق التي حرمت منها المرأة لعصور إلى توسيع دائرة مطالبها ومواصلة النضال عبر قطاعات مختلفة أشهرها ميدان الكتابة .

لقد وجدت المرأة في الكتابة ساحة ومعتركا جديدا للنضال وأداة ووسيلة فعالّة للنضال والمطالبة بحقوقها التي لم تستردها بعد ،و لسرد أحوالها ومعاناتها والظلم الذي تعانيه موجهة بذلك رسالة للآخر والمجتمع تثبت فيها أهليتها وقدرتها على الخوض في ما يخوض فيه الرجل وأنّها لم تخلق لتكون أدنى منه بل لتكون مساوية ومكملة له.

ولم تفقد تلك الهجمات والحملات التي شنّت على الأدب الذي تنتجه المرأة (سواء في الشرق أو الغرب) من عزمها وإرادتها ،بل دفعتها للمثابرة والمواصلة وإنتاج وميلاد نوع أدبي جديد كان ولا يزال محط نقاش وتشكيك في وجوده من عدمه ألاّ وهو الأدب النسوي.

ولقد اختلف الأدباء والباحثون في الشرق حول هذا اللون الأدبي الذي اقتحم الساحة الأدبية العربية وبين مؤيّد ومعارض لهذا الأدب اختلفت حتى التسميات التي أطلقت عليه فمن أدب نسوي إلى أدب نسائي أو أنثوي، علما أنّ النسائي يختلف عن النسوي فالنسائي هو نسبة لجنس مؤلفه المرأة حتى ولو لم يكن مضمونه نسويا ، أما النسوي فهو الأدب الذي يسعى إلى تحرير واستعاد حرية المرأة وحياتها وحقوقها والتحسين من أوضاعها والنضال من أجل مكانة أفضل في المجتمع وغد أفضل ومستقبل واعد تعيش فيه المرأة دون أي تمييز عن

الرجل تحت كنف الحرية والعدالة والمساواة بغض النظر عن جنس مؤلفه إن كان رجلا أو إمرأة.

لقد لمعت العديد من الأسماء النسوية العربية في هذا الميدان ويؤرخ إلى نهاية القرن التاسع عشر وبالتحديد عام 1899 كتاريخ لظهور أوّل عمل روائي نسوي عربي للكاتبة اللبنانية زينب الفواز تحت عنوان"حسن العواقب أو غادة الزهراء" ، لتتوالى بعدها الأعمال الروائية النسوية من شتى أقطار البلاد العربية وسيلاحظ قارئ هذه الروايات أنّه ومهما تباعدت المسافات فإنّ معاناة المرأة واحدة وحلمها واحد تتقاسم ذات المشاعر والطموحات والأهداف.

ولقد تناولنا في عملنا هذا دراسة ترجمة هذا الصنف أو الإتجاه الأدبي الحديث في شكله الروائي الذي لم يظهر في الوطن العربي إلى غاية أواخر القرن التاسع عشر والذي إلى جانب اشتراكه مع أصناف الأدب الأخرى في تحقيق الهدف والغاية الأساسية التي سعى إليها الأدب وهي الإصلاح والتوجيه والإرشاد بطريقة فنية غير مباشرة، فهو يهدف أيضا إلى تحقيق بعض التغييرات على جميع المستويات والأًصعدة التي تمس المرأة في المجتمع وإلغاء جميع أشكال التمييز ضدّها والعنف والظلم الممارس بحقها والقهر النفسي والفكري الذي كانت تعيشه سالفا.

وبما أنّ الأدب عموما يستمد مادته من الواقع الذي يعيشه الأفراد فسيكون انعكاسا لهوية الأمة التي يعبّر عنها ولمقوماتها وقيّمها ومبادئها ولهذا فإنّ الأدب النسوي العربي سيأخذ بعين الإعتبار ويركّز في رسالته على ثقافة وقيّم المجتمع العربي الإسلامي.

لقد حققت الرواية النسوية العربية نجاحا تجاوز حدود الوطن العربي ليبلغ العالمية حيث شهدت بعض الروايات النسوية إقبالا متزايدا من دور النشر الغربية وترجمت إلى لغات متعددة لتشكّل غالبية أو معظم الأدب العربي المترجم إلى لغات أجنبية وهذا خلال القرن العشرين ، وقد اختلفت آراء الباحثين حول سر هذا الإهتمام المتزايد بالأعمال النسوية العربية وتعدّدت تفسيراتهم لها :

ولهذا ارتأينا في بحثنا هذا أن ندرس ترجمة الأدب النسوي العربي من الجانب اللغوي والثقافي ونرى هل عمل المترجم على نقل العمل بأمانة أم قام بتطويعه بما يناسب ثقافة المتلقي؟،إلى أي أسلوب ترجمي لجأ المترجم في نقله للعمل الأصلي؟،هل احتفظ العمل المترجم لذات رسالة العمل الأًصلي أم قام المترجم بالتعديل بما يتوافق فكر وثقافة اللغة المستقبلة؟.

ولقد خصصنا روايتي "الفصل الأخير (The Last Chapter)" للكاتبة المغربية ليلى أبو زيد و"بنات الرياض (Girls of Riyadh) " للكاتبة السعودية رجاء عبد الله الصانع مدونة لبحثنا هذا تعمدنا إختيار روايتين عربيتين من ثقافتين مختلفتين الثقافة المغربية والثقافة

السعودية، وأيضا للنجاح والشهرة الكبيرة التي حققها العملان عربيا وعالميا رغم أنّ الكاتبتين تنتميان إلى جيلين مختلفين وأنّ الكاتبة ليلى أبو زيد هي أولّ كاتبة مغربية ترجمت أعمالها إلى اللغة الإنجليزية ورواية "الفصل الأخير" ليست أول عمل روائي لها بينما تعدّ "بنات الرياض" أوّل عمل روائي صدر للكاتبة السعودية الشابة رجاء الصانعي واعتمدنا على الترجمة التي قام بها المترجم الأمريكي (John Lietchy) لرواية الفصل الأخير والصادرة عن قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة عام 2000 وعلى الترجمة التي قامت بها المترجمة الأمريكية (Marilyn Booth) لرواية بنات الرياض والصادرة عام 2008 عن Penguin Books ،حيث حاولنا تحليل بعض الأمثلة التي جاءت في العملين محاولين أن نستشف إلى أي جانب حرص المترجم على أن يكون أمينا أكثر هل إلى العمل والثقافة الأصلية أم إلى قارئ ومتلقي الترجمة والثقافة المستقبلة ولقد تضمّن القسم النظري من هذا العمل ثلاثة فصول:

حيث جاء الفصل الأول بعنوان "الحركة النسوية بين النشاط التحرري والإبداع الأدبي" وحاولنا من خلاله تقديم بعض التعاريف المختلفة لمفهوم الحركة النسوية التي توصلنا إلى أنها حركة تحررية ظهرت في العشرينات من القرن التاسع عشر تقوم على مجموعة من المبادئ والمطالب والأهداف التي تسعى في مجملها إلى تحسين وضع المرأة في المجتمع واسترداد حريتها وحقوقها التي سلبت منها لعصور، كما تطرقنا إلى بدايات هذه الحركة في الغرب وظهروها في الشرق والإتجاهات المختلفة التي تبنتها هذه الحركة التي ورغم إشتراكها في الأهداف الأساسية التي تسعى إلى تحقيقها هذه الحركة وهي الحرية والعدل والمساواة إلاّ أنّها إختلفت في بعض المطالب والرؤى والتوجهات التي انقسمت إلى نسوية ماركسية ونسوية ليبيرالية ونسوية راديكالية، كما ذكرنا أهم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها الحركة النسوية وحاولنا توضيح بعض المفاهيم التي قد يجدها القارئ غامضة أو مبهمة أو تحمل نفس الدلالة المرتبطة بحقل النسوية "كالجندر والأنثوية ومصطلحي نسوية ونسائية " لننتقل بعدها إلى أحد أشهر الميادين التي انتقل إليها النضال النسوي ألا وهو الميدان الأدبي وظهور مفهوم الأدب النسوي وركزنا بالخصوص على ظهوره في في بلاد الشرق محاولين تقديم لمحة عنه في البلاد العربية مع ذكر أهم خصائصه وأهدافه.

ولهذا جاء الفصل الثاني بعنوان" النص الروائي النسوي" حاولنا في البداية التطرق لجنس الرواية بشكل عام بتقديم مفاهيم مختلفة لهذا الشكل الأدبي الحديث، ومحاولة التأريخ لظهوره في الغرب وكيفية إنتقاله إلى الشرق بفعل الترجمة التي تثبت دورها دوما في الوساطة بين الشعوب ومدّ جسور التعارف بينهم،لننتقل بعدها إلى النص الروائي النسوي مفهومه وتاريخ ظهوره في البلاد العربية لنركز بعدها على النص الروائي النسوي السعودي والمغربي بشكل خاص باعتبار الروايتين اللاتي اخترناهما كمدونة لبحثنا هذا تنتميان إلى هاتين الثقافتين العربيتين.

وارتأينا أن يكون الفصل الثالث بعنوان "الترجمة والنسوية" تحدثنا بداية عن الترجمة كممارسة حضارية ودورها في تاريخ البشرية ، وذكرنا بعض مفاهيم الترجمة الأدبية باعتبارها على علاقة بالنص الروائي النسوي لنتطرق بعدها إلى مفهوم الترجمة والنسوية ، وكيف أنّ الحقلين على علاقة ببعضهما كما تعرضنا أيضا إلى واقع الترجمة في الوطن العربي وواقع ترجمة الرواية العربية والنسوية بشكل خاص خاصة في بلاد المغرب والمملكة العربية السعودية.

أما الفصل الرابع والأخير فهو فصل تطبيقي قمنا فيه بدراسة تحليلية لترجمة روايتي "الفصل الأخير" لليلى أبو زيد و"بنات الرياض" للكاتبة رجاء الصانعي، أشرنا في البداية إلى أسباب إختيار المدونة كما قدمنا لمحة عن الكاتبتين والمترجمين إضافة إلى ملخص الروايتين مع ذكر الجانب النسوي لكلتيهما ثم قمنا بتحليل أهم النماذج التي استخرجناها من المدونتين والتي قسمناها إلى أربعة مستويات:

- المستوى المعجمي.
- المستوى النحوي.
- المستوى الدلالي.
- المستوى الأسلوبي.

حدّدنا من خلالها أهم الإنزياحات التي وقعت أُثناء الإنتقال من اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها وماهي الإجراءات التي اتخذتها المترجمة (حذف تعديل إضافة) ولصالح من كانت هذه التعديلات، هل كانت حفاظا على النص الأصلي أم كانت لتقريب الرسالة من القارئ المتلقي .

وقبل الشروع في تحليل الأمثلة استهلينا الدراسة بالتعرض لجانب آخر من العمل الروائي يتأُر بدوره بعملية الترجمة ألاّ وهو الجانب الشكلي أو المظهر الخارجي للعمل وما يأتي معه من عنوان ، والصورة المطبوعة على الغلاف، ونص ظهر الغلاف إضافة إلى ثلاثة عناصر أخرى تركّز عليها أو بالأحرى توظّفها المترجمات النسويات في الترجمة لإعلاء وإظهار صوتهن ألاّ وهي :المقدّمة ، الخاتمة والهوامش ،سنقوم بمقارنة هذه العناصر جميعا بما يقابلها في النص المترجم ونرى هل تمّ الإبقاء عليها أم تمّ تغييرها أو تعديلها ولأي غرض.

ولم يخل هذا العمل من الصعوبات فقد تطلّب إختيار المدونة وقتا من الزمن و اقتناء النسخ المترجمة للروايتين أيضا وقتا طويلا حيث أنّها غير متوفرة على المستوى الوطني ،استغرق تحليلها أسابيع طويلة،إلاّ أنّ الدراسة النظرية كانت أشدّ صعوبة نظرا لقلّة المراجع في هذا الميدان وقلّة الدراسات العربية التي تهتم بموضوع النسوية العربية وعلاقتها بالترجمة أو

عدم توفرها ، وقد شكلتّ هذه الندرة في الحقيقة حافزا آخر لنا لإختيار موضوع النسوية والترجمة كمادة لبحثنا هذا.

الفـصـل الأول

الـحركة النسوية بين النشاط التحرري والإبداع الأدبي

1-0-تـقـديـم الـفـصـل

لم تحظ المرأة بمكانة مرموقة في المجتمعات القديمة باختلاف ثقافاتها وأزمانها فهذا أرسطو يعزو وجودها إلى إنحراف في مسار الطبيعة وهذا أفلاطون يأسف كونه ابن إمرأة، أما الرومان فيرونها أمّة مملوكة يُتاجر بها والهنود يتشائمون من وجودها....وبين التجارة والإمتلاك والإستعباد والإشمئزاز تكونت مجموعة من المفاهيم التي صاحبت وشكّلت حياة المرأة على مرّ العصور.

ورغم هذه الإحباطات والتضييقات النفسية والفكرية التي عرفتها ورغم العراقيل التي صفّت أمامها فإنّ النزعة التحرّرية التّي بداخلها دفعتها دوما إلى إستكشاف والخوض في ميادين كانت حصرا على الرجل في محاولة منها لإثبات نفسها وقدرتها على مجابهة ومنافسة الرجل في شتّى نشاطات الحياة، فتتمكّن بالتالي من تحسين واقع الحياة التي تعيشها وتغيير نظرة المجتمع إليها وترفض تلك الأفكار التّي كوّنت عنها، رغم إيقانها لمدى الصعوبات والعراقيل التي حتما ستواجهها في تمرّدها على فكر وقوانين وأعراف الجماعة .

ويعتبر الميدان الأدبي أحد هذه الميادين التي كانت حكرا على الرجل إلى غاية ظهور بعض الأسماء النسوية اللّاتي استطعن بفضل موهبتهن ومهارتهن أن تخلّدن أسماءهن في صفحات التاريخ جنبا إلى جنب مع أسماء كبار الشعراء والأدباء الذّين عاصروهنّ، ولقد كان الإبداع النسوي حاضرا في تاريخ أدبنا العربي وتعتبر (الخنساء) أفضل مثال على ذلك، إذ استطاعت منافسة أكبر شعراء عصرها بفضل فصاحتها وطلاقة لسانها إلاّ أنّها وبالرغم من قوة شاعريتها لم تتمكن من الإرتقاء إلى تلك المكانة التي يحظى بها الشاعر الرجل أو أن تتفوّق عليه بمجرد كونها أنثى، وأيضا بسبب الأهمية الكبيرة التي كانت تولى للشعر في العصر الجاهلي فقد كانت القبائل تعرف بشعرائها وتعتمد على شاعريتهم في تصوير بطولاتها وتسجيل مآثرها وهذه الأمور وغيرها لا يمكن أن تسلّمها القبيلة لأنثى.

بمجيئ الإسلام تغيّرت النظرة إلى المرأة وخلّصها من مظاهر الظلم والقهر والإستعباد التي كانت تعاني منها في العصور السابقة حيث أعاد إليها حريتها ودعا إلى تكريمها وحماية حقوقها فأصبحت مثلها مثل الرجل تستشار ويأخذ برأيها في أمور عدّة ، حتّى أنّه أصبح يلحظ وجودها ومشاركتها في مظاهر الحياة الإجتماعية.

ورغم التغييرات التي أحدثها الإسلام في فكر الأفراد وتأكيده على دور ومكانة وأهمية المرأة في المجتمع، إلا أنّه ظهرت في العصور الموالية جماعات وأفراد حاربوا فكرة تعلّم

المرأة ودعوا إلى عدم تعليمها القراءة والكتابة، فقد كانت للمرأة قيود وحدود رسمها المجتمع عبر التاريخ مهما بلغت درجة وعي الأفراد لن يتمكنوا من تحريرها وجعلها تخوض ميادين تمكنّها من مزاولة النشاطات ذاتها التي يقوم بها الرجل ومشاطرته بعض المهام التي كان يتميز بها وفي هذا الصدد يقول الجاحظ "لا تعلموا بناتكم الكتاب، ولا تروهن الشعر"(الجاحظ 1968 ص:307).

والحال أنّ المرأة لم تستسلم لهذه الضغوطات وواصلت كفاحها في سبيل حريتها والإرتقاء لحياة أفضل ومكانة أهم في مجتمع يقدّر وجودها ويثمن جهودها،لهذا عملت المرأة على توسيع نشاطاتها وبدأت بتأسيس الجمعيات والنقابات والمجلات التي تدعوا من خلالها إلى المساواة بينها وبين الرجل لاسيما عندما فتحت المصانع أبوابها أمام عمل المرأة جراء الثورة الصناعية، إلاّ أنّ الظروف الصعبة التي كانت تعاني منها النساء العاملات في تلك الفترة دفعت بهن إلى الإضراب عن العمل حيث قامت عاملات في مصنع النسيج في نيويورك بالتوقف عن العمل والمطالبة برفع أجورهن وتحسين ظروف العمل لتأسّس هذه الحركة وتمهّد لظهور مايسمى بالحركة النسوية.

جاء الفصل الأوّل بعنوان:"الحركة النسوية بين النشاط التحرري والإبداع الأدبي"،سنتعرض فيه إلى مفهوم الحركة النسوية وأسباب نشأتها من خلال التعرض إلى وضع المرأة ومكانتها في بعض المجتمعات قديما وفي الحاضر وبداياتها في كل من البلاد الغربية والبلاد العربية، لننتقل بعدها إلى الإتجاهات المختلفة للحركة النسوية من ليبيرالية، ماركسية وراديكالية والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، كما سنذكر أشكال النشاط النسوي في البلاد العربية في الميدان الأدبي وبالتالي إلى الإبداع الأدبي النسوي وخصائصه وأهدافه.

1-1-المـــرأة بـــيـــن الـــمـــاضـــي والـــحـــاضـــر:

يقول فولتير:"تقدر النساء على كل ما نقدر عليه وما بينهن وبيننا من الإختلاف إلاّ أنّهنّ أكثر منا لطفا"

أما أرسطو فإنّه يحمد الله على ثلاثة أمور أنّه خلق يونانيا وليس بربريا،حرّا وليس عبدا،رجلا وليس إمرأة"(نهى محمد أمجد نافع 2004ص:26-113)

وقبل أن نتعرض لمفهوم الحركة النسوية التي تعتبر جزءا من بحثنا هذا، يجب أن نبحث أوّلا وراء الأسباب الكامنة في قيام هذه الحركة وهذا عبر التوقّف عند فترات زمنية معينّة والتطرق لحياة المرأة وحالتها ومكانتها ودورها في المجتمعات آنذاك إلى يومنا هذا وما هي الدوافع التي دفعت بها إلى الثورة والتمرد على المجتمع والرجل، فلقد تعدّدت وتضاربت آراء ومواقف المفكرين والفلاسفة بخصوص المرأة على مرّ العصور فمنهم من رأى فيها الجمال والعقل والحكمة والكمال وأكدّ على دورها ومكانتها وجعلها أساس صلاح المجتمع وازدهاره وتحضّره ومستقبله، ومنهم من رأى فيها قلّة العقل والطيش وعدم الإتزان النفسي والعاطفي ونفى قطعيا إمكانية إمتلاكها قدرات أو مواهب تستطيع توظيفها خارج أسوار المنزل ولغير خدمة الرجل وبين هذا الرأي والآخر عاشت المرأة أزمانا من الإضطراب والشك وعدم الإستقرار إذ لم تنجح في تحديد إنتمائها التام لأحد هذين الرأيين وغالبا ما كانت تؤمن بالفكر الذي يقول بنقصها وتبعيتها إلى الرجل بسبب ما طالها من ظلم وقهر وإستبداد، وإذا عدنا بالتاريخ قليلا إلى الوراء وتحديدا إلى بعض الحضارات القديمة التي اشتهرت بمفكريها وعلماءها والتي بلغت أسمى درجات الرقي والتطور والإزدهار ولا يزال يستشهد إلى يومنا هذا بقوتّها وعلمها وتطوّرها فإنّنا لن نجد أيّ تغيّر فيما يخص النظرة إلى المرأة والتصورات التي كوّنت بحقّها والمكانة المتدنية التي خصصت لها، فمهما بلغت درجة التقدّم والتطور الفكري آنذاك فإنّه لم يمسّ المرأة بتاتا على العكس فقد عمل بعض المفكرين والفلاسفة على إثبات إستحقاق المرأة لهذه المنزلة الدونية التي وضعت فيها مستشهدين في ذلك بالحجج والبراهين، ففي الحضارة الإغريقية على سبيل المثال نجد الفيلسوف أرسطو الذي تبنى الفكر الغربي القديم العديد من أفكاره وآراءه بخصوص المرأة وعمل بها لعصور طويلة كما تقول سوزان بل (Susan Bell) :" الصورة التي رسمها أرسطو للمرأة بالغة الأهمية، فقد ترسبت في أعماق الثقافة الغربية وأصبحت الهادي والمرشد عن النساء بصفة عامة"(إمام إمام عبد الفتاح 1996 ص :5) قد عمل على إثبات تدني المرأة واستحقاقها للمكانة التي وضعت فيها، فوضع المرأة في أثينا قديما لا يعكس إطلاقا درجة التطور الفكري الذي بلغه هذا المجتمع آنذاك فقد كانت خاضعة وتابعة للرجل في شتى شئوون الحياة لا تتمتع بأيّ حقوق وتنحصر مهمتها في إنجاب الأطفال والحفاظ على النسل وتلبية رغبات الرجل ولا تصلح لغير هذا، حتى أنّها كانت تتحملّ مسئولية إنجاب الأنثى أما وضعها للذكر فهو من

صنع الرجل وحده فحسب أرسطو فهي :" غير قادرة على شغل أي منصب إجتماعي أو ثقافي أو حتى قيادة المنزل، إنّ مهمتها تقتصر فقط على الإنجاب، بل إنّ مسئوليتها تكون كاملة إن هي أنجبت إناثا" (إمام إمام عبد الفتاح 1996ص:8).

لقد استند أرسطو في نظريته حول المرأة على مجموعة من المبادئ ربطها بالوجود والطبيعة، إذ يرى بأنّ وضع المرأة ومكانتها فرضته الطبيعة ولا يمكنها التملّص من هذه المكانة إذ أوجدت الطبيعة تسلسلا هرميا وضعت فيه كل مخلوق في خدمة الآخر ليجلس الأقوى والأقدر على قمة هذا الهرم بدءا من النبات والحيوان إلى البشر ،لهذا يستحيل أن يكون الناس جميعا سواسية لإختلاف أشكالهم وقدراتهم وعقولهم، وبهذا فإنّه يستحيل أن تتساوى المرأة مع الرجل لأنّها أضعف منه نفسيا وجسديا وفكريا وهذا ليس من إبداع البشر بل من إنجاز الطبيعة التي وظّفت كل كائن وصنّفته حسب ميزاته وإمكانياته ضمانا لمصلحة الطرفين، وبهذا نجد أنّ فكرة هيراركية الكون لم يطبّقها على الجماد والحيوان فقط بل طبّقها أيضا على البشر واستند عليها في التمييز بين الذكر والأنثى ومنها استمد نظريته وأفكاره بخصوص دونية المرأة، وامتد هذا الفكر الإغريقي القديم والآراء الأرسطية بخصوص المرأة لتأثر على المجتمعات اللاحقة وتعاني المرأة من هذه الخرافات والمعتقدات لعصور طويلة.

أما في المجتمع المصري القديم فقد حظيت المرأة بمنزلة رفيعة ومكانة مرموقة وقد كانت تتساوى مع الرجل في جميع الحقوق وتشاركه شتى نشاطات الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية، ودأب الرجل على معاملتها بحسن ورفق وإحترام فقد كانت تحظى تقريبا بقدسية الآلهة، فلقد كان المجتمع المصري القديم على درجة كبيرة من التحضّر والرقي لم يعهدها العالم القديم لا في الشرق ولا في الغرب ولقد مسّ هذا التطور جميع جوانب الحياة بما فيها فكر الأفراد ونظرتهم إلى الحياة والمرأة ودورها ومكانتها باعتبارها جزءا من المجتمع، فلقد كانت تتساوى مع الرجل في الحقوق وتتقاسم معه المسئوليات وتزاول معه مختلف المهن حتى أنّ المرأة المصرية القديمة من أوّل النساء اللاتي اضطلعن بكافة حقوقهن السياسية حيث تمكنت من التربع على كرسي الحكم وقيادة المملكة لمرات عديدة إذ توالت العديد من الأسماء النسوية على السلطة في تاريخ مصر القديمة وهذا يفسّر التقدير والإحترام والإيمان الذي كان يكنّه الرجل المصري القديم للمرأة.

أما الهنود فكانت نظرتهم إلى المرأة شبيهة بنظرتهم وموقفهم من بعض الحتميات الكونية التي لا مفر منها رغم ما تصيبهم وتحدث في نفوسهم من شجن وخوف وكرب كالموت وبعض الكوارث الطبيعية وبعض الكائنات المؤذية التي تؤدي بدورها إلى الموت :" فليس المصير المقدر والريح والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار أسوأ من المرأة"(مفيدة محمد ابراهيم 2000ص:43) فالمرأة كانت أحد هذه العقوبات التي تنزلها الآلهة بالبشر وكائنا يملأه

الشر والأذى حسب المعتقدات الهندية القديمة التي لا ترى للمرأة أي مكان في المجتمع بعد رحيل زوجها "لهذا كانوا يحرّقون المرأة حية مع جثمان زوجها"(المرجع السابق ص:85).

أما الرومان فلم يختلفوا عن الإغريق في نظرتهم ومعاملتهم للمرأة فقد كانت حبيسة القصور والمنازل ملكا لزوجها تباع وتشترى لا تتدخل في الأمور السياسية ولا في الشئون الإجتماعية ولا حتى في إدارة بيتها، تحرم من جميع حقوقها ويحقّ للرجل أن ينزل عليها ما يشاء من عقاب.

وظلّ هذا الفكر سائدا في المجتمعات الغربية لعصور طويلة لا سيما عندما ازدادت صلاحيات الكنيسة واتسع نطاق سلطتها في العصور الوسطى ليتعدى الشئوون الدينية إذ أصبحت تتدخل في شئوون الحكم وفي الإصدارات الفكرية والشئون الإقتصادية وتهتم بالسياسة على حساب الدين وتمارس سلطتها لخدمة مصالح الحكّام على حساب الفقراء والضعفاء فقد أحكمت سيطرتها على العالم الغربي آنذاك وعلى فكر الأفراد وعقولهم فقد كانت الآمر الناهي في أمور عديدة وتعاليمها تطبّق دون أي إعتراض ومناقشة ففي النهاية كانت بمثابة أوامر ورسائل إلهية يتلقاها القسّسون والرهبان من الإله ويعلمون بها البشر باعتبارهم الوسطاء الروحانيين بين الربّ والعباد، وهكذا كانت آراء الكنيسة المجحفة بحق المرأة ذات تأثير كبير على الأفراد آنذاك فقد عزّزت أشكال الظلم والإستبداد والإضطهاد الذي يمارس في حق المرأة بتحريفها لتعاليم الدين المسيحي الذي يدعو إلى المساواة بين البشر، فالمرأة الفرنسية الأسطورة رمز التحرر والجرأة والقوة والتي أصبحت اليوم نموذجا تقتدى به الناشطات النسويات في شتى أنحاء العالم قد شكّك الأسبقون حتى في إنسانيتها إذ:" عقد إجتماع سنة 516م يبحث شأن المرأة وما إذا كانت إنسانا وبعد النقاش قرّر المجتمعون أنّ المرأة إنسان ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل.....أما في إنجلترا حرّم هنري الثامن على المرأة الإنجليزية قراءة الكتاب المقدّس وظلت النساء حتى سنة 1882 ليس لهن حقوق شخصية فلا حق لهن في التملك الخاص وإنما كانت المرأة ذائبة في أبيها وزوجها"(مفيدة محمد ابراهيم 2000ص:42) وظلّ الحال على ما هو عليه ولم يتغير وضع المرأة ولم تحصل على حقوقها في العالم الغربي إلا بعد النهضة الصناعية في القرن الثامن عشر بوقت قليل، وما يلحظ على المجتمع الغربي أنّه لم يعمل على تغيير نظرته وموقفه العدائي تجاه المرأة بل كان يجهد لإثبات صدق مواقفه وآراءه بخصوصها متحججا في ذلك بمختلف الذرائع الممكنة حتى ولوكلّف ذلك أحيانا تحريف تعاليم ديانتهم، فنجد المجتمع اليهودي على سبيل المثال سابقا يشجّع ويرخّص ويجيز الإساءة للمرأة وإذلالها والحطّ من قدرها ومكانتها فلم تكن الأنثى عندهم تتمتع بأية حقوق "حتى أنّها كانت تساوي الحيوان ويعاملونها كما يعامل الرجل خدمه حتى أنّهم كانوا يقولون بأنّ الآخذ بنصيحة زوجته مأواه جهنم"(محمد سيد فهمي 2012ص:14-15) وغيرها من أشكال الرق والإضطهاد التي كانت تخصّ بها المرأة في المجتمع اليهودي قديما.

أما عن وضع المرأة العربية قديما وتحديدا في العصر الجاهلي قبل الإسلام فقد كانت تتمتع ببعض الحقوق مقارنة بالمرأة الغربية ، كما كان يسمح لها بمشاركة الرجل بعض المهام والأفعال كقول الشعر والفروسية وتعلّم فنون القتال والمشاركة في الحروب وتسيير شئوون القبيلة إلى جانب تمتعها بقدر من الحرية في التصرف والتجوال وإبداء الرأي إزاء بعض الأمور، لكن لم تكن هذه حال جميع النساء في الجاهلية إذ يمكن القول أنّ المرأة التي كانت تتمتع بهذه الحقوق والمزايا كان إما لجمالها أو ذكاءها أو مالها أو نسبها، أما الأخريات فكثيرات منهن كنّ يعشن تحت رحمة سيدّهن جواري تبعن وتشترين في سوق النخاسة يزاولن من الأعمال الشاقة ما لا يطيقه جسدهن ولا تكفي له قوتهنّ وغالبا ما كنّ يستغلين من أجل إنجاب الخدم وتوفير اليد العاملة لراحة سيدهنّ وغيرها من مظاهر الإستعباد التي طالت المرأة آنذاك إلى أن جاء الإسلام الذي صان المرأة وحفظها وكرّمها وأعاد إليها حقوقها وحريتها ودعا إلى إحترامها وتقديرها وأكّد على أهميتها ومكانتها ودورها في المجتمع ودعا إلى التخلي وهجر تلك المعتقدات والممارسات التي كانت تخصّ بها المرأة في الجاهلية وأنّ لا فرق بينها وبين الرجل سوى ولقد ذكر الله عزّ وجل المرأة في العديد من الآيات القرآنية حتى أنّ خصّ سورة بأكملها للنساء وهذا دليل على المكانة المرموقة التي خصّصها الإسلام للمرأة وضمانا لعدم ضياع حقوقها وللقضاء على جميع أشكال التمييز والعنف والإضطهاد الذي كانت تعانيه فيما سلف.

أما اليوم فقد تغيّر وضع المرأة بشكل كبير عما كان عليه في السابق سواء في المجتمعات الشرقية أو الغربية إذ إستطاعت المرأة استرداد العديد من حقوقها التي سلبت منها وأصبحت تحظى بمكانة أسمى وحرية أكبر في المجتمع وتشغل مناصب عديدة إلى جانب الرجل في مختلف القطاعات، إلاّ أنّ هذا لا يمنع من ظهور بعض الإستثناءات والحالات والمعاملات المتطرفة التي تخص بها المرأة في بعض المناطق والتي تعمل جمعيات ومنظمات الدفاع عن حقوق المرأة على محاربتها .

2-1-مـــفـهـوم الـحـركـة الـنـسـويـة

هي حركة تحررية ظهرت في العشرينات من القرن الماضي تقوم على مجموعة من الأفكار والمطالب والأهداف التي نشأت في ظلّ الصعوبات والضغوطات التي كانت تمارس على المرأة في المجتمع الغربي، مما دفع بها إلى المطالبة بحقوقها والتمرد على مجتمع تهيمن عليه السلطة الذكورية ويقزّم جهود الأنثى في شتّى المجالات، ويمكن القول بأنّه كان لهذه الحركة في البداية إتجاه سياسي إجتماعي بحت حيث كان الإهتمام منصبا على صورة المرأة في المجتمع وعلى حقوق المرأة العاملة ليتطور مفهوم هذه الحركة بعدها وينتقل إلى ميادين أخرى كالإقتصاد والأدب وغيرها، وقد بدأت هذه الحركة :"حركة تحرير المرأة أو مايشار

إليها بالموجة الأولى من النسوية سنة 1830 واستمرت حتى 1920 وكان تركيز المشاركين والمشاركات فيها على الحصول على الحقوق المدنية للنساء في مجتمعاتهم لهذا كان اتجاه الحركة في ذلك الوقت اتجاها ليبيراليا يسعى إلى التأكيد على المساواة ويحارب من أجل تأمين حقوق مساوية للنساء أسوة بالرجال"(هدى الصدة-هالة كمال 2002ص:10) فهي إذن حركة سياسية ذات توجهات وأهداف إجتماعية إصلاحية تنموية تنشد وتسعى إلى تغيير وتحسين وضع ومكانة المرأة ودورها في المجتمع وعلاقتها بالآخر(الذكر)بارتكازها على جملة من الأفكار والقيّم والمشاريع النابعة من دراسة وتحليل ورفض للواقع الإجتماعي للمرأة.

وقد لقت هذه الحركة ردود فعل إيجابية من قبل النساء في شتّى أنحاء العالم،فلم تبق حكرا على العالم الغربي فقط بل راحت تنتشر من بلد إلى آخر إلى غاية وصولها إلى العالم العربي، إلا أنّه قد نجد بعض التباينات والإختلافات في القيّم التي تقوم عليها هذه الحركة والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها من مجتمع إلى آخر باختلاف الخصوصيات الثقافية والدينية للمجتمعات، فكل مجتمع تبنى هذه النظرية وظّفها وعبّر عنها بما يناسب قيّمه وخصوصياته وفي هذا الصدد تقول سارة جامبل" والمعروف أنّ النسوية (سواء نظرنا إليها على أنّها حركة أو نظرية أو فلسفة) فقد امتد تأثيرها إلى ما وراء العالم الغربي ليصل إلى مختلف بقاع العالم، التي تتفاوت في درجة إستقبالها وفهمها واستيعابها للأفكار النسوية وفي كيفية تخريجها بصرة جديدة تتلاءم مع خصوصيات المجتمعات والثقافات المستقبلة لها"(سارة جامبل 2002 ص:7).

فالنسوية إذن تمثّل وتعبّر عن كل نشاط أو مفهوم أو إنتاج فكري يسعى إلى تغيير نظرة المجتمع إلى المرأة ويبوّأها المكانة التي تستحقها والنضال لحصولها على كافة حقوقها وزعزعة النظام الإجتماعي المتمحور حول الرجل والذي يجعل من المرأة إلى جانبه جنسا ثانيا لايمكنها مظاهاته أو المطالبة بذلك لهذا فإنّ النسوية تعني "بأنّ المرأة لا تعامل على قدم المساواة - لا لأيّ سبب سوى كونها امرأة – في المجتمع الذي ينظّم شئونه ويحدّد أولياته حسب رؤية الرجل واهتماماته، وفي ظلّ هذا النموذج الأبوي تصبح المرأة هي كل ما لا يميّز الرجل، أو كل ما لا يرضاه لنفسه، فالرجل يتّسم بالقوة والمرأة بالضعف، والرجل بالعقلانية والمرأة بالعاطفية، والرجل بالفعل والمرأة بالسلبية وهلم جرّا"(سارة جامبل 2002ص:13-14) فهذه الإختلافات بين الجنسين أوجدها الخالق عزّوجل لأغراض معيّنة وهي ضرورة لابدّ منها في حياة الفرد ولضمان إستقراره ولخلق النظام في المجتمع ولاستمرار الحياة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فللأنثى أدوار لا يمكن للرجل القيام بها وللرجل مهام لا تقدر الأنثى عليها، فلا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر فكل واحد منهما بحاجة الآخر ولا يوجد مثال أبسط من الأمومة والأبوة لتفسير هذه الظاهرة، فالأنثى بعطفها وحنانها ورقّة مشاعرها تكون أمّا تربي وتعطف وتحن على أبناءها، والرجل بقوتّه

وصرامته يكون أبّا يربّي باختلاف عن المرأة ، إختلاف يولّد الإستقرار والنظام في المحيط الأسري، ومن هنا ندرك إيجابية هذا الإختلاف إلا أنّ سوء فهم وتأويل هذه الفروقات جعلت المجتمعات القديمة تحيط المرأة بحيّز من السلبيات وتنسب إليها كل ما يوحي بالضعف والفشل وإفراد الرجل بالإيجابيات لترسم له بذلك عالما خاصا به لا يوجد مكان للمرأة فيه سوى تطوير مشاعر الدونية اتجاهها لتتكوّن بذلك فكرة عدم المساواة بين الرجل والمرأة شيئا فشيئا.

وقد اتخذت الحركة النسوية على مرّ السنوات اتجاهات عديدة اتفقت من حيث المبدأ والغايات، لكن اختلفت أحيانا في بعض الرؤى والأفكار حتى في المجتمع الواحد، فقد كان لكل تيّار نظرته وموقفه تجاه بعض المفاهيم والنظريات، فقد رأت بعض الناشطات النسويات تناقضا بين مطالب وأهداف هذه الحركة ونشاطها وسياستها في الواقع واتهمنها بتكريس مفهوم التمييز والتفريق بين أفراد الجنس الواحد في حين إدعاءها ومطالبتها ومحاربتها لظاهرة التميز بين الجنسين والمطالبة بالمساواة بينهما في الحقوق والحريات فبحكم قيام هذه الحركة في أوروبا فقد اقتصرت رؤيتها أو بالأحرى مثّلت وعبّرت فقط عن انشغالات المرأة الأوروبية (المرأة البيضاء) مستثنية باقي النسوة من مختلف أرجاء العالم على الرغم من إدعاءها للشمولية وترديد مصطلح النساء في كل شعاراتها واتخاذه رمزا وشعارا لمسيرتها النضالية بكل ما تحمله هذه المفردة من إختلافات وخصوصيات تقتضي إحتضان والأخذ بعين الإعتبار خصوصيات وأوضاع ومطالب جميع النسوة من مختلف الثقافات والأديان والتوفيق بينها والخروج بمطالب ومواقف تخدم وترضي جميع الأطراف:"فقد كان على النسوية بصفتها حركة لتحرير النساء حتى لو كان العنوان هو الحق بالتعليم والتوظيف والمواطنة أو القانون أن تتعامل مع ميراثها المزدوج وهو الشمولية في تناقضها مع الخصوصية والتشابه التام الذي ينجز من خلال التغلب على الإختلاف أو العمل على تجاهله أو إلغائه أو رفضه"(جاد إصلاح 2012ص:39).

وتعرّف النسوية بأنّها:"أي شكل من المقابلة لأي شكل من التمييز العنصري أو المجتمعي ضدّ المرأة والذي يجعلها تعاني فقط لأنّها إمرأة"(سامية بنت مضحي العنزي 2016ص :12) هذا ما يجعل هذه الحركة أو التيار يتسع ليشمل ويضمّ إتجاهات وممارسات ونشاطات وتوجهات فكرية مختلفة ومتنوعة ما دام الهدف والغرض واحد ألاّ وهو محاربة والقضاء على أي شكل أو مظهر من مظاهر التمييز والإضطهاد الممارس على المرأة مهما كانت مصادره ثقافية، إجتماعية، شخصية....وغيرها وعدم السماح به والمناداة والسعي إلى تكريس مبدأ المساواة بين الجنسين غير المطبّق في العديد من الهياكل والمؤسسات الإجتماعية والحضارية وشتى مظاهر الحياة اليومية للمرأةوالمطالبة باسترجاع العديد من الحقوق المسلوبة منها، مهما كان جنس الناشط رجلا كان أم إمرأة حيث تعرف مونيك ويتيك(Monique Wittiq)النسوية بأنّها:"تتشكل نسوية من الكلمة وهي تعني أن شخصا

ما يحارب من أجل إمرأة...والرجل في هذه الحالة يطلق عليه" بروفيمينست " (Profeminist) الذي يعمل من أجل أهداف نسوية"(سامية بنت مضحي العنزي 2016 ص:13) ما يجعل تسمية هذه الحركة قائم على الأهداف التي تسعى لتحقيقها لصالح الجنس النسوي لا على جنس الأفراد الناشطين في هذه الحركة والتي يشكل العنصر النسوي أغلبهم وأبرزهم.

ويفرّق الباحثون بين مفهومي النسائية والنسوية باعتبار الأول يشمل مجمل النشاطات التي تقوم بها المرأة مهما كانت أبعادها ومراميها فهي نسائية فقط لأنّ ممارسيها من جنس النساء،بينما النسوية هي حركة ذات أبعاد ومضامين إيديولوجية فكرية فلسفية متنوعة تهدف إلى تحقيق غاية معينة ألاّ هي ردّ الإعتبار للجنس النسوي واسترداد حقوقه المهضومة والقضاء على كل مظهر من مظاهر التفكير والممارسة التهميشية التي مورست بحق المرأة لعصور،لهذا فقد ضمّت هذه الحركة ومنذ نشأتها العديد من الأصوات الرجالية الداعمة لمواقفها(فريديريك إنجلز، جون ستيوارت مل، ميشيل فوكو، جاك ديريدا، جاك لاكان، روجيه غارودي...وغيرهم).

فمصطلح النسائية يرمز لكل منظمة أو جمعية أو نشاط تديره وتترأسه النساء ومنه يذهب البعض من الباحثين إلى التفريق بين مفهومي الحركة النسائية والحركة النسوية حيث تتشكل الأولى فقط من الجنس النسوي وتسعى لاسترداد حقوق المرأة على الصعيد الإجتماعي والدعوة إلى المساواة بين الجنسين ودحض بعض أشكال التمييز الذي تعاني منه المرأة في المجتمع وغالبا ما تسمى ب(حركة تحرير المرأة) بينما الحركة النسوية قد تضمّ بعض الناشطين الرجال تطالب بحقوق المرأة على كافة الأصعدة (ليس فقط الصعيد الإجتماعي) بلغت إلى حدّ المطالبة بتغيير دور كل من المرأة والرجل داخل المجتمع والعمل على إلغاء النظام الأبوي بصفة نهائية (النسوية الراديكالية) لخلاص المرأة، وهناك من يرى أنّ الحركات النسوية في بداياتها (النسوية الليبيرالية والماركسية) تعدّ حركات نسائية وغدت نسوية بمطالبها الداعية إلى التغيير الجذري للبنى والأسس المكونة للمجتمع :"فالحركات النسائية (حركات تحرير المرأة) في بداية تبلورها تشكلت في صورة تنظيمات نسائية لمعالجة تحسين وضع المرأة إجتماعيا وإقتصاديا دون المساس بدور كل من المرأة والرجل والبعد الجنسي أما الحركات النسوية والتي تتميز عن النسائية في إعتبارها منظمة فكرية هي الأخرى لم تمس دور كل من الجنسين في بداية نشأتها.....فهذا التوجه يعتبر الموجة أو التيار الأول للحركة النسوية"(سامية بنت مضحي العنزي 2016 ص :197).

وشكلّ مصطلح أو مفهوم النسوية إختلافا وعدم إتفاق بين الباحثين حتى في تحديد تاريخ ظهوره وأوّل إستخدام له فهناك من يرى أنّه استعمل لأوّل مرة عام 1830 من قبل عالم الإقتصاد والفيلسوف والسياسي "شارل فوبييه" في نص طبي باللغة الفرنسية لتفسير نوع من العلاج للمرضى الذين يعانون من صفات أنثوية في أجسادهم، بينما يرى البعض الآخر أنه

استخدم لأول مرة عام 1805 لتتأرجح التواريخ بين 1860،1985 و1890 لأول مرة في بريطانيا ومثلما تقول سارة جامبل فإنّه يصعب تحديد تاريخ مؤكدّ لبدايات هذه الحركة إلاّ أنّه يمكن القول أنها عرفت النور مع بدايات القرن التاسع عشر تزامنا والحركات الإصلاحية التي عرفها المجتمع الغربي آنذاك(الثورة الفرنسية،المطالبة بحقوق الإنسان...) إنطلاقا:"من بريطانيا ففرنسا ثم الولايات المتحدة الأمريكية"(سامية بنت مضحي العنزي 2016 ص:22).

وكما ذكرنا سابقا فإنّ ظهور هذه الحركة عائد إلى المعاناة والتهميش والعنف الجسدي والنفسي الذي كانت تتعرض إلية المرأة على مر العصور،والذي دفعها إلى تجربة شتّى السبل والوسائل في سبيل التحرر والتملص من سلطة النظام الأبوي (Patriarchy) الذي يقدّس الرجل ويجعله الكائن الوحيد القادر على إدارة وتسيير مختلف المؤسسات والهيئات المكوّنة للمجتمع في مختلف الميادين.

ويعرّف النظام الأبوي بأنّه " علاقات القوة التي تخضع في إطارها مصالح المرأة لمصالح الرجل، وتتخذ هذه العلاقات صورا متعددة بدءا من تقسيم العمل على أساس الجنس والتنظيم الإجتماعي لعملية الإنجاب إلى المعايير الداخلية للأنوثة التي نعيش بها، وتستند السلطة الأبوية إلى المعنى الإجتماعي الذي تمّ إضفاؤه على الفروق الجنسية البيولوجية") (سارة جامبل 2002 ص :22) فهذا النظام يكرّس فكرة عدم المساواة بين الرجل والمرأة ويهضم حقوق الأنثى ويفرض عليها أدوارا بسيطة تكون فيها دوما تحت سلطة الرجل متذرعا بالفروق البيولوجية بين الجنسين التي تجعل دوما الذكر أقوى من الأنثى.

وتعود جذور هذا المصطلح (البطريكية) إلى اللغة اليونانية حيث يتشكل من مفردتين مجتمعتين(حكم ،الأب) كما أنّ مصطلح بطرياركي مصطلح كنسي يعني قانون الأب ومهما تنوعت تسميات هذا المصطلح:النظام البطرياركي، النظام الأبوي الهيمنة الذكورية فإنها تعني في مجملها نظام مرتكز وقائم على سلطة الرجل في كافة جوانب الحياة السياسية والإقتصادية والدينية والعلمية وحتى العائلية، ولا يسمح للأنثى بالتدخل أو المشاركة في أي قرار أو إبداء الرأي لاتسماها بالضعف والعاطفية والتردّد والجهل وقلة الذكاء والإستيعاب والخبرات مقارنة بالرجل لهذا ما عليها سوى الموافقة والخضوع لقرارات الرجل ورغباته، فأصبحت المرأة بطبيعة الحال تشكّك في قدراتها وتؤمن بنقصها وجهلها وعاشت مصيرها بصمت حتىّ أنّها لم تحاول إستكشاف وإستثمار مواهبها لتصديقها وإيمانها القوي بمحدودية قدراتها الفكرية والجسدية، وبهذا نشهد على العنف النفسي الكبير الذي مارسه المجتمع الأبوي على المرأة وعلى إجبارها على قدر وحياة إختاره هو لها،حياة لا تتعارض وتتماشى مع مصالح المجتمع الذكوري.

وبسبب هذه الضغوطات والإضطهاد والحياة البائسة التي عاشتها المرأة على مر السنين قررت النسوة في البلاد الغربية تغيير تلك الصورة السلبية التي كوّنت ورسمت للمرأة على

مدى العصور والسعي لبناء مستقبل وحياة أفضل في مجتمع يقدّر الأنثى، مجتمع تساهم هي في بناء أسسه وتنظيمه وتسييره، مجتمع تكون فيه طرفا وعنصرا ذا شأن وأهمية يساهم ويشارك في مختلف نشاطات الحياة الإجتماعية والسياسية،والأهم من كل هذا وذلك هو حصولها على حريتها وحقوقها وقدرتها على اتخاذ قراراتها بنفسها وتحديد مصيرها ورسم معالم مستقبلها وغيرها من الحقوق التي حرمها المجتمع منها، وفي سبيل تحقيق كل هذه الآمال ومن أجل حياة أفضل ومستقبل باهر ثارت المرأة الغربية وتمردت على أعراف وفكر وقوانين الجماعة وراحت تكسّر تلك السلاسل التي قيّدها المجتمع بها، فبدأت تنشط في بعض المجالات كالميدان الأدبي والسياسي إذ ظهرت بعض الكاتبات والأديبات اللّاتي عبّرن عن احتياجات المرأة وتكلّمن عن الظلم الذي يمارس في حقها ودعين إلى فهم الأنثى واستردادها لما سلب منها كما قامت أيضا بتكوين جمعيات نسوية تطالب فيها بحقوق المرأة كحقها في الإنتخاب والمساواة بينها وبين الرجل وحقها في التعليم والعمل وغيرها مثبتة دوما قدرتها وأهليتها على منافسة الرجل ومشاطرته أعباء الحياة، ممهّدة بهذه الخطوات لظهور مايسمى بالحركة النسوية التي سنتعرض فيمايلي لبعض نشاطها في بلاد الغرب ثم في البلاد العربية.

1-3-النـــــشـــاط الـــنســـوي فـــي الـغـرب :

"إنّ اليوم العالمي للمرأة الذي يصادف الثامن من شهر مارس يعتبر تكريما لروح وذكرى النساء اللاتي فقدن حياتهن في مظاهرات نيويورك 1859 إحتجاجا على ظروف العمل السيئة وتدني الأجور"(حنفاوي بعلي 2009 ص:156)

لقد مرّ النشاط النسوي التحرري منذ بدايته بثلاث مراحل تاريخية مختلفة حيث اتسمت كل مرحلة بمجموعة من المبادئ والمطالب تماشت ووضع المرأة ومسيرتها النضالية، حيث ارتكز الأمر في المرحلة الأولى والتي يؤرخ لها بأواخر القرن الثامن عشر بالمطالبة بالحقوق المدنية للمرأة كحقها في التعليم والعمل والإنتخاب التي كانت محرومة منها حينها وقد كانت نقطة الإنطلاق من بريطانيا بصدور كتاب الناشطة النسوية ماري ولستونكروفت (Mary Wollstonecraft) عام 1792المعنون ب:"دفاعا عن حقوق المرأة" الذي دعت فيه إلى ضرورة تعلم المرأة والمساواة بينها وبين الرجل نظرا للمكانة والدور الكبير الذي تقوم به المرأة في المجتمع عبر تنشئتها لأجيال الغد وحاولت تغيير نظرة المجتمع والرجل إلى المرأة التي كانت تعتبر وتعامل كأنّها بضاعة ملك للرجل ليست لها أية قيمة معنوية، وأكدت أنّ الإحترام والمساواة ضرورة وأساس قيام العلاقة بين الرجل والمرأة ولن تنال المرأة هذه المكانة والتقدير إلا بالتعليم وبتنمية وتطوير قدراتها وإمكانياتها الفكرية، وانتقلت

هذه الموجة إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1848 حين طالبت المرأة الأمريكية لأول مرة بحقوقها المدنية في مؤتمر "سينيكافولز"(شهلا العجيلي 2011 ص :78) بعد مرور حوالي قرن من بداية النشاط النسوي في بريطانيا إلاّ أنّ اندلاع الحرب العالمية الأولى أثّر على حركة تحرر المرأة في الغرب حيث عرفت الحركة النسوية فترة ركود خاصة عندما اتجهت النسوة إلى العمل في التمريض ومساعدة الجنود ومساندة بلدانهن التي كانت منشغلة بالحرب فابتعادهن عن الساحة والنشاط النسوي وانشغالهن بهموم الحرب والسياسة وحصول المرأة الأمريكية على حقها في التصويت سجل تاريخ نهاية الموجة الأولى من الحركة النسوية التي حققت عموما معظم مطالبها وعموما فإنّ المرأة في الولايات المتحدة الأمريكية لم تواجه ما واجهته المرأة في المجتمعات الغربية من صعوبات، بل حتى أنّ المجتمع سهّل عملها وساعدها في الحصول على الكثير من حقوقها،وهذا ربما عائد إلى طبيعة وتاريخ المجتمع الأمريكي الذي يختلف وبشكل كبير عن المجتمع الأوروبي القديم المحافظ،إذ لم تثر فكرة تحرر المرأة ومطالبتها بالمساواة مع الرجل تلك العقدة التي كوّنها الرجل الأوروبي تجاهها بل آمن بحقها في الحرية والمساواة، ويمكن التأريخ لبداية النشاط النسوي في الولايات المتحدة الأمريكية بالخمسينات من القرن التاسع عشر عندما بدأت النسوة يطالبن بحقوقهن المدنية وحقهن في العمل والإنتخاب والعلاج وحقوق المرأة المتزوجة ورفضهن لسياسة تقسيم العمل على أساس الجنس وسيطرة الرجل وحده على بعض القطاعات فقد:"كان جوهر مطالب حركة حقوق المرأة قبل الحرب هو حق النساء في المشاركة الكاملة في الحياة العامة والمدنية وهو إعتراض على الفصل بين المجالات إلى مجالات خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء"ومن بين الأسماء النسوية الناشطة خلال هذه الفترة نجد اليزابيث كادي ستاستون، سوزان ف أنثوني " وفي عام 1854قدّمت ستاستون وأنثوني وإرنستين روز إلتماسات للهيئة التشريعية في نيويورك تحمل عشرة آلاف توقيع من أجل منح المرأة حق الإقتراع وحق المرأة المتزوجة في التحكم في ممتلاكتها ...واستطعن في غضون ذلك إدخال سلسلة من التحسينات على القوانين"(سارة م إيفانز 1996ص :132-133) وقد استطاعت النسوة في الولايات المتحّدة الأمريكية خلال وقت قليل إحداث الفرق والتحسين من وضع المرأة وزاد قيام الحرب الأهلية بعدها من حظوظ المرأة فالحاجة إلى اليد العاملة مكّن المرأة من دخول الحياة العملية وتجربة قطاعات جديدة فأصبحت تحترف التمريض والطّب وتعمل في المدارس والمصانع" وتولّت مسئوليات إقتصادية جديدة عندما التحق الرجال بالجيش فتوليّن إدارة المزارع والأعمال في المناطق الريفية ووجدت النساء مكانا لائقا للعمل في المصانع والمدارس"(سارة م إيفانز 1996ص:148) لتتغيّر حياتها بعد ذلك بشكل تام في التسعينات من القرن التاسع عشر بدخولها الجامعات وظهور المرأة الأمريكية الجديدة التي رفضت صورة المرأة التقليدية المقيّدة بمؤسسة الزواج والأطفال وابتكرت أساليب حياة جديدة لنفسها جعلت منها المرأة الأمريكية الأسطورة التي نعرفها اليوم وسرعانما أدى حصول المرأة الأمريكية على حقوقها إلى ذيوع وانتشار فكرة التحرر إلى

المجتمعات الأخرى، فقد كانت المرأة الأمريكية سبّاقة في المطالبة ببعض الحقوق كحقّها في الإنتخاب ومزاولة بعض المهن التي كانت حكرا على الرجل، لتقتدي بها النساء الأوروبيات وتوّسعن دائرة المطالب التي اقتصرت في البداية على المساواة فقط. والمرأة الأمريكية إلى يومنا هذا تعيش بحرية واستقلالية وتتمتع بالعديد من الحقوق والمزايا التي لا تمتلكها حتى مثيلاتها في أوربا،لهذا تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية رائدة في هذا الميدان، حتى أنّه يمكن القول بأنّ الحرية والمكانة التي تقدّمها الولايات المتحدة الأمريكية للمرأة لا يمكن إيجادها في أي بلد آخر حتى في أكثر البلدان إدعاء للحرية والمساواة.

لتبدأ وتظهر الموجة النسوية الثانية من جديد في السبعينات من القرن العشرين بأعضاء وناشطات مختلفات لديهن من الحقوق والتجارب ما لم تضطلع به ناشطات الموجة الأولى ويدّن لهن ولجهودهن في سبيل الحرية والتغيير والمساواة، وتميزت هذه الفترة أو الموجة بغزارة الكتابات النظرية النسوية التي ألفتها ناشطات في مجال النسوية وقضية تحرير المرأة، إذ تطرقن لتحليل ومناقشة الأسباب الكامنة وراء تدني وضع المرأة في المجتمع والظلم والحرمان الذي يطالها من المجتمع والرجل ومحاولة إيجاد حلول لتغيير هذا الوضع بالمطالبة بالحقوق والمساواة والإنصاف والحرية التي لم تنلها تماما ومن أمثال هذه الناشطات نجد الكاتبة الفرنسية سيمون دي بوفوار حيث "يشكل ما ورد في كتاب سيمون دي بوفوار الجنس الثاني 1949مرتكزا هاما للكتابات النظرية في هذه المرحلة إذ أنّ معالجة دي بوفوار لمفهوم المرأة كما تشكله الثقافة باعتبارها الآخر هي التي أرست دعائم معظم الأعمال النظرية التي ظهرت في السبعينات"(شهلا العجيلي 2011 ص79) .

وظهرت الموجة الثالثة من الحركة النسوية التي أطلق عليها ما بعد النسوية في ثمانينات القرن العشرين وقد اختلفت الآراء والمواقف إزاء هذه الحركة لاختلاف فلسفتها عن الموجتين السابقتين :"فالاختلاف الأساسي بين الموجة الثالثة والموجة الثانية هو أنّ النسويات في الموجة الثالثة لا يجدن بأسا من التناقض، لأنّهن نشأن وسط بنيات نسوية متفاوتة فأصبحن يقبلن التعددية بوصفها أمرا مسلما به"(شهلا العجيلي 2011ص :80) متجاوزة مرحلة مقارنة المرأة بالرجل والمطالبة بالمساواة معه وراحت توسع أهدافها وتتبنى قضايا جديدة لها علاقة بقضيتها وتضمها إليها مؤمنة بمبدأ التنوع والتعدد والتغيير كمطالب الحركات النسوية المنتمية للبادان الضعيفة والمستعمرة حتى وان اختلفت المطالب من الناحية الثقافية والإجتماعية فهي تعترف بها وتضمها إلى مطالبها ومبادئها لأنها في النتيجة حقيقة تعبر عن التعدد والتغيير الذي يعدّ جزء وضرورة في حياتنا ومبدء من المبادئ التي تقوم عليها وتؤمن بها هذه الموجة من الحركة النسوية :"إنّ ما يشكل قمعا لي قد لا يشكل قمعا بالنسبة لك وما يعد قمعا بالنسبة لك قد لا يكون شيئا أشارك أنا فيه وأنّ ما أراه قمعا لي قد يكون شيئا تشاركين أنت بدور فيه ولكن حنى عندما تتعارض الوجهات المختلفة للنسوية والدعوة للحقوق تعارضا مباشرا بعضها مع بعضها الآخر أحيانا فإنها جميعا جزء من حياتنا

وتفكيرنا وممارستنا في الموجة الثالثة" (شهلا العجيلي 2011ص :80) وهذه الموجة تذكرنا بصوت المرأة السوداء في الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تنشد بالمساواة مع المرأة البيضاء في الحقوق والمعاملة الحسنة قبل مطالبتها بالمساواة مع الرجل الأبيض نظرا للتهميش والظلم الذي كانت تعانيه في المجتمع الأمريكي من قبل البيض، متهمة بذلك الحركة النسوية في الغرب بالتمييز والعنصرية لعدم إدراجها انشغالات المرأة السوداء ضمن نشاطها التحرري فالمرأة السوداء في الولايات المتحدة الأمريكية قد ناضلت لعقود حتى ينظر إليها كامرأة أوّلا لتطالب بعدها بحقوقها في المساواة مع الرجل وقد نجحت في تحرير المرأة السوداء في شتّى أنحاء العالم من وصمة العبودية التي ألحقت بها لعصور وساوتها بالمرأة البيضاء في الحقوق والحريات بفضل جهود العديد من الناشطات النسويات أمثال "اليانور فلكسز، سوجرنر تروث ، أنجيلا دافيز " وغيرهن ممن أثرن قضية النسوية السوداء "فقد لاحظت المرأة السوداء موقف المرأة البيضاء من التركيز على الطغيان الذكوري وقهر النساء كما لو كان إكتشافا جديدا بينما شعرت المرأة السوداء أنّ هذا التركيز لا ينعكس على حياتها وتقول إحدى الناشطات النسويات سوزان قريفن حين انضممت إلى مجموعات نسوية اكتشفت أنّ المرأة السوداء تتعامل بقدر من النازل معي ومع غيري من النساء غير البيض إنّ التنازل الذي كانت هؤلاء النساء تتعاملن به تجاهنا إنّما كان يمثل إحدى الوسائل المستخدمة لتذكيرنا بأنّ الحركة النسائية هي حركة خاصة بهن"(هدى الصدة هالة كمال 2002 ص :43-44)، واليوم تعيش المرأة السوداء في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أوروبا وغيرها من الدوّل حياة رغيدة آمنة كغيرها من الأجناس ونلحظ وجودها في شتّى نشاطات الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والفنية والعلمية،فقد زالت تلك النظرة الدونية التي كان يرمق بها الجنس الأسود في القديم لاسيما في الولايات المتحدة الأميريكية حيث شاعت على سبيل المثال في السنوات الأخيرة ظاهرة الزواج المختلط بشكل كبير فقد أصبحت النساء الأمريكيات تفضلن الزواج بالرجل الأسود وعكس ذلك خصوصا عند إرتباط العديد من المشاهير كالفنانات والممثلات ونساء الطبقة الراقية برجال سود نتيجة سيطرة هذا الأخير على مجال الفن والإقتصاد والسياسة وتحصيله لثروات طائلة،وهذا هو شأن المرأة والرجل الأسود في البلدان الأخرى باستثناء بعض المضايقات النادرة التي قد تصدر من بعض المتشددّين والمتعصبين البيض.

وما هذه التطورات التي عرفتها الحركة النسوية في الغرب سوى نتيجة لإسهامات ونشاطات وجهود المفكرين والمناضلات النسويات من شتى أنحاء البلاد الغربية وبعض الوقائع التاريخية والأحداث السياسية التي كان لها دور كبير في تبلور الفكرة ورسم المعالم الأولى لهذه الحركة كقيام الثورة الفرنسية وما أحدثته من تغييرات وتطورات لا سيما في المجال الفكري بظهور الفلاسفة والمفكرين الذين دعوا إلى تحرير المرأة ومساعدتها على استرداد حقوقها وتزعمهم لحركات تؤمن بأنّ التغيير يجب أن يمسّ الفكر أوّلا لينتقل بعدها إلى

الإنتاج الإقتصادي والعمل السياسي،فالعقل هو الضمان،ولا استمرارية للتطور والمدنية مادام فكر الفرد منغلقا منزويا عقيما لاينتج، متمسكا ومتشبثا فقط بما تركه الأسبقون، وكانت الحركة الرومانتيكية أحد هذه الحركات الأدبية التي كانت تدعو إلى حرية الفرد والفكر والتمرد على النظام القديم مما زاد درجة الوعي لدى الأفراد وساعد بذلك المرأة في نضالها حيث علا الصوت النسوي في فرنسا وشاعت آمالها ومطالبها في جميع أنحاء البلاد حتى يمكن القول أنّه بدأ يعترف ويتقبل بالحركة النسوية وبانجازات المرأة ولوقليلا مقارنة بالفترات الماضية.

1-3-1-النشاط النسوي الأدبي في الغرب:

لقد عرف النشاط النسوي في بريطانيا حركة كبيرة في الميدان الأدبي إذ ظهرت العديد من الأديبات اللواتي كتبن عن المرأة والحرية أمثال فرجينيا وولف، سارة ميلز، جين أوستن، الأخوات برونتي وإليزابيث براونغ وغيرهن، كما لم يبخل بعض المفكرين الرجال بضم صوتهن إلى الصوت النسوي والتنديد بحقوق المرأة وهنا يأتي "جون ستيوارت مل" الذي حارب التمييز بين الجنسين وناهض الفكر القائل بدونية المرأة وفوقية الرجل وسعى إلى تغيير هذه الفكرة الذي كوّنها المجتمع الذكوري عن المرأة "إذ أنّ أحسن مقولة في مجال تحرير المرأة هي التي وردت على لسان هذا المنظر السياسي الإنجليزي جون ستيوارت مل قبل 140 سنة إذ قال أنا أرفض أن يكون إنسان عارفا أو يستطيع أنّ طبيعة الرجل والمرأة، مادامت نظرة المجتمع إلى الطرفين تقوم فقط على أساس العلاقة القائمة بينهما في الوقت الراهن .....إنّ ما يطلق عليه الآن تسمية طبيعة المرأة شيئ ملفق ومصطنع تماما، وهي نتيجة للقهر القمعي في بعض اتجاهاته، كما أنّها حصيلة لدوافع غير طبيعية في اتجاهات أخرى"(حنفاوي بعلي2009 ص :129) .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية فقد ظهرت العديد من الكاتبات والأديبات اللاتي حاولن توعية المرأة وتحليل ومناقشة أوضاعها ومشاكلها وتطرقن إلى الإختلافات القائمة بينها وبين الرجل والتي كانت تجعل من المرأة دوما أقل مكانة من الرجل وتفضلّه عليها، وأكّدت وأثبتت عدم صحة هذه المقولة إذ أنّ هذه الخصوصيات تجعل من المرأة أكثر تميزا عن الجنس الذكري، فإلى جانب إثباتها على مر السنوات إمكانيتها وكفاءتها في العمل جنبا بجنب مع الرجل، فهي تساهم في تكوين أسرة وبالتالي في بناء مجتمع يعود إليها تقرير مصيره عبر إشرفها على عملية التكوين النفسي والعقلي لطفلها عبر ممارستها لأمومتها، هذه الميزة التي من أجلها قلّل الرجل من شأن المرأة لمدى عصور لم يدرك قيمتها ودورها إلاّ بعد ظهور الدراسات الحديثة في علم النفس التي أثبتت العلاقة الفريدة التي تتكون بين الجنين والأم أثناء عملية الحمل،كما أكدّت بعض الباحثات النسويات أنّ قدرة المرأة على الحمل والإنجاب هي ميزة عظيمة أفردت بها الأنثى لما تتمتع به من عقلانية ومشاعر وإحساس

مرهف،وأنّ هناك إختلاف كبير بين مشاعر الأمومة والأبوة والصلة التي تربطهما بأبناءهما لهذا كان الإهتمام بالطفل ورعايته من نصيب الأنثى لما يحتاجه من عطف وحنان كي ينمو نموا سليما نفسيا وعقليا وإجتماعيا،لهذا فكل هذه الصفات والميزات تجعل الأنثى كائنا متميزا بخصوصياتها تستحق جهودها التقدير على جميع الأصعدة الإجتماعية والسياسية والعلمية،حتى وإن إستغرق فهمها وتقديرها وقتا من الزمن فقد نجحت في الأخير في إثبات عكس المقولة القائلة بأنّ الأنوثة نقمة وأنّها أدنى من الجنس الذكري حتى ولو وجد فريق من النسويات اللّاتي رأين من الحمل والإنجاب وتربية الأطفال عوائق تحدّ من حرية وطموح المرأة وتبقيها في الدائرة القديمة التي تحصر دورها في البيت فقط،وهذا ليس صحيحا فقد تمكنت المرأة من تنظيم وتقسيم أدوارها بين العمل والمنزل والإنجاب وهذا إختلاف مميّز يبرز أنوثتها وروحها الحساسة وقدرتها على الصبر والتحمل والتربية.

كما ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة من المفكرات والأديبات اللاّتي اهتممن بكتابات المرأة وما يميّزها من خصوصيات لغوية وفكرية وجمالية تفرّقها عن كتابة الرجل وتعرضت للظروف التي دفعت المرأة إلى الكتابة منذ البداية وما واجهته من صعوبات والقيود التي فرضت عليها ومن بين هذه الكتب" التي بدأت أولا بتعريف كتابة النساء وبتعابير نسوية هي كتاب باتريشيا ميرسباكس الخيال الأنثوي وكتاب إلين مورس نساء أدبيات وكتاب إلين شوالترز أدبهن الخاص ...وفي العام 1979قدمت الدراسة البارزة لساندرا جلبير وسوزان جوبيير المجنونة في العلية وصفا نظريا كاملا لحالة الكاتبة المرأة في القرن التاسع عشر وقلقها حول التأليف باعتباره نشاطا مفزعا غير أنثوي يتجاوز الحدود الثقافية،وإعادة كتابتها للميثيولوجيا الذكرية في نصوصها الخاصة"(حنفاوي بعلي 2009ص:167) وغيرهن من الكاتبات اللاتي أسهمن في كتابة تاريخ الأدب النسائي في الولايات المتحدة الأمريكية.

وبين الفلسفة والأدب وعلم النفس والفن وصولا إلى السياسة نشأت الحركة النسوية في الغرب ونضجت وقدّمت للعالم العديد من الأسماء اللّاتي تركن أثرهن وساهمن في كتابة التاريخ النسوي ورسم مسار ومعالم الحركة النسوية بأفكارهن وجهودهن المتألقة، حتى أنّهن أثّرن على سير ومفهوم ونشاط الحركة النسوية في مختلف أنحاء العالم بفضل أعمالهن التي بلغت العالمية وتميّزهن في حقل الدفاع عن حقوق المرأة، ومهما بلغت درجة التأثير تبقى لكل حركة ميزاتها وخصوصياتها التي تميزها عن غيرها وهذا عائد لاختلاف الخصوصيات الثقافية والإجتماعية والتاريخية التي تميز كل بلد عن الآخر مما يجعل أسباب ودوافع قيام الحركة حتى بعض المطالب تختلف من بلد إلى آخر.

1-3-2 رائدات الأدب النسوي في الغرب:

1-3-2-1-ماري ولستونكروفت(Mary Wollstonecraft):

لقد شكلت كتابات وستونكرافت ثورة في تاريخ الفكر النسوي في بريطانيا وأثر بالغ في توجيه وتحديد مسار النشاط النسوي في انجلترا إذ أيقنت المرأة بالإجحاف الذي يمارس بحقها وبالحياة التي سلبت منها وبحقها ومشروعيتها في ممارسة العديد من الأعمال التي يقوم بها الرجل، فشرعت بالمطالبة بحقوقها انطلاقا من المنزل والعائلة كحقها في حياة كريمة وشريفة بما في ذلك المعاملة الحسنة من زوجها وحقها إلى جانب ممارسة الأمومة في المشاركة في جميع النشاطات التي تعتبر حكرا على الرجل كحقها في التعليم والعمل الإقتصادي والسياسي والأدبي والمساواة بينها وبين الرجل في جميع الحقوق والواجبات. غير أنّ التعليم كان أحد المطالب الأساسية التي تدعو إليها وولستونكرافت،وأكّدت على ضرورته من أجل تحسين أوضاع المرأة فبالتعليم تفتح أفق جديدة أمامها وتتغير نظرتها للحياة فتشق لنفسها سبلا وآمالا وأهدافا ببلوغها يشرق ويبزغ عصر جديد أمامها .

1-3-2-2- سيمون دي بوفوار(Simone de Beauvoir):

لقد عرفت الحركة النسوية في القرن العشرين نقلة نوعية باءنتاجات الفيلسوفة والأديبة الفرنسية (سيمون دي بوفوار)التي أصبحت بمثابة المرجع لكل من يريد البحث والإستفسار عن المرأة وقضايها فقد قدمت مفهوما آخر للمرأة وللحركة النسوية فأصبحت رمزا من رموز النسوية في فرنسا،حيث ترى بأنّه لا ينظر إلى المرأة باعتبارها كائنا مستقلا بذاتها بل كل تعريف يقدّم عن المرأة يلجأ إلى المقارنة بينها وبين الرجل وأنّه قبل النظر إلى الفروق البيولوجية التي تجعل الرجل دوما أعلى مكانة من المرأة يجب النظر إلى المرأة بأنّها إنسان مثلها مثل الرجل لها احتياجات وخصوصيات وحقوق يحق لها إلى جانب الأمومة أن تمارس وظائف أخرى مثلما يحق للرجل أن يمارس أبوته وأنشطة أخرى ويحتل مناصب مرموقة في المجتمع " فيعتبر كتابها الجنس الثاني(le deuxieme sexe) إنجيل الحركة النسوية بأسرها وقد انطلقت سيمون دي بوفوار من المرأة الأنثى وانتهت بالمرأة الإنسان،التي تقترن فيها الطبيعة الإنسانية بالطبيعة النسائية، وذلك بعكس النظرية النسوية التي تنطلق من الإنسان الأنثى ككائن جوهري متعال على الذكر في نظرة نسوية تمركزية مضادة"(حنفاوي بعلي 2009ص :99) ومن هنا نستنتج بأنّها ركّزت على إنسانية المرأة قبل التركيز على أنوثتها وطالبت بحقوق المرأة بكونها إنسانا قبل أن تكون أنثى.

كما ترى أيضا بأنّ المرأة لاتولد أنثى بل تصبح كذلك بسب القيود التي قيّدها بها المجتمع على مر العصور فلطالما حدّد لها وظائف وأعطاها مكانة ومنزلة وفرّقها عن الذكر،لهذا يجب على المرأة أن ترفض هذا التصنيف وتشرع في إثبات قدراتها العقلية وتسهم في الإنتاج

العلمي والفكري والعمل السياسي والإقتصادي وترسم صورة جديدة للمرأة غير تلك التي فرضت عليها في العصور السابقة.

كما تطرقت أيضا إلى واقع حياة المرأة الأوروبية وما تواجهه من مشاكل وأزمات في مجتمع يحدّ من حريتها وحياتها، وتطرقت إلى الطبقية الإجتماعية والفروقات بين المرأة البرجوازية والمرأة العاملة وما هو مصير المرأة في المستقبل وما ستتركه من إرث لمثيلاتها وماهي التدابير الواجب اتخاذها لضمان حياة شريفة وكريمة للمرأة مستقبلا ورأت بأنّه لا سبيل للتغيير والتحرر إلاّ باءنفتاح المرأة وازدياد درجة وعيها واستيعابها لما تعيشه ومعرفتها حق المعرفة ما تريده وما تريد تحقيقه في الحياة،وغيرها من النقاشات التي تكاد تكون من خلالها درست جميع الظواهر المتعلقة بالمرأة كأنثى وكحالة إجتماعية وثقافية.

1-3-2-3-فرجينيا وولف(Virginia Woolf) :

تعتبر فرجينيا وولف رائدة من روّاد الأدب النسوي في بريطانيا بأعمالها المتميزة ونذكر منها "غرفة خاصة بالمرء وحده، والسيدة دالواي" (a room of one s own,Mrs Dalloway) التي تعرضت فيها لقضايا المرأة والمأساة التي تعيشها، كما لم تهمل وولف أيضا في أعمالها الأخرى التطرق إلى انشغالات المرأة الكاتبة والصعوبات التي تواجهها وتحرمها من لذة الإستمتاع بعملها الأدبي، فالكتابة فن وعملية إبداعية يطلق فيها الأديب العنين لمخيلته والحرية لقلمه فيعبّر عن مايختلج ذاته وما يجول في قرارة نفسه، وفي الوقت الذي كان يجب أن تجد المرأة في هذا الميدان منفذا ومتسعا للتعبير عن حنقها ووسخطها تجاه المجتمع الذكوري،وجدت نفسها تكتب متأثرة ببعض العوامل الخارجية المحيطة بها وهذا ما سيؤدي إلى ضياع جمال وإبداع ومصداقية العمل الأدبي، لهذا لم ترضخ الأديبات في بريطانيا لهذه القيود التي فرضت عليهن وحاولن قدر الإمكان إيصال صوتهن إلى تلك النسوة المختبئ صوتهن وراء جدران البيوت والمنازل واللواتي لازلن يعانين من قهر واضطهاد أزواجهن،أن تريهن ماذا أصبحن وكيف يمكنهن هن أيضا أن يصبحن، إلى الإنجازات التي قامت بها المرأة وإلى آمالها ومشاريعها من أجل غد وحياة أفضل.

كما حاولت فرجينيا وولف في كتاباتها التأكيد على ضرورة أن يكون العمل الأدبي النسوي مختلفا عن الأدب الرجالي من حيث اللغة والأفكار وطريقة الكتابة، حتى أنّ هذا التمييز سيظهر حتى ولو لم تسع الكاتبة إلى إبداءه وهذا راجع للإختلافات الموجودة بينها وبين الرجل إضافة إلى إختلاف حياة كليهما وانشغالاتهما ومطالبهما في الحياةفالكتابة بالنسبة للأنثى أصبحت ثورة ونضالا وسبيلا للتغيير والتحرر.

1-3-2-4-دوريس ليسنج(Doris Lessing):

وغير بعيد عن الأدب فقد ظهرت العديد من الناشطات النسويات البريطانيات اللّاتي إلى جانب مطالبتهن بحقوق المرأة والمساواة والتحرر، انتقدن السياسة والنظام الكولونيالي الذي عزّز فكرة التمييز العرقي وطالبن بحقوق الشعوب المستعمرة في الحرية والتحرر من ظلم واستعباد الرجل الأبيض،وهنا نذكر الناشطة والكاتبة البريطانية "دوريس ليسنج" التي تأثرت بمعاناة الإفريقيين إثر عيشها في أحد المستعمرات البريطانية فعكست روحها النضالية في مؤلفاتها التي غلب عليها الطابع السياسي:"فبشكل عام يمكن قراءة أعمال دوريس ليسنج كبيان مؤيد لحقوق المرأة أو كمنشور سياسي عنيف، قبل أي شيئ آخر صورة حادة لجيل موجته الإيديولوجيات،ومن هنا يأتي ذلك التشابه بين أعمال ليسنج وكتابات سيمون دي بوفوار وماري ماكارثي،هذه الكتابات التي لا تكف أبدا عن عرض أسباب الأخطاء التي لا ينبغي الوقوع فيها مرة أخرى،وإنّ ما يعطي لأعمال ليسنج فرادتها هو ذلك الحس العميق الذي جعلها تحول حياة مارثا دوريس الإنسانة العادية جدا إلى صورة شاملة لمجتمع نضال وجيل، وهنا تبرز دوريس ككاتبة ومناضلة في آن معا،كتابات دوريس ليسنغ تشكل سيرة نضال ومعظمها جاء من تجاربها في افريقيا انطلاقا من انشغالها الحاد بالسياسة والقضايا الإجتماعية،كتبت ليسنغ عن صراع الثقافات الظلم الفادح لعدم المساواة العرقية،الصراع بين العناصر المتعارضة ضمن شخصية الفرد والنزاع بين الضمير الفردي ومصالح الجماعة وشجبت امتلاك الإفريقيين السود من قبل المستعمرين البيض وتفضح عقم الثقافة البيضاء في جنوب افريقيا"(حنفاوي بعلي 2009ص :143).

فقد تمكنت ليسنج بحسها الأدبي المتألق أن تعالج مختلف قضايا عصرها بطريقة فنية تمزج فيها مرارة الواقع بخيالها الأدبي فتقدّم للقارئ شخصيات بطولية مشبّعة بروحها النضالية وأفكارها التحررية الرافضة لوحشية الإستعمار الغربي، فأغلب كتاباتها كانت كردّة فعل للحروب والمشروع الإستعماري آنذاك، وحاولت في كل مرة الكشف عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء التوسع الإستعماري الغربي في بعض البلدان الضعيفة،فقد أكّدت بأنّ النهب واستغلال ثروات وخيرات هذه البلدان هي السبب في هذه الحروب وليس المدنية والتحضر كما يزعم الرجل الأبيض كما رفضت سياسة القوة وتلك الأساليب القمعية التي تعامل بها الشعوب المستعمرة وندّدت بحقها في الحرية والإستقلال، وبهذا تكون ليسنج قد قدمت رؤية ومفهوم مغاير للحركة النسوية في بريطانيا التي إلى جانب مطالبتها بحقوق وحرية المرأة، حاربت النظام الكولونيالي القائم على القمع والإستبداد وسلب حقوق وحريات الأفراد بما فيها الجنس الذكري، إضافة إلى محاربتها للتمييز العرقي الذي يجعل الرجل الأبيض سيّدا للرجل الأسود وهذا الأخير تابعا له، فدعت إلى المساواة وقبول الآخر والإنفتاح على ثقافة الغير لتضيف بهذه المطالب أهدافا جديدة لقائمة الحقوق التي تسعى الحركة النسوية في بريطانيا

إلى استردادها وتخلّد إسمها في تاريخ الحركة النسوية في بريطانيا بفضل أعمالها المتميّزة التي يرجع إليها الباحثون والمترجمة إلى العديد من لغات العالم.

1-4-النشاط النسوي في البلدان النامية:

لقد عانت النسوة في هذه البلدان الأمرين، مرارة الإستعمار ومرارة الفكر القديم والصورة التقليدية للمرأة التي تجعلها تابعة لزوجها مقيّدة بأطفالها وببعض الأعراف والتقاليد، كما أنّ إنعدام الإستقرار السياسي في هذه البلدان وعيشها تحت وطأة الإستعمار الغربي لم يتح للمرأة فرصة التفكير في نفسها أو مطالبتها بالحرية والمساواة التي طالبت بها المرأة الغربية، فقد كانت حرية المجتمع أولويتها قبل حريتها الفردية، حتى أنّه يمكن القول أنّ المرأة في البعض من هذه البلدان لاسيّما المسلمة منها لم تكن مضطهدة كثيرا مقارنة بوضع المرأة في المجتمعات غير المسلمة ، فالمرأة المسلمة تمتعت ببعض الحقوق التي ناهضت من أجلها المرأة في البلاد الغربية لمدى سنوات، أما بخصوص بوضع المرأة في البلدان المستعمرة بشكل عام فقد شاركت الرجل في مسيرته النضالية من أجل الحرية ،إضافة إلى النضال بواسطة القلم من قبل بعض النساء المتعلمات، فظهور حركة نسوية في هذه البلدان إستغرق وقتا من الزمن،بل تزامن ظهورها مع إنتهاء الإستعمار الغربي لبلادها مما أدى إلى قيام نسوية ذات مبادئ وقيّم مختلفة عن النسوية الغربية ومتأثرة وبشكل كبير بالنظام الكولونيالي الذي كرّس فكرة عدم المساواة بين الأجناس والحق في إمتلاك الأفراد وإستعبادهم وسلب حقوقهم وحرياتهم.

وبهذا فقد جاءت النسوية ما بعد الكولونيالية بفلسفة جديدة، فلسفة ما بعد الإستعمار منحت للحركة النسوية بعدا آخر مختلفا عما هو متعارف عليه في الغرب، فقد حاربت هذه الحركة الإستعمار الفكري والثقافي وطالبت بحق الشعوب المستعمرة في الحرية والإستقلال ورفضت أساليب الإستعمار القمعية والوحشية وسياسته الجائرة التي تجعل من الرجل الأبيض رجلا متعلما حضاريا ومتمدنا، ومن شعوب الدول المستعمرة شعوبا وحشية همجية لا علاقة لها بالعلم والحضارة، لهذا يحق للرجل الأبيض أن يسيطر عليه وعلى بلده ليخلّصه من جهله ويمنحه حياة جديدة ويجعل منه رجلا آخر حضاريا ومتمدنا، فعملت الحركة على كشف أساليب الإستعمار وفضح سياسته الجائرة التي حاولت بشتى الطرق إخضاع شعوب الدول المستعمرة وجعلها تابعة بأي شكل من الأشكال إلى الدول الغربية عبر محو والقضاء على الهوية الثقافية لهذه الشعوب ونشراللغة والدين والثقافة الغربية، كما رفضت النظرة الإستحقارية التي تعامل بها الشعوب المستعمرة التي تجعل الرجل الأبيض إنسانا وتصنف هذه الشعوب خارج إطار الإنسانية لعدم تمتعها بصفات وخصال الرجل الأبيض،وأكدت على ضرورة الإختلاف بين الجنسين لإختلاف القيم والخصوصيات الثقافية والمجتمعات التي ينتميان إليها، فطالبت بالمساواة بين الشعوب وحرية ممارسة الشعوب المستعمرة للطقوس

التي يريدونها واعتناقهم الدين الذي يريدونه ولا يحق لأحد حرمانهم أو القضاء على خصوصياتهم التاريخية والثقافية والدينية، كما رفضت فكرة الإستعباد وممارسة القوة والتصنيف والتمييز بين البشر وربطت مفهوم الإستعمار بالقهر الذي يمارسه المجتمع الذكوري على المرأة"فقد سادت مركزية الحضارة الغربية العالمين بسبب المد الإستعماري وقهرت ثالوث الأطراف، قهرت المرأة وقهرت الطبيعة وقهرت شعوب العالم الثالث،وجاءت الفلسفة النسوية للعلم ترفض التراتب الهرمي أصلا في العلم والحضارة على السواء، نازعت إلى تقويض مركزية العقل الذكوري، تحرير المرأة وقيمها الأنثوية، وبالمثل تحرير للبيئة ولشعوب العالم الثالث، ثم تشعر أنّها مسئولة أكثر من سواها عن مواجهة الوجه الآخر المتضخم للمركزية الذكورية، أي مركزية الحضارة الغربية،فقد وجدت النسوية طريقها لتكون فلسفة للمرأة بقدر ما هي فلسفة للبيئة بقدر ما هي فلسفة لتحرر الثقافات والقوميات وشعوب العالم الثالث من نير الإستعمارية والمركزية، وهي في كل هذا فلسفة بعد حداثية رافعة لقيم الحداثة والتنوير الإستعمارية من حيث ما هي فلسفة ما بعد إستعمارية"(حنفاوي بعلي 2009 ص:227) فأكدت أنّ الحضارة ليست حصرا على الغرب فقط وأنّ بإمكان الدول المستعمرة إضفاء معاني جديدة لمصطلح الحضارة إن تمت تقدير الجهود الفكرية والعلمية الصادرة من هذه الدول،كما أنّه لا يمكن إنكار وجود بعض الأسماء من المفكرين والمناضلين السياسيين الذين أثبتوا مساواتهم وتفوقهم أحيانا على الفكر الغربي الذي يرى من هذه الشعوب شعوبا ضعيفة جاهلة وغير قادرة على الخروج من إنزواءها وتقوقعها دون مساعدة الرجل الأبيض.

أدى ظهور هذه النظرية إلى إهتمام العديد من الباحثين والدارسين بدراسة وتحليل العلاقات التي كانت قائمة بين الطرف المستعمر والطرف المستعمر، حتى أنّهم أخذوا بالبحث والتحليل العديد من النصوص التي كتبت من قبل الشعوب المضطهدة ومحاولة كشف المعاني المبهمة التي تقف وراء بعض المفردات إضافة إلى البناء الفني والتوظيف اللغوي لبعض العبارات التي تبرز السياسة الجائرة للإستعمار الغربي أمثال " روبرت يونج، هومي بابا، بيتر هيولم، آن مكلينتوك، غاياتري سبيفاك ،سارة ميلز، ماري لويز بارت، سارة هاردنج، آنيا لومبا، بيل أشكروفت وغيرهم "(حنفاوي بعلي 2009ص :230) ، كما أنّه كان للنساء فضل في تطور هذه النظرية وازدهارها فقد ظهرت العديد من الباحثات من الدول المستعمرة وحتى من الدول الغربية أخذت في إثارة مواضيع وزوايا جديدة للبحث والنقاش لفهم ودراسة الأوضاع والظروف القهرية التي كانت سائدة آنذاك.

وعموما فإنّ وضع المرأة في البلدان النامية بدءا من الهند والفيتنام وبعض الدول الآسيوية إضافة إلى إفريقيا وأمريكا اللاتينية لم يختلف كثيرا فقد اتسمت المرأة بصفة المناضلة في الدول التي كانت تحت رحمة الإستعمار الغربي وهذا بحد ذاته كان إنحرافا وتمردا على العرف الإجتماعي السائد الذي يربط المرأة بالبيت والأطفال والأعمال المنزلية فقط لاسيما

في بعض المجتمعات الإسلامية المحافظة، وبهذه الخطوة كانت قد شقت لنفسها طريقا للتحرر والخلاص تواصل فيه نشاطها بعد نيل بلادها الحرية والإستقلال ،وترى بعض الباحثات أنّه يجب على المرأة في هذه البلدان أن تسعى إلى إثبات نفسها ومساواتها للمرأة الأوروبية وترفض ذلك الضعف الذي نسب إليها لانتمائها لدول ضعيفة مقارنة مع الدول الغربية، ويمكن القول أنّ المرأة في هذه البلدان أثبتت وبجدارة لنظيرتها الأوروبية كيف يمكن للقوة أن تتولد من الظلم والقهر والحرمان ببلوغها أماكن ووظائف تفوقت فيها حتى على الرجل الأوروبي أحيانا وحصولها على جوائز عالمية في حقول مختلفة تكريما واعترافا بجهودها البناءة لصالح الإنسانية وفي هذا الصدد تقول أليس والكر" إنّ الدارسات البيض تأنفن حتى من مجرد التفكير أنّ النساء السود هن نساء، وأنّ كلمة إمرأة لا تنطبق إلاّ على أنفسهن لوحدهن :ينص التشريع على مايلي:إذا هنّ الآن نسوة في الماضي كنّ سيدات،لكن الموضة تغيرت، فإنّ النساء السوداوات يجب قطعا أن يكنّ شيئا آخر،إذا أرادت إمرأة العالم الثالث أن ينظر إلأيها كامرأة فعايها أولا أن تتخلص من العالم الثالث الذي يلازمها كظلّها، وكذلك الشأن بالنسبة للمرأة الشرقية، هذا لا يعني البتة أن تتنكر لهويتها،ولكن عليها رفض الهوية المزيفة التي ألأصقت بها نتيجة سنوات طويلة من الإستعمار"(حنفاوي بعلي 2009 ص :256).

1-4-1-النشاط النسوي في البلاد العربية:

يكاد لايسلم أي مصطلح ينتمي إلى حقل النسوية من النقاش والتشكيك في مسألة وجوده من عدمه، وأدى طرح مفهوم النسوية العربية النقاش ذاته توصل من خلاله الكثيرون إلى عدم وجود حركة مماثلة لغياب وانعدام ممارسات فعلية على أرض الواقع تثبت وتدعم وتؤكد هذه الحقيقة، فالحديث عن نسوية عربية يقتضي وضع أهداف مشتركة مناسبة تمثّل وتعبّر وتدافع عن المرأة العربية من المشرق العربي إلى المغرب الأقصى والحال كما تقول الباحثة زينة الزعتري:"أننا لانستطيع أن نسلّم أنّ هناك حركة نسائية عربية متماسكة والأرجح أنّ الوصف الأقرب إلى الحقيقة هو وجود حركات متعددة ذات صفات قطرية"(جاد إصلاح 2012ص :62) ويمكن أن نعزو هذا التباين الذي تتسم به النسوية العربية إلى الظروف المختلفة التي عاشتها وتعيشها البلدان العربية حيث بدأت هذه الحركة في معظم البلدان العربية التي عانت من قهرالإستعمار الغربي على شكل حركة ذات بعد سياسي بخروج النسوة إلى النضال والكفاح بجانب الرجل واختراق فضاءات لم تكن مسموحة لها من قبل ليقطع السبيل أمام هذه الخطوات بعد الإستقلال ويجهض حلم المرأة بالحرية والمساواة حين أعيد ترتيب الأولويات ولم تكن المرأة جزءا من عملية أو مشروع بناء الوطن وازدهاره "حيث نشأت حركة تحرير المرأة في العالم الإسلامي على نمط حركة تحرير المرأة

الأوروبية فقد انتقلت مع الإستعمار الأوربي"بينما يرى البعض الآخر أنها ظهرت في الوطن العربي كنتيجة حتمية للأوضاغ المتدهورة التي كانت تعيشها المرأة العربية كغيرها من نساء العالم "فالنسوية العربية نمت حال ظهورها بذرة طبيعية في العالم العربي كما أنها جزء من الظاهرة العالمية"(سامية بنت مضحي العنزي 2016 ص :208) ، أما في الجزء الآخر من الوطن العربي كمنطقة الخليج حتى ولا شك أنّ النسوة كنّ على وعي تام بوجود ممارسات تمييزية ضد المرأة إلأ أنّ ظهور حركة نسوية تأخر نوعا ما مقارنة بالدول العربية الأخرى وانتظر التطورات التي صاحبها ظهور النفط في المنطقة وما أدخله من تغييرات في أسلوب حياة المواطن الخليجي عامة والمرأة بشكل خاص لا سيما باستردادها حقها في التعليم لتبدأ بذور هذه الحركة في البزوغ، واليوم مع ما يعيشه الوطن العربي من أزمات وحروب وآفات سيكون لكل حركة ونشاط نسوي أولوياته الخاصة لكن هذا لا يمنع بتاتا من قيام حركة نسوية عربية واحدة وموّحدة بل نعتقد أنّها تكاد تكون كذلك لاشتراكها عامة في المبادئ والقيم ذاتها حتى ولو اختلفت في بعض المطالب والأهداف بحكم السياسة والقوانين وبعض الأحكام الإجتماعية التي قد تعرف نوعا من التباين من بلد إلى آخر،وهذا أمر نشهده في الحركات النسوية في مختلف أرجاء العالم فقد اتهمت النسوية في الغرب بعدم اهتمامها بشؤون المرأة السوداء "ففي الولايات المتحدة الأمريكية سألت العبدة السوداء سوجرنر تروث (Sojurner Truth) تجمعا من الناخبين البيض عام 1848 قائلة :ألست أنا إمرأة"(جاد إصلاح 2012ص :40) لتبدو بذلك مسألة التباين والإختلاف في النسوية العربية أمرا معقولا ومقبولا ما دامت تقوم على أسس وركائز مشتركة،وبغض النظر عن مدى تباين الأساليب أو الإستراتيجيات والفلسفة التي تتبناها النسوية العربية في مختلف أنحاء البلاد العربية ما يهم فعليا هو هل نجحت هذه الحركة في تحقيق أهدافها والنهوض والإرتقاء بوضع المرأة العربية إلى المستويات المطلوبة وهل قامت بتجسيد وتفعيل برامجها وخططها الإصلاحية على أرض الواقع،وحسب ما تشير إليه الإحصائيات والدراسات فإنّه وبالرغم من بعض التطورات المحسوسة التي شهدتها قطاعات كالتعليم والرعاية الصحية والعمل وما ترتّب عنها وعن نشاط وجهود المنظمات والجمعيات النسوية في توعية المرأة العربية بحقوقها ومكانتها وأهميتها إلاّ أنّ المرأة لا تزال في بعض أرجاء البلاد العربية تعاني من تبعات وسيطرة الفكر البطريكي ولم تتخلص من الهيمنة الذكورية بعد لتفكّر بمسألة المساواة، أو نجدها منشغلة بالأوضاع المعيشية والإقتصادية المتدنية الناتجة عن عدم الإستقرار السياسي في بعض الدول العربية، فهل ينم هذا عن فشل وعجز البرنامج النسوي العربي عن الفعل التنموي والإصلاحي أو لكون هذه المشاريع والخطط مجرد أفكار وتنظيرات غربية غريبة لا تتوافق وقيم ومعتقدات المجتمع العربي ومثلما تقول الباحثة كلثم الغانم:"فإنّ تردي الأوضاع الإقتصادية للمرأة العربية حاليا وانخفاض مستواها المعرفي والعلمي هما مؤشران على حالة التردي التي تعانيها المجتمعات العربية "(جاد إصلاح 2012ص :187) وبهذا فإنّ

النهوض بالمرأة العربية يستدعي النهوض بالمجتمع والأمة العربية كافة ويستدعي المزيد من الدراسة والإهتمام بقضايا وشؤون المرأة العربية.

ويذهب الباحثون أنّ بدايات النشاط النسوي العربي كانت من مصر حيث أنّه مرّ على المرأة المصرية حضارات كثيرة واختلطت بشعوب وثقافات متعدّدة ما جعلها تعيش أوضاعا متغيرة على مر الأزمنة، فبتوالي الغزوات الأجنبية على مصر بدأت مكانة المرأة تتراجع تدريجيا على نحو لم تعهده المرأة في مصر القديمة واستمر الحال على هذا المنوال تارة نحو الأسوء وتارة أخرى نحو الأحسن إلى أن ظهر بعض المفكرين في القرن التاسع عشر أمثال رفاعة الطهطاوي وبعده قاسم أمين الذين نادوا بتعليم المرأة ومنحها حقوقها وتحريرها من أشكال الجهل والتخلف الذي لاحقها لعصور :" فكان رفاعة الطهطاوي من أوائل من نادوا بتعليم البنت وتثقيفها وله في ذلك مؤلف قائم بذاته وهو المرشدالأمين في تربية البنات والبنين.....وأما دعوة قاسم أمين كانت دعوة تجديدية شاملة يراد بها نقل المرأة من حياة راكدة ألفتها وألفها الشعب إلى حياة عاملة مشاركة وكانت دعوته إلى حرية المرأة وإلى تعديل نظم الزواج والطلاق مما أثار عليه المحافظين"(نهى محمد أمجد نافه 2004ص:72) فكانت هذه من أولى الجهود التي أسهمت في نشر الوعي داخل المجتمع المصري وأولى الخطوات في مسيرة تحرير المرأة المصرية والعربية لتتوالى بعدها الجهود والنشاطات وتؤرّخ لبداية النشاط النسوي العربي الذي تأثر واستمد الكثير من مطالبه من حركة التحرر النسوية في الغرب، ورغم ما واجهته هذه الحركة من معارضة وإحباطات إلاّ أنّها سرعانما لقت أصداء إيجابية داخل المجتمع المصري الذي انفتح كثيرا على الغرب بفضل الحملات التعليمية لمحمد علي إضافة إلى دعم المفكرين والأدباء لهذه القضية التي كانوا يرون فيها أحد الدعائم الأساسية للقيام والنهوض بالمجتمع المصري والعربي فكريا وسياسيا،إجتماعيا وإقتصاديا ومواكبة التطورات والتغيرات التي تحصل في العالم.

ويؤكد عدد من الباحثين أنّ مصطلح النسوية ظهر لـأول مرة في الوطن العربي " في مصر عام 1909 في كتاب ملك حفني (باحثة البادية) بعنوان نسائيات.....وفي الفترة 1860-1920 انبثق في المجتمع العربي النسوية المتوارية (Invisible Feminism) وفي الفترة الثانية أواخر العشرينات حتى نهاية الستينات بروز حركة نسوية أهلية منظمة في بعض الدول العربية وفي بداية عام 1950حتى الستينات بدأت الدول العربية تكبح جماح الحركة دون القضاء على إستقلاليتها أو المساس بعضواتها،أما الفترة الثالثة منذ بداية السبعينات حتى الآن فقد شهدت إعادة إنبعاث التعابير النسوية في بعض الدول العربية وعليه يعتبر أواخر القرن العشرين المؤشر الزمني لقيام نسوية عربية منظرة ومؤطرة ومحللة لقضايا المرأة" (سامية بنت مضحي العنزر2016ص:211) ومن الرواد الأوائل لهذه الحركة في الوطن العربي نجد رفاعة الطهطوي، محمد عبده، ملك حفني، عائشة التيمورية، نبوية موسى، زينب فواز، مي زيادة ،ليلتحق بهم أواخر القرن التاسع عشر قاسم أمين، هدى الشعراوي وغيرهم وإن

حاول خاصة المؤسسين الأوائل لهذه الحركة الإستناد والإستدلال بتعاليم الدين الحنيف لدعم توجهاتهم ومطالبهم بالمساواة وتحسين أوضاع المرأة فإنّ الإتجاه الثاني لهذه الحركة الذي يؤرخ له من التسعينات من القرن العشرين إلى يومنا هذا رفض الإستدلال بتعاليم القرآن الكريم وعلوم الفقه (ليلى أحمد، فاطمة المرنيسي، رفعت حسن، عزيزة الحبيري، نوال السعداوي) اللاتي يرن عدم ملائمة التفسيرات والإجتهادات الدينية التي تخص المرأة ظروف العصر باعتبارها تأويلات تقليدية ذكورية أبوية للإسلام.

1-4-1-1 -لمحة عن وضع المرأة في المملكة العربية السعودية:

لقد عرفت حياة المواطن السعودي تغييرات جذرية مع سياسات التنمية التي رافقت فترة الطفرة الإقتصادية ومانتج عنها من إحتكاك وتأثر المجتمع السعودي بثقافة المهاجرين الوافدين إليه وأيضا بأساليب الحياة المعاصرة وأحدث المنجزات التكنلوجية التي تلخّص أو بالأحرى تقاس بها درجة التحضر والتمدن التي جلبت معها أنماط إستهلاكية وعادات لم يعهدها المجتمع السعودي من قبل كارتياد المطاعم الفاخرة ومطاعم الوجبات السريعة والتسوق في المراكز التجارية والسياحة في مدن أوروبية وإقامة الحفلات في الفنادق الفخمة وغيرها من الممارسات التي أصبحت مصدر تفاخر العائلات السعودية وإجتهادا وتنافسا لإبراز مكانتها وتميزها الإجتماعي،لكن وبالرغم من الصورة الحضارية التي تغطي المجتمع السعودي من الخارج إلا أنّ جوهره لا يزال تقليديا وهذا يبدو واضحا في العلاقات التي تجمع بين الجنسين ونظرتهم وموقفهم من بعض الأمور ولاسيما تلك المتعلقة بالمرأة.

فلم تختلف الأمور كثيرا بالنسبة إلى المرأة في البداية فقد ظلت محط أنظار وحكم ومراقبة المجتمع بل زاد التشديد عليها والتقييد من حريتها بعد هذه الفترة(الطفرة الإقتصادية، وتفشي سلطة الفكر الإسلامي خاصة مع ما حدث في مكة في 20 نوفمبر1979 عندما اقتحم المسجد الحرام في مكة المكرمة مجموعة من المتشددين مطالبين بتأسيس دولة إسلامية وقيام الثورة الإسلامية في إيران 1989 واحتضان المملكة للعديد من المفكرين الشباب القادمين من مصر وسوريا وبعض الدول العربية الأخرى بأفكار وتوجهات دينية متعصبة)حيث أصبح من الممنوع أن تختلط المرأة وتكشف نفسها للرجل في الفضاءات العامة أو العمل أو في مراكز التعليم واتخذت الإجراءات اللازمة لذلك وتقول ثريا التركي في هذا الصدد:"أصبح الخطاب الديني يتناول المواضيع المتعلقة بالمرأة وعلاقتها بمن حولها بشيئ من الخيفة والتوجس، وهو خطاب يقوم على درء المفاسد والإعتقاد بأنّ ظهور المرأة يشكل إغراء وتأثيرا سلبيا ينبغي أن يحجم ويعزل قدر المستطاع، لذا قامت حملة واسعة وفعالة ضد ظهور المرأة في التلفزيون وقد كان

التلفزيون السعودي –قبل ذلك-يسمح بظهور بعض النساء كممثلات أو مغنيات، وتمّ الحدّ من مشاركتها في الإذاعة انطلاقا من أنّ صوتها عورة وفتنة،كما فرضت اجراءات لحجب وستر المرأة في المجال العام وزاد التشديد على عملية الفصل بين الجنسين في التعليم والعمل وتحديد مجالات عمل وتعليم الفتاة السعودية"(ثريا التركي 2006 ص :48) .

ويمكن القول أنّ وضع المرأة السعودية اليوم قد تغيّر كثيرا مقارنة بالسنوات السابقة لا سيما بعدما تولى زمام الحكم ولي العهد الأمير "محمد بن سلمان بن عبد العزيزآل سعود " سنة 2017 وتطبيقه بعض الإصلاحات التي تصبّ في صالح المرأة السعودية وأهمها حدّ صلاحية هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كانت تضيّق بشكل كبير على حرية المرأة السعودية وتتدخل في لباسها وحرية تنقلها وتمنع اختلاطها بتاتا مع الرجال في حالة عدم وجود عقد نكاح شرعي مالقي ترحيب كبير من قبل المرأة السعودية .

1-4-1-2-النشاط النسوي في المملكة العربية السعودية:

تأخر النشاط النسوي في المملكة العربية السعودية مقارنة بباقي الدول العربية الأخرى بتأخر إلتحاق المرأة عن صفوف التعليم الذي لم يصبح نظاميا إلى غاية الستينات من القرن العشرين في ظلّ مجموعة من القيود والأحكام التي ترتّبت عن تلك المجادلات والنقاشات الحادة بين مؤيّدي ومعارضي فكرة تعليم المرأة هذه الظاهرة التي ارتبطت سابقا بنشاط بعض الكتاتيب وبعض مدارس البنات في بعض أرجاء المملكة كمكة المكرمة، جدّة والمدينة حيث حركة التعليم نشطة وكثيفة وخصوصية المناخ الإجتماعي والديني بهاته الأراضي المقدّسة التي تعرف حركية ونشاط دائمين واحتكاكهما وتواصلهما بمختلف الثقافات والأجناس ، إلاّ أنّه يمكن التأريخ لبداية الحركة النسوية في المنطقة بمنتصف الستينات من القرن العشرين بتأسيس بعض الجمعيات والتجمعات النسوية بقيادة ناشطات نسويات ممن سمحت لهن الظروف بمزاولة التعليم في الخارج مثل:"الإتحاد النسائي العربي السعودي برئاسة الكاتبة سميرة خاشقجي عام 1965التي كانت رئيسة جمعية النهضة السعودية ونادي فتيات الجزيرة الثقافي وأسست جمعية النهضة النسائية عام 1962 مع مظفر أدهم والأميرة سارة الفيصل وأختها لطيفة"(جاد إصلاح 2012 ص :168) كما يختلف نشاط النسوة في المملكة العربية السعودية عن النشاط النسوي في باقي الدول العربية الأخرى من حيث المنطلق والتوجّه إذ كانت بداية الحركة النسوية في أغلب البلدان العربية على شكل نشاط تحرري ضدّ المستعمر الأجنبي وأخذت أبعادا أخرى بعد الإستقلال وحتى من حيث المطالب نظرا للظروف والمناخ السياسي والإجتماعي الذي تعيش في ظلّه المرأة السعودية حيث كان ينظر إلى أي محاولة تدعو إلى تحرر المرأة وإستقلاليتها إلى أنّها دعوة إلى التغريب وغزو ثقافي

وخطر يهدّد نظام واستقرار المجتمع السعودي مما أثار تخوّف العديد من الكاتبات والناشطات النسويات من العقاب والحكم الإجتماعي كمسألة قيادة السيارة التي أثيرت في التسعينات "وقد أفرزت التسعينات من القرن العشرين مناخا مختلفا فيما يختص بالخطاب النسوي اتسم بالترهيب ومصادرة الحريات والتعبير ووجدت النسوة اللاتي قدن مسيرة قيادة السيارات خارج أعمالهن وتحت التهديد بالقتل والإقصاء لهن ولأزواجهن وآبائهن ومن يتعاطف معهن وقد أسهمت منابر المساجد في هذه العملية بالقذف أو ماشابه بل ومنعت النساء من رفع دعاوى قضائية على من قذفهن على المنابر وعلى الرغم من عودة هؤلاء النساء إلى أعمالهن ومقاعد دراستهن بعد عامين ونصف إلاّ أنّ الجرح بقي مؤلما ولا المؤسسات الدينية غفرت أو تغاضت عمن تجرأت وحاولت تغيير السائد حتى ولو لم يكن مرتبطا بالدين"(جاد إصلاح2012 ص :173) ولم تنل المرأة السعودية هذا الحق إلا بعد سبعة وعشرين عاما حتى عام 2017 بعد سلسلة من الإصلاحات والخطوات التي اتخذت لصالح قضية المرأة ابتداءا من عام 2000: "كتوقيع إتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضدّ المرأة السيداوا عام 2000 والمصادقة على معاهدة دولية تضع عليها التزامات كثيرة بخصوص المرأة واتخذت القيادة السياسية قرار دمج تعليم البنات والبنين عام 2002 بعد اثنين واربعين عاما من خضوع تعليم البنات للسلطة الدينية ولنظام تعليمي منفصل وشهد عام 2003 أول إعتراف بأنّه هناك قضية للمرأة تستحق النظر والمناقشة"(المرجع السابق ص:177) ويجدر التنويه بجهود بعض المفكرين السعوديين وإسهاماتهم ومساندتهم لقضية المرأة السعودية مثل حسن عوّاد الذي يعدّ أوّل من طالب بحقوق المرأة السعودية وحثها على المطالبة بحقوقها والسعي للتغييرفي مقالة نشرها عام 1927 تحت عنوان "إليهن"ومبادرة حمد الجاسر المؤرخ السعودي الأوّل الذي أسس لصفحة نسائية في مجلة اليمامة عام 1961 ونشر بعض الكتّاب أمثال عبد القدوس الأنصاري، يوسف السباعي، لمقالات بأسماء نسوية لتحفيزها ودفعها للخوض في ميدان الكتابة،إلاّ أنّ الأوضاع لم تجر لصالح المرأة خلال فترة السبعينات لاسيما بعد الثورة الإسلامية في إيران 1979 حيث زاد التشديد على المرأة وزاد التضييق على حريتها من عدّة جهات مثل ظاهرة تغطية الوجه حتى هلى صغار البنات ومنع الإختلاط بين الجنسين في الأماكن العامة وحرمان المرأة من أي نشاط أو ممارسة قد تؤدي بها إلى ذلك،إلاّ أن التغييرات التي أحدثتها حرب الخليج الثانية 1991 والتطورات التي عرفها المجتمع السعودي وتبعات أحداث 11 سبتمبر 2001 فتحت مجالا أوسع لحرية المرأة في ميادين عدّة مقارنة بالسنوات الماضية حيث أصبحت للمرأة حرية العمل في مجال الإعلام شرط أن يكون منفصل عن الرجل وازداد إلتحاقها بمقاعد الدراسة والجامعات حيث صرّح وزير التعليم العالي الأسبق الدكتور خالد العنقري أنّ عدد الطالبات في الجامعات السعودية بلغ 57% وازداد نشاطها وتأسيسها للجمعيات حيث بلغ عدد الجمعيات عام 2000 حوالي 22 منظمة وشرعت في تقلّد بعض المناصب العليا في الحكومة حيث تمّ تعيين مديرة لجامعة البنات بمرتبة معالي عام 2006 كأوّل مديرة لجامعة الرياض وهي أعلى وظيفة

تلقدتها إمرأة(أنظر عبد الرحمن محمد الوهابي 2008ص:50-66) ما يوضّح التطور والتغيير الإيجابي الذي يعرفه وضع المرأة في المملكة العربية السعودية والنتائج الإيجابية التي توصّل إليها النشاط النسوي في المملكة.

1-4-1-3-لمحة عن وضع المرأة فى بلاد المغرب:

أما عن وضع المرأة في دول المغرب العربي :

كتونس والمغرب يمكن القول أنّ وضع المرأة في هذين البلدين لا يقل أهمية عن وضعها في الجزائر فتونس على سبيل المثال كانت سبّاقة لمنح المرأة حقوقها السياسية إذ منحتها الحق في التصويت في الخمسينات من القرن العشرين، كما تشغل المرأة في هذين البلدين عددا لا بأس به من المناصب السياسية كما عملت المغرب على تعديل العديد من القوانين التي تخص المرأة: "ففي المغرب ومن بعدها الجزائر صارت مدونات الأحوال الشخصية مقدّسة بشدّة وأوكل لها مهمة تثبيت وضع النساء "(محمد سيّد فهمي 2012ص :116) إضافة إلى الدعم الكبير الذي تلقاه قضية المرأة في المغرب إذ تنتج دور النشر المغربية العديد من الكتب والمجلات عن المرأة سنويا، كما كانت تونس سباقة كالعادة في وضعها لقوانين تجّرم العنف ضدّ المرأة وقوانين تمنحها حرية إختيار الزوج والزواج بغير المسلم وحقها في منح جنسيتها لأطفالها :"ففي عام 1993مررت الحكومة التونسية قوانين تحكم على المسيئين لزوجاتهم بالسجن خمس سنوات وتلغي التفرقة بين القتل بدافع الحفاظ على الشرف وغيره من أشكال جريمة القتل وعدّل قانون الجنسية التونسي عام 1993 بحيث يسمح للنساء المزيد من الحقوق بخصوص منح مواطنتهن لأبنائهن "(محمد سيد فهمي 2012ص :137-138) بينما لم تعرف الجزائر هذا النوع من التعديلات إلى غاية الألفينات من القرن العشرين ومنها ما تأخر تفعيله إلى السنوات الأخيرة.

يمكن أن نقول اليوم أنّ وضع المرأة في بلاد المغرب قد تحسّن نسبيا مقارنة بالسنوات الماضية وهذا بفضل جهود الحركة النسوية المغربية المتمثلة في نشاط الجمعيات والإتحادات والمنظمات المهتمة بحقوق المرأة المغربية(جمعية الرابطة الديمقراطية لحقوق المرأة،الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب، جمعية اتحاد العمل النسائي وغيرها) التي نجحت في إقناع السلطات بإجراء تعديلات متتالية على مدونة الأحوال الشخصية المغربية التي تمّ وضعها سنة 1957لعدم اتخاذها المرأة بعين الإعتبار أثناء سنّ هذه القوانين كعنصر وفرد له حقوقه في المجتمع المغربي وزادت فقط في تكريس مبدأ السلطة الذكورية وتهميش المرأة حتى في مؤسسة العائلة حيث يفترض أن تجد متسعا ومحيطا يسوده الإطمئنان والأمان قائم على مبدأ التفاهم والتحاور والتشاور لا فضاء مبني

على التناقضات بين طرف قوي مهيمن وآخر ضعيف خاضع مهدّد بالعقاب والزوال فقط بإرادة ورغبة من الطرف الآخر، هكذا كانت الأوضاع قبل التسعينات من القرن العشرين في المجتمع المغربي الذي كان لا يزال متمسكا ببعض الأعراف المتوارثة بحق المرأة التي لا تشجع لا تعليمها ولا عملها فقط خدمة الزوج الذي له كامل الحرية في تسيير شئون حياتها وتطليقها متى أراد ذلك (ما طرحته الروائية ليلى أبو زيد في روايتها عام الفيل) هذا إلى جانب المكانة المهمشة التي تحتلها داخل الأسرة،وقد ذكرت الباحثة فاطمة الزهراء أزرويل شهادات لنساء مغربيات كنّ لا يعرفن التنقل خارج حدود بيوتهن وإن حدث وذهبن إلأى الخارج (الأزقة المجاورة) فإنهنّ يضيعنّ طريق العودة إلى المنزل، دون ذكر معاناة المرأة المطلّقة ونظرة المجتمع ومعاناتها لتوفير لقمة العيش، وزواج القاصرات حيث كانت السن القانونية لزواج الفتاة 15 سنة والرجل 18 سنة، وقانون التحرش الجنسي الذي يحمي الجاني أكثر من حماية الضحية (حسب المادة 475 من قانون العقوبات المغربي العائد إلى عام 1963 يقتضي تزويج الضحية بالجاني لتجنيبه دخول السجن) كل هذا وذاك شكلّ وسائل ضغط بيد الجمعيات والناشطات النسويات في المغرب لدفع السلطات إلى إعادة النظر في هذه القوانين المهمشة لحقوق المرأة المغربية لتبدأ الإصلاحات الفعلية سنة 1992لمدونة الأحوال الشحصية تحت إشراف المستشار الملكي (وجدت تعديلات سنة 1979،1965،1961 لكن لم يكتب لها الصدور) حيث اتخذت جملة من الخطوات لتحسين وضع المرأة المغربية لا سيما حقوق المرأة المطلقة والحاضنة وتمّ تعديلها أيضا سنة 2003 كجزء من خطة حكومية لإدماج المرأة في التنمية وبعض التعديلات أيضا في السنوات الموالية كإلغاء المادة 475 من قانون العقوبات التي تحمي المغتصب والذي جاء متأخرا إثر حادثة إنتحار فتاة مغربية بالغة من العمر 18 سنة (أمينة الفيلالي) بعد ثمانية أشهر من تزويجها من مغتصبها والضجة الكبيرة التي أحدثتها الحادثة في بلاد المغرب،لكن وبالرغم من هذه الإصلاحات وغيرها التي تأخرت في الظهور لا يسعنا أحيانا سوى طرح التساؤل التالي:إلى أي مدى يمكن لوضع المرأة المغربية والعربية عامة أن يتحسن في ظلّ المفاهيم التقليدية المترسبة في الثقافة والبلاد العربية والتي تسهم أحيانا المرأة بتفسها في تكريسها بقصد أو غير قصد في المجتمع؟

1-4-1-4-النشاط النسوي في المغرب:

بدأ النشاط النسوي في بلاد المغرب حوالي الأربعينيات من القرن العشرين تزامنا مع وجود الإستعمار الفرنسي على شكل نشاط ذو طابع وطني تحرري لتتخذ هذه الحركة بعد الإستقلال شكلا وصبغة أخرى مع الظروف التي عرفتها البلاد والحال التي آل إليها مغرب

بعد الإستقلال لا سيما وضع المرأة في ظلّ تصاعد النشاط النسوي في الغرب وظهور الإتفاقيات والمعاهدات الدولية التي تنص على إلغاء جميع أشكال التمييز بين الجنسين.

وتعتبر جمعية "أخوات الصفا" التابعة لحزب الشورى والإستقلال التي تأسست سنة 1947 أحد أقدم الحركات النسوية التي تأسست في المغرب لتليها جمعيات ومنظمات أخرى بعد الإستقلال مثل:الإتحاد الوطني لنساء المغرب 1969، جمعية اتحاد العمل النسائي، جمعية الرابطة الديمقراطية لحقوق المرأة، جمعية آفاق وجمعية جسور والتي تشكل إلى يومنا هذا أحد أهم مكونات الحركة النسوية في بلاد المغرب.

وقد اقترن النشاط النسوي في بلاد المغرب بالنشاط السياسي حيث انخرطت المرأة منذ السبعينات في العمل السياسي والأحزاب السياسية مثل حزب الإتحاد الإشتراكي وحزب التقدم والإشتراكية التي استطاعت من خلالها أن تحقق البعض من مطالبها،لتتمكنّ بعد ذلك وتحديدا بعد إبرام إتفاقية السيداو سنة 1979 من إحراز تقدم في نشاطها التحرري حيث فتحت أمامها مجالات وميادين جديدة لتنشط من خلالها،مما يجعل من فترة الثمانينات البداية الفعلية للعمل النسوي المغربي حيث نضجت هذه الحركة واكتمل وعيها بطبيعة النشاط النسوي سياسيا وحقوقيا وإجتماعيا وبدأت بتأسيس جمعيات ولجان مستقلة تعنى فقط بشؤون المرأة وحقوقها كلجنة لإقامة محاكمة ضد العنف 1996 وإنشاء مراكز مناهضة للعنف ضد المرأة وربيع المساواة لمتابعة إصلاح مدونة الأحوال الشخصية إلى جانب طرحها لمشاريع قوانين ومطالبتها بتعديل البعض الآخر بما يناسب وينصف حقوق المرأة،ويمكن القول أنّ الحركة النسوية في بلاد المغرب قد استطاعت أن تغيّر من وضع وحياة المرأة المغربية وأن تدمجها في شتى دواليب الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية واستعادت لها من الحقوق ما يكفل لها الحرية والأمن والمزيد من الإصلاحات لا زالت في انتظار المرأة المغربية في ظلّ النشاط والنجاح الذي حققته وستحققه الحركة النسوية في المغرب مستقبلا.

1 -5-الإتجاهات المختلفة للحركة النسوية:

تأثرت الحركة النسوية في كافة أنحاء العالم ببعض الأفكار والظواهر وصاغت منها قيما ومبادئ آمنت بها ورسمت لنفسها أهدافا ومطالب على أساسها وشرعت في نضالها لتحقيقها، وصحيح أنّ الحركة النسوية بشكل عام انطوت تحت لواء المساواة والحرية في شتى بقاع الأرض لكن هذا لايمنع من وجود بعض من الإختلاف تحدّده الظروف التاريخية والسياسية والثقافية للمجتمعات، مما أدى إلى ظهور تيارات ومذاهب مختلفة للحركة النسوية اتفقت في المطالب الرئيسية واختلفت في البعض من الأفكار والمبادئ، ولم يكن هذا الإختلاف قائما فقط بين الغرب والشرق بل حتى في البلد نفسه حيث يتشارك الأفراد الظروف والقيّم

والمصير نفسه كان يظهر تياران مختلفان من النسوية متؤثران بالأحداث ذاتها إلاّ أنّهما تبنيا رؤى ومواقف مختلفة بخصوصها فانقسمت الحركة النسوية إلى نسوية ماركسية ونسوية راديكالية ونسوية ليبيرالية، لكل اتجاه قضية مختلفة يناضل من أجلها.

1-5-1-النسوية الليبيرالية (Liberal Feminism):

يعتبر الإتجاه النسوي الليبرالي من أقدم وأوّل الإتجاهات التي تبنتها الحركة النسوية أو تفرعت منها مستمدا أفكاره ومطالبه من مبادئ الحركة الليبيرالية المطالبة بالحرية التامة والكاملة للفرد والمساواة في الحقوق والواجبات دون أي شكل من أشكال التمييز (الجنسي، العنصري...)والعدل بين الأفراد أمام القضاء" فهي من أقدم الإتجاهات النسوية وأولها ظهورا وتعود في أصولها الفكرية إلى الفلسفة الليبيرالية التي أسّسها جوت لوك، روسو، وطورها بنتام ومل والتي ترعرعت في تربتها مبادئ الديمقراطية،الحرية،العدل والمساواة"(سامية بنت مضحي العنزي 2016ص :88) فكان من أهم مطالب هذا الإتجاه المساواة بين الجنسين وفتح المجال لعمل وتعليم المرأة وعلاجها وكل ما يسهم في إدماجها إجتماعيا باعتبارها إنسانا مثلها مثل الرجل لها إحتياجات وأهداف وطموحات وحرية وحياة سلبها منها النظام الأبوي والفكر التقليدي المتوارث بحقها لعصور الذي أوصد أمامها كل أبواب ومسالك المشاركة الإجتماعية وإكتشاف الذات وتطويرها وأحقيتها في الحياة والحرية وإُثبات أهليتها وقدرتها على الإسهام الفعّال في المجتمع إلى جانب الرجل، ومن أشهر رائدات هذه الحركة الفرنسية أولمب دي غوج (Olymp de rouge) والبريطانية ماري ولستونكرافت (Mary Wolstonescraft) مع كتابها الدفاع عن حقوق المرأة (A Vindication of The Rights Of Women) الذي تطرقت من خلاله إلى تحليل الوضع المزري للمرأة آنذاك والذي لا ينم عن جهل ونقص في القدرات الفكرية والجسدية للجنس النسوي يقدر ما يعبّر عن جهل وتخلف المجتمع الذي أوصلها إلى تلك الحال بحرمانها ما هو أساسا حق لها وعمل على إقناعها بدونيتها أمام جنس الرجال وحرمها من محاولة إُثبات عدم صحة هذا التنظير، فلم تكن مطالب هذا الإتجاه بما فيها مطالب ماري ولستونكرافت مطالب خارجة عن المألوفة أو تشجع على كسر قدسية بعض الروابط التي تجمع الجنسين والتمرد لقلب موازين القوة في علاقتها مع الرجل كهدم المؤسسة الزوجية أو المطالبة بترأسها، بل كانت حقوقا بسيطة وأساسية (الحق في العمل التعليم العلاج...) فتقول :"إنّ المرأة قد تصبح في المستقبل طبيبة وصاحبة أعمال تجارية وقد تدرس السياسة"(سارة جامبل 2002 ص :41) وقد نجح حقا هذا التيار في إسترداد بعض الحقوق "حيث نمت فرص عمل المرأة في بادئ الأمر في المجالات التي كانت امتدادا لميدانهن الطبيعي كأمهات وراعيات وعي التدريس والأعمال الخيرية والتمريض وزيارة الأَصلاحيات ودور الفقراء والعمل في المجالس المدرسية ومن المكاسب

الهامة التي حصلت عليها المرأة ظهور الفرص الجديدة في الوظائف العامة والكتابية "(سارة جامبل 2002 ص:52) لتستمر المسيرة وتزداد وتتوسع المطالب وتسترجع المزيد من الحقوق فمن المطالبة بالمساواة وإلغاء التمييز إلى التنديد بحقوق المرأة المتزوجة (حق التملك، حق عقد العقود، إستقلالية في التصرف في أملاكها) وحقوق المرأة المطلقة (في الحضانة) وإعادة النظر في أمور الطلاق (كاعتبار القسوة والهجر مبررا كافيا لرفع قضية طلاق) لينتهي هذا الإتجاه بالمطالبة بحق المشاركة السياسية أي حق التصويت الذي تحصلت عليه عام 1920بعد أن تمت المطالبة به لأول مرة عام 1848 في إجتماع سينيكا فولز في الولايات المتحدة الأمريكية وحصلت عليه المرأة الأمريكية عام 1920، ليظهر بعدها إتجاه نسوي آخر(الإتجاه النسوي الماركسي)مكملا مسيرة الإتجاه السابق ومتطرقا للمزيد نت الحقوق التي لم يطالب بها الإتجاه السابق.

1-5-2النسوية الماركسية (Marxist Feminism):

تأثر هذا الإتجاه النسوي بأفكار وبحوث المفكر الألماني كارل ماكس (Karl Heinrich Marx)وبكتابه رأس المال الذي ألّفه مع زميله فريديريك انجلز(Friederich Engel) حيث يرى أنّ لإضطهاد المرأة علاقة وطيدة بالفكر الرأسمالي الذي جاء بفكرة الملكية الخاصة فعزّز بالتالي ظاهرة عدم المساواة بين الأفراد إقتصاديا وساسيا وإجتماعيا وظهور النظام الطبقي الذي قسّم المجتمع وصنّف أفراده طبقا للمتلكات والثروات إلى طبقات مختلفة وعزّز الهوة بينهم، فقمع المرأة حسب كارل ماكس نابع من القمع الذي تمارسه الطبقة البرجوازية على الطبقة العاملة كما أنّه أصبح ينظر للمرأة على أنّها ملكية تخص زوجها كغيرها من الأشياء المادية في عصر يقدّس الثروة والمال وينظر إلى الأشياء حتى إلى البشر بعقل وفكر رأسمالي (إنتقال الإرث بالوصاية الأبوية والمرأة تعتبر أيضا من الإرث)، كما ذكر كارل ماكس أنّ معاناة المرأة البرجوازية لا تختلف كثيرا عن معاناة المرأة المنتمية إلى الطبقة العاملة فكلتاهما كانتا أداتا إنتاج الأولى تجبر على الإنجاب لاستمرار النسل وتوريث السلطة والمال والثانية تنجب يدا عاملة تخدم الطبقة الثرية،إضافة إلى الإضطهاد النفسي الذي كانت تعانيه المرأة البرجوازية وتحملها وصبرها على المعاملة القاسية لزوجها ونزواته وخيانته المستمرة التي كان يستحسنها المجتمع البرجوازي آنذاك، لهذا حاربت النسوية الماركسية النظام الرأسمالي ورأت أنّ سقوطه هو السبيل الوحيد لخلاص المرأة وتحريرها من ظلم وإستعباد الرجل كما طالبت بالمساواة بين الأفراد وإزالة النظام الطبقي الذي يخدم مصالح الطبقة الثرية على حساب العمال والضعفاء، ونددت بحقوق المرأة في جميع الميادين ومساواتها مع الرجل وتحريرها من الفكر القديم الذي يلزمها بالعمل المنزلي والإنجاب وتحمل الرجل واستبداده،لهذا فقد رأى هذا الإتجاه أنّ السبيل الوحيد لخلاص المرأة هو إقتحامها ميدان العمل وتحرّرها من أسوار المنزل وأدوارها التقليدية التي تحصرها فقط في البيت كزوجة وربة بيت وممارسة الأمومة....حيث: "يعنى الإتجاه النسوي الماركسي أساسا

بالعلاقات المتبادلة بين الرأسمالية والسلطة الأبوية،وتمتد الجذور الفكرية لهذا الإتجاه إلى نظرية إنجلز التي تذهب أنّ السلطة الأبوية قد نشأت إجتماعيا مع تطور نظام الملكية الخاصة لهذا فهي ترى أنّ قهر المرأة آلية من آليات النظام الرأسمالي، ولقد رأى إنجلز أنّ رفع الوصاية عن المرأة مرتبط بخروجها إلى العمل وانضمامها إلى صفوف البروليتاريا وكفاحها من أجل الإشتراكية التي تحرر كافة الطبقات والفئات التي تعاني من القهر والإضطهاد"(سارة جامبل 2002ص:441) إلاّ أنّ الإتجاه النسوي الماركسي عند نشأته عام 1920 أخذ بهذه الأفكار لكنه سعى لتكييفها بما يتماشى ومصالح الجنس النسوي كقضية العمل على سبيل المثال التي طرحها ماركس وإنجلز والتي لا تأخذ بعين الإعتبار القدرات الجسدية للأنثى التي لا تخولها لممارسة جميع الأشغال التي قد يقدر عليها الرجل، ورفض الفكر القائل بتخليها عن المحيط الأسري وممارسة الأمومة والمطالبة بدل ذلك بحماية المرأة في إطار الزواج والأسرة والأخذ بعين الإعتبار ظروف الأمهات والأرامل في مجال العمل، وتوفير الرعاية لهن ولأطفالهن: "وتكافؤ الفرص في التوظيف والتعويضات والتمثيل العادل في النظم السياسية والقانونية وتأمين وتوسيع نطاق حقوق الإنجابية والحريات..."(سامية بنت مضحي العنزي 2016ص :95) وفي سبيل استرداد المزيد من الحقوق التي لم ينصفها هذا الإتجاه والتي لم ترض تطلعات النسويات حينها اللاتي رأين في الإتجاه الإشتراكي حلا منصفا لوضعهن سيحل الإتجاه النسوي الإشتراكي محلّ الإتجاه السابق بآمال وطموحات ومطالب جديدة.

1-5-3-النسوية الإشتراكية(Socialist Feminism) :

يعتبر هذا الإتجاه النسوي امتدادا للإتجاه النسوي الماركسي الذي عجز عن إرضاء تطلعات المرأة العاملة وإنصافها وضمان حقوقها في مجال العمل الذي كان يفترض أن يكون ملجأها وخلاصها من إضطهاد وقهر النظام الأبوي ف:"ظهرت النسويات الإشتراكيات نتيجة لإستياء النسويات الماركسيات من تجاوز الفكر الماركسي للتقسيم الجنسي ووضع النساء الأدنى،وترى الإشتراكيات أنّ النسويات الماركسيات يعجزن عن تقديم تصور واضح للأسباب التي من أجلها تخضع النساء للرجال داخل الأسرة وخارجها"(سامية بنت مضحي العنزي 2016ص:97) حيث أنّ هذا الإتجاه وسّع إهتماماته لتشمل جميع أشكال الإضطهاد الذي قد يقوم به النظام البطريكي ضدّ المرأة ومعاناة المرأة العاملة والطبقة الكادحة بشكل عام من النظام الرأسمالي، واستطاع أن يحقق العديد من الإنجازات لصالح المرأة العاملة ويحررها من بعض المسئوليات المنولية التي كانت تثقل كاهلها لوحدها:"فقد عمل هذا الإتجاه على أن يتحمل المجتمع ككل الكثير من الوظائف التي تقوم بها الأسرة والتي تثقل كاهل النساء فأًصبحت مسئولية الإهتمام بالأطفال والأعمال المنزلية ملقاة على كاهل المجتمع ككل....فكانت هناك بداية للمطاعم الجامعية والمغاسل والحضانات مما أعطى النساء حرية أكبر بكثير للإختيار والتحكم في حياتهن"(المرجع السابق ص:100) إضافة إلى المطالبة بالعديد

من الحقوق التي تكفل وتضمن حريتها الشخصية:كحرية الإنجاب وتقاسم مهام التربية وتقدير جهود المرأة وإسهاماتها في البناء الإجتماعي....وغيرها.

1-5-4النسوية الراديكالية (Radical Feminism):

ظهر هذا التيّار في نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن العشرين في شمال أمريكا ويذهب هذا الإتجاه إلى أنّ الوضع المأساوي للمرأة الذي تعاني منه لعصور ليس بسبب الأنظمة الإقتصادية كما تزعم الإتجاهات النسوية الأخرى إنّما بسبب الفروق البيولوجية بين الجنسين التي فرضت على المرأة وضعا ومكانة أدنى من الرجل ونسبت للرجل القوة والسلطة وشرّعت هيمنته عليها، لهذا ترى النسوية الراديكالية أنّ خلاص المرأة وتحررها يتطلب الإطاحة بالنظام الأبوي المستبد وليس المطالبة بالمساواة مع الرجل في الحقوق فقط بل إخضاعه للمرأة باعتبارها كائنا أسمى من الرجل، وانقسم هذا التيآر إلى فريقين يذهب أحدهما إلى أنّ الرجل حدّد للمرأة أدوارا معيّنة تفرض عليها الأعمال المنزلية وإنشاء أسرة بما فيها الإنجاب ورعاية الأطفال وأنّها ستبقى كذلك ولن تتخلص من هذا الخضوع للجنس الذكري مادامت محكمة بالإنجاب والأمومة لهذا عليها أن ترفض هذه الحتمية وتلجأ إلى الطرق الحديثة لتفادي الحمل والإنجاب وبالتالي الخروج من الدور التقليدي للمرأة في المجتمع تقول شولاميث فايرستون (Shulamith Fireston) أحد أشهر مفكرات هذه الحركة "إنّ القضاء على الأدوار المرتبطة بين الجنسين لن يتحقق إلاّ بالقضاء على الأدوار الثابتة التي يقوم بها الرجل والمرأة في عملية الإنجاب ومن هنا فإنّ منع الحمل والتعقيم والإجهاض والتلقيح الإصطناعي كلها وسائل تساعد على التقليل من التمييز البيولوجي ومن ثم الحدّ من التمييز بين الجنسين في مجال السلطة"(سارة جامبل 2002ص :117) ،بينما يرى فريق آخر أنّ الخصوصيات البيولوجية التي تتمتع بها المرأة وتميّزها عن الجنس الذكري لا تجعلها خاضعة للرجل بل تجعل منها كائنا أسمى وأرقى وأقدر لتفضيلها بعيش تجارب فريدة ومميزة تتقاسمها مع صغيرها، وأنّ هذه الدونية التي ألصقت بالأنثى هي نتاج المجتمع وفكرالأفراد وليست نتيجة الفروف بين الجنسين ويستدلون بقول سيمون دي بوفوار التي تقول بأنّ المرأة لاتولد إمرأة بل تصبح إمرأة بفعل الأحكام والحدود والأدوار التي قيّدها بها المجتمع إضافة إلى بعض الإتجاهات الأخرى التي تبنتها الحركة النسوية كالنسوية السوداء التي تحارب العنصرية وتناضل من أجل حقوق المرأة السوداء ومساواتها مع غيرها من النساء في جميع أنحاء العالم،كما نجد أيضا النسوية المناهضة للإستعمار والحروب والسيطرة على الشعوب وسلب حريتها وتطالب بحق هؤلاء الشعوب في الحرية والإستقلال والعيش بكرامة بمنئى عن قهر وإستبداد النظام الكولونيالي أما النسوية الوجودية التي من أعلامها المفكرة النسوية الفرنسية سيمون دي بوفوار فهي ترى أنّ الوجود يسبق الماهية بمعنى أنّ وجود الأنثى وقدومها إلى هذا العالم يسبق كونها أنثى أي تولد وتأتي إلى الوجود مثلها مثل الرجل ثم تصبح أنثى فهي لا تولد مباشرة أنثى إنّما تصبح كذلك بفعل الظروف

المحيطة بها وبفعل القهر الذي يمارسه عليها الرجل لهذا فإنّ تحررها وخلاصها هذا القدر مرتبط بمدى قدرتها على التخلص والتحرر من الأغلال التي قيّدها بها الرجل والمجتمع .

1-6-أهـــداف الـــحـــــركـــة الـــنـــســويـــة:

تهدف الحركة النسوية من خلال نشاطاتها وجهودها المختلفة إلى تحسين وضع المرأة في المجتمعات وتخليصها من أشكال الظلم والقهرالذي كانت تعيشه في العصور الفائتة وهذا عبر:

- المطالبة والعمل على توفير حياة هنيئة تخلو من مظاهر الإستعباد للجنس الأنثوي.
- المطالبة بالمساواة مع الرجل في جميع الحقوق باعتبارها إنسانا أوّلا قبل كونها أنثى ولعدم وجود أي فرق بينهما يجعل أحدهما متميّزا وأفضل من الآخر.
- إلغاء فكرة التمييز بين الجنسين وتفضيل الذكر عن الأنثى.
- رفض الصورة النمطية التقليدية للأنثى والدونية التي ألحقت بها لعصور.
- المطالبة بجميع حقوق المرأة المدنية والسياسية كحقها في التصويت والتعلم والعمل والعلاج وغيرها.
- المطالبة بحق المرأة بممارسة بعض الأعمال التي يمارسها الرجل وانخراطها في العمل السياسي وبعض الميادين الأخرى التي حرمت منها،ورفض الأدوار التقليدية للمرأة التي تبقيها بين البيت والأطفال ورعايتهم.
- المطالبة بحق المرأة في حياة حرّة تشمل حرية التفكير والتصرف والإختيار وغيرها.
- مناهضة ظاهرة التمييز العرقي بين الأجناس.
- مناهضة ظاهرة الإستعمار وسلب حريات الشعوب وحقوقهم.
- التشجيع على الإنفتاح على الآخر والتعرف على ثقافات وحضارات الشعوب الأخرى.
- رفض الفكر القائل بأنّ الحضارة هي من إنتاج الغرب فقط والإعتراف بجهود ودور وإسهام الثقافات والأجناس الأخرى.
- محاربة العنف الجسدي والنفسي ضد المرأة.
- محاربة ظاهرة زواج القاصرات وما يترتب عنه من غصب وإكراه المرأة على تنفيذ قرارات أخذت بدلا عنها.
- السعي لسنّ قوانين تعاقب وتحدّ من مظاهر العنف والتحرش بالمرأة.
- المطالبة بحقوق المرأة المطلقة والحاضنة والمتعرضة للعنف الجسدي أو النفسي وتغيير نظرة المجتمع إليها.
- محاربة التهميش الذي تعاني منه المرأة في بعض المجتمعات.

- إثبات المرأة قدرتها ونجاحها في بعض الميادين الجديدة عليها وإلغاء ما نسب إليها من ضعف مقارنة بالرجل.

- الإطاحة بالمجتمع الأبوي أو مايسمى بالنظام البطريكي القائم على سيطرة وهيمنة الذكر على الأنثى في المجتمع.

- المطالبة بحقوق المرأة العاملة كزيادة الأجر وتقليص ساعات العمل وحقها في العطل والإجازات المرضية والتأمين وغيرها.

- محاربة الجهل والتشدّد والتطرف وما ينتج عنه من عدم إستقرار وظلم وإستبداد خصوصا تجاه الأنثى في بعض المجتمعات.

- الدعوة إلى التفكير العقلاني وهجر الأفكار التقليدية والمعتقدات القديمة بخصوص المرأة وليدة جهل الأفراد والمجتمعات القديمة.

- العمل على توفير محيط مناسب للمرأة أسريا وفي الخارج.

- السعي لبناء حياة ومجتمع أفضل يقدّر المرأة ويبوأها المكانة التي تستحقها.

1-7-تباين المفاهيم بين النسوية والجندر والأنثوية:

أثار النشاط التحرري والمسيرة النضالية للمرأة على مر العصور العديد من المفاهيم التي أطلقها المفكرون والنقاد على جهودها وكفاحا للخلاص والتحرر لاسيما عند إقتحامها مجال الأدب وأخذت في التأليف والكتابة للتعبير عن انشغالاتها وهمومها، فارتبطت الحركة النسوية والكتابة النسوية ببعض المصطلحات كالنسوية والنسائية والأنثوية والجنوسة أو الجندر وهي قريبة في المعنى من بعضها البعض حتى أنّه قد يخيّل إلى ذهن البعض أنّها توحي إلى المعنى ذاته ويصعب التفريق بينها إلاّ أنّ كل مصطلح يشير إلى معنى ومفهوم محدّد،وقد اختلف البعض من الباحثين في تحديد معنى واحد لهذه المصطلحات وأثيرت إشكاليات حولها، فالنسائية كمصطلح تضم كل إنتاج فكري تصدره المرأة كونها أنثى ذات خصائص بيولوجية تميّزها عن الجنس الذكري أما النسوية فهي الكتابة المشبّعة بروح النضال والكفاح في سبيل الحرية والمساواة مع الرجل، فالنسوية أكثر تحديدا عن النسائية أو هي فرع منها باعتبارها كتابة ناتجة عن الأنثى، أما النسائية فهي تضّم كل الأعمال التي أصدرتها الأنثى كجنس يختلف عن الذكر وأكثر تنوعا عن النسوية لأنّها في النتيجة تشمل جميع إهتمامات المرأة في مختلف الميادين ولا تحدّها بمجال معيّن كالنشاط في سبيل حرية المرأة فقط، وفي هذا الصدد يعرف الدكتور إبراهيم أحمد ملحم النسائية بأنّها :" تعني الكتابة التي تكتبها النساء بوصفها حنسا Sex يتحدّد بيولوجيا، وأنّ النسوية هي الكتابة التي تكتسب الهوية الجنسية Gender بوصفها مفهوما ثقافيا مكتسبا، أما الأنثوية Feminine...تتصل بالتعبير عن رؤية المرأة للحياة وما يجري فيها وتصوير مشاعرها ...بوصفها مكملا للرجل وبوصفه مكملا لها" (إبراهيم أحمد ملحم 2016 ص :21) فالأنثوية إذن تنطوي على النصوص التي نتحسّس فيها وجود لمسة أنثوية تحركها ويمكننا أن نستشف ذلك من خلال العبارات والمفردات الموظّفة في النص التي ترمز وتوحي لنظرة المرأة للحياة واهتماماتها وآمالها وتعبّر عن أنوثتها وحساسيتها وشاعريتها، وليس بالضرورة أن تعكس الخلاف القائم بينها وبين الرجل وإلاّ ستندرج في إطار النسوية، وعموما يمكننا إيجاد هذا النوع من الكتابات في النصوص الأدبية التي تطلق فيها المرأة العنان لمخيلتها وتحرّر روحها فتكشف عن مكبوتاتها ومشاعرها، هذه الميزة التي تتمتع بها المرأة والتي كان يراها البعض قديما نقمة عليها أثبت تميّزها في كل عمل تقوم به المرأة في شتى نشاطات الحياة وتترك دوما أثرا خاصا يمكّن التمييز بينها وبين العمل الذكوري، إذ نتحسس في كل عمل أنثوي نوعا من الخفة والرقة والنعومة والتميّز تعكس شخصية المرأة الرهيفة والعاطفية وانعكس هذا على الإبداع الأدبي الأنثوي أيضا وترك بصمة فريدة في هذا المجال إذ أضفت كتابات المرأة لونا ورونقا جديدا في تاريخ الأدب بفضل ألفاظها العذبة ورقّة ودقّة معانيها وطرحها لبعض القضايا التي عزف عنها المجتمع الذكوري، والأنثوية لا تعني وجود أسلوب واحد يطغى ويتكرر في كل عمل تصدره المرأة فالأنثوية تستشف من المضمون والمحتوى وتوجهات

ورؤى الكاتبة أما الأسلوب فيتغير من شخص إلى آخر لأنّه مرتبط بشخصية والكاتبة،ويرى البعض أنّ الأنثوية لا تخص المرأة وحدها وأنّ بإمكان الذكر أن يتقمص شخصية الأنثى ويكتب عنها مثلما تكتب هي تماما وأنّ بإمكان الأنثى أن تكتب عن الرجل مثلما يكتب هو عن نفسه،تقول الكاتبة سميحة خريس :" أنا أؤمن بأنّ الكاتب الجيّد (الرجل) يستطيع أن يتقمص المرأة ويكتب بشكل جيّد كما تستطيع المرأة أن تتقمص شخصية الرجل وتكتب بشكل جيّد،وأعتقد أنّ هذه المسألة لها علاقة بمدى معرفة المرأة بالرجل، ومدى معرفة الرجل بالمرأة أيضا"(إبراهيم أحمد ملحم 2016ص :23) ولا يمكن الجزم بصحة هذه المقولة تماما لأنّ المرأة تختلف عن الرجل ولا تشبهه لا نفسيا ولا عقليا ولا جسديا وهذه الإختلافات موجودة ولا يمكن إنكارها لأنّ الخالق عزّوجل أوضعها وأوجدها لغايات معيّنة،ومهما بلغت درجة معرفة الرجل بالمرأة لا يمكنه قراءة أفكارها وحقيقة مشاعرها لهذا لن يتمكن من التعبير عن حياتها مثلما تفعل هي، ولا يمكن التعبير عن حياة ومعاناة شخص ما إذا لم تتقاسم معه القدر ذاته لهذا تبقى الكتابة تجربة شخصية تخصّ الكاتب وحده، هذا رغم وجود بعض الحالات التي نجح فيها بعض الأدباء في التكلم عن المرأة وليس بلسان المرأة بفضل قدراتهم الإبداعية الخلاّقة في المجال الأدبي.

ويؤكد الناقد محمد طرشونة في مؤلفه الرواية النسائية في تونس على الإختلاف القائم بين مصطلحي النسوية والنسائية في المجال الأدبي، فالرواية النسوية بغض النظر عن جنس مبدعها إن كان ذكرا أم أنثى تعدّ نسوية لأنّها تصبّ في مجال الدفاع عن حقوق المرأة وتكون حتما من إبداع ناشطات أو ناشطين في سبيل تحرير المرأة، ويعكس محتواها جوانب نضالية ومبادئ تحرريّة يؤمن بها المؤلف للتهميش والمعاناة والتمييز الذي تعيشه المرأة في المجتمعات، أما الرواية النسائية فهي بكل بساطة رواية من تأليف الأنثى وسميت كذلك نسبة إلى جنس مؤلفها بغض النظر عن التوجهات الفكرية للكاتبة، لكن محتواها ليس نسوي بالتأكيد ولا يرمي إلى الدفاع عن المرأة والتكلم عن كفاحها الدلئم للخلاص والتحرر من سلطة المجتمع والرجل عليها :" فالرواية النسوية وهي رواية ملتزمة تحمل رسالة تتمثل في الدفاع عن حقوق المرأة وقد تتجاوز المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة إلى إثبات التفوق والإمتياز وفيها لهجة نضالية في أسلوب خطابي في أغلب الأحيان.....ثم هناك الرواية النسائية وهي بكل بساطة الرواية التي تكتبها المرأة وهذا ليس مصطلحا فنيّا ولا يدلّ على إتجاه أو على مدرسة أو على إيديولوجيا ما"(سعيدة بن بوزة 2016ص :52).

وميّز رضا الطاهر أيضا بين المفهومين حيث يرى أنّ الكتابة النسائية تشمل جلّ ما يبدعه جنس النساء مهما تنوعت مضامينه، أما الكتابة النسوية فهي تدعى كذلك نسبة لمضمونها النسوي التحرري ولو لم تكن من إبداع النساء (عبد النور إدريس 2013 ص :21).

كما ميّز الكاتب والناقد محمد معتصم في كتابه بناء الحكاية والشخصية في الخطاب الروائي النسوي العربي بين الكتابة النسائية والكتابة النسوية حيث يرى بأنّ الأولى أشمل وأعّم من الثانية فهي تضمّ جلّ الكتابات التي تصدرها المرأة بشتى أشكالها وأساليبها نسبة إلى جنسها،أما الكتابة النسوية فهي أكثر خصوصية ودقة إذ تشمل فقط تلك الكتابات ذات النزعة التحررية التي تعبّر فيها المرأة عن موقفها المعادي إزاء سياسة الإضطهاد والقمع والظلم الذي تمارسه السلطة الذكورية والبنية المجتمعية في حقها على شكل مواقف وأحكام مسبقة وعادات ومعتقدات متوارثة بدائية تنم عن النظرة التحقيرية والوضع المتأزم والمتدني للأنثى وسط مملكة الذكر.

أما الجندر(النوع، النوع الإجتماعي، الجنوسة، الإستجناس) "فهو مصطلح انشق من المفردة اللاتينية (genus) التي تعني النوع أو الأًل ثم انحدرت في اللغة الفرنسية في مفردة (genre) التي تعني بدورها النوع الإجتماعي وقد نوسّع استعمال هذا المفهوم في الأدب لتقسيم وتصنيف الأجناس الأدبية كما تمّ تحديد النوع البشري عبره من حيث التذكير والتأنيث"(عبد النور ادريس 2013 ص :93) و هو مصطلح أثاره العالم النفسي الأمريكي روبرت ستولر لأوّل مرة، ويذهب إلى أنّ الجندر لا يقوم على أساس الإختلافات البيولوجية الموجودة بين الذكر والأنثى وإنّما يهتم بالظروف الإجتماعية والسياسية والثقافية التي خلقت هذا الإختلاف وقسّمت الأدوار بين الجنسين في المجتمع " فمصطلح الجندر(الجنوسة) الذي صاغه عالم النفس روبرت ستولر الذي ميّز بين المعاني الإجتماعية والنفسية للأنوثة والذكورة عن الأسس البيولوجية، فالجنوسة ليست معطى بيولوجيا وإنّما هي سيرورة إجتماعية"(حنفاوي بعلي 2009 ص :44) إذ يرى ستولر أنّ المكانة المتدنية التي منحها المجتمع للأنثى تعود إلى مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي كوّنت عنها على مرّ العصور،فأعطت بالتالي السلطة والقوّة للرجل وحكمت على الأنثى بالخضوع والرضوخ له،إلاّ أنّ المتمعّن في هذه الأسباب والظروف سيرى أنّ الإختلافات القائمة بين الذكر والأنثى بيولوجيا كان لها دور كبير في تعزيز الفوارق بين الجنسين والحطّ من مكانة الأنثى مقارنة بالذكر هذا ما يذكرنا بمقولة سيمون دي بوفوار الشهيرة "المرأة لا تولد امرأة"..

فمصطلح الجندر يعني:"الفروقات بين الجنسين على أسس ثقافية-إجتماعية وليس على أساس بيولوجي فيسيولوجي"(شهلا العجيلي 2011ص :103)، ويوافق الدكتور محمد عناني هذا الرأي إذ يرى أنّ :" الجنوسة Gender الذي يعني من الناحية اللّغوية الإنحياز إلى أحد الجنسين إلاّ أنّ المعنى الذي اكتسبه في النقد النسائي مختلف، إذ التفريق بين الجنس Sex وهو الفئة البيولوجية وGender أي النوع، وهو التعبير الثقافي عن الإختلاف الجنسي أي أنماط السلوك الذكورية التي يتبعها الرجل وأنماط السلوك الأنثوية التي ينبغي للمرأة الإلتزام بها"(سعيدة بن بوزة 2016 ص :64) .

وتميّز عالمة الإجتماع البريطانية آن أوكلي(Ann Oakly() بين مفردتي الجنس والنوع "على إعتبار الجنس مسألة بيولوجية والنوع كالأنوثة تصور إجتماعي"(سارة جامبل 2002ص:352) لهذا تميل الناشطات النسويات إلغاء وعدم إستعمال مفهوم الجنس الذي لايخدم مصالح الحركة النسوية واستبداله بمفهموم الجندر الذي يعطي مشروعية وأحقية أكبر لمطالبهن عكس مفهوم الجنس الذي ترعرعت في ظلّه شتى المزاعم والأفكار المكرّسة لسلطة النظام الأبوي القاهر والمضطهد للجنس النسوي.

وتعرف الموسوعة البريطانية الهوية الجندرية "بأنها ليست ثابتة بالولادة ذكر أو أنثى بل تؤثر فيها العوامل النفسية والإجتماعية بتشكيل نواة الهوية الجندرية وهي تتغير وتتوسع بتأُثير العوامل الإجتماعية كلما نما الطفل،فكلمة جندر التي تترجم أيضا بالنوع الإجتماعي هي أساسا مقولة ثقافية وسياسية تختلف عن الجنس باعتباره معطى بيولوجيا وتعني الأدوار والإختلافات التي تقررها وتبنيها المجتمعات بين الرجل والمرأة"(عبد النور إدريس 2013ص:82).

فالمجتمع إذن هو من أوجد هذا الإختلاف بين الذكر والأنثى وحكم على الأنثى بصورة نمطية معيّنة وقيّدها بمجموعة من القواعد والأحكام دامت عصورا فعانت من تبعات هذا الفكر المتخلف زمنا طويلا حتى بدأت نزعات الفكر التحرري الأنثوي تظهر شيئا فشيئا في أوربا لتنتقل بعدها إلى مختلف أرجاء العالم.

ليبقى لكل مصطلح من هذه المصطلحات مفهومه وإسهامه الخاص به في إطار النظرية والحركة النسوية.

1-8--تجليات التحرر في الإبداع الأدبي النسوي:

كتبت جيني هيريكورت (Jenny Hericourt) مخاطبة معشر الرجال في مقال لها بمجلة لاكلوش بتاريخ 18-12-1872" سادتي لا أستطيع أن أكتب إلا كامرأة، بما أنّ لي شرف كوني إمرأة"(عبد النور إدريس 2013 ص :108).

لم يكن من السهل على المرأة أن تجد لنفسها مكانا وتكوّن لنفسها إسما في هذا الميدان، فأن تحاول أن تتموضع في هذا العرش الذي يتربع فيه الرجل لعصور يعتبر تهديدا لا يسكت عنه ولن يرضى به إطلاقا، فلم يسمح للمرأة بالدخول إلى هذا المجال بسهولة وحوربت كتاباتها من طرف العديد ولم تبق صفة سلبية إلا ووسمّت بها ومن النواقص والعيوب ما ألحق بها، إلاّ أنّ المرأة كانت مدركة للصعوبات التي تنتظرها والعراقيل التي ستوضع أمامها وتغلّبت عليها بفضل إيمانها وإصرارها ففتحت بالتالي أمام الأنثى أبوابا أخرى كان قد أوصدها المجتمع الأبوي والفكر القديم أمامها، وأوجدت لنفسها حقلا جديدا تستثمر فيه مواهبها لصالح المرأة وأسلوبا جديدا للكفاح والدفاع عن المرأة.

تعتبر كتابة المرأة ثورة أخرى في تاريخ النسوية أشهرت فيها المرأة أسلحتها مرة أخرى وأخذت تثبت قدراتها وأهليتها لفعل الكتابة نافية ورافضة للسيطرة الذكورية على هذا المجال، ففي حين كان المجتمع الذكوري رافضا حتى لفكرة تعليم المرأة أصبح يواجه ويحارب قضية كتابة المرأة التي لم يُعترف بها بسهولة لا في الشرق ولا الغرب، إذ أثارت كتابة المرأة مخاوف الرجل لإيجادها فضاءا جديدا وساحة جديدة للقتال تحكي فيها عن آلامها وتخرج فيها عن صمتها فتخاطب المجتمع النسوي وتوقظه وتوعّيه وهذا ما سيهدّد إستقرار ونظام السلطة الذكورية في المجتمع.

وللحدّ من هذه الظاهرة ومنع شيوعها وصرف نظر النساء عن هذا المجال عمل الذكر على تخويف الأنثى من الكتابة والتشكيك في قدراتها الإبداعية، فكتابة المرأة خطيئة وهي ليست إبداعا وموهبة بقدر ما هي وسيلة جديدة مبتكرة من أجل الغدر والخيانة والتواصل مع الجنس الذكري، لهذا تخوّفت العديد من الكاتبات من هذه الألقاب وانسحبت البعض منهن من هذا المجال فعلى سبيل قول الجاحظ الذي يفرّق بين مصطلحي الكتابة والمكاتبة حيث يقول:"فالكتابة للرجل وهي شرف وحق، والمكاتبة للمرأة وهي خطر لأنّها وسيلة جنسية تفتح علاقات العشق والرفث"(شهلا العجيلي 2011 ص :169) وهذا لتحريم فعل الكتابة على المرأة ومنع اقترابها من هذه المملكة التي تربّع على عرشها الرجل لعقود من الزمن حتى وإن خصّ في حديثه هذا الجواري دون كافة النساء.

فلم يكن يسمح للمرأة بغير القصّ والحكي لأبنائها باعتبار هذا الإنتاج الأدبي يصبّ حتما في مصالح الرجل ويخدمه لهذا اكتسب فن السرد خصوصية وأهمية كبيرة في حياة المرأة على

مرّ التاريخ وكان مكسبا وإضافة هامة ومميزة في علاقاتها مع الرجل وتمسّكها بالحياة وذا قيمة معنوية كبيرة لديها إذ كان وكما ورد في ألف وليلة وسيلتها الوحيدة فيما مضى للحفاظ والنجاة بحياتها فكان السرد بالتالي سببا في إنقاذ حياة النساء وظلّ حتى بعد إتقانها فن الكتابة فعل حياة مقابل مختلف الظروف التي تحيط بها والتي توحي عكس ذلك، ففي المجتمع العربي القديم على سبيل المثال وعلى الرغم من قوّة شاعرية الخنساء إلاّ أنّ شعرها لم يوضع يوما في المكانة التي يحتلها شعر الرجال،حتىّ أنّ البعض رآها مسترجلة لأنّ الشعر حكر على الرجل فقط،فلم يكن يسمح حتّى للمرأة بقول الشعر قديما فقد قيل للفرزدق:"إنّ فلانة تقول الشعر، فقال:إذا صاحت الدجاجة صياح الديك فلتذبح" (إبراهيم أحمد ملحم 2016ص:10)،أما الكتابة فمسألة أخرى إذ ظهر العديد من المفكّرين الذين رأوا في تعليم المرأة القراءة والكتابة فتنة وفسادا يهدّد إستقرار المجتمع ونظامه ولا يمكن مجابهة تبعاتها مستقبلا.

ورغم محاربة العديد لفكرة تعلّم المرأة متحجّجين دوما وخاصة ببعض التعاليم الدينية والخصوصيات الثقافية التي تجبر المرأة على إحترامها فتقتنع بها وتستمر بالتالي في صمتها ولا تتجرأ على الخروج من إطار المرأة التي يرغب بها المجتمع تخوفا من ردّة الفعل التي قد تبدى اتجاهها والعيوب والإنحراف الذي قد يلحق بها، إلاّ أنّه وبالرغم من ضغوطات وحكم الكنيسة في الغرب والمعاناة والتهميش والإستعمار في البلدان الشرقية كانت هناك دوما ناشطات ونسوة آمنّ بضرورة التعليم وتعلّمن رغم الظروف الصعبة التي كانت محيطة بهن وشرعن في القيام بحملات تحسيسية بسيطة بدءا من المنازل لتوعية النساء ودعوتهن للإلتحاق بمشروعهن التعليمي وإقناعهن بضرورة التعليم وإزالة المخاوف التي كونّها تجاهه وزيف المعتقدات التي تحرمه على المرأة، فنجحت المرأة تدريجيا باسترداد حقّها في التعليم مثلها مثل الرجل حتى وإن كان في البداية حصرا على طبقات معيّنة إلاّ أنّه سرعان ما شاعت فكرة وضرورة التعليم بين الأفراد وأصبح يلحظ وجود العنصر الأنثوي في مختلف أطوار المراحل التعليمية بدءا من الطور الإبتدائي إلى طور التعليم العالي وتبقى اليوم نسبة تعليم المرأة في البلدان الغربية عالية نسبيا مقارنة ببعض المجتمعات الشرقية التي لا زالت تتمسك ببعض الأعراف والمعتقدات بخصوص المرأة وبعض الدول الإفريقية التي تعيش تحت وطأة الفقر والحروب.

بعد نجاح المرأة في استرداد حقّها في التعليم وتبسيطه كظاهرة في ذهون الأفراد وأصبح إجباريا ببلوغ كلا الجنسين سنّا معيّنة، بدأت المرأة بتجريب مجال الكتابة وأثبتت مرة أخرى أنّ الرغبة هي سرّ المقدرة ولا مستحيل أمامها وأنّ بإمكان كلا الجنسين أن يقوما بنشاطات مماثلة ما لم يحدّ الفرد نفسه عقليا ونفسيا، فقليل من الثقة والإيمان بالنفس والتفكير بإيجابية والتخلص من الصعاب والعراقيل التي يخلقها المرء في ذهنه تمهّد للفرد الطريق إلى النجاح، فالمرأة آمنت بقدراتها ونجاحها واقتحمت مجال الكتابة الذي وجدت فيه إلى جانب المتعة

والراحة النفسية فضاء ومتّسعا وميدانا جديدا للمطالبة بحقوقها والتكلّم عن انشغالاتها وإيصال صوتها إلى النسوة في مختلف أنحاء العالم،فكتبت وأبدعت في السرد عن حياتها وأحلامها آمالها فلقيت إنتاجاتها رواجا كبيرا وشهرة واسعة فلمعت العديد من الأسماء النسوية في هذا المجال حتى أنّ العديد من البحوث والدراسات تتناول في يومنا هذا بالتحليل والمناقشة العديد من الأعمال النسوية التي لايزال قارئ اليوم يطالعها ويقبل عليها ويطالب بها.

لقد فتحت الكتابة عصرا جديدا مختلفا كليّا أمام المرأة، استطاعت من خلاله إقتحام مجالات جديدة وكوّنت لنفسها من خلاله هوية جديدة ووضعت أمام الرجل إمرأة أخرى غير تلك التي كانت تحارب من أجل أن يمنحها أبسط حقوقها، إمرأة متعلمة مثقفة تشاطرها شتّى مجالات الحياة الثقافية والسياسية والإجتماعية تقف أمامه بصمود مندّدة بالحياة التي سلبت منها والوحشية التي مورست بحقها، فبعد المظاهرات والإضرابات ومختلف النشاطات التي كانت تقوم بها المرأة سابقا وجدت في الكتابة وسيلة وأسلوبا جديدا للنضال والتحرر وكما تقول سعاد الصباح:"أريد أن أكتب....لأدافع عن كل شبر من أنوثتي...لأتحرّر من ألوف الدوائر والمربعات وأخرج من حزام التلوث الذي سمّم كل الأنهار،وكل الأفكار....، فالمدينة التي أسكنها لا تطرب إلا لصياح الديكة وصهيل الخيول وشهيق ثيران المصارعة"(قصيدة حب)(عبد النور إدريس 2013 ص :17).

لقد أسهمت كتابات الأنثى وبشكل كبير في تطور وازدهار الحركة النسوية وأدّت إلى ظهور مصطلح جديد أثار مسائل ونقاطا جديدة للنقاش ألا وهي مصطلح الأدب النسوي،فما هو الأدب النسوي وبين مؤيد ومعارض لهذه التسمية ما هي خصوصيات هذا الأدب حتى انشق عن دائرة الأدب بشكل عام وينفرد بخصوصية الجنس الأنثوي.

1-8-1-الأدب الـنـــســـوي:

الأدب النسوي وما يعرف أيضا ب(أدب المرأة،أدب المؤنث،أدب نسائي،أدب الأظافر الطويلة،أدب السوالف وأدب ربات الخدور..) يعتبر هذا المصطلح أيضا كغيره من المصطلحات المنتمية لحقل النسوية مصطلحا أحيطت به العديد من التساؤلات والإشكاليات واختلفت آراء الباحثين بشأنه بين مؤيّد ومعارض، حتى أنّ البعض منهم رفض التسمية إطلاقا ونفى وجود خصائص وميزات تفصله عن الأدب الذكوري والتمييز بين الإنتاج الأدبي للجنسين،فكل إبداع يستوفي الشروط والمقوّمات الفنيّة والأدبية يعتبر أدبا بغض النظر عن جنس مبدعه إن كان ذكرا أم أنثى، وهكذا انقسم الأدباء والنقّاد إلى فرق منهم من يؤكّد على وجود وخصوصية هذا الأدب ومنهم من رفضه، وإذا كان الأدب النسوي Feminism)

Literature) يعني :"أنّه تفريغ عن الأدب يسعى إلى تقسيم الإسهام الأدبي في الكتابات الحديثة لإبراز الأهمية الخاصة لخطاب أبرز جدارته بإسهاماته، بعد أن أصبحت الكتابة مجالا لتقاسم المتخيّل الفني، كما تكوّنت تراكمات تميّز فيها الصوت النسوي بجرأة خاصة"(ابراهيم أحمد ملحم 2016ص :27).

فالأدب النسوي أدب من إبداع الأنثى باعتبارها جنسا يختلف عن الذكر تعبّر فيه عن تجاربها الحياتية وخصوصياتها البيولوجية التي رسمت لها مصيرا وقدرا وحياة في ظلّ الرجل، كما أنّ هذا الأدب يختلف عن أشكال الأدب الأخرى شكلا ومضمونا فهو يعكس في كل شكل من أشكاله الجانب الأنثوي للمرأة وطبيعتها وحسّها المرهف ومشاعرها الرقيقة بدءا من اختيار المفردات والبناء الفنّي للنّص إلى المحتوى الذي يبرز توجهات ورؤى الكاتبة وتوقعاتها من الحياة (والذي نجده ذات أبعاد تحررية نسوية تطالب بالمساواة وإلغاء جميع أشكال التمييز والإضطهاد الممارس بحق المرأة)، كما أنّ تفرد المرأة بعيش بعض التجارب كالحمل والأمومة يجعل منها الشخص الوحيد القادر على التعبير عن هذه التجارب ووصفها "فمادامت المرأة قد جرّبت وحدها هذه الخبرات الحياتية الأنثوية (الإباضة، الطمث، الوضع)فإنّها وحدها القادرة على الحديث عن حياة المرأة فضلا عن ذلك فإنّ خبرة المرأة تتضمن حياة إدراكية وانفعالية مختلفة فالنساء لا يرين الأشياء كما يراها الرجال ولهن أفكار مختلفة ومشاعر مغايرة فيما هو مهم وما ليس مهم"(سعيدة بن بوزة 2016ص :69) فالإختلاف فطريا بين الرجل والمرأة جسديا ونفسيا وفكريا خلق مجموعة من الفروقات حتى بين الأعمال التي يقومان بها، لهذا لا يمكن لأحدهما أن يعبّر عن الآخر أحسن منه نظرا للإختلافات الموجودة بينهما وهذا ما عابه بعض النّقاد الذين لم يستحسنوا هذه الخاصية والميزة في كتابات المرأة وعزوها إلى الطبيعة البيولوجية والتركيبة النفسية لها ووجدوا فيها سبيلا لتكريس السلطة الذكورية حتى في هذا الميدان واستحالة أن تعلو إلى المكانة التي تجعلها تضاهي كتابات الرجل وهذه المواقف لا تدلّ سوى أو بالأحرى لا تعدّ سوى امتدادا للإرث الثقافي الإجتماعي الذي كرّسه التاريخ والمجتمعات وتوارثتها أجيال بأكملها بخصوص المرأة حيث يقول جورج طرابيشي بهذا الخصوص:"إنّ الرجل يكتب الرواية بعقله والمرأة تكتب الرواية بقلبها"(جورج طرابيشي 1981ص :11) ويذهب الناقد في موقف آخر إلى أبعد من ذلك حيث يرى أنّ الفضل يعود إلى الرجل في قيام الحركة النسوية العربية وظهور الرواية النسوية العربية فلولا قاسم أمين الذي دعا إلى تحرير المرأة لما عرفت هذه الحركة النور في البلاد العربية ولما ظهرت أول رواية عربية "زينب "لمحمد حسن هيكل الذي اقتبس صفحات بأكملها من كتاب قاسم أمين "تحرير المرأة" في كتابة روايته،وقد خالفته العديد من المفكرات في هذا الرأي نظرا لوجود كاتبات وناشطات نسويات تزامنّ مع قاسم أمين مثل عائشة التيمورية وحنفي ناصف اللاتّي عبّرن عن المرأة وانشغالاتها في كتاباتهن حوالي أواخر القرن التاسع عشر، إضافة إلى الوصف التجريحي الذي خصّ به

قاسم أمين المرأة في كتابه حيث يقول في أحد المواقف:"هي حيوان أليف يوفيه صاحبه ما يكفيه من لوازم تفضلا منه على أن يتسلى به"(جاد إصلاح 2012ص :104) إلاّ أنّنا لا نتفق مع هذا الرأي لأنّ هذا لم يكن رأي قاسم أمين بالمرأة بل كان وصفا لنظرة الآخر إليها والتي يعزوها إلى حالة الجهل والتخلف الذي كان يعيشه المجتمع المصري آنذاك حيث يقول:"فإنّ الرجل لما كان مسئولا عن كل شيئ، استأثر في التمتع بكل حق ولم يبق للمرأة حظ في نظره إلا كما يكون لحيوان لطيف يوفيه صاحبه ما يكفيه من لوازمه تفضلا منه على أن يتسلى به"(قاسم أمين2011 ص 26)، ومهما تباينت المواقف والآراء وتضاربت وتعددت وسط الجمهور النسوي بين مؤيد ومعارض لهذه الوقائع فلا يجوز إنكار جهود الأسبقين من الرجال ودورهم وإسهامهم في التطورات التي عرفها وضع المرأة في البلاد العربية رغم ما طالهم من انتقادات ومعارضة إجتماعية بدء من رفاعة الطهطاوي الذي يعدّ أول من دعا إلى تعليم المرأة إلى قاسم أمين وكتابه الذي أثار ضجة وجدل كبير وسط المجتمع المصري بأفكاره الإصلاحية التي تعارض البعض منها وثقافة وعادات المجتمع آنذاك، في حين يرى الكاتب والناقد محمد معتصم أنّ سوء تقدير قدرات المرأة الإبداعية وأساليبها الفنية في الكتابة خاصة دقة وصفها وتعبيرها عن الشخصيات هو ما جعلها محط إتهام المفكرين والنقاد"فأبرز ما يشكل الذات والهوية النسائية المبدعتين السرد في أوجهه المختلفة فقدرة المرأة كبيرة جدا على استكناه الذات وعرضها في حالات عزلتها وفي حالات قوتها وفي حالات ضعفها الشخصي هذا الذي جعل النقاد ينعتون كتاباتها بأنها سير ذاتية واعترافات لا تتجاوز ما يغامر الذات في حالات ضعفها وفي سطوة غرائزها وشهواتها"(محمد معتصم2007 ص :22) ،كما أنّ لجوء المرأة إلى الكتابة لم ينبع من الأسباب ذاتها التي دفعت الرجل إلى الكتابة فالمرأة لم تكتب للمتعة والترف الفكري كما كان يفعل الرجل ، بل رأت في القلم سلاحا وفي الكتابة ساحة للنضال لاسترجاع حقوقها وحريتها وحياتها التي اغتصبت منها، فالأدب النسوي يختلف عن الأدب الذكوري من حيث الشكل والمحتوى والنشأة وحتى الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها فإضافة إلى الفوارق البيولوجية بينها وبين الرجل التي أضفت عليها صفة الدونية على تكوينها الجسدي والعقلي فقد أسهمت الضغوطات الإجتماعية والموروث الثقافي للمجتمعات والعوامل التاريخية في دفع المرأة إلى الكتابة لمحاربة التصور الخاطئ الذي كوّن بحقها وكتابة تاريخ جديد لنفسها تاريخ يقدّس المرأة يعترف بوجودها وجهودها، لا يعيب عليها خصوصياتها الجنسية ولا يعتمد عليها في المقارنة بينها وبين الرجل، عهد لا ينظر فيه إلى المرأة كجنس آخر بل ينظر إلى إسهاماتها وأعمالها،فشرعت المرأة في الكتابة وأثبتت زيف ما قيل عنها: "فالبشرية هي في المقام الأوّل التي أجازت تحديد الأدوار والفروقات في السلوكيات والتعبير عن الفرق بين الرجل والمرأة بحيث أصبحت القيمة المجتمعية لكل الأدوار التي يقوم بها الرجل في مكانة عالية وسلطوية في حين أنّ الأدوار التي تقوم بها المرأة أعطيت قيمة دونية....إنّ الفروقات الجنسية بالضرورة لا تحمل معاني قيمية عليا أو دنيا إلاّ أنّها اصطبغت بالقيم حين أصبح الدور الإنجابي البيولوجي للمرأة سببا

في تكريس دورها في تلك الوظيفة مما حجب عنها فرضا المشاركة الكاملة في الحياة العامة،وجعلها حبيسة لذلك الدور الإنجابي في كثير من المجتمعات ولفترات من تاريخ البشرية"(شهلا العجيلي 2011ص :76) فكان بالتالي نضال المرأة ليس موجّها ضدّ الرجل فقط،بل نضالا ضدّ الأعراف والتقاليد،ضدّ التاريخ والمجتمع، ضدّ الجهل والتخلّف الذي زاد وكرّس مفهوم الإختلاف بين الجنسين ونسب الأفضلية والتميّز للذكر على حساب حياة الأنثى.

إنّ الحرمان والمعاناة والتهميش الذي طال المرأة لعصور كوّن لديها عقدة إثبات هويتها وكينونتها أمام الرجل ، إذ يرى بعض الباحثين أنّ كتابات الأنثى تغمرها وتطغى عليها صفة الذاتية، فهي تحرص دوما على إثبات وجودها وحضورها كتوظيفها لضمير المتكلّم بكثرة وتجسيدها للشخصيات المحورية التي تحرّك أحداث النص الروائي :" وهذا ما يفسّر حسب الدارسين حضور ضمير المتكلم أنا بقوة في الكتابة النسائية.....لقد كانت المرأة خلال عصور طويلة ومازالت تعاني من القلق على هويتها، ويوم أقدمت كوليت على توقيع مؤلفاتها باسمها الحقيقي أحرزت بذلك تقدّما ملموسا في إطار معركتها من أجل الكتابة، بالتأكيد بدأ الربط بين الكتابة النسوية كردّ فعل على التشكيك الدائم الذي يحيط بوجودها"(سعيدة بن بوزة 2016 ص :72-73) باعتبار الهوية أثمن ما انتزع منها وأساس الجدل والخلاف القائم بينها وبين الرجل، فباستردادها تسترد كيانها ووجودها وحريتها، ولا يعكس هذا المطلب سوى جانبا من جوانب خصوصية الكتابة الأنثوية وهدفا من الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها.

كما وجدت المرأة في هذا الأدب وسيلة لتغيير تلك الصورة التي روّجت عنها لعصور والتي لا تعبّر عن حقيقتها بقدر ما تعبّر عن نظرة وموقف إجتماعي ثقافي بخصوصها :"وتصور ثقافي أدى إلى إختزال إنسانيتها وأنوثتها معا في صورة ضيّقة غير منصفة ترى فيها لغزا وكائنا عجيبا أو رمزا للغواية والإغراء وهي رمز للشرف والعرض وتلم قيم فوق زمانية وفوق مكانية" (جاد إصلاح 2012ص :89) فراحت ترسم وتخلق شخصيات أنثوية في كتاباتها تعبر بها عن سخطها من الواقع وتعيش من خلالها ما حرمها الواقع منه وفي أغلب الأحيان كانت تعيد رسم ملامح هويتها وتمحو التشوهات التي أخفت حقيقتها وجوهرها على مرّ العصور.

لقد كتبت المرأة إذن وأصبحت كاتبة كتبت من أجل نفسها من أجل الرجل والمجتمع، كتبت من أجل حريتها ولكي تحيى وتبقي نفسها صامدة شامخة أمام من ينتظرون وقوعها واستسلامها، لقد حمت المرأة نفسها جيّدا من أنياب مفترسيها ولم ترض بالخضوع والخنوع على الرغم من الأذى الذي طالها والهجومات والإنتقادات التي تعرضت لها، لقد خرجت عن صمتها وأخذت تعبّر عن حنقها وسخطها إزاء المجتمع الذكوري وعن الظلم والإضطهاد

الذي يمارس بحقّها، فكان إبداع المرأة في البداية مفعما بمشاعر الغضب والسخط الذي تكنّه للنظام الأبوي ويلتمس قارئه روح النضال والتحرّر الذي يشعّ في الأفق، ونجحت في تحرير مشاعرها وأفكارها على الورق فنالت بالتالي قدرا من الحرية الفكرية والتعبيرية وحققّت ما لا يمكنها تحقيقه في الواقع عبر الكتابة، فاتسّم الأدب النسوي عموما خلال هذه الفترة بتعبير المرأة عن مشاعرها وجسدها وأسرها ومعاناتها:" فالأدب النسوي في النصف الثاني من القرن العشرين كانت مؤسسة على تعبيرها عن عواطفها وجسدها وقهرها من المجتمع الذكوري،ولم يكن في بالهم أنّ هذه الخصوصية سيقتحمها أدب الرجل فتصير لا معنى لها"(ابراهيم أحمد ملحم 2016ص :37) مع وجود بعض الكتابات التي كانت تصبّ في مجالات أخرى كالسياسة وتترجم نظرة المرأة وموقفها من نظام الحكم ومناهضتها لفكرة الإستعمار .....وغيرها، ومصطلح الأدب النسوي مهما كان سبب اكتسابه لهذه التسمية إن كان نسبة لجنس مؤلفه المرأة أو نسبة لمحتواه الذي يتطرق لحياة المرأة وشؤونها واحتياجاتها أو الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها لصالح المرأة ففي النهاية يعتبر أدبا ولا يمكن تقييده بمجموعة من المقاييس والمعايير التي تحدّد إنتسابه لميدان النسوية والحكم عليه بمجموعة من الخصائص والميزات التي تفرّقه عن أشكال الأدب الأخرى، فالأدب النسوي في الشرق يختلف عن الأدب النسوي في الغرب، حتى أنّه قد يختلف في البلد الواحد من كاتبة إلى أخرى لأنّه متعلّق بشخصية الكاتبة بفكرها وأسلوبها ونظرتها للحياة، هو إبداع شخصي خاص بالكاتبة ومرتبط بالظروف التاريخية والمعطيات الإجتماعية والثقافية المحيطة بها،لهذا سنجد بعض التشابه في بعض النقاط الأساسية التي يقوم عليها هذا الأدب والرسالة التي يهدف إلى إيصالها، أما الأسلوب وطريقة التعبير واختيار المفردات والمحتوى فيتباين من كاتبة إلى أخرى.

وبين مؤيّد لمصطلح الأدب النسوي الذي اكتسب خصوصياته من خصوصيات مبدعته المرأة البيولوجية والنفسية والفكرية التي وجّهت كتاباتها نحو منحى معيّن وتركت أثرها وبصمتها على هذا الميدان، ظهر فريق آخر من النقّاد والباحثين والكاتبات الذين رفضوا هذه التسمية وتصنيف كتابات المرأة وإبداعها على أساس جنسها، ورأوا في ذلك إمتدادا للفكر القديم الذي يميّز بين الجنسين ويعزّز الفورق بينهما، فرفضت بعض الكاتبات تصنيف أدبهن ضمن الأدب النسائي ورأين في ذلك إحتقارا لإبداعهن لتمييزه عن الأدب الذكوري، فكأنّ ما ينتجه الرجل أدب وما تنتجه المرأة أدب آخر من نوع خاص لا يضاهي ولا يحمل المعايير التي تجعله يرتقي لمرتبة الأدب الذكوري، واعتبرن هذه التسمية عائقا يحدّ إبداعهن إذ ترسم لهن حدودا لا يتخطينها وتمارس عليهن ضغوطات تقف أمام موهبتهن فتفرض على المرأة التطرق إلى مواضيع معينّة وتحصرها في مجال واحد وتمنع ولوجها إلى مجالات أخرى،كأن تنشغل المرأة بالكتابة فقط عن حياتها وعلاقاتها ومشاكلها ومطالبها أما الكتابات الأخرى فهي من نصيب الذكر المرأة تنجح فقط في الكتابة عن ما هو نسوي لهذا سميّ الأدب

الذي تنتجه بالأدب النسوي الذي يختلف تماما عن الأدب المتعارف عليه الذي هو من إبداع الرجل وفي هذا الصدد تقول الكاتبة الأردنية هند أبو الشعر:" أتوقف أخيرا عند لغتي وأعتقد أنّ القارئ المتخصص لها يحسّ بهذه الصبغة الأنثوية إنّها جزء من تركيبتي ولغتي جزء من تكويني وربما كان المؤشر الوحيد على خصوصيتي وخصوصية أي كاتبة أخرى في أي عالم إبداعي.....وبعد فإنّني لا أتحرج الآن من التصريح بأنّني أحسّ بإنزعاج حقيقي عند أي لقاء أدبي سواء كان حديثا صحفيا أم ندوة أم أمسية قصصية أو تلفزيونية، ليبدأ أي حوار بالسؤال التقليدي الممّل عن الأدب النسوي أحسّ عندها بالأسى لأنّ هذا التصنيف يقتل فهمي السابق لدوري ككاتبة، وكأنّهم يرسمون حولي دائرة طبشورية، ولا يسمحون لي بتجاوزها ولأنّهم يقولون أنت كاتبة، أنت إمرأة،عليك أن تلتزمي بالكتابة عن المرأة ولا شيئ غير المرأة"(ابراهيم أحمد ملحم 2016 ص :37) فالكاتبة إذن لم تنكر وجود خصوصيات تميّز كتاباتها وتبرز الإختلاف الكائن بينها وبين كتابات غيرها، هذه الخصوصيات تنبع ليس من كونها إمرأة فقط بل كونها إنسانا ذو مشاعر ورؤى وأفكار تختلف عن غيرها مما سينعكس على أسلوبها ويبرز شخصيتها ومواقفها ونظرتها للحياة وهذا لا يحكم على أدبها بالنسوية لأنّ هذه الإختلافات نجدها أيضا في كتابات الرجال فلكل أديب أسلوبه الخاص به وطريقته في الكتابة وفي توظيف قدراته الفكرية ومهاراته الفنيّة وبقيت كتاباتهم أدبا خالصا غير الذي تنتجه المرأة.

وترى رشيدة بنمسعود أنّ سبب رفض معظم الكاتبات إَضفاء صفة أو طابع النسوية على أعمالهن يعود إلى المفاهيم والتصورات والأحكام السابقة المصاحبة لهذا المصطلح والتي قد تدفع القارئ والناقد إلى التعامل معه وتحليله بطرقة مغايرة عن الإبداع الذي ينتجه الرجل، وفي هذا انتقاص من قيمة العمل الفنية والأدبية حيث لا يطالع لإكتشاف جوانبه الإبداعية والقيّم الجمالية التي يحتويها كأثر فني أدبي بقدر ما يطالع للتنقيب عن دلائل وحجج تدعم وتؤكد التنظيرات والتوصيف الخاطئ والظالم لهذه الأعمال: "والتي أتت من عدم تحديد وتعريف كلمة نسائي التي تحمل دلالات مشحونة بالمفهوم الحريمي المشبع بدلالات إحتقارية، الشيئ الذي يدفع المبدعات إلى النفور منه على حساب إنتمائهن له بالهوية"(عبد النور إدريس 2013 ص :20).

إنّ هذا التصنيف القائم في الميدان الأدبي بين ما تنتجه المرأة وما ينتجه الرجل عائد إلى التنّوع في المواضيع التي تناولها الرجل فلم تقتصر كتاباته الأدبية على العنصر الذكري فقط،بل عالج مواضيع عديدة ومنح الأنثى بعض الأدوار حتى إن كانت ثانوية أحيانا،أما المرأة باعتبار أنّ أوّل دخول لها للميدان الأدبي كان من أجل التحرّر واسترداد حقوقها ومكانتها واقتصار كلامها على الأنثى فقط وأشجانها ومعاناتها لقب الأدب الذي تنتجه بالنسوي، لكننا اليوم في عصر أحرزت فيه المرأة تقدّما كبيرا من حيث المطالبة بحقوقها والمساواة بينها وبين الرجل إضافة إلى معالجة المرأة الكاتبة اليوم إلى جانب بعض القضايا

التي تخصّ المرأة مواضيع إجتماعية وأخرى سياسية أوثقافية تستمدها من واقع الحياة اليومية فما مدى صحة تعميم تسمية الأدب النسوي على جميع الأشكال الأدبية التي تنتجها المرأة.

لقد نفى العديد من النّقاد وجود كتابات نسوية على الساحة الأدبية ورفضوا الإعتراف بهذا النوع من الأدب لخلوّه من أي خصائص تدرجه في مجال النسوية وتجعل منه أدبا من نوع خاص غير الذي اعتاد على انتاجه الرجل، إذ لم يلحظ النّقاد وجود أي إختلاف في كتابات المرأة لا من حيث البناء اللغوي ولا من حيث البناء الفكري أو الفنّي للنص، فكتاباتها ما هي إلاّ تقليد لكتابات الرجل الذي تعلمت منه شروط وأسس وخصائص الكتابة باعتباره الأسبق لهذا الميدان، ففي حين شكّك النّقاد والأدباء حتى في قدرة المرأة على الكتابة والإبداع وبعد نضال مرير للإعتراف بوجودها وهويتها وكتاباتها ظهر أمام النّقاد أيضا مفهوم الأدب النسوي بكل ما يحمل هذا المصطلح من إشكاليات وتساؤلات وشحن سلبية إزاء كل ما هو ذكوري أصبح هذا المصطلح:"ينطوي على نوع من التحقير للمرأة ووضعها في مرتبة دونية وهذا ليس إلا إنعكاسا للواقع الإجتماعي الذي منطقيا ينقل مشكلاته إلى الواقع الأدبي"(شيرين أبو النجا 1998ص :12) مما ينفي وجود صوت أنثوي ذو ملامح وخصوصيات وهوية خاصة به.

ولقد ذهب البعض الآخر إلى أنّ إنعدام الخصوصية في كتابات المرأة راجع إلى مشاركتها الرجل الظروف السياسية والإجتماعية والثقافية نفسها لهذا لا يمكنها أن تكتب باختلاف عن الرجل لأنّهما يعيشان الواقع ذاته فيتشاطران بالتالي المواضيع ذاتها، وبحكم المرأة محاطة بالسلطة الذكورية من جميع النواحي وإحكام سيطرته على العديد من المناصب والمرافق في المجتمع فإنّ المرأة ستكتب حتما وهي متؤثرة بالرجل لأنّ روحها وفكرها مشبّعة بكل ما هو ذكوري، وبما أنّ العلاقة بين الذكر والأنثى لا تزال ومنذ الأزل علاقة تكاملية وكل أحد منها بحاجة إلى الآخر ولا يمكنهما أن ينقطعا أو ينفصلا عن بعض، حتى أنّ البعض يحتج بحاجة المرأة إلى الرجل مما يقلب موازين العلاقة التي تجمعهما والتي تحكم على المرأة دوما بأن تكون تابعة للرجل وتجعل من علاقتها بالرجل علاقة خضوع وخنوع لهذا لن تتمكن أبدا من الكتابة بمنئى ومعزل عن ما هو ذكوري، فحسب ما يرى بعض النقّاد أنّ أداة تعبير المرأة اللّغة هي لغة ذكورية لهذا لا يمكن الحديث عن أدب مستقل خاص بالمرأة ما دامت أسس هذا الأدب قائمة على إنتاجات ذكورية إلاّ أنّه لا يمكن الأخذ بهذا الرأي وتجنيس اللغة والحكم عليها وتصنيفها بأنّها ذكورية:"لأنّ مفردات اللغة حيادية ومع ذلك فثمة لغة ذكورية ولغة أنثوية ولا تطرح ذكورية اللغة وأنوثيتها على المستوى المعجمي وإنّما على المستوى الدلالي والتركيبي لأنّ الرؤية هي التي تخلق اللغة وتحدّد هويتها"(شهلا العجيلي 2011 ص :68) فاللغة تتقمص هوية مبدعها وتكشف شخصه ورؤيته وتوجّهه عبر ما يختاره من مفردات وكيفية الربط بينها وما يفرغ فيها من معاني وإيحاءات ،فمرونة اللغة تقتضي الإختلاف وتسمح

لمؤلفها بامتلاكها فتعبّر عنه وعن ذاته وفكره فاللغة إذن واحدة لكن الرؤى مختلفة واللغة بجنس مؤلفها وتابعة له تارة ذكورية وتارة أخرى أنثوية يتحكم بها الكاتب ويوجهها المسار الذي يريده وينفخ في مفرداتها الحياة فيحييها ويخلق فيها وبها جزءا من شخصه بروح أو لمسة ذكورية أو أنثوية، فاللغة إذن ما هي سوى أداة ووسيلة للتعبيرللرجل والمرأة معا لهذا لا يمكنها أن تكون ملكا للأحدهما دون الآخر وباعتبارها وسيلتهما للتعبير والإفضاء فلا بدّ أن تعبّر عن مستعملها لأنّ العلاقة بينهما تتجاوز علاقة الكاتب بنصه بل علاقته بفكره وروحه وشخصه فيعبّر عنها لغويا وبناءا على هذه العلاقة التي تجمع الكاتب باللغة يتضح أنّ اللغة ملك وانعكاس لمؤلفها بغض النظر عن جنسه أ ذكرا كان أم أنثى.

إذن فحسب بعض النّقاد لا يمكن للمرأة أن تكتب أدبا مستقلا خالصا خاصا بها ما دامت تقاسم الرجل المعطيات الثقافية ذاتها إذ يقول الناقد فخري صالح:" .....من الصعب تكوين ميراث بديل خاص بالمرأة،حتى لو ركّزت الناقدات النسويات على كتابة المرأة وتجاربها لأنّ المرأة لا تتلّقى تعليمها في جزيرة معزولة، ولا تأكل طعامها على مائدة خاصة"(ابراهيم أحمد ملحم 2016 ص :43) فهذه المعطيات الثقافية التي يشكّل الرجل جزءا منها ستتّضح بشكل جلّي في كتاباتها فيكون الرجل بالتالي بشكل أو بآخر موجودا في زوايا وثنايا صفحاتها، إضافة إلى كتاباتها الأخرى التي تهاجم فيها المجتمع الذكوري والتي تبرزه حضوره في فكرها وخيالها وحياتها،فتكتب متؤثرة به فيغدوا أدبها بالتالي أدب الجنسين موّجها لكليهما، خاليا من أية ميزات تضفي عليه تسمية النسوية، لكن ما دام كلاهما يعيشان الواقع ذاته ويتشاطران التاريخ والثقافة ذاتها وحياة كل واحد منهما مرتبطة بالآخر، فالرجل أيضا سيكتب متؤثرا يالأنثى فلم لم يتعرض الأدب الذي يكتبه الرجل لما تعرض له أدب الأنثى من انتقادات وهجومات، وهذا ما سيعيدنا للجدل والخلاف القديم القائم بين الجنسين والذي يعزو إلى الذكر العقل والقوة والسلطة والتميّز فينفرد ويستولي على مراكز ومناصب السلطة في المجتمع فيغدوا تسيير وتنظيم كل شيئ له مما سيقزّم من شأن الأنثى ودورها في المجتمع، لهذا أصبح الفكر واللغة والتاريخ والثقافة كلّها رجل، لهذا لا يمكن للأنثى أن تتحدث عن كيان وحياة وأدب خاص بها ما دام كل ما يحيط بها موصولا ومتعلّقا بالرجل.

إنّ مشاركة المرأة للرجل الواقع ذاته لا يعني بالضرورة أنّها متؤثرة بالفكر الذكوري كما يرى البعض من النّقاد فالعيش في محيط واحد لا يضمن توفرّ الظروف نفسها للطرفين،وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها لا سيما في المجتمعات المحافظة فالظروف التي تعيش في ظلّها المرأة تختلف تماما عن تلك التي يتمتع بها الرجل، مما سيؤدي دون محال إلى إختلاف الرؤى والتصورات والتوّجهات والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها الطرفان، لهذا فوجود خصوصية في أدب المرأة ليس بهذا القدر من الإستحالة التي يراها البعض.

إضافة إلى الإختلاف التام في التكوين الجسدي والتركيب النفسي والعقلي للجنسين، فلكل واحد منهما خصائص نفسية وبيولوجية وقدرات تميّزه عن الآخر مما سيحقّق الإختلاف في كتابات المرأة من حيث التوظيف اللغوي للمفردات وانتقاء الأفكار وتوظيفها للمشاعر والأحاسيس لتقدّم للقارئ في الأخير نصا ذو طابع أنثوي يحمل سمات المرأة الروحية والفكرية، فالأدب الذي تكتبه المرأة كما تقول الكاتبة الدكتورة لطيفة الزيات:"في الكتابة غير الإبداعية أنشغل بجانب من قدراتي، وفي الكتابة الإبداعية بمكتمل قدراتي العقلية والحسية والوجدانية، أملك أن أرفع إسمي عن مقال نقدي أو ثقافي أو سياسي فلا يملك القارئ أن يعرف إذا كان صاحب المقال رجلا أم إمرأة، أما أعمالي الإبداعية فتحمل بصمتي كإمرأة كهذا النتاج التاريخي الإجتماعي لمجتمع معين في فترة من فترات تطوره، وتحمل بصمتي كهذه المرأة الفريدة التي هي أنا،في الأعمال الإبداعية أكشف رؤيتي للحياة وأبلورها أخلع أقنعتي فلا أبقى شيئا سوى وجه الحقيقة العاري.... أعلو على توجساتي ومخاوفي، أحسّ، أجرؤ، أنطق صدقا ولو على ذاتي، أكون المرأة الخائفة المقدامة، الضعيفة القوية، الهشة الصلبة المتمزقة بين العقل والوجدان،التي هي أنا،كتاباتي الإبداعية تعرفني وتعرفني وما يصدق عليّ يصدق على كل إمرأة عربية مبدعة"(شيرين أبو النجا 1998 ص :12).

وهذا ما تأكّده أيضا الكاتبة كارمن البستاني في قولها: "ليس لنا نحن والرجل الماضي نفسه ولا الثقافة نفسها،فكيف يكون لنا والحالة هذه التفكير نفسه والأسلوب نفسه"(عبد النور إدريس 2013ص :99) فاختلاف الأسباب والدوافع في كتابات المرأة والرجل سيؤدي حتما إلى إختلاف في النتائج والإبداعات التي لن تعكس ذات التوجهات والرؤى بناء على إختلاف الظروف المحيطة بنشأة هاته الأعمال.

وهكذا تباينت آراء الأدباء والنّقاد والباحثين حول هذا المصطلح فمنهم من يقّر بوجود هذا الأدب فيقول رضا الظاهر مترجم أحد الكتب النسوية الغربية المهمة:"فوضع النساء الإجتماعي وإقصاؤهن التاريخي من الثقافة هو الذي يحدّد تمييزا خالصا لقضايا النساء"(ساندي سالم أبو سيف 2008 ص :138) ومنهم من ينفي وجوده في الساحة الأدبية العربية، ولا يسعنا القول في الأخير إلاّ أنّ المرأة الكاتبة قبل أن تكون أنثى فهي إنسان ترى وتشعر وتتأثر بما يحيط بها فتكتب وتعبّر عن إنسانيتها في أدبها قبل أنوثتها، لهذا سيتحسّس القارئ حتما نبرة الإختلاف في صوتها،هذا الإختلاف في الرؤى والتوجهات سنجدها حتّى بين كتّاب الجنس الواحد سواء كانوا إناثا أو ذكورا،لهذا سيلحظ القارئ حتما وجود بعض الفروقات بين الأدب الذي ينتجه الرجل والأدب الذي تنتجه المرأة سواء من حيث المواضيع المتناولة أو من حيث وجهات النظر والآراء وتوقعاتهما من الحياة، نتيجة إختلاف شخصيتي وطريقة تفكير والقيّم التي يتبناها الكاتبان في الحياة،إضافة إلى بعض التفاصيل التي لا يغفل عنها في النص الأدبي الأنثوي والتي يتنبّه إليها القارئ من شكل ومحتوى النّص الذي يكشف وجود لمسة وحسّ أنثوي مضمر بين المفردات و في زوايا الفقرات.

1-8-2-خـــصـــائـــص الأدب الـــنـــســـوي:

يشترط في الأدب النسوي أن يستوفي مجموعة من الشروط والخصائص سنحاول ذكرها فيمايلي:

- أن يكون من إبداع المرأة، وهذا شرط أساسي لأنّ سميّ بالنسوي نسبة إلى جنس مبدعه المرأة، حتى ولو ذهب بعض الباحثون بإمكانية كتابة الرجل لهذا النوع من الأدب إلاّ أنّه لن ينجح في التطرق لمسائل المرأة مثلما تفعل هي.
- أن يتطرق هذا الأدب لشتّى المواضيع والمسائل المتعلقة بالمرأة والتي تهمّها، فمثلما يقول الأديب حسين خطيب :" إنّ المرأة لا تكتب من فراغ ولا تكتب عن ذات مريحة مهووسة بنفسها إنّها تنتقد وتشرح وتحلّل دقائق الأمور، ولا تخوض في السياسة بل تكتب روايات وقصص وأشعارا لكن ما تنتجه نسغ الوقائع اليومية والشخصية والسياسية والأمور المصيرية التي تهم الشخصية العربية امرأة ورجلا في آن"(محمد معتصم 2007ص :24)
- يصوّر هذا الأدب مختلف التجارب الشخصية التي تمر بها المرأة في الحياة، وخصوصيات حياتها كأنثى في مجتمع تهيمن عليه السلطة الذكورية.
- يتطرق الأدب النسوي للمشاكل التي تعاني منها المرأة في المجتمع ويعبّر عن انشغالاتها ومطالبها.
- يعبّر هذا الأدب بمثابة منفذ وملجأ بالنسبة للمرأة وجدت فيه السبيل للتعبير عن معاناتها ومآسيها التي لم تتجرأ على البوح بها لعصور فالأدب النسوي يعني:"قدرة الأنثى المعاصرة على البوح من خلال السرد .....فهو ضرب من التأليف يكتبه صنف من النساء ، أقصد المرأة المبدعة ، أما موضوعه فكل ما يمكن أن تبوح به المرأة"(سعيدة بن بوزة 2016ص :39).
- يعتبر الأدب النسوي جزءا من نشاط المرأة التحرّري الذي بدأ بالمطالبة ببعض الحقوق البسيطة في بعض الميادين حتى طال ميدان الأدب أيضا.
- يعكس هذا الأدب قيّم المرأة وتوجهاتها ونظرتها للحياة.
- تسعى المرأة من خلال هذا الأدب إلى التخلّص من الهيمنة الذكورية وإثبات هويتها ووجودها في مجتمع لا يعترف بكيانها ولا يقرّ بجهودها وانجازاتها كما تقول الكاتبة جميلة عمايرة "إنّ الكتابة باتت هويتي وذاتي التي بدونها أفقد توازني"(ابراهيم أحمد ملحم 2016 ص :46).
- تهدف المرأة من خلال هذا الأدب إلى إسترداد حريتها وحقوقها التي سلبت منها والتحرّر من المجتمع الأبوي ومظاهر القمع والقهر والتهميش الذي كانت تعاني منه

عبر مواصلتها لنضالها وكفاحها عبر الكتابة:"فهي تجد متعة في السرد للفت الإنتباه إلى وضعها الإعتباري داخل مجتمع ذكوري وإدانة التصورات التقليدية التي تجرّدها من أنوثتها وتنتقص من مؤهلاتها الفكرية والإبداعية وإعادة النظر في التراتبية الجنسية التي تعمق الجرح الأنثوي"(رشيدة بنمسعود 2006ص 121).

- تحارب المرأة عبر هذا الأدب الفكر القديم والمعتقدات والتصورات التي كوّنت عنها والنابعة من جهل وتخلف الأفراد قديما عبر إثباتها لقدراتها على القيام بما يقوم به الرجل من أعمال ونشاطات.

- يعكس هذا الأدب الحّس الأنثوي المرهف عبر ما توظّفه المرأة من عواطف وأحاسيس وانتقاءها للمفردات ومواقفها من بعض الظواهر والوقائع.

- تسعى المرأة من خلال الأدب النسوي إلى إلغاء ظاهرة التمييز العنصري بين الجنسين.

- يهدف هذا الأدب إلى توعية النساء في شتّى أنحاء العالم بحقوقهن واستحقاقهن لحياة أفضل يشاطرن فيها الرجل شتّى أعباء الحياة.

- تهدف المرأة من خلال إنتاجاتها الأدبية إلى إيصال صوتها إلى أكبر عدد ممكن من النساء في العالم وضمان انضمامهن إلى مسيرتها النضالية ضد المجتمع الأبوي.

- يكشف هذا الأدب الأوضاع المعيشية للمرأة في مختلف المجتمعات.

- تطالب المرأة عبر هذا الأدب بمختلف حقوقها المدنية والسياسية ومكانة أسمى وأرقى في المجتمع مع الإعتراف بجهودها ومكانتها ودورها الفعّال في المجتمع.

- تحارب المرأة بعض مظاهر التشدّد والتعصّب التي لا تزال تمارس في حق الأنثى في بعض المجتمعات.

- محاولة التحسيس بخطورة وجديّة بعض أشكال العنف الجسدي والنفسي التي تتعرض إليه المرأة ومحاولة تغيير نظرة المجتمع إليها.

- تعبّر المرأة من خلال كتاباتها عن وجهات نظرها ومواقفها إزاء بعض الأمور التي تحصل في المجتمع والعالم.

- في النهاية تكتب المرأة منددّة بالظلم والقهر الذي ظلّت حبيسة له لعصور، تكتب من أجل نفسها وللتحرّر من القيود والأغلال التي كبلّت بها، تكتب لتحيا بأدبها ولتعيش عالمها الخاص الذي من نسج خيالها، تكتب فتخلق لنفسها وتكوّن عالما تعيش فيه براحة وحرية ما حرمت منه في الواقع وتعبّر فيه عن ما لم تستطع البوح به في الحقيقة فكما تقول الكاتبة سميحة خريس:"ما زلت أكتب لأحيا وفي محاولة لقراءة العالم على هواي وكما أتمنى وأعتقد.....على الورق أنشطر إلى آلاف الشخوص التي تعني خلاصي وخلاصهم"(ابراهيم أحمد ملحم 2016ص:46).

1-8-3-لـــمـــحـــة عـــن الأدب الـــنـــســـوي فـــي الـــشـــرق:

يوجد اليوم في الوطن العربي العديد من الأسماء النسوية اللّاتي أضفين على كتابات المرأة العربية تميّزا وتألّقا من نوع خاص وأصبحت لها خصوصية وجمال تعكس قوّة إبداع المرأة العربية وجمال أسلوبها وحسن اختيارها وطرحها للمواضيع ومعالجتها، وهذا لا يعني أنّ كتابات المرأة العربية قديما لم تكن على هذه الدرجة من الإبداع التميّز بل كانت كذلك إذ وجدت الأديبات أساسا متنا انطلقن منه، حافظن عليه واستمرّين على خطاه، حتى أصبحت كتاباتهن بهذه الشهرة والذيوع التي آلت إليها اليوم.

لقد قطعت المرأة العربية شوطا لا يستهان به في هذا المجال وواجهت ما اعترى طريقها من صعوبات وعراقيل كأيّ إمرأة تحاول أن تقترب من حدود سلطة الرجل أو تتجاوزها،فموقف الرجل العربي لم يختلف عن موقف أي رجل في العالم حول قدرات المرأة وتلك الصورة النمطية التقليدية التي ألحقت بها،فلم يكن ليسمح لها بسهولة أن تشاركه هذا الميدان:"هناك شيئ لا واع في الرجل يقاوم الإعتراف بقدرة ما يمكن أن تحوزه المرأة، إلاّ القدرة على الخيانة والكذب،هي إذن لا نقدر على الكتابة أوالإبداع، هي تضع وتلد فقط،أما فعل الإبداع والكتابة فهو المجال الخصوصي للرجل لأنّ التاريخ يعلّمه أنّ المرأة برهنت عن عدم إمكانية الإبداع والتجديد والإكتشاف وهذا واقع حضاري قائم في عرفه.....إنّ الذكر يسعى إلى الحرية من خلال تسييج حرية المرأة وإلى فرض كتاباته ككتابة عبقرية مطلقة يستحيل أن تضاهيها كتابات المرأة" (محمد نور الدين أفاية 1988ص :32-33).

كما لم يتوان البعض في تذكيرها وإقناعها بضعفها وتخويفها من الإقتراب من هذا المجال، وربما قد لا يمكن المقارنة بين إنتاجات المرأة الأدبية في الشرق وتلك التي تنتجها مثيلاتها في الغرب من حيث الكم ،لكن وبالرغم من قلّة كتاباتها فمعيار الجودة لا يغيب عنها إذ حصلت العديد من الأديبات العربيات على جوائز عربية وأخرى عالمية إعترافا بأدبهن وإسهاماتهن في هذا الميدان، كما نشهد الإقبال الوفير للقراء على أعمالها والنجاح الكبير الذي حقّقته بعض الأسماء النسوية رغم صغر سنّها والروّاج الكبير لبعض أعمالها الروائية إذ اشتهرت بعض الكاتبات العربيات من أوّ لرواية لهنّ ورغم قلّة خبرتهن في هذا المجال وهذا ما يوضّح القدرات الإبداعية الخلّاقة التي تتمتع بها المرأة العربية في مجال الأدب.

وهذا الإختلاف الكّمي بين ماتنتجه المرأة من أدب في الشرق والغرب راجع إلى تأخر المرأة الشرقية في الدخول إلى ميدان الأدب مقارنة مع المرأة الغربية نظرا للظروف التاريخية والسياسية لبعض الدوّل العربية التي كانت تعيش تحت وطأة الإستعمار الغربي والمعطيات الثقافية والدينية للمجتمع العربي الذي أحاط المرأة آنذاك وقيّدها ببعض

الأعراف والمعتقدات التي لا تسمح بتاتا بالإقتراب منها ولا يمكنها حتى هي أن تخترق تلك القواعد والقوانين التي أصبحت تؤمن بها وجزءا منها، فلا حياة لها خارج أسوار بيتها ومع غير أفراد عائلتها، فخروجها من البيت وانكشافها على الغرب وحتى إظهار نبرة صوتها للرجال من الأمور المحرّمة التي يستحيل أن تتجرأ على فعلها المرأة لأنّها تمسّ عفّتها وشرفها وشرف عائلتها، فخروج المرأة من دائرة المحرّمات هذه استغرق وقتا من الزمن واختلاطها بالرجل واقتحامها لبعض الميادين العملية ومباشرتها للدراسة كان أحيانا باستغلالها لبعض الظروف التي أشغلت الرجل عنها، كظاهرة الإستعمار التي شكّلت لدى المرأة وعيا مختلفا وفهما جديدا وتصوّرا آخر لنفسها ولحياتها:"إذ أنّ الإستعمار الغربي كان له أثره في زعزعة وعي المرأة، وخلخلة المفاهيم التي تبنّتها عن ذاتها وعن الرجل ومكانتها في المجتمع بوجه عام" (سعيدة بن بوزة 2016ص :89) لكن بالطبع لم يمسّ هذا التأثير كافة النساء في المجتمع بل البعض منهن فقط لكنّه سرعانما بدأ يمحي ويقضي على تلك الأفكار والتصورات القديمة عن المرأة والأعراف التي أجبرت على الخضوع لها وبناء حياة جديدة لنفسها لا تتخلى فيها عن قيّمها الدينية والإجتماعية وهويتها العربية الإسلامية لكنها تخلو من ذلك الفكر المتعصّب الذي يربط كل عمل تقوم به المرأة بشرفها،هذا المصطلح الذي أساء المجتمع القديم تأويله وسجن المرأة وحكم على حياتها بفعل هذا المصطلح الذي يمتد مفهومه ويتسع ليشمل كل عمل تقوم به المرأة خارج حدود ما هو متعارف عليه ومقبول لدى الجماعة.

إنّ هذا التغيير الذي أحدثه الإستعمار الغربي على حياة المرأة الشرقية قد يكون نابعا من غيرة المرأة على بلدها وهويتها وثقافتها ورفضها للسياسة الإستعمارية وما تمارسه من عنف وظلم وإستبداد بحق شعبها، ولإحتكاكها بالمرأة الغربية وإكتشاف حالة وحياة المرأة في المجتمعات غير العربية وما تتمتع به من حقوق وحرية وكيف بإمكانها تغيير مصيرها وقدرها باستردادها لبعض الحقوق التي حرمت منها، ولقد كان التعليم أحد هذه الحقوق التي أكدّت عليها المرأة وعلى ضرورتها في حياتها.

وبهذا فإنّ إقتحام المرأة ميدان الكتابة تأخر بتأخرها عن التعليم وعن استردادها لبعض الحقوق مقارنة مع المرأة الغربية، فعبّرت المرأة بجميع الأشكال الأدبية المتوفرة من شعر وقصة وصولا إلى الرواية علما أنّ قولها للشعر وممارستها للقّص متجذّر في تاريخ الأدب العربي لكنّه كان شفاهة، فبدأت المرأة مسيرتها الكتابية بالشعر والقصة القصيرة إذ :"اتجهت في بداية الأمر إلى الشعر والقصة القصيرة، لكنّ يبدو أنّ الشعر لم يستطع إستيعاب هموم المرأة وتجربتها المريرة والضاربة في العمق مع مسيرة طويلة من التهميش والتجاهل"(سعيدة بن بوزة 2016ص :91)، وتجدربنا هنا الإشارة إلى بعض الأعمال العربية التي تناولت بعض الأعمال النسوية الأولى مثل كتاب بلاغات النساء لابن طيفور، أشعار الجواري للمفجع الشيعي، أشعار النساء لأي عبد الله المرزباني

وغيرها، لتمارس فن الرواية بعدها " وترى الناقدة بثينة شعبان أنّ أول رواية فنية عربية كتبتها إمرأة وهي زينب فواز في لبنان ونشرت عام 1899 بعنوان حسن العواقب أو غادة الزهراء،أما جابر عصفور فعدّ رواية صائبة التي كتبتها أليس بطرس بستاني ونشرت عام 1891أول رواية نسائية"(عبد الرحمن بن محمد الوهابي2008 ص :21) ففي المغرب العربي على سبيل المثال بدأت محاولات المرأة الروائية في الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن العشرين لتصدر أول رواية نسوية مغربية من الغرب سنة 1954:"والملاحظ أنّ البدايات الأولي للرواية النسائية المغاربية لم ترق إلى مستوى جنس الرواية فنيا خاصة تلك النصوص التي كتبت في الخمسينات والستينات والسبعينات من هذا القرن.....فأوّل ظهور للرواية النسائية في المغرب العربي ذات اللسان العربي كان في سنة 1954 تاريخ صدور نص الملكة خناثة لصاحبته آمنة اللّوة من المغرب "(سعيدة بن بوزة 2016ص:89-93) لتتوالى بعدها المحاولات من ليبيا وتونس وتصدر أول رواية جزائرية نسوية مكتوبة باللغة العربية سنة 1993 لأحلام مستغانمي وزهور ونيسي :"فجاءت ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي في عزّ الأزمة الجزائرية سنة 1993 ورواية لونجا والغول لزهور ونيسي في السنة نفسها "(سعيدة بن بوزة 2016ص:92) لتبقى موريطانيا غائبة عن الساحة الأدبية النسوية إلى يومنا هذا، وسنتعرض في الفصل المقبل الذي سنخصصه للإنتاج الأدبي النسوي وبالتحديد للرواية كشكل من أشكال الأدب الذي احتضن القضية النسوية للمزيد من التفاصيل حول نشأة وظهور وبدايات الرواية النسوية في شتى أنحاء البلاد العربية.

-خـــلاصـــة الـــفـــصـــل:

لم تكن الحركة النسوية كغيرها من الحركات التحررية الأخرى التي تطالب بالحرية وتحارب الظلم والإستبداد حركة قائمة على النضال بين شعبين أو بين مجتمعين وثقافتين بل كانت نضالا ضدّ المجتمع الواحد وتمرّدا على الأعراف والتقاليد وفكر الجماعة وهذا ما جعلها تتمتع بنوع من التميّز والخصوصية وتسجّل نفسها في صفحات التاريخ كشكل مختلف عن قضايا التحرر الأخرى، سواء من حيث العنصر المناضل الذي اقتصر وبكثرة على الطرف النسوي فقط أو من حيث المطالب والمبادئ التي تقوم عليها هذه الحركة أو حتى الأساليب التي اعتمدت عليها من أجل الوصول إلى غايتها.

ولقد حاولنا في هذا الفصل الإشارة وبإيجاز إلى بعض أهم النقاط الأساسية المتعلقة بالحركة النسوية بدءا من وضع المرأة وحالتها في بعض المجتمعات قديما وفي الحاضر وماعايشته من قهر وإستبداد الذي اعتبر أحد الأسباب الأساسية الكامنة وراء قيام وظهور الحركة النسوية التي تطوّر مفهومها على مرّ السنوات ونمت تدريجيا في أحضان الناشطات النسويات واتسعت لتشمل وتضمّ العديد من الإتجاهات من شتى المجتمعات والأجناس التي أصبحت تناضل اليوم تحت شعار النسوية.

وبعدها ذكرنا مفهوم هذه الحركة ونشأتها وانتقالها من المجتمع الغربي كفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى المجتمع الشرقي وأهم روادها في العالم الغربي،تطرّقنا إلى الإتجاهات المختلفة التي تبنتها هذه الحركة من نسوية ماركسية ونسوية ليبيرالية ونسوية راديكالية وكيف تأثّر كل اتجاه وتبنى مجموعة من القيم والمبادئ التي جعلها أساس وركيزة نضاله في سبيل الدفاع عن قضية المرأة،ولم نهمل ذكر أهم الأهداف التي تسعى هذه الحركة إلى تحقيقها والتي تناضل من أجلها الناشطات النسويات منذ قيام الحركة.

لنتعرض بعدها إلى الإشكالية التي تطرحها بعض المصطلحات ومحاولة إزالة الغموض والإبهام الذي يعتري البعض منها لتجنب الخلط بينها كالنسوية والجندر والأنثوية التي توحي للقارئ لأول مرة أنها ترمز إلى المعنى ذاته.

وفي الأخير تطرقنا إلى أشكال النضال النسوي في الميدان الأدبي وكيف انعكست القضية النسوية على مجال الأدب ليظهر مايسمى بالأدب النسوي ولقد حاولنا ذكر مفهوم هذا الأدب وأهم الخصائص التي يتميز بها مع تقديم لمحة صغيرة عن هذا النوع الأدبي في البلاد العربية وبالخصوص في المغرب العربي، لنخصّ الفصل القادم بالإنتاج الأدبي النسوي وسنتعرض فيه بالتفصيل إلى الأدب النسوي في كافة البلاد العربية وبالخصوص

النص الروائي الذي وجدت فيه المرأة ساحة للنضال ودواءا للجراح ومنبرا للإفضاء والإفصاح عن مكنوناتها ومعاناتها.

الـــفـصـــل الـــثـــانـــي

الـنـــصّ الـــروائـــي الـنـســوي:

2-0-تـقـديـم الـفـصـل:

لقد كانت حاجة الفرد إلى التعبير والتواصل وحاجته إلى إثبات وجوده وإكتشاف محيطه وقدراته ومواهبه واستثمارها من أهم الأسباب التي ساعدت في قيام وظهور فن الأدب، منتجا بإبداعه وخياله وذوقه وحسّه الفنّي الرهيف أشكالا أدبية مختلفة كانت وليدة ونتيجة لمواقف حياتية معيّنة وتطوّرت على مرّ العصور وفقا لثقافة المجتمعات ومواكبة للتطورات الحاصلة فيها تاركة لقارئ اليوم إرثا أدبيا يزخر بالتنوع ويروي تاريخ وحياة أجيال عابرة واهتماماتها وانشغالاتها ورؤيتها للحياة.

وتعتبر الرواية أحد هذه الألوان الأدبية التي لجأ إليها الإنسان للتعبير عن انشغالاته ولمناقشة وطرح مختلف القضايا الحاصلة في مجتمعه أو قصّا لتجاربه وأحيانا أخرى توظيفا لخياله وغيرها من الأسباب التي ساعدت في ظهور هذا الجنس الأدبي الذي ظهر لأوّل مرة في أوروبا خلال القرن الثامن عشر لينتقل بعدها إلى الوطن العربي" كنوع أدبي جديد في الإبداع الأدبي والثقافي العربيين"(سعيد يقطين 2006 ص :10) وبالرغم من حداثة هذا الشكل الأدبي إلاّ أنّ المرأة العربية لم تبق غائبة عن الساحة الروائية العربية مثلما لم تغب عن الساحة الشعرية من قبل وانضمّت لمسيرة مثيلاتها من النساء الغربيات وجعلت من الرواية إلى جانب كونها فنا وإبداعا، فضاء لطرح اهتماماتها ومطالبها ووسيلة لدفع الظلم وأداة لاسترداد حقوقها وحياتها ومستقبلها وبالفعل فقد كانت لها ولا تزال عونا كبيرا في مسيرتها وقضيتها وفي نضالها في سبيل الحرية والمساواة.

سنتطرق في هذا الفصل إلى مفهوم النص الروائي كجنس أدبي حديث وبداياته وتطوره في الأدب الغربي والأدب العربي لننتقل بعدها إلى علاقة المرأة بالكتابة والصور التي اتخذتها في بعض الروايات العربية، لنتعرض بعد ذلك إلى مفهوم الرواية النسوية وسنهتم بالرواية المغربية والسعودية على وجه الخصوص باعتبار أنّنا اخترنا في عملنا هذا روايتين واحدة من المغرب والأخرى من السعودية مع ذكر أهم خصوصيات وأهداف العمل الروائي النسوي في كلا البلدين والبلاد العربية عموما.

2-1-الــروايــة كـجنس أدبــي حــديــث:

تنطوي كلمة "الأدب" على معاني واسعة تتشعب وتتفرع لترتبط بالعديد من المعارف والفنون التي تمس الفرد، الحياة والمجتمع، مما يأكّد أهميته ومكانته في حياة الأفراد ولا يمكن تقييد الأدب بمجال معيّن ورسم حدود لمهامه ووظائفه كأن نحصرها في التعليم والتوجيه فقط لأنّها بلا شك تتعداها لتصل وتهتم بشتى شئوون الحياة الأخرى، وتأثره بما يحيط به منطقي لأنّه يولد في بيئة معيّنة وينمو ويتغذى بأحوالها ومشاكلها، فالأدب فن لأنّه لا يصدر إلاّ من نفس وعين ترى في الوجود ما لا يراه غيرها، ومن شخص وفكر أدرك من الحياة ما جعله يسمو عن غيره ويرتقي بأفكاره، من شخص تجاوز الركض وراء الماديات وهموم الحياة الأخرى وتحلّى بقيّم أخرى أسمى وأنبل، والأدب إبداع لأنّه يحث الأديب على الخلق والإبتكار والخوض فيما لم يخضه غيره، والأدب ليس مجرد كتابة لأنّ ليس كل ما يكتب أدبا ما لم يخضع لجملة من المقاييس اللغوية والجمالية والفنية، والأدب خالد باق دوما رفيع الشأن عظيم المحتوى، خالد بجوهره الثمين ومضامينه القيّمة التي تضمن له البقاء والأبدية على مر الأزمنة وهو في أثوابه المختلفة وسيلة لجمع البشر على فكر ورأي واحد وعواطف واحدة مهما اختلفت أجناسهم وثقافاتهم وأديانهم،كما أنّ الأدب تربية لأنّه يهذّب النفس وينضج الفكر ويغذي العقل فيغير نظرة الفرد إلى الحياة ورؤيته للأشياء فيجد المرء نفسه مع كل فكرة ومقال أو كتاب أتمّه في طريق غير الذي ألفه ونحو مسار وحياة لم يحلم بهما آنفا، إنّ الأدب بكل بساطة يخلق فينا شخصا آخر يقيم وآراء وأحلام وأهداف مختلفة لا يعرف متعتها الجميع وأضاع من لم يجربها الكثير، هذه بعض المفاهيم التي يمكن أن ننسبها إلى الأدب بحلله وأشكاله المتعددة والتي سنتطرق فيمايلي إلى شكل منها الذي يهمنا في بحثنا هذا ألا وهي الرواية.

لقد أضحت الرواية اليوم أحد أكثر الفنون الأدبية إنتشارا وأكثرها مطالعة بين جمهور القرّاء مما جعلها تتبوأ مكانة متميّزة في الساحة الأدبية الغربية والعربية، ولعلّ هذا التميز والخصوصية الذي انفردت به الرواية عن سائر أشكال الأدب الأخرى، والتي تجعل القارئ يقبل عليها باستمرار بالشغف ذاته والرغبة في العيش والخوض في أغمار أحداثها والسفر عن طريقها لاكتشاف خصوصيات أزمنة مضت، تمضي أو لم تأت بعد،وجمال أمكنة قد لا تدركها أو تغفل عنها العين المجردّة أحيانا،هو قدرتها على إشباع مختلف الحاجات النفسية للقارئ وما تخلق لديه من مشاعر تتأرجح بين الراحة والإستقرار والفرح والشجون، هذه الجرعة من الأحاسيس وهذا المزيج من المشاعر الإنسانية التي تعجّ بها المفردات والمخفية وراء الأسطر وفي ثنايا الفقرات والتي تقص

تجارب النفس الإنسانية بكل آلامها وآمالها وأفراحها زادت من شعبية وشهرة فن الرواية بين القرّاء.

كما أنّ معالجة الرواية لمختلف القضايا الإجتماعية والفنيّة والسياسية والتاريخية جعلها تحظى بجمهور واسع من المهتمين بشتّى العلوم والآداب فأصبحت:"الرواية تقوم بدور الكاهن المعرّف، والمشرف السياسي، وخادمة لأطفال، وصحفي الوقائع اليومية، والرائد، ومعلّم الفلسفة السريّة، وهي تقوم بهذه الأدوار كلها في فن عالمي يهدف إلى أن يحلّ محل الفنون الأدبية جميعا، ويمكن أن يكون في أيامنا شكلا معمما للثقافة"(ر-م البيرس 1982 ص :6) وبهذا نجد أنّ الرواية تضمّ عددا كبيرا من القراء من مختلف المستويات العلمية بأذواق وأعمار وأهداف وطموحات وتوقعات مختلفة.

ولقد تطورت الرواية على مرّ العصور وانتقلت من مجرد كونها حكاية من نسج خيال الكاتب إلى ممارسة فنيّة قصصية ذات مغزى تتشعب فيها الأحداث وتتعقد "فهي كالمنمنمة تنضوي على فن الجزئيات...فمنذ نشأتها- حكاية ما غريبة أو مألوفة- تطورت باستمرار نحو مادة تزداد غنّى شيئا فشيئا، ولكنّها تزداد باطنية أيضا" (ر-م البيرس 1982 ص :6) فلقد حافظت على الأصل على فن القصّ ومادة الخيال وتطورت من حيث توظيف الرموز والغموض التي تهدف بشكل أساسي إلى طرح ومعالجة مختلف المسائل الإنسانية والحياتية، وبهذا تكون الرواية قد اضطلعت بمهام وأدوار أخرى إلى جانب غايتها الفنية لتصبح وسيلة وأداة لطرح ومناقشة شئوون السياسة والدين والمجتمع وغيرها مما يؤرق فكر الأديب ويشغله باعتبارها وسيلته للإتصال مع القارئ والتأُثير عليه فبالإضافة إلى غايتها الفنية والأدبية الأساسية التي وتهدف بالأساس إلى جلب المتعة والترفيه وإثارة خيال القارئ عبر ممارسة فن الحكي، تبنت الرواية أدوارا أخرى وأثارت ودافعت عن قضايا جديدة فأصبحت فضاءا يعبّر فيه الأدباء عن وجهات نظرهم ومواقفهم إزاء ما يحصل في المجتمعات وللتعبير والكشف عن العديد من الحقائق والدفاع عن بعض المسائل الحساسة كقضايا العرق والإستعمار والدين وغيرها.

والرواية: "أكثر الأشكال الأدبية الرئيسية حداثة زمنيا وإنّ نشوئها هو الأكثر قابلية للتأريخ وحدوثها هو الأكثر غربية ونسقها المعياري للسلطة الإجتماعية هو الأكثر بنينة"(شهلا العجيلي 2011 ص :63) مما يعزّز ويأكد على حداثة جنس الرواية وتأخر ظهورها مقارنة بالأشكال الأدبية الأخرى واقتران ظهورها ونشأتها بالعالم الغربي وقدرتها الكبيرة على احتواء مختلف المواضيع متخذة من المجتمع بمنشآته وطبقاته واختلافاته العرقية والثقافية والدينية، ومن النفس الإنسانية بتوجهاتها ومعتقداتها وإسهاماتها مادتها وموضوعها، متيحة للأدب فرصة الإنصهار والإلتحام بغيره من العلوم والفنون ليخرج بنصوص أدبية فنية بأغراض وأهداف متنوعة.

ومن التعاريف التي وضعت للرواية نجد تعريف الفيلسوف الهنغاري جورج لوكاتش الذي يرى الرواية بأنّها: "شكل الفحولة المنضجة في مقابل ما يميّز الملحمة من طفولة معيارية.....والرواية ملحمة زمن لم تعد فيه الكلية الممتدة للحياة معطاة بكيفية مباشرة، زمن صارت فيه محايثة المعنى للحياة مشكلة،مع ذلك، فإنّ هذا الزمن لم يكف عن رؤية الكلية هدفا"(فيصل دراج 1999ص15 -16)، ارتكز تعريف لوكاتش للرواية على مقارنتها بالملحمة وهذا استنادا على آراء وأفكار الفيلسوف الألماني هيقل الذي كان سبّاقا للمقارنة بين هذين الشكلين الأدبيين، فهو يراها شكلا ناضجا ومتطورا من أشكال الملحمة وملحمة في مرحلة متقدمة من النضوج شكلا ومضمونا، وبناء على هذه الفروقات القائمة بين هذين الجنسين الأدبيين توصل لوكاتش إلى هذا المفهوم الذي كوّنه عن الرواية، فبعدما كانت الملحمة تهتم بالغموض وتدفع القارئ إلى تقصي المعنى وتحليل رموزها الشعرية جاءت الرواية بلغة نثرية بسطة مكشوفة المعاني لا تحتاج إلى التحليل لفهمها، واختلاف اللغة الشعرية عن لغة النثر يقتضي بالضرورة إختلافا في الأسلوب وبالتالي سيكون للرواية أسلوب لغوي خاص بها يختلف عن الأسلوب الشعري للملحمة، إضافة إلى إختلاف الأزمنة والأمكنة التي توظّفها كل من الرواية والملحمة حيث تكتفي الملحمة بزمن واحد ثابت زمن الحرب الذي تستمد منه خصوصية مواضيعها، البطولات والإنتصارات العظيمة لشحصيات بطولية خارقة عكس الرواية التي تهتم بتصوير الواقع الإجتماعي لعامة الناس خلال فترة زمنية يحدّد امتدادها حركة الأحداث بشخصيات بسيطة عادية مألوفة وقريبة من القارئ بحقيقتها ووجوديتها، هذه الفروقات وأخرى في الشكل والمضمون وفي الغاية والهدف منهما جعلت لوكاتش يرى الرواية بأنّها شكل أدبي حديث استمد جذوره من الملحمة وتطوّر بما يناسب فكر وثقافة المجتمعات ومتطلبات وتطلعات القراء.

و"الرواية جنس أدبي يتوسط بين المعارف المختلفة التي تحتضن علم الأخلاق وعلم الجمال والميتافيزيقيا وهي شكل ملحمي معاصر يتوسط بين ما ذهب وما هو قائم ومتجدد وهي منظور يواجه القيم الزائفة بالقيم الأصلية التي عرفها زمن النعمة الذي كان"(فيصل دراج 1999 ص 22)، فالرواية إذن لون أدبي إستطاع أن يجمع بين أصالة وجمال الفن والعلوم والمعارف الأخرى ويوحّد بينها، وتجاوزت مهامها الأدبية والفنية وراحت تضمّ إليها وتبحث في قضايا المجتمع الأخرى، فجاءت بنتاج فني إجتماعي يعنى ويتناول مجمل الظواهر التي تخص الفرد على المستوى الشخصي أو الإجتماعي لهذا وجدت الرواية صدى كبير لدى جمهور القراء ولقت رواجا كبيرا مقارنة بأشكال الأدب الأخرى إلى يومنا هذا.

فالرواية إذن في أبسط تعريف لها عبارة عن سرد لمجموعة من الأحداث، حقيقية كانت أم خيالية، تحرّكها مجموعة من الشخصيات التي يختارها الكاتب بما يوافق ويتماشى

والبناء الفني لقصته لغرض وهدف معيّن "والتي تضفي على السرد روحا حيّة وعالما أقرب إلى الحقيقي وفضاء يوحي بالواقعي ويتشابه معه"(رفيعة الطالعي 2005 ص :79)، فالرواية بالتالي أصبحت وسيلة وأداة لمناقشة شتّى القضايا التي تهم الكاتب ومجتمعه بطريقة رمزية وعبر توظيف جملة من المعاني والإيحاءات قصد إيصال رأيه وفكره والتعبير عن موقفه للقارئ، وهذا ما يميّز الرواية هذا اللون الأدبي المنفتح على مختلف العلوم والمعارف قدرته على هضم والإندماج مع سائر التخصصات علمية كانت أم أدبية كالفلسفة والتاريخ وعلم النفس وعلم الإجتماع وغيرها، فتعيد صياغتها بأسلوب لغوي وتضفي عليها الطابع الأدبي فتأتي بحلّة فنية ظاهرها أدبي وباطنها وجوهرها شيئ آخر،فهي إذن توظيف للأدب لدراسة وتحليل علوم الحياة الأخرى.

والرواية :"هي شكل خاص من أشكال القصة والقصة ظاهرة تتجاوز حقل الأدب تجاوزا كبيرا، فهي إحدى المقومات الأساسية لإدراكنا الحقيقة، فنحن من حيث نبدأ أن نفهم الكلام حتى موتنا محاطون بالقصص دون إنقطاع، في الأسرة أولا، ثم في المدرسة، ثم من خلال اللقاءات والمطالعات"(ميشال بوتور 1986 ص :5) فالرواية إذن قصة فيها شيئ من الحقيقة لأنّها تستمد شخصياتها وأحداثها من واقع الحياة، من حياتنا اليومية التي لا تخلو بدورها من شتّى أنواع القصص والمغامرات، التي تأتي فجأة لتكسر دائرة المعتاد في حياتنا بجلبها أشخاصا جدد وتجارب جديدة وأحداثا مفاجئة تضفي لونا من التغيير إيجابيا كان أم سلبيا على حياتنا، فيستوحي الروائي منها ما شاء ويضفي عليها قدرا من الخيال والإثارة بما يتناسب والوظيفة الفنية للرواية والغاية التي ألفت من أجلها أو المشكلة التي تهدف إلى حلّها، وهذا الإرتباط القائم بين الواقع والرواية وهذه العلاقة التي تجمع بينها وبين الحقيقة تجعل منها أكبر من كونها ظاهرة أو حادثة قصصية بل تتجاوزها لتصبح معالجة فنيّة أدبية للواقع في مختلف أشكاله وأزماته ومثلما تسعى الحياة وراء كل تجربة نعيشها وأمام كل عثرة نصادفها أو كل خيبة قد تعيقنا أو سقوط قد نحنو له وننهزم أمامه إلى تعليمنا وإنضاجنا وتقويتنا وتهيئتنا للصمود والمواجهة والتحدي، فالرواية أيضا تعيشنا تجربة الآخر حسياّ وفكريا وقد تكون غريبة عن شخصنا أحيانا لكنّنا نستفيد منها بالرغم من ذلك.

ويعتبر برنار فاليت:"أنّ كل رواية تبنى على قصة متسلسلة زمنيا وعلى حكي(سرد) يخضع لمنطق خاص بالكاتب وكذا بالقارئ الذي يشاركه نفس المرجعية الثقافية"(برنار فاليت 1992 ص :75) وبهذا تصبح القصة الأساس والركيزة التي تقوم عليها الرواية، هي اللّب والجوهر، هي مجمل الأحداث التي تتابع زمنيا وفق منطق يتوافق ودور الشخصيات وحركتها في النص، هي مادة الحكي والسرد الذي عن طريقه يدرك القارئ ويتتبع ويعيش أجواء القصة ، ومن التعاريف التي خصّت بها الرواية أنّها :"نقل لحديث محكي تحت شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول

كاللغة والشخصيات والزمان والمكان والحدث يربط بينها طائفة من التقنيات كالسرد والوصف والحبكة والصراع بحيث تظهر هذه الشخصيات من أجل أن تتصارع طورا وتتحاب طورا آخر لينتهي بها النص إلى نهاية مرسومة بدقة متناهية وعناية شديدة"(عبد الملك مرتاض2005 ص :32) فالرواية إذن مشروع قصصي ذو غايات وأهداف محدّدة يسير وفق خطة مسبقة تضمن السير التراتبي للأفكار التي تغدو أحداثا بفعل الحركية التي تضفيها عليها الشخصيات بأدوارها المختلفة وخيال الكاتب الذي يضفي لونا وطابعا خاصا ينفرد به العمل الروائي معتمدا في هذا كله على جمالية اللغة بأساليبها المختلفة وعلى جملة من التقنيات الفنية كالسرد والوصف والحبكة وغيرها مما يحتاجه الكاتب لتحقيق غايته.

ويرى الدكتور حسين المناصرة أنّ ظهور الرواية ارتبط بالرغبة والحاجة إلى التجديد والتغيير والخروج عن ما اعتاد عليه القارئ من أشكال أدبية تقليدية لم تسع أشكال الحياة المختلفة والمتغيرات التي تحصل فيها: "فقد ظهرت الرواية إلى الوجود عن طريق إنفصالها عن الأشكال التقليدية والوضعيات الخيالية لتمثل الحياة في تنوعها كله، هي ابنة الذاكرة ابنة حياة مبدعها وتجاربه في الحياة لذلك تكون ولادتها ولادة شرعية بوصفها تنتمي إلى تجربة حيّة وتلتقي مع تجارب حيّة أخرى كثيرة فتغدو على هذا خطابا حميما إلى الإنسان فتندمج فيه كما يندمج هو بها"(حسين المناصرة 2008ص :13-31) فأصبحت الرواية بالتالي إنغماسا وتورطا وقراءة للواقع بطريقة فنية ترتكز على الحقائق بقدر ارتكازها على مخيلة مؤلفها في بناء وتحريك أحداثها والعلاقات بين شخصياتها، هي انعكاس للحياة بأوجهها المختلفة وللمشاعر الإنسانية بتقلباتها وتناقضاتها، هي فعل وتجربة حياة بلمسة فنية جمالية وروح إبداعية.

ويعرف لطيف زيتوني الرواية:"بأنّها شكل أدبي مبني إنطلاقا من واقع مبني، أو من واقع يبصره الروائي كمعطى منظم، فالحوادث التاريخية أو الأحداث المتفرقة أو الحالات النفسية أو السيرة الشخصية أو الفئات الإجتماعية أو سواها يمكن أن تشكّل قالبا شبه جاهز للعمل القصصي"(ساندي سالم أبو سيف 2008 ص:21) فالرواية إذن إجتماعية المنشأ تستمد مادتّها ووجودها من الواقع بأحداثه وأفراده، بخلفياتهم الفكرية المختلفة وتوجهاتهم السياسية المتنوعة وخصوصياتهم الإجتماعية المتباينة، الذين يحرّكون ويخلقون ويحقّقون هذه الحوادث فتغدو بالتالي ظاهرة تصويرية سردية لمجموعة من الوقائع يختارها الكاتب بما يتناسب والأغراض والغايات التي يرمي إلى تحقيقها.

ولا عجب أنّ قارئ اليوم لا يزال يطالع روايات قرون مضت رغم تناولها مسائل بعيدة عن واقعه الذي يعيشه، ورغم اختلافها عن محيطه الفكري والثقافي والإجتماعي الحالي إلاّ أنّه يجد فيها لذّة ومتعة تعزى إلى مهارة مؤلفيها وبراعتهم الذين تمكّنوا من تأليف

روايات خالدة يتوارثها جيل بعد جيل، ويمكن أيضا لطرح هذه الروايا قضايا تتعلق بشخص الفرد لا محيطه كالخير والشر والحب والحرب وغيرها من القيّم والظواهر الإنسانية الثابتة التي توجد في كل زمان ومكان ولا تتأثر بهما.

2-2-التطور التاريخي لجنس الرواية:

لم تكن الرواية عند أوّل ظهور لها في أوروبا خلال القرن الرابع عشر بالشكل الذي نعهده حاليا لا شكلا ولا مضمونا فقد كانت عبارة عن نثر لما سبق وكتب على شكل أناشيد وملاحم وأساطير بأحداث طويلة غير منطقية غالبا كانت هي سرّ شدّ إنتباه وإنجذاب القراء إليها: "فهي ترجمة نثرية واستمرار لسلسلة المغامرات المنظومة ذات الأسلوب الملحمي: أناشيد الأمجاد والمغامرات العسكرية....أوقصائد الإناء المقدس (القرن الثالث عشر) والأساطير الوطنية"(ر-م البيرس 1982 ص 17) فهكذا كانت الرواية في بداياتها أو إن صحّ التعبير الرواية الباروكية كما كان يطلق عليها، وقد ظلّت فترة من الزمن إلى أن أجرى عليها بعض الأدباء نوعا من التغييرات والتجديدات في العصور الموالية،ورغم ما كان يميّز هذه الرواية من خيال مفرط وعدم إنسجام وتوافق بين الأحداث وإطالة فيها وانعدام التسلسل الزمني المنطقي لها، إضافة إلى غرابة الشخصيات وأدوارها وظهورها واختفاءها المفاجئ في سير الحداث إلاّ أنّها ظلّت المفضلة لدى جمهور القراء واستطاعت أن تحافظ على مكانتها الأدبية عقودا من الزمن، وقد يعود اهتمام القراء الكبير بها إلى حداثتها حينها باعتبارها لونا أدبيا جديدا يختلف بكثير عن الأشكال الأدبية الأخرى التي اعتادوا عليها ولإيجادهم فيها متعة وإُثارة تزداد بتطور أحداثها وفي شخصياتها البعض من شخصهم أو ما يرغبون ويتطلعون إليه:" فالرواية الباروكية تشير إلى الدرجة صفر ونقطة إنطلاق الرواية، إنّها الرواية بلا صفات، حكاية متخيلة حتى التقزز، مغرية وخيالية حتى التخمة:المخيلة الحرة كانت حرة في أن تعطي القراء العبث الذي يحبون دون أي هدف آخر، كانت الأفيون الروائي، السلعة التي لم يكن يقيّمها نقاد ذلك العصر كثيرا، ومع ذلك فقد كانت رائجة في العالم"(ر-م البيرس 1982ص:19)ويواصل ألبيرس تأريخه لتطور الرواية في الغرب منذ نشأتها إلى غاية القرن العشرين ويرتّبها على النحو التالي:"الرواية الباروكية، روايات الفروسية، الرواية الباطنية، الرواية العاطفية، الرواية المتسلسلة، الرواية الواقعية، الرواية التاريخية، رواية المغامرات، الرواية الطبيعية، الرواية السيكولوجية، الرواية الإجتماعية، الرواية الشمولية، الرواية البوليسية، الرواية الرمزية، الرواية الساخرة، الرواية النسائية ثم الرواية الجديدة" مستشهدا في ذلك بأعمال روائية تنتمي إلى كل صنف من الأصناف المذكورة سابقا، وقد نجد من النقاد والمفكرين من لا يتفق مع ألبيرس على هذا التصنيف وقد اختلفوا عموما في هذه المسألة طبقا للمعايير والمقاييس المنتهجة بهذا الشأن فمنهم صنّفها على أساس المذهب ومنهم من صنفها على أساس الموضوع الذي تعالجه أو

الطابع والغرض الذي يطغى على العمل الروائي، ومنهم من جمع بين هذه الخاصيات معا فنجد لوكاتش على سبيل المثال قد ميّز بين ثلاثة أنواع من الروايات وهذا منذ ظهور هذا الجنس الأدبي في الغرب:"وهي رواية المثالية المجردة، الرواية الرومانسية والرواية التربوية"(جورج لوكاتش1988 ص :55) بينما يصنّف مجموعة من النقاد الأنواع الروائية الكبرى من خلال استقراء تاريخي لتطور الرواية الأوربية على النحو التالي: البيكارسيك(رواية المغامرات)، الرواية التكوينية التربوية، الرواية التاريخية، ورواية الرعب"(ساندي سالم أبو سيف 2008ص :25) ويبقى لكل مفكّر وناقد رأيه الخاص في هذا الموضوع وحجّجه التي يدعم بها صحة تصنيفه الذي لا يعدّ بالسهولة التي يتراءى بها، ولقد أبدى جمهور القراء في أوروبا إعجابا كبيرا بالرواية الواقعية لتقاسمها مع القارئ تجارب أُقرب ما تكون إلى الحقيقة ومناقشتها لجلّ القضايا التي تشغل الفرد على المستوى الشخصي أو في علاقاته مع محيطه فكان لا بدّ على الأدباء أن ينشقوا عن ذلك المسار الأدبي العتيق الكتاب ورفض تلك الكتابات الخرافية المطنّبة التي لا بدّ أن يمل القارئ وينهك لإنهاءها ورأوا ضرورة في التجديد وبعث روح وحياة في هذه الكتابات وتقريبها أكثر من القارئ بأحداث أكثر منطقية وشخصيات أقرب من واقع القارئ وأصبحت الرواية بمرور السنوات تتناول مسائل وقضايا واقعية أكثر وشخصيات بطولية حقيقية من مختلف طبقات المجتمع، ففي القرن الثامن عشر انتقلت الرواية من كونها قصّا لأحداث وشخصيات من نسج خيال الكاتب (لكنها تنتمي لمحيطه وواقعه)إلى سرد لتجارب وحكايا حقيقة عاشها الأديب أو أشخاص آخرون غيره فأصبحت المذكرات الشخصية وأدب الرحلات شكلا من أشكال الرواية خلال هذا العصر، وقد حظيت بإعجاب كبير وشهرة واسعة لتقاسمها مع القارئ تجارب شخصية حقيقة ولتعريفه بحضارات وبلدان وعادات كان يجهلها،وقد ظلّ هذا الإهتمام والتركيز على الواقع أحد الأهداف الرئيسية للعمل الروائي وراح يتطور ويتعمق في قضايا وشئون الحياة الأخرى شيئا فشيئا حتى صار الإبداع الأدبي خلال القرن التاسع عشر يهتم بشتى المسائل والمشاكل الإجتماعية والسياسية وكل ما يشغل الفرد شخصيا أو بعلاقاته مع محيطه:"وهكذا فالرواية لم تشأ حتى القرن التاسع عشر إلاّ أن تكتسب إمكانات جديدة راحت تبهظها شيئا بعد شيئ :الأماكن والإطار والمجتمع والعادات والعقدة والطبائع والصدى الإجتماعي والدلالة الروحية"(ر- م البيرس 1982 ص :23).

لقد شهدت الرواية إذن أشكالا وأنواعا مختلفة بمرور السنوات ولم تفتئ تتغير وتتطور بما يرضي تطلعات القارئ وتماشيا مع متطلبات العصر وقد ركّزت في كل تطور لها على جانب معيّن حتى اتّسمت به وطبعت به وسميّت عليه، فنجد الرواية السيكولوجية على سبيل المثال في القرن السابع عشر التي اهتمت بدراسة وتوظيف وتحليل المشاعر الإنسانية سواء على المستوى الفردي أو في علاقاتها مع الآخرين فيجد القارئ نفسه في

هذا النوع من الرواية أمام شخصيات معقّدة أو بالأحرى غامضة فيحاول مع كل حدث جديد أن يكتشف حقيقة مشاعرها وعلاقاتها بالشخصيات الأخرى، فهي حقيقة تساعد الفرد وتعرّفه على طبيعة النفس الإنسانية وسلوكياتها المتقلّبة التي تتأثر في كثير من الأحيان بالمحيط البيئي والإجتماعي الذي تعيش فيه والتي تأثّر بدورها على علاقاته وتعامله مع الأفراد،كما أنّها تهيئه لمصادفة مختلف الشخصيات الموجودة في المجتمع وفهمها وكيفية بناء علاقات معها وتذكّره بخصوصية المشاعر الإنسانية التي لا تظلّ مستقرة والتي يمكنها أن تتغير في أي لحظة لأتفه سبب كان نظرا لحساسيتها وسرعة تأثرها وأحيانا لتجاوزها قدرة الفرد على التحكم بها، وفي النهاية هذه نفس وليست بأشياء مجردّة يمكن إخضاعها للفحص والتحليل والتوصل إلى نتائج دقيقة مفصّلة بخصوصها وتعميم ما توصل إليه من نتائج على جميع الحالات التي تحمل أعراضا متشابهة،فأحيانا وبكل بساطة قد نندهش بأشياء لم نكن نتوقعها من أشخاص نخال أنّنا نعرفهم أتمّ المعرفة، لهذا نرى أنّه توجد حالات وشخصيات قد يتعذّر على المرء فهمها وإستيعاب أفعالها حتى ولو قضيت معها حينا من الزمن لا سيما المتحفظة منها والتي تترك مسافة في علاقاتها مع الأفراد، وكما ذكرنا آنفا عندما يأتي الأمر إلى المشاعر والأحاسيس أحيانا قد تفوق قدرة المرء على التحكم بها وتتغلب عليه فلا يقدر على توجيهها بما يمليه عليه عقله والمنطق ففي كل شخص يوجد شخص آخر لا نعرفه بما فيه نحن.

ثم لتنتقل إلى الرواية الواقعية خلال القرن التاسع عشر فبعدما لاقاه نشر أدب الرحلات والمذكرات الشخصية من نجاح وإعجاب من قبل القراء،كان لابدّ للرواية أن تقدم للقارئ المزيد من الحكايا القابلة للتصديق وأن تغوص أعمق في قضايا الحياة وواقع الأفراد فتقدّم لهم ماعوّدتهم عليه من قصص حقيقية أو يمكن تحقيقها، قريبة منهم بأحداثها وشخصياتها ومواضيعها، فأصبحت الرواية تناقش وتطرح مختلف المسائل والمشاكل السائدة في المجتمع من شتّى النواحي، وتتناول كل يمكن أن يهم القارئ أو يفيده من تطورات وأحداث وقضايا إنسانية:"ففي عام 1800لم يكن يطلب الناس منها إلاّ أن تسلّيهم وتؤثر فيهم،أما الآن فيراجعونها فيما يتعلق بمشاكل الفقر أو الطلاق....فالرواية الواقعية فرضت نفسها اعتبار من 1890بفنها القائم على السرد والإعلام والإفادة والتأثير "(ر-م البيرس 1982 ص 86 -87).

لقد كانت إذن ولا تزال بكل بساطة تستمد مادتها ومواضيعها من حياة الأفراد من واقعهم وانشغالاتهم وهذا ما حقّق لها النجاح والشعبية وقرّبها من نفوس القراء، وفضلا عن التصوير والإعلام ومناقشتها لكل ما يهم القارئ ويخصّه أصبحت أداة للتأثير على آراءه وإقناعه ووسيلة للتغيير والتعبير والدفاع عن العديد من القضايا نظرا للمركز والمكانة التي تبوّأتها على مرّ العصور، ولقدرتها الكبيرة أيضا على التأثير ولاعتبارها من أكثر الوسائل إنتشارا بين الأفراد مهما تباعدت بهم المسافات وفرّقت بينهم الأزمان ولتوجّهها

لمختلف فئات الجماهير مهما تفاوتت أعمارهم وقدراتهم الفكرية ومناصبهم الإجتماعية وأجناسهم وثقافاتهم.

وقد ظلّت الرواية تهتم بالواقع وقضاياه رغم تأثرها بالبعض من النظريات والمدارس فجمعت بين الواقعية واتجاهات لتظهر أنواع أخرى من الرواية كالرواية الواقعية السيكولوجية وواقعية تاريخية أو واقعية إجتماعية وغيرها، لكن هذا التطور الذي عرفه فن الرواية منذ ظهوره لم يمنعها أن تمارس مهمتها الأساسية المتمثلة في السرد والترفيه والخروج في الوقت ذاته إلى أهداف أخرى يستشفها القارئ من أحداثها وطبيعة شخصياتها:"فالرواية بالإضافة إلى تعدد إتجاهاتها الراهنة تظل مقسومة بين تعريفها الأصلي وما حملت إياه خارج اتجاهها خلال العصور، إنّ كل رواية راهنة من أقلّها إدعاء إلى أكثرها مطالعة تظل صراعا بين أبسط متطلبات الرواية أن تكون سردا والنوايا التي تهدف إلى إغنائها بل بلبلتها وتغيير الحكاية البسيطة كما كانت في الأصل تغييرا كاملا"(ر-م البيرس 1982 ص :451-452).

أما في الشرق وتحديدا في العصور التي سبقت الإسلام فقد كان الشعر أعظم ملكة قد يمتاز بها الفرد عن غيره، ومظهرا من مظاهر حياة العرب آنذاك وفنا تتفاخر به قبائل العرب وتتنافس به فيما بينها، ورغم بساطة الحياة حينها التي كانت غالبا تنحصر ولا تخرج عن حدود القبيلة ولا تتجاوزها إلاّ في السفر والترحال أو للصيد أوالتجارة، وُلد هذا الفن اللغوي الذي يعكس لقارئه في كل صورة له الروح الفنية للشاعر العربي وقدراته الإبداعية الخلاّقة التي مكنّته من رؤية وتصوير ما يحيط به من خيام ورمال وجياد ونبات بأسلوب وطريقة تعجز عين الفرد عن رؤيتها وفهمها واستيعابها.

وقد ظلّ الشعر عند العرب علمهم الأوّل وديوانهم الأوحد وحافظ على مكانته رغم ما طرأ على حياتهم من تغييرات وتطورات بمجيئ الإسلام ورغم اختلاطهم بالعديد من الأجناس والثقافات وتأثرهم بها في شتّى مجالات الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية واستمدادهم منها من العلوم والمعارف ما ينتفعون به، إلاّ أنّهم لم يريدوا الخوض كثيرا في الأدب ورفضوا المساس بالشعر والخروج إلى أشكال أدبية أخرى لأنّه كان يعتبر ويعبّر عن الهوية الثقافية العربية الأصيلة التي لابدّ من حمايتها والحفاظ عليها من الأشكال الدخيلة التي قد تكون السبب في ضياعها وزوالها.

لكن كما يقول توفيق الحكيم:"أنّ هنالك فرقا بين الشخص والرداء ومن الطبيعي للأدب أن يرتدي ثياب عصره ويخرج في زيّ زمانه"(توفيق الحكيم 1972 ص :29) لذلك كان لابدّ للأدب العربي أن يتأثر بأدب الأجناس الأخرى وأن يمارس إلى جانب الشعر أشكالا أدبية أخرى تناسب وتتوافق مع حياة الأفراد وتستجيب لرغباتهم وتطلعاتهم، وكان فن النثر حاجتهم آنذاك نوعا من التجديد يتماشى مع طراز الحياة الحديثة ويتطرق لبعض المسائل

التي تعنيهم بلمسة فنية وفي قالب سردي قد يخرج إلى أغراض متعددة:كالهجاء أو السخرية أو الذّم والإنتقاد وغيرها من الأغراض التي اعتاد عليها القارئ العربي فيما مضى في أشعاره.

وقد كان للجاحظ الفضل في تعريف العرب بفن النثر، فقد كان أوّل من مارسه وشرع في تصوير ما يدور حوله من ظواهر ومشاكل إنسانية بأسلوب لغوي بسيط ومفردات سهلة جلبت به الكثير من الإنتقادات وشككت في قدراته الأدبية واللغوية:"فهذا الكاتب شعر بالخطأ فسلك مسلكا آخر، ونزل إلى الشعب يستوحيه ويصور أسواقه وبخلاءه ولصوصه وتجاره وشرفاءه وخبثاءه في أسلوب بسيط حيّ يعدّ مثلا طيّبا للنثر التصويري في عصور الحضارة العربية، وهو بعينه الأسلوب الذي أثار على الجاحظ المسكين نقد المتنطعين من أدباء عصره فرموه بالعامية والركاكة والإبتذال "(توفيق الحكيم 1972ص :26)رغم أنّه لم ينسب الفضل إليه في ظهور هذا الفن الأدبي حيث يذكر في كتاباته مقولة لعبد الصمد الرقاشي يقول فيها :"ما تكلمت به العرب من جيّد المنثور، أكثر مما تكلمت به من جيّد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره"(عبد الملك مرتاض 2005 ص :23) ما يدلّ على إمكانية وجود ممارسات نثرية سبقت هذه الفترة لكنها لم تحفظ وضاعت، وظهر فن المقامة أواخر القرن الرابع هجري على يد أحمد بن الحسين (بديع الزمان) وكانت العرب قد عرفت قبلها الحكايات الشعبية وقصص الحيوان بفضل الترجمة ومن أشكال النثر العربي القديم رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، التوابع والزوابع للأندلسي بن شهيد، حي بن يقظان لابن طفيل، قصة الأميرة ذات الهمة .....وغيرها ، لكن سرعانما بدأ الجمهور يألف هذا الشكل الأدبي الحديث ويعجب به وبأشكاله المختلفة ويقبل عليها بلهفة لاسيما لاحتواءها من الطرافة والترفيه ما لم يجده سابقا في الشعر وأيضا لخروجه عن المألوف ومناقشته لمسائل وقضايا تهم وتخصّ القارئ عن قرب وذات صلة بحياته وانشغالاته، وزاد إنفتاح الشرق على الغرب بفعل الترجمة والحركات الإستعمارية للبلدان العربية في العصور اللاحقة ورحلات التعليم من إنتشار وذيوع فن النثر في البلاد العربية وتعرفها على أحدث أشكاله الرواية التي لاقت رواجا كبيرا وشهرة واسعة ولا تزال إلى يومنا هذا تحظى بمكانة مرموقة في الساحة الأدبية العربية وتعدّ الترجمة التي قام بها رفاعة الطهطاوي للعمل الروائي Les (Aventures de Telemaque) لفنيلون (Fenelon) تحت عنوان وقائع تليماك أول إحتكاك للقارئ العربي بهذا الجنس الأدبي الحديث،ليؤرخ بعدها لميلاد عهد جديد في تاريخ الأدب العربي ألا هو زمن الرواية العربية:"وكان كتاب حديث عيسى بن هشام لمحمد المويحلي أول عمل إبداعي طوّع شكلا تراثيا يتمثل في المقامة فاقترب من النمط السردي الأوروبي(Les Aventures de Telemaque)وتعريب رفاعة الطهطاوي، ولئن حاول حافظ ابراهيم سنة 1906أن يستمر في نفس الدرب المتمثل في تطويع النمط

السردي نفسه وتقريبه من الرواية فإنّ محاولته من خلال كتابه "ليالي سطيح" لم تكن حسب النقاد إلا محاكاة عاقها النجاح وأقرب إلى المقامة منه إلى الرواية إضافة إلى رواية وادي الهموم 1905 لمحمد لطفي جمعة وعذراء دنشواي 1906لمحمود طاهر حقي والقصاص حياة 1905 لعبد الحميد خضر البرقراطي ثم صدرت رواية زينب 1914 التي رآها النقاد حجر الزاوية فيما سمي بالرواية الفنية"(محمد الباردي 2002 ص :16) بينما" يشير صبري حافظ أنّ أول رواية مصرية صدرت سنة 1867 ويذهب جابر عصفور إلى أنّ رواية غابة الحق هي أول رواية عربية نشرت في حلب للكاتب فرانسيس مراش عام 1865 "(عبد الرحمن بن محمد الوهابي 2008ص:21) ويشير عبد المحسن طه بدر أن ترجمة رفاعة لوقائع تليماك إلى جانب كونها مبادرة لتعريف القارئ العربي بهذا اللون الأدبي الحديث فإنها كانت ذات غاية إصلاحية لما تحويه من توصيات وإشادات رآها مناسبة للنهوض بالمجتمع المصري وإخراجه من ظلمات التخلف التي حجبت عنه نور الحضارة التي سطعت في الغرب لدهور فأكثر ما أراد بها كان الوعظ والإرشاد:"تعد وقائع تليماك أول مظهر من مظاهر النشاط الروائي في مصر في القرن التاسع عشر وعن سبب ترجمتها لما اشتملت عليه من المعاني الحسنة مما هو نصائح للحكام والملوك ومواعظ لتحسين سلوك عامة الناس تارة بالتصريح وطورا بالتلميح... "(محسن طه بدر1963ص:59،57).

وترى الباحثة يمنى العيد أنّ الرواية الغربية كانت عاملا مؤثرا في ظهور الرواية العربية لكن المساعي والجهود والمبادرات التي قام بها الأدباء العرب لم تكن قصد خلق نص روائي مطابق للنص الغربي بل إجتهادا لإنشاء نص له طابعه وخصوصياته الثقافية العربية: "فلا أعتقد أنّ ما أنتج من أعمال روائية عربية كان مجرد تقليد خال من أي نشاط فكري فني وكما يقول عبد الرحمن منيف على تجربته الروائية إنّ مسعاه الروائي الإبداعي هو أن تكون لنا ملامحنا ونكهتنا الخاصة "(يمنى العيد 1998ص :47) فكانت الترجمة بذلك عاملا من عوامل نشأة الرواية العربية وكان لها الفضل الكبير في تعريف القارئ العربي بهذا الشكل الأدبي النثري الحديث يقول طه بدر في هذا الشأن: "وأما أهل النهضة فقد أكثروا من نقل الكتب عن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وهي تسمى في إصطلاح هذا الزمان روايات ....وقد رحّب قراء العرب العقلاء بهذه الروايات لأنها تقوم مقام القصص التي كانت شائعة بين العامة لذلك العهد مما ألفه العرب في الأجيال الإسلامية الوسطى نعني قصة علي الزيبق وسيف بن ذي يزن والملك الظاهرفضلا عن القصص القديمة كعنترة وألف ليلة فوجدوا الروايات المنقولة عن الإفرنجية أقرب إلى المعقول مما يلائم روح هذا العصر فأُقبلوا عليها" (محسن طه بدر 1963 ص :117) .

وسرعانما بدأ النقاد والمفكرون العرب يتهافتون ويقبلون على هذا الجنس الأدبي الجديد ويولونه من العناية والإهتمام ما يعينهم على تدارك تأخر قدره قرنين من الزمن محاولين

بذلك اللحاق ومواكبة التطورات والنظريات الحديثة التي تعنى بهذا اللون الأدبي في الغرب فقامت مجموعة من المجلات العربية مثل:"المقتطف(1876)، الهلال(1892)، البيان(1897)، الضياء(1898) والمنار(1898) "(ساندي سالم أبو سيف2008 ص :27) بنشر مقالات القصد منها التعريف بهذا الشكل الأدبي وببعض الأعمال الروائية والتعرض لها بالنقد والتحليل في خطوة تثقيفية للقارئ العربي، وغالبا ما كانت تشهد الساحة الثقافية العربية تعارضا في الرؤى والمواقف لإختلاف وتباين المذاهب والمدارس التي يتبناها المفكرون في أبحاثهم كون تلك النظريات التي تعنى بالرواية غربية المنشأ غريبة على عبقرية اللغة العربية لا تناسبها، إضافة إلى كون الرواية في الغرب نمت وتطورت بتأنّ فكان لكل مرحلة نظرية خاصة بها لذا فكان من الصعب تجريب وتطبيق مختلف تلك النظريات على جنس روائي حديث العهد والمنشأ كالرواية العربية.

وغالبا ما كان يستعمل مصطلح الرواية عند بعض الأدباء العرب للدلالة على شكل فني آخر غير الرواية التي نعهدها بمفهومها الحديث: "فقد كان الأدباء العرب إلى سنة ثلاثين تسعمائة وألف يصطنعون مصطلح الرواية لجنس المسرحية كما يلاحظ ذلك في كتابات عبد العزيز البشري الذي نجده يقول وأخيرا تقدّم أحمد شوقي فنظم روايتين كليوباترا وعنترة.....وكان الشيخ إذا أراد مفهوم القصة قال مثلا:رواية قصصية"(عبد الملك مرتاض 2005 ص :30) كما كان يشار إليها بمصطلح القصة:"وقد أشار فرح أنطون في مرحلة مبكرة إلى أنّ المصطلح الأنسب لهذا النوع هو قصة وليس رواية لأنّ الروايات هي الأحاديث المنقولة بالتواتر من فلان عن فلان فيلزم هناك أن يكون راو ومروي عنه وحديث مروي ويقول محمد تيمور أما القصص الفني الذي يستوحي موضوعه من البيئة القومية أو من الحياة العامة فقد تخلّقت صورته أوّل ما تحلقت في قصة زينب لهيكل"(ساندي سالم أبو سيف 2008 ص :27-28)،كما لم يفصل محمد حسن هيكل بين مصطلحي رواية وقصة في وصفه لعمله الأدبي زينب فكان يصفها تارة بالقصة وتارة أخرى بالرواية:"كأنّ المؤلف تحاشى بوعي وبغير وعي أن يضع مؤلفه ضمن قيد جنس أدبي ليس لقواعده الروائية بعد حضور صريح في نتاج الثقافة العربية"(يمنى العيد 1998ص :63).

ولم يكن ظهور الرواية في الشرق في بدايات القرن التاسع عشر بالسهولة التي صاحبت نشأتها في الغرب، فقد كانت تفرض بعض القيود على الأقلام الأدبية في البداية وهذا نظرا لطبيعة المجتمعات العربية آنذاك وسياساتها الفكرية التي كانت لا ترى ضرورة في دراسة بعض الآداب ولا تسمح بها ما لم يكن لها علاقة ولا تخدم السياسة والنشاط الفكري السائد والمسيطر حينها، لهذا نشأت الرواية في ظلّ مجموعة من القيود ووسط مناخ سياسي وفكري محكم تحت مجموعة من القواعد والأحكام التي كانت تحول دون تحررها وتطورها لتبلغ أو تصل إلى ما وصلت إليه نظيرتها في الغرب من تطور

وتحرر فكري فني وأدبي، لهذا فإنّ المحاولات الأدبية التي كتبت في تلك الفترة لا يمكن تسميتها أو إطلاق عليها صفة الرواية لأنّها أكثر ما كانت عليه عبارة عن كتابات نثرية أشبه ما تكون إلى الرواية لكنها في الحقيقة ترمي إلى تحرير الفكر العربي وتطويره وتدعوه إلى التخلي عن الفكر التعصبي خصوصا عندما يتعلق الأمر بالعلم والمعرفة وبالتالي الدفاع عن الرواية وتحريرها مما قيّدت به ومحاولة إيجاد سبل لترسيخها واستمرارها وتطويرها في وسط فكري حرّ منفتح يرى الأمور من منظور العقل والمنطق لا بعين السياسة والسلطة والتعصب أمثال كتابات فرح أنطون، فرنسيس فتح الله مراشّ، أحمد فارس الشدياق وغيرهم حيث كانت الرواية:"ليست برواية بل هي غلاف لكتابة أخرى تتعامل مع المسألة الإجتماعية، التي تجعل الرواية ممكنة وقابلة للإستمرار"(فيصل دراج 1999 ص:153)، ولعلّ جنوح البدايات الأولى أو المحاولات الروائية العربية الأولى إلى الطابع التعليمي ما كانت إلاّ إقتداءا وتأثرا بترجمة رفاعة (أول نص روائي احتك به القارئ العربي) لدعوته الإصلاحية نظرا للظروف المتدهورة التي كان يعرفها المجتمع العربي آنذاك والتي تضع على عاتق الأديب مسئولية الإرشاد والإصلاح:"أما التيار التعليمي الخالص فيمكن اعتباره أقدم الفنون التي حاولت أن تتخذ شكلا روائيا في أدبنا العربي الحديث وترد أسباب ظهوره المبكر إلى إحساس رواده الأوائل به فهؤلاء الرواد لم يدخل في اعتبارهم أنهم يقدمون إلى قرائهم رواية وإنما كان هدفهم تعليم هؤلاء القراء وتثقيفهم وكان هدفهم هذا يتفق وظروف مجتمعهم في هذه الفترة"(عبد المحسن طه بدر1963 ص :51).

فالرواية العربية إذن نشأت في بيئة مختلفة ثقافيا وسياسيا وقاومت كثيرا للتطور وتتحرّر وسط جمل من الخلافات والتناقضات التي ترتكز على العلم، الحرية والدين:"فقد ولدت الرواية العربية داخل المستوى السياسي (صراع الحريات والإستبداد ومرتبية المعارف) لأنّ المستوى الثقافي-الأدبي الموافق لها كان غائبا بقدر ما كانت غائبة الأسباب التي تسمح بوجوده، بين هذين الحدين ولدت رواية التنوير كرواية قيمية أخلاقية، رواية فكرانية، إن صح القول تفتش عن زمن غائب بوسائل تتوزع على الحضور والغياب أيضا"(المرجع السابق ص :153) إلاّ أنّها استطاعت لاحقا أن تتخلص من هذا الطابع الذي وسمت به في البداية وتحررت من الإرشاد والتوجيه والدعوة إلى حرية الفكر والمفكرين وفصل السياسة عن الفكر، وأصبح باءمكان الروائي العربي أن يمارسه فنّه بحرية ويفكر ويكتب بما يمليه عليه حسّه الفني ويخوض فيما طاب له من مواضيع ويتجاوز دائرة الطابوهات والمحرمات التي فرضت عليه في السابق، ولتحقيق هذا كان لا بدّ له من خلق المحيط الفكري والإجتماعي المناسب لميلاد جنس الرواية العربية عبر تهيئة جملة العوامل الإجتماعية والثقافية التي تسمح له بممارسة فن الرواية في وسط متحررّ منفتح يؤمن بالتجديد ولا يهاب التغيير.

وقد أسهم ظهور الرواية في البلاد العربية في إغناء وإثراء ثقافتنا وأدبنا العربي حيث كانت الممارسات اللغوية سابقا سواء على المستوى المعجمي أو الدلالي أو التركيبي تتعامل بكثرة مع النص الشعري الذي يفرض بدوره جملة من الشروط والأحكام تقيّد حرية المبدع مقارنة بالرواية إضافة إلى التعددية والتنوع والشمولية التي تميّز الرواية لغة ومضمونا مقابل النص الشعري الذي وبحكم قصره يكون غالبا أحادي الإتجاه والرؤية فكان للرواية الفضل في :"الإنتقال الثقافي للنقد العربي من أحادية الرؤية والأداة في القصيدة إلى تعددية اللغة و الرؤى والجماليات في الرواية المنفتحة على كل ما حولها إلى حد وصفها بالنص الغول أو الهجين أو اللعبي أو جامع النص أو المغامرة وما إلى ذلك"(حسين المناصرة 2008 ص :14) وقد لقي حظورها استحسانا كبيرا لدى جمهور القراء وراحت تتسلق سلم الأولويات الأدبية وتوجّت ببلوغها القمة بلقب :"أم الفنون الأدبية أو ديوان العرب في القرن الواحد والعشرين كما كانت ديوانهم في القرن العشرين كما اتضح في كثير من مقولات التنظير النقدي"(حسين المناصرة 2008 ص:52) وحلّت مكان الشعر الذي كان فيما مضى ديوان العرب الأوحد.

ويرى وادي طه أنّ قلة الإنتاج الروائي في البلاد العربية أو بالأحرى قلة إقبال الأدباء على هذا الجنس الأدبي في البداية راجع إلى خشيتهم من ردة الفعل التي سيبديها القراء من أعمالهم وعلى مكانتهم في الساحة الأدبية بارتباط أسمائهم بهذا اللون الفني الذي لم يكتسب من القيمة بعد ما يجعل كبار الأسماء الأدبية تخاطر بمسيرتها من أجلها فكأنّ خوض الأديب في هذا المجال يحطّ من قدره وشأنه "لأنّه كان ينظر إليها كفن شعبي للمتعة والتسلية أكثر من كونها فنا رصينا يمكن أن يتناوله أديب يحظى باحترام الأدباء والقراء وهذا ماجعل هيكل ينشر زينب في طبعتها الأولى بقلم فلاح مصري خشية أن تجني صفة الروائي على عمله في المحاماة والفكر والسياسة والعقاد ظلّ حتى أواخر أيامه لا يعترف بشرعية الرواية ولا ينظر إليها كفن محترم"(طه وادي 1994ص :65).

والمتتبع للتطور التاريخي لجنس الرواية سيجد أنّها تبنت منهجين وطريقتين في سردها وعرضها للأحداث حيث تميل البدايات والأعمال الروائية الأولى إنتهاج منهج السرد التقليدي الذي يقوم على بعض التقنيات كالسرد المفصّل والمتسلسل للأحداث والميل إلى تفسير وتوضيح وتعليل العلاقات القائمة داخل النص وكيفية الربط بينها وهيمنة صوت السارد وحضوره طيلة زمن السرد إضافة إلى الإعتماد كثيرا على لغة الوصف في تصوير الأشياء والشخصيات ونقل الأحداث والوقائع فظهر بالتالي ما يسمى بالرواية التقليدية بنسقها السردي التقليدي:"الذي يقدم الحكاية والأحداث بما فيها الشخصيات وعلاقاتها بشكل منظم ومرتب وهو نسق يقوم على مبدأ السبب والنتيجة أو العلة والتأثير ويقدّم حكايته على أساس التتابع الزمني المنطقي ....وينقل هذا النسق هذا كله بلغة تعتمد على الوصف والنقل الدقيق والتوضيح والمباشرة وهو نسق يتداخل فيه مفهوما الراوي أو

السارد والمؤلف الذي لا يجيد التخفي وراء إحدى الشخصيات أو خلف السارد"(رفيعة الطالعي 2005ص :25) مقابل ما يسمى بالرواية الحديثة والتي تخلصت من بعض تقنيات النسق التقليدي التي رأت ضرورة في تحديثها واستبدالها بأخرى أنسب للعمل الروائي كتوظيف تقنية الإسترجاع التي تقتضي التلاعب والتداخل بين الأزمنة وتوجيه مسار الأحداث بطريقة زمنية عكسية حيث تصبح نهاية الأحداث نقطة بداية الحكي ويتواصل السرد عبر الإنتقال بين الزمنين وفق منطق خاص يحرك الأحداث وينسق بينها،وغلبة حركة الشخصيات على صوت السارد الذي كان يقوم بدور الموجّه فيما مضى وإختلاف في تصوير الشخصيات الذي كان يقتصر فقط على الظاهر والخارج في الرواية التقليدية والمبالغة في التدقيق فيها ووصفها وجعلها أساس وركيزة العمل السردي ينما أصبح في هذا النوع من الرواية يهتم بباطن الشخصيات، بأعماقها، بمشاعرها وتقلباتها المزاجية التي تمثل النفس الإنسانية بأبعادها وأشكالها المختلفة فيجدها القارئ أقرب إلى الحقيقة والواقع ويغدو تفسير تصرفاتها أبسط وأكثر منطقية وواقعية عما كان عليه في السابق فالنسق الحداثي "ذلك النسق الذي يقدم الحكاية أو الحدث بترتيب منطقي يعتمد على التفاوت والتبديل الزمني الذي يمكن أن يصل حدّ التعقيد والغموض ويستوعب الشخصيات وعلاقاتها والأحداث وترابطها وفق منطق خاص .....ويمكن أن يوظف الأسطورة والرمز الغرائبي ويكشف عن جوانب الشخصية وأبعادها المختلفة وينظر إلأى اللغة باعتبارها عنصرا فاعلا في الحدث الروائي ويحدد نسبة العلاقة بين المؤلف والسارد والنص"(رفيعة الطالعي 2005 ص:59) ويتفق معظم النقاد على الدور الكبير والإسهام الذي قامت به المدرسة الأمريكية في ظهور هذا النوع الجديد من الرواية بفضل مجموعة من الأدباء الشباب الذين انتهجوا أسلوب سردي حديث مغاير في أعمالهم الروائية التي راقت جمهور القراء وحظيت بإعجاب كبير وشهرة واسعة ورواج بلغ حدّ القارة الأوروبية :"وكان يطلق على هؤلاء الروائيين الجدد الجيل الضائع ومن أبرز هؤلاء:جون دوص باصوص (J.DosPassos) جيرترد ستاين Gerturd (Stein)كالدويل(Caldwell)أرنست هيمنغواي(E.Hemingway) الذين حسب رأي الناقدة الفرنسية جولييت رأبي(J.Raabe)كانوا متأثرين باستكشاف أوروبا ونتائج الحرب العالمية الأولى نفخوا في الرواية نفسا جديدا "(عبد الملك مرتاض2005 ص :54).

2-3-المرأة والـــكـــتـــابـــة:

إنّ الذات الأنثوية ومنذ أن وعيت إلى هذا الوجود وهي تعاني من عقدة الإختلاف والتمييز الجنسي بينها وبين الذكر مما أدخلها في حلقة من الصراع والتصادم مع ولقعها انتهي بخروجها من دائرة الصمت التي تقوقعت فيها لدهور إلى ساحة النضال دفاعا عن كيانها واستردادا لحقوقها وحياتها وحريتها، فانتقلت من دور المتلقي السلبي إلى عضو فاعل يردّ ويدفع عن نفسه تلك الإتهامات والنعوت المشحونة بالسلبية التي صدقتها في وقت ما بصمت وبعجز عن تغيير واقعها وقدرها الذي اختارها ولم يخيّرها في أن تكون أنثى،ويشهد تاريخها ليس فقط على ما طالها من ظلم وقمع على مرّ العصور بل أيضا على مدى قوتها وقدرتها على الصبر والتحمّل والمواجهة التي لولاها لما وصلت المرأة إلى المكانة والحياة التي تنعم بها في يومنا هذا، وهذا ما يجعل تاريخها مثلما تصفه مي زيادة"إستشهادا طويلا"(مي زيادة 1975 ص :32)لا يزال يردي ويسجل المزيد من الضحايا دعاة الحرية والعدل والمساواة، طويلا لإستمراريته حيث لا يزال يحصد المزيد من ضحايا القهر النفسي والعنف الجسدي وكناية عن الموت الطويل للمرأة نفسيا وعقليا حيث لا ماتت لتتحرّر ولا عاشت بحرية وكيف لها هذا وهي التي لم تسلم حتى من حكمة وعلم المفكرين والفلاسفة أمثال:"سقراط وأفلاطون وداروين ونيتشه وشوبنهور والمعري والعقاد الذين يرون الرجل عقل والمرأة جسد وحمورابي الذي يراها حقا مملوكا للرجل وفرويد الذي يعتبرها رجلا ناقصا وبودلير الذي يصفها بملكة الخطايا في إحدى قصائده"(عبد الله محمد الغذامي 2006ص :10) وهذا رغم إختلاف أزمنة هؤلاء المفكرين وإختلاف ثقافاتهم فلم يكن لها حظّ ولا نصيب من عقولهم لا في الشرق ولا في الغرب،لهذا كان من المتوقع أن يحاول إحباط محاولاتها للكتابة وأن تصف أمامها عوائق وصعوبات تمنع إختراقها حدود هذه المملكة التي حماها وأقام عمادها الرجل حتى في عصر لاح فيه بصيص وبريق أمل للمرأة، زمن بدأت ندرك فيه معنى الحرية والحياة فمثلما ذكرت الكاتبة المصرية نعمات البحيرى في شهادة قدمتها لمجلة الكاتبة:"المجتمع يعطي للرجل صلاحيات عديدة منها الكتابة والتعبير عن مشاكله وأحلامه ونزقه الخاص والعام فهذه كتابة عادية مهما كانت التحديات لكنه حينما تكتب المرأة تعبر أسوار عالية ومحاطة بالأسلاك الشائكة من كل جانب من جانب الأسرة ومجال العمل والأهل والأصدقاء والجيران وجميع الفئات التي تتعامل معها"(شيرين أبو النجا 1998ص :20)، وأساس الإشكاليات التي طرحت ناهيك عن تلك التي تشكّك بقدرات المرأة وإمكانياتها وعدم أهليتها للكتابة، إشكالية تجنيس اللغة حيث يستحيل على المرأة أن تكتب وتعبّر بلغة ذكورية على حدّ قول وإجماع العديد من العلماء فها هو الأديب والبليغ عبد الحميد بن يحيى الكاتب يقول:"خير الكلام ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا، والعالم النحوي الكبير ابن جني يقول إنّ تذكير المؤنث واسع جدّا لأنّه ردّ إلى الأصل، وفي شرح عباس حسن

لجمع المؤنث السالم يقول يفضّل الكثير من النحاة الأقدميين تسميته الجمع بالألف وتاء مزيدتين دون تسميته بجمع المؤنث السالم لأنّ مفرده قد يكون مذكرا، وعن مجمع اللغة العربية في القاهرة وفي دورته الرابعة والأربعين أنّه يجوز أن يوصف المؤنث بالتذكير فيقال فلانة أستاذ أو عضو أو رئيس استنادا إلى ما نقله ابن السكيت عن الفراء أنّ العرب تقول عاملنا امرأة وأميرنا امرأة وفلانة وصي وفلانة وكيل فلان....وإنّما ذكّر لأنّه إنما يكون في الرجال أكثر مما يكون في النساء فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على الأكثر"(عبد الله محمد الغذامي 2006ص 7-16-27) وطرحت الباحثة غياتري سبيفاك في دراستها"هل يستطيع التابع أن يتكلم؟" هذا الإشكال حيث تساءلت عن مدى إعتباركتابات المرأة فعلا تحرريا ما دامت مادتها اللغوية من صنع ذكوري ما يجعل تأُيرها ضعيفا ويصفها جانبا مقارنة بأعمال الرجل،هذه السلطة الذكورية على عرش اللغة تجعل تلقائيا من إستعمال المرأة اللغوي في فعل الكتابة يحتل الهامش "حيث ركزت غياتري على مسألة اللغة التي تجعل كتابة المرأة تنتمي بالقوة والفعل إلى مجال الهامش بحكم الجنس أو العرق أو كليهما .... ويرى الناقد الفرنسي أدوين أندر أنّ اللغة هي لغة النظام المهيمن التي تضطر النساء إلى إستخدامها"(عبد النور ادريس 2013ص :141) وهكذا أصبحت اللغة مذكرا(على المستوى النحوي:التذكير والتأنيث وخضوع المفردات المؤنثة لسلطة التذكير) مما يجعل الكتابة مذكرا أيضا بالضرورة ما دامت تستخدم ألفاظا ومفردات مذكرة وأسبقية الرجل إلى هذا الميدان جعلته يحكم السيطرة على هذا الفعل اللغوي وينسبه إليه ويعدّه من ممتلكاته وخصوصياته لإنفراده بهذه المهارة والممارسة التي ظلّت المرأة غائبة عنها لأزمنة، فكانت هذه أحد أكثر الإشكاليات تعقيدا التي واجهتها المرأة على صعيد الكتابة وفي مسيرتها التحررية حيث ارتبط الأدب الذي تنتجه بذكورية اللغة مما ينفي خصوصياته وإختلافه عن الأدب الذي ينتجه الرجل والمرامي التي يهدف إلى تحقيقها في سبيل تحقيق الحرية والتغيير والمساواة بين الجنسين وأيضا لإعتباره وسيلة لطرح وكشف حقيقة العلاقات بينها وبين الرجل على المستوى الشخصي والإجتماعي، لكن لا يمكن الجزم بذكورية اللغة والأخذ بهذا الرأي لأنّ اللغة ملك وحقّ للجنسين معا فهي وسيلتهما للتعبير والتواصل مع الآخر" فللغة ظاهرة إجتماعية تتطور تبعا لحاجات المتكلمين وأغراضهم فالمجتمع مجموعة من الناس تترابط من أجل غرض أو حاجات واللغة وسيلتهم المضمونة في التواصل والخطاب"(عبد النور إدريس 2013 ص :150)، وقبل أن يحتكر الرجل الكتابة لنفسه أي قبل ظهور الكتابة لم تكن المرأة غائبة عن الإستعمال اللفظي الشفهي للغة ويستحيل هذا فقد كانت تستعملها مثلما يستعملها الرجل للكلام والتخاطب والتعبير والتواصل وهذا لا يجعل اللغة ذكورية ولا أنثوية بل حيادية تكتسب معاني مختلفة حسب طريقة إستعمالها والألفاظ المختارة "فسبب الإختلافات في الإستعمالات اللغوية بين الرجل والمرأة لا يعود لكونهما أنثى وذكرا بل يرجع بالأساس إلى أنّ طرق الحديث والأغراض المقصودة منه هي المقياس الأمثل

لقياس الإختلافات اللغوية"(عبد النور إدريس 2013 ص :22) ، فاللغة واسعة لا حدود لها تحتوي أفكار مستعملها فيصقلها بالشكل الذي يريده عاكسة شخصيته ومذهبه وتوجهاته ومواقفه لكن هذا لا يجعلها ملكا له وحده بل فقط أداة يستخدمها للتعبير والإفضاء وهذه هي ميزة اللغة أداة كاشفة لفكر الفرد وشخصه تحقّق الإختلاف بين الأفراد، فهي تطبع كل شخص وتضعه في قالب وصورة تختلف عن الآخر تصبح جزءا من كيان الفرد لكن هذا لا يجعلها ملكا لا للذكر ولا للأنثى وحدها بل لكلاهما "فاللغات تمثل لنا أكثر من كونها مجرد أنظمة لنقل الأفكار فهي أكسية غير مرئية تكسو أرواحنا وتسبغ على تعابيرها الرمزية شكلا مهيمنا سلفا"(رفيعة الطالعي 2005ص :149) ،إلاّ أنّ هذا الرأي القائل بذكورية اللغة قد يكون ناتجا عن ظهور فعل الكتابة الذي منح الأولوية والأفضلية للرجل باعتباره الأول والأسبق لهذه الممارسة اللغوية التي ما هي إلا تدوين للإستعمال الشفوي للغة الذي كانت تمارسه المرأة أيضا في ظلّ مجموعة من الأحكام والقواعد الإجتماعية والثقافية التي سمحت وساهمت في التجنيس الذكوري للغة"فاللغة لم تنشأ بتخطيط مفرد، لهذا لا نستطيع إقصاء العامل الإجتماعي في إنتاج اللغة وفهم ماهيتها حيث النشاط الإنساني يتجلى في الإطار الإجتماعي فعندما تكون الثقافة مذكرة أي البنية الإجتماعية برمتها فإنّ أهم أدواتها لاستمرار وإعادة إفراز ذاتها هي اللغة الحاملة والمحمولة،اللغة المرأة،واللغة كفاعلة واللغة كآلة لكشف الخداع الثقافي والإجتماعي واللغة كجهاز لتعزيز التحيّز""(عبد النور إدريس 2013ص:153 .

لقد احتلت المرأة إذن مكانة هامشية في اللغة والكتابة وأصبحت غريبة ودخيلة عليهما على حدّ الرأي القائل بذكورية اللغة، فهي لم تشكّل عبر التاريخ سوى مادة وموضوعا فيها لا منتجة ولا صانعة، فقد كانت تظهر بين الفينة والأخرى في النصوص والحكايا بالصورة التي أطّرها لها الرجل وبالدور الذي خلقت لأجله جسد وجمال للعشق والإمتاع، فهل استحقت حقا المرأة هذه المكانة أم أنّها نفيت وغرّبت رغما عنها؟ يظهر التاريخ على أنّ اللغة حصال نتاج ذكوري لا دور ولا إسهام للأنثى فيه فقد كانت منشغلة بأمور النساء وما يترتب عنها من عشق وغرام وإغواء وإغراء بعيدة عن أمور العلم وشواغل الفكر والعقل، لكنه ينقل في الوقت ذاته شهادات ومواقف لمفكرين عملوا على إبعاد المرأة عن اللغة وحاربوا تعليمها مثلما فعل الداعية والفقيه البغدادي خير الدين نعمان بن أبي الثناء في زمانه حيث رآه خطرا وشرا كبيرا للأمة لا بدّ من تفاديه ومنع ظهوره، إلاّ أنّ المرأة لم تستسلم لهذه المحاولات وحاولت إختراق أسوار هذه المملكة التي حصّنها الرجل وتسللت تدريجيا ووجدت حتى ولو خيالا مكانا لها في لغته رادّة الإعتبار لكيانها وذاتها بأخذ دور البطولة في حكاياها بشخصيات تجمع بين جمال الجسد وحدّة الذكاء لتتغلب بذلك على الذكر جسدا وعقلا وهذا ما كان باديا في حكايا ألف ليلة وليلة التي سردتها شهرزاد للملك شهريار الذي أصبح زوجها في النهاية وفي شهرزاد نفسها التي

تمكّنت بدهاءها من إنقاذ بنات جنسها من الإنقراض والزوال بعد أن أوشكت المملكة أن تخلو من جنس الإناث وفي الحكايا التي نقلها القزويني عن وجود مدينة خالصة للنساء لا سيادة للرجل فيها (أنظر عبد الله محمد الغذامي 2006 ص :112) وغيرها من الحكايا التي يؤرخ لها تراثها الشفاهي لتبدأ مع شروعها في الكتابة أواخر القرن التاسع عشر مرحلة جديدة من المواجهة مواجهة مع الذات، مع اللغة مع الذاكرة والثقافة والتاريخ الفحولي، وهذا كان باديا في كتاباتها التي احتارت من خلالها هل تقدّس وتبجّل هذا الجسد الخطيئة أم تنفر أم تهرب منه إلى الذات المثالية فتصبح امرأة ضد جنسها وأنوثتها إلى حدّ الإسترجال مثلما جاء على لسان الكاتبة هدى بركات:"أنا كاتبة أكتب مثل الرجال بل إنّ كتابتي ضدّ نسوية"(شيرين أبو النجا 1998ص :11)، فانقسمت كتاباتها نتيجة هذا الصراع الداخلي الذي تعيشه بينها وبين ذاتها وبين واقع ذكوري مسيطر فجاء بعضها خطابا معاديا لثقافة الرجل وسيطرته ينشد الحرية والمساواة ويؤكد على تميز الجنس الأنثوي الذي غالبا ما يقع فريسة وضحية أطماع وشرور الآخر، والبعض الآخر يتمادى في تصوير والتركيز على التركيبة البيولوجية للجسد والنفس الأنثوية وما يشوبها من تغييرات هرمونية في مراحل معينة فتقع في فخ الفحولة فيغدو خطاباها تعزيزا للذات والثقافة الذكورية وعلى حدّ قول مي زيادة: "ليس من الممكن أن نخرج من الظلام الحالك إلى النهار الساطع دون أن تبهرنا الأنوار فتضعضع البصائر ولا نعود نرى الأشياء في مكانها كما هي"(مي زيادة 1982 ص :113)فكان من الطبيعي أن تتعثّر خطاها وتسقط من حين لآخر حتى تتعلّم الوقوف باستقامة وتنطلق بأمان وثقة أكبر في مسار أصبحت تعرف مبتغاها منه، فجاءت كتاباتها اللاحقة كاشفة عن نضوج الوعي الأنثوي بإدراكها تضاعف حجم الضغوطات التي تعتري طريقها وأنّ أغلب الأبواب موصدة أمامها حتى أنّ ما كانت ترى فيه الخلاص يوما قد ينقلب ضدّها عند أية هفوة أوغفلة فيصبح سلاحا تقاتل به ضدّ نفسها ينهش أحشائها ويفتك بها قطعة قطعة فيرديها قتيلة شهيدة أحلامها وأوهامها:"ولعل هذا عين ما أدركته المرأة بعد تجربتها مع الكتابة حيث اكتشفت أنّ اللغة تفرض حسّها الذكوري وضميرها المذكر على قلم المرأة مما يجعل المرأة تكتب وتفكر وكأنها قد استرجلت"(عبد الله محمد الغذامي 2006ص :208) وسرعانما أدركت المرأة هذا الواقع مما طالها من حملات نقدية واسعة دفعت بها إلى المبادرة بخطوات ومحاولات لتأنيث اللغة في خطاباتها حيث يرى الكثيرون أنّ الأصل في اللغة تذكير والفرع تأنيث على الرغم من أنّ مفرداتها بعضها مذّكر والبعض الآخر مؤنث ومثلما يوجد مذكر لألفاظ مؤنثة قد لا يوجد مؤنث لأفراد مذكّرة، فهل اللغة مذكرة حقا أم أنّها ذكّرت؟والحقيقة أنّنا لم نجزم بصحة هذا القول ومثلما ذكرنا سابقا فهي لغة حيادية ملك لكلا الجنسين تعبّر عنهما حتى تكاد تبدو حقا وملكا لأحدهما دون الآخر وعلى حدّ قول الباحثة رشيدة بنمسعود:"تسعى الكاتبة العربية إلى تشخيص همومها الذاتية والإجتماعية بطريقة خاصة، وهذا ما يجعل كتاباتها تتسم بميزات جمالية غير معتادة في الكتابة

الذكورية فبالإضافة إلى إختيار تيمات تلائم حساسيتها ورؤيتها إلى الوجود فهي تشخص الواقع بطريقة جمالية تنزع إلى تأنيث اللغة"(رشيدة بنمسعود 2006ص:123) فالموقف والرؤية والحّس الأنثوي يبدو جليا في إنتقاء المفردات وتوظيفها من خلال الفقرات وأسلوب وشخصية الكاتبة التي تبثّ الحياة في تصها فتغدو الكتابة هنا واللغة وسيلة وأداة لممارسة الحياة ونموذجا معبرا عن الذات والروح النسوية فيطغى الطابع الأنثوي على النص ويتسمّ به والأمر ذاته ينطبق على كتابات الرجل مما يدفع بالمرء إلى الإعتقاد بذكورية وتأنيث اللغة التي ما هي إلا أداة بيد مبدعها يصوغها ويعطيها الشكل الذي يريده،خاضعة لقوانينه وأفكاره ويوجهها المنحى والمسار الذي يشاءه.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ بل استمرت وتسلسلت الأحداث والمصاعب وصفّت أمامها فكل خطوة كانت تخطيها المرأة إلى الأمام كانت تزيد من حدّة المواقف اتجاهها بنفي والتشكيك وعدم الإعتراف بأية محاولة أو مبادرة أو إسهام لها في الميدان الأدبي مما كان يُحدث غالبا تفرقة في صفوف النسوة وخلخلة في مفهوم الإنتماء والقيم والمبادئ التي تدافع وتناضل من أجلها مثلما حدث مع مصطلح الأدب النسوي حيث انقسمت النسوة بين مؤيد ومعارض لهذا المصطلح فعبّرت الكاتبة المصرية مي التلمساني عن رفضها لهذا التصنيف بقولها: "لا يعجبني أن يندرج عملي في سياق كتابات المرأة لأنّ الساحة الأدبية الآن تحتفي بأية كتابة لمجرد أنّ صاحبتها امرأة وفي هذا تكريس للفصل بين المرأة والرجل وانتقاص من قيمة الإبداع نفسه" وقبلها الكاتبة لطيفة الزيات التي رفضت إضفاء صفة النسوية على أدبها في البداية لكنها عادت وأقرّت به بعدها فتقول:"كان هذا موقفي الثابت والأكيد في الستينات،تخندقت في خندق الأدب ورفضت إدراج كتاباتي الإبداعية في باب الأدب النسائي، ودأبت على القول أدب أو لا أدب، فن أو لا فن،وما من أدب رجولي وآخر نسوي،ومرّ الزمن وكان أن نضجت وتعلمت أنّ الإقرار بالندية بين الرجل والمرأة يتضمن إقرار بالإختلاف وأنّ تمييع نقاط الإختلاف ما بين الرجل والمرأة يعصف بالضرورة بالندية فيما بينهما،وأنّ الإختلاف لا يعني بالضرورة تفضيلا لجانب على الآخر، ولا تمييزا فنيا لجانب على الآخر"(شيرين أبو النجا 1998 ص :13-18) فكان رفض الكاتبات لهذا الإصطلاح نابع من رفضهن للخصوصيات التي أسند من خلالها أدبهن وانطوى تحت لواء النسوية باعتبارها خصوصيات غير فنية قائمة على مرتكزات جنسية تمييزية وإيديولوجيات ذكورية لا تنظرإلى أعمالهن بحيادية بل وفق أحكام وتصورات مسبقة غير منصفة وسلبية تحكم على أعمالهن بناء على الموروث الثقافي التقليدي بخصوص المرأة الذي يجعل من كل إنتاج لها محط شكوك، عيوب وذو نواقص مقارنة بأعمال الرجل حيث تقول الناقدة لطيفة الزيات "إنّ المصطلح يدلّ في العربية والآداب الأخرى على نقص في الإبداع وانتقاص من الإهتمامات النسائية المحددة"(عبد النور إدريس 2013 ص :28) وما كاد يُكفّ الحديث عن هذا المصطلح،

وحقيقة لما يزل الحديث عنه قائما لكن فلنقل ليس بالوتيرة ذاتها التي كانت من قبل،حتى انتقل النقاش حول مادة وموضوع هذا المصطلح وكانت الحصة الأكبر من نصيب الرواية لقدرتها على إحتمال وإحتواء أكبر عدد من الإتهامات والإنتقادات فمن وصفها بأنها لا تدور سوى في عالم النساء الضيق إلى كونها سير ذاتية للكاتبات وكتابات عن الجسد حوكمت الكاتبات من أجلها وصدور فتاوى دينية في مصر تحرّم هذا النوع من الكتابات التي وُصفت بأدب الإعترافات حفاظا على كيان الأسرة والعلاقات الزوجية والمصلحة العامة للفرد والجماعة : "ففي عام 1964 قدّمت الكاتبة السورية ليلى بعلبكي للمحاكمة بتهمة إفساد أخلاق المجتمع لما حوته قصتها (سفينة حنان إلى القمر)من توصيف لعلاقتها بجسدها وزوجها" (شيرين أبو النجا 1998 ص :43-117) رغم أنّ هذا النوع من التعبير والإبداع ليس بجديد ولا بغريب عن ثراثنا وأدبنا العربي الذي لم يخلو سابقا في أشعاره من تصوير للجسد ووصف للعلاقات بين الجنسين مثلما تقول الباحثة رشيدة بنمسعود :"وإذا وضعنا هذين المشهدين اللذين يمثلان صك الإتهام ضدّ الكاتبة داخل المشهد الثقافي العربي تاريخيا سنجد أنّ موروثنا من الشعر الجاهلي يزخر بحضور الجسد الأنثوي الذي يمثل المنطلق والغاية وتحكمه ثنائية الجسد الفاعل (الرجل) والجسد المفعول به (المرأة) هذه الظاهرة لا تنحصر فقط في الشعر الجاهلي بل إنّنا قد نجد إمتدادا لها في الشعر العباسي والأندلسي وغيرها،إلاّ أنّنا لم نسمع تاريخيا أنّ شاعرا أو كاتبا ما قد قُدم إلى المحاكمة وإلاّ لكان امرؤ القيس أول من صدرت في حقه أشدّ العقوبات" (رشيدة بنمسعود 2006ص :33) فهل يختلف الموقف لإختلاف جنس المبدع ؟ وإن إفترضنا أنّ الكتابة عن الجسد لا يجب أن تتجاوز حدودا معينة وتكسر دائرة التابو والمقدّس وإن كان للكاتب(ة) رغبة أو ضرورة أدبية فنية في ذلك فله من الأساليب البلاغية اللغوية ما يمكّن له ذلك بطريقة فنية لا تصدم القارئ ولا تتعارض وقيم ومبادئ مجتمعه،فيجب على هذه الأحكام التي صدرت بحق أدب المرأة يجب أن تأخذ بعين الإعتبار إحتمالين إثنيين:أولها أن هذا الأدب قد لا يكون أدب إعتراف ولا سيرة ذاتية وإن كان كذلك فقد يحتوي أحداثا من خيال الكاتبة لا تمت للواقع بصلة اقتضتها ضرورة العمل،فهل من الجائز أن تحاكم المرأة من أجل خيالها؟ أو هل تكف الهرب إلى هذا الخيال حيث تمارس طقوس الحرية بأشكالها المختلفة ببطلاتها وقلمها؟ وثانيا إن كانت كتابات المرأة عن الجسد تفسد المجتمع والأخلاق العامة فالحكم يسري أيضا على كتابات الرجل ولا يجب خصّ أدب المرأة فقط بهذه الأحكام والإنتقادات، وفي هذا الصدد لا تتفق الباحثة يمنى العيد مع ما ذكرته رشيدة بنمسعود عن حرية الرجل الأدبية فهي ترى أنّ حتى كتابات الرجال في البلاد العربية لم تسلم من هذه الأحكام والمواقف ورسمت لها حدود تمنعها من الخوض في السياسة والدين والجنس وأي تجاوز يسجل في هذا الميدان يجعل صاحبه عرضة إما للنفي أو السجن أو القتل :"فرواية نجيب محفوظ أولاد حارتنا منعت في مصر، وخماسية عبد الرحمن منيف مدن الملح منعت من الدخول إلى السعودية

وكتب الصادق نيهوم صودرت في لبنان وكتاب عبده وازن حديقة الحواس منع نشره في لبنان،وأهدر دم نجيب محفوظ واغتيل حسن مروة ومهدي عامل بلبنان ونفي هلسا غالب من وطنه الأردن وبقي منفيا حتى وفاته واعتقل وسجن العديد من الأدباء عبد اللطيف لعبي، عبد القادر الشاوي، غالب هلسا، صنع الله ابراهيم، محمود أمين العالم، قاسم حداد وغيرهم"(يمنى العيد1998ص :79) فهل يبقى إبداع أهم شروطه (الحرية) منعدمة وكيف يمكن للعمل الروائي العربي أن ينمو ويتطور في ظل سياسة الرقابة التي تمارسها الحكومات العربية على الأقلام الأدبية علما أنّها ليست حاليا بالصرامة التي كانت عليها سابقا وتختلف من بلد إلى آخر وكما ذكرنا آنفا فبإمكان المبدع التطرق لما يشاء من مواضيع دون إحراج القارئ ووضعه أمام مواقف غريبة منافية لقيّمه وثقافته وأسلوب حياته أما الخوض في مسائل الدين والشرع فنعتقد أنّ إيمان الشخص كفيل بممارسة الرقابة الذاتية على أفكاره وكتاباته والمفروض ومن المنطقي أن لا يصدر هذا النوع من الكتابات في مجتمع عربي مسلم.

والحقيقة أنّ هذه الصعاب والهجمات التي تلقتها المرأة في نضالها لاسترداد حقها في الكتابة لم تزدها سوى عزما وإصرارا لتحقيق مبتغاها وساعدتها على تطوير إمكانياتها وقدراتها الكتابية التي عكست نضجا واضحا على مدى السنوات بتغييرها لإستراتيجياتها وصورة المرأة في كتاباتها، يقول د.فوزي فهمي: "خرج الإبداع النسوي إذن ليجيب على سؤال التعيين وبدون وكالة وبشكل علني في مواجهة الثقافة المهيمنة وتجلياتها وليطرح رؤية جديدة للعالم تختلف جذريا عن لغة الشكاوى"(شيرين أبو النجا 1998ص :150) منتقلة من ثقافة الإضطهاد إلى ثقافة إثبات الذات الأنثوية والإعلاء من شأنها لمواجهة الهيمنة والمركزية الذكورية في المجتمع وسنتعرض فيمايلي بمزيد من التفصيل لنشأة وتطور الرواية النسوية في البلاد العربية.

2-4-صـــورة المرأة فـــي بـــعـــض الـــروايـات الـعربيـة:

لطالما كان الرمز الأنثوي حاضرا في كتابات الرجل يتباين توظيفه من عمل إلى آخر وموقفه من مكان وزمان إلى آخر، ومهما تعقّدت وتضاربت العلاقة بين الجنسين لا استغناء لأحدهما عن الآخر ولا بدّ أن نلحظ في كتابات كليهما حضورا ووجودا للآخر، وفي هذا الصدد ارتأينا دراسة ومقارنة الصورة التي اتخذتها المرأة في بعض الأعمال الروائية العربية وبداية بتلك التي رسمها لها الرجل في أعماله ولتكن البداية مع رواية زينب لمحمد حسين هيكل باعتبارها أوّل رواية عربية بالمفهوم الحديث للرواية.

لقد جاءت شخصية زينب في هذه الرواية بصورة المرأة الجميلة الناضجة نفسيا، عقليا واجتماعيا حيث لا نراها معترضة على فقرها ولا عملها في المزارع وشغلها في البيت بل على العكس تسعى جاهدة لإتقان وإتمام والوفاء بالتزاماتها لا تتهرب من مسئولياتها وتنجزها بجدّ وعناية دون ملل أو تدمر.

كما تظهر أيضا بصورة المرأة العاشقة حيث أحبّت زميلا لها في العمل يدعى"ابراهيم" من نفس طبقتها الإجتماعية لكن تشاء الأقدار أن لايجتمعا عندما ترضخ زينب لقرار والدها بتزويجها من "حسن" الزوج الذي لم تقدر على حبّه ولا على الغدر به موضّحة بذلك الشقاء والحزن والصراع النفسي الذي تتعرض له غالبية النسوة بتضحياتهن بسعادتهن إرضاءا لمشاريع وقرارات الآباء فعاشت بتعاسة تحوّلت إلى مرض فتك بها وأدى إلى هلاكها في النهاية.

وبهذا تكون شخصية زينب الشخصية النامية في الرواية بانتقالها من حالة إلى أخرى ومن صورة إلى صورة أخرى فقد جمعت بين صورة المرأة الناضجة والمرأة المضحية والوفية لذكرى محبّها والمخلصة لزوجها، إمرأة تمثّل حلم كل النساء بالسعادة والحرية الفردية في زمن افتقدتها وحرمت منها بشدّة، ويشير أغلب النقاد أنّ الرواية تزامنت مع دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة وتعدّ استجابة لها لما احتوته من توصيات الغرض منها تحسين وضع المرأة المصرية والتأكيد على حقها في الحياة والحرية من خلال استعراضها جملة المآسي والمعاناة والشقاء التي تتعرض لها عبر شخصية زينب.

وإلى الجزائر وإلى أحد أعمدة الأدب وأكبر وأشهر الكتّاب "الطاهر وطار"وروايته "الزلزال"التي تسرد قصة جزائر ما بعد الإستقلال حيث تظهر المرأة بين الفينة والأخرى إما على شكل أسماء لشخصيات مرّت في حياة الشيخ بولارواح أو على شكل شخصيات نسوية مجهولة يصادفها الشيخ بولارواح في رحلة بحثه عن أُقاربه في قسنطينة تشدّه ثرثرتهن فيسترق السمع إليهن لبرهة ليمضي في طريقه مجددا غير مبالي بهن،مما يدّل أنّ المرأة في هذه الرواية نالت دورا أقلّ ما يمكن وصفه بالثانوي، فهي لم

تشارك ولم يكن لها أي دور في نمو الأحداث والشيخ بولارواح هو المسيطر الوحيد والمتحكم في سير الأحداث من بداية الرواية إلى نهايتها حتى أنّنا لا نجد لها حضور فعلي وحوارات تثبت وجودها مع الشيخ بولارواح كلها حوارات يجريها بولارواح مع نفسه أومع غيره من الرجال وإذا ما حدث وتذكر زوجاته أو زوجات أبيه أو صادف إحدى النسوة في طريقه فينهال عليهن بالشتائم والمسبات وينعتهن بأبشع الصفات ويدعوا عليهن فهن في نظره سبب الفقر والحاجة التي آلى إليها سكان قسنطينة بسبب الإكتظاظ الناتج عن كثرة الإنجاب وكأنّ المرأة تنجب لوحدها وليس للرجل أدنى دخل في ذلك فنجده يقول في إحدى المواقف:"لا بارك الله فيكن أيتها الشمطاء تلدن مع كل قمرة مثل الأرانب خنافيس تلتقطنهن من حيث صادف ثم ترحن تشتكين منهم أنتن عمرتن العالم بالشياطين وأنتن سبب الخراب والزلزال"(الطاهر وطار 2007 ص :29) فإضافة إلى تحميلهن مسئولية إعمار قسنطينة ووصفن بالأرانب فهو يلمحّ بأنّهن عاهرات ينجبن خارج رابط الزواج وأنهن سبب الفساد والخراب، كما يصفهن في مواقف أخرى بالفضول الزائد وانعدام الحياء والتبرج الفاضح بحثا عن الأزواج لكثرة العنوزة والإنشغال بالفسق والفجور كالرقص والغناء واتخاذهما كصنعة يغدين عليهن بالمال الوفير والإيمان بالبدع والخرافات التي تؤدي إلى الشرك بالخالق عزّوجل كزيارة الأضرحة والإستبراك بها والدعاء والتضرع للولي الصالح ليحقق مطالبهن وغيرها من الصفات التي لم تسلم منها الأنثى بنتا كانت أم شابة امرأة أم عجوزا، ولعلّ هذا العداء والحقد الذي يكنّه الشيخ بولارواح للمرأة نابع من عدم قدرته على الإنجاب من أي إمرأة تزوجها ومن طبعه القاسي المتزمت وحبّه الكبير للمال وبخله الشديد رغم إفتخاره الدائم بأنّه عالم وفقيه في دين من طلاب الزيتونة ومن رفاق ومعاصري الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله، فمن الطبيعي أن تصدر مواقف مماثلة من شخصية مزدوجة مثله كئيبة، إنطوائية ومتشائمة تعبد المال ولا تعيل العباد محتارة بين هذا وذاك الدين والدنيا، ولعلّ تجربته الأولى مع النساء مع زوجات أبيه زادت من هذه الضغينة التي يكنّها للنساء حيث اعتبروه دوما شئما كبيرا حلّ بالعائلة فمنذ ولادته وأفراد عائلته يموتون واحدا تلو الآخر حتى زوجاته طالتهن هذه اللعنة وبقي وحيدا في النهاية والغالب أن تسمية بولارواح تحمل معنى هذه اللعنة فهو صاحب الأرواح لكثرة الأرواح التي سلبها منذ قدومه إلى هذا العالم.

والأمر ذاته نجده في روايته "اللاز" حيث لم يشرك الطاهر وطار العنصر النسوي في بناء أحداث الرواية واكتفى بذكر فقط بعض الأسماء النسوية على شكل ذكرى وخواطر لبعض الشخصيات البطولة الذكورية مثل زينة حبيبة قدور وبنات صاحب الفرن اللاتي كان يتسلى معهن حمو صديق قدور، وأكثرهن ذكرا كانت مريانة والدة اللاز الطفل اللقيط الشقي الذي يهابه وينفر منه جميع سكان القرية والذي يصبح ثوريا بعد تعرفه على والده الحقيقي زيدان لكن سعادته لن تدوم حيث يجنّ برؤيته لبعض المجاهدين يذبحون

والده أمامه لاختلافه معهم في بعض أمور السياسة، فلقد وظّف إذن الطاهر وطار عددا قليلا جداّ من الأسماء النسوية وأكثرهم ذكرا كانت مريانة شخصية عاهرة وغير شريفة في نظر جميع سكان القرية وتقتل في النهاية على يد جنود الإحتلال إنتقاما من اللاز الذي ألحق العديد من الخسائر في صفوفهم.

أما في رواية "الموت يمر من هنا " للروائي السعودي عبده خال والتي تقص لنا في كل فصل من فصولها وعلى لسان أحد شخصياتها المعاناة والظلم الذي يعيشه أهالي قرية السوداء على يد المستبد السوداوي الذي يستغل حاجتهم وضعفهم وعجزهم ليتمادى في طغيانه وبطشه ونهب أرزاقهم وجعلهم عبيدا خدمة له، تظهر المرأة كغيرها من سكان القرية بصورة الأنثى الضعيفة التي قهرها وأرقها الفقر والعوز وبصورة الأم المضحية التي تتناسى آلاماها وتتحمل البؤس والمهانة وتدوس على كبريائها أمام أي باب رزق يفتح أمامها كشخصية الخالة رعنا والبنت صالحة، كما تظهر أيضا بصورة المرأة العجوز الحكيمة التي يكن لها جميع سكان القرية المودة والإحترام من خلال شخصية الجدة نوار، كما تظهر بعض الشخصيات النسوية من سكان القرية والتي لا يتجاوز دورهن الدور التقليدي الذي خصّت به المرأة منذ آلاف السنين فيظهرن تارة في الحقول مع المحاصيل وتارة أخرى في الأنهار للتزود بالماء أو في الغابة بصدد جمع الحطب وغيرها من النشاطات التي تعيلهن على مواجهة أعباء الحياة ومرارة الفقر والصورة التي مثلتها المرأة في هذه الرواية هي صورة جد طبيعية تتوافق تماما والبيئة والظروف التي تدور أحداث الرواية فيها .

ونجد المرأة في رواية "كانت حلما" للروائي نائف فضل الله تتخذ صورة الظالمة الخائنة الجشعة والأنانية من خلال شخصية رنا طالبة بكلية الطب والتي لا تزال في بداية مشوارها الدراسي وتجمعها علاقة مع شاب إسمه سمير مقبل على التخرج من الكلية ذاتها يحبها بصدق محترم ونبيل لكنه فقير ويتيم مما يجعلها لا تتوانى في تركه من أجل أي شاب آخر لتحقيق أحلامها ومطامعها بالغنى والجاه، فتتركه وتخطب لسعيد مدير أحد البنوك وتبقى تتلاعب بمشاعرهما وتركض مرة لأحدهما ومرة للآخر فتختلط خططها لا سيما عندما تعلم بأن لسليم أبا غنيا في الخارج عاد للبحث عنه ولتوريثه جلّ ممتلكاته فتحاول أن تستغل حبه لها وتعود إليه لكن كلاهما سينفران منها في النهاية وتبقى وحيدة منبوذة لإدراكهما حقيقة مشاعرها وركضها خلف مصالحها والمال والثروة فتغدو ضحية مشاريعها وجشعها وأنانيتها.

أما عن صورة المرأة في الرواية النسوية فقد اخترنا أن تكون البداية من الجزائر مع روايتين من حقبتين زمنتين مختلفتين الأولى تؤرخ إلى أول عمل روائي نسوي جزائري

وهو"رواية لونجة والغول"للأديبة زهور ونيسي الصادرة بداية التسعينات والأخرى رواية "بحر الصمت"للروائية الجزائرية ياسمينة صالح الصادرة سنة 2002.

تعتبر رواية لونجة والغول لزهور ونيسي سردا وتصويرا لواقع حياة الجزائري (تحديدا القاطن بالقصبة) إبان فترة الإحتلال الفرنسي، والهموم التي يتشاركها أغلب الجزائريين آنذاك من فقر وعوز وحاجة وإنشغال يومي بتوفير لقمة العيش التي سرعانما ستتلاشى وتتضاءل وتخفّ ويتناساها الجزائري وتصبح أصغروأبسط همومه وأرحمها باستفاقته على كابوس الموت الذي أصبح يطرق بابه على حين غفلة يدخل دون استئذان دون سابق إنذار ودون مقدمات، أصبح الموت حدثا يوميا عاديا يتهيأ له الفرد وتترصده الأنفس كل لحظة باشتداد المعارك والإشتباكات مع حكومة الإستعمار بداية الثورة التحريرية المجيدة، فأصبح يموت بذلك طالب الشهادة ومن لم يفكر فيها في زمن ساوى فيه قدر الموت بين الجميع الفقراء منهم والأغنياء الجيّاع منهم والشبعى، أصبح هم الجميع الوطن والحرية الحلم الذي ينشده كل فرد كل رجل وكل امرأة.

وتقصّ لنا كل هذا وذاك على لسان بطلتها مليكة أو كما يدعوها زوجها كمال "لونجة "بجمالها الأخاذ والساحر، حيث تظهر لنا مليكة في بداية الرواية غير راضية على حياتها مشمئزة من فقر عائلتها حانقة ومحتجة على مصيرها وقدرها الذي لا تملك منه شيئا، لكنها مع ذلك كانت مواقفها ورغباتها من الحياة واضحة،تفكر بعقلانية وقراراتها وتصرفاتها تنمّ عن وعي ونضوج واتزان قلّما يصدر من فتاة بسنها وهذا بدا واضحا في موقفها من قرار أبيها بتزويجها من أحمد ابن صاحب له من العمل حيث لم تفكّر بالرفض والتمرد والعصيان لإتباع وتحقيق نزوة شباب طائشة جمعتها بابن جار لهم سليم مدركة تماما خطورة وحقيقة الأوضاع حينها ومعنى أن تكون امرأة في مجتمع مسلم محافظ ومستعمر، لقد كانت مثالا للمرأة الجزائرية التي تقدّس قيّم الحياء والشرف والعفة وتحترم العادات والتقاليد ولا تخرج عن طوع الآباء مؤمنة بقدرتهم على التمييز فيما فيه مصلحة للأبناء وعلى وعي تام بقداسة الرابط المسمى العائلة، كانت تمثّل ببساطة أحلام وقناعة المرأة في مجتمع محافظ وفق الثقافة السائدة آنذاك، ولا نلحظ لمليكة أية عتب أو لوم أو تأنيب بعدها لخضوعها لأوامر وقرارات أبيها فقد وجدت في زوجها أحمد نعم الزوج والرفيق وتعرفت معه على معنى آخر للحياة وطعم مغاير للحب، وكانت له بالمقابل نعم الزوجة محبذة ومراعية محلصة ووفية له حتى بعد استشهاده باستبعادها فكرة الزواج والعيش والحياة مع رجل آخر لتجبرها الظروف بعدها ويجبرها المجتمع على القبول بعد رفض طويل بالزواج مع أخ زوجها المتوفي" كمال"، لكي يستر عليها وعلى ابن أخيه وفق ما تقتضيه الأعراف، الذي ستألفه وتحبه مع مرور الزمن مع الحرب مع الآلام والخوف وخشية الفقدان لترحل هي في النهاية بعد مخاض عسير تاركة له "نوارة بنتا بسحرها وجمالها حاملة معها نشوة الحرية والنصر والإستقلال.

لقد كانت مليكة ببساطة نموذجا عن المرأة الجزائرية خلال فترة غير بعيدة من الزمن حيث كانت المرأة نادرا ما تدرس وتعمل أو حتى تخرج وتكشف نفسها للرجال،لقد كام هناك مفهوم مغاير للحشمة والمرأة غير مخيّرة في قراراتها وحياتها أسمى أحلامها إنشاء أسرة ودخول حياة جديدة بدور ومهمة أخرى ومسئولية أكبر، خاضعة وراضية بقرارات أهلها وإشرافهم على حياتها تطبّق أحيانا عن قناعة أو غير قناعة عادات المجتمع خشية وإسكاتا لأفواه الغير.

وتأتي رواية ياسمينة صالح"بحر الصمت" هي الأخرى لتسرد أحزان وأوجاع الجزائر،جراحها وتضخيات أبنائها إبّان الثورة التحريرية المجيدة، وتأتي المرأة فيها رمزا للوفاء والحب الصادق والإخلاص فبطلة الرواية "جميلة"التي كانت تربطها علاقة حبّ بالرشيد الذي التحق بصفوف الثورة ضد المستعمر الفرنسي ظلّت مخلصة ووفية له حت بعد استشهاده مثلما ظلّ هو الآخر يهيم بعشقها ويحلم بلقائها إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة، فالحب هنا في زمن الحرب يتراجع بمرتبة بدرجة بتضحية أمام الوطن،فحب الوطن والشرف والكرامة والحلم بالنصر والحرية تصبح أولوية ومسئولية كل فرد،غاية كل عاشق ومضحّي ويغدو الحب جريحا مشرّدا لامأوى ولا ملجأ له أمام حب الوطن،كما تعبّر شخصية جميلة أيضا عن صورة المرأة المثالية المتزنة الناضجة والواعية التي يزيد حسن أخلاقها من جمالها وجذابيتها لتصبح بذلك حلم وغاية أغلب الرجال،كما كانت لسي السعيد رمزا للوطن الوطن الذي انضم من أجله إلأى صفوف الثورة،كانت الثورة بتحدياتها ومخاطرها،كان عشقها هلاكا ومواجهة للموت كل يوم، كانت رمزا للجمال والحياة،كانت الأمل والسبب في البقاء، كانت الوطن الذي لا يمكن الحصول عليه إلا بالنصر والإستقلال، كانت الهدف الحريةـ فمنذ لقائهما الأول أدرك السي السعيد أنّ لا سبيل إلى إمرأة بمثل هذا الحسّ والوعي الثوري سوى الجهاد ضدّ المستعمر الغاشم فغدت ثورته التي يجب أن ينتصر فيها ولم يفقد الأمل حتى بعد إدراكه أنّها حبيبة السي الرشيد قائد الكتيبة التي كان ينتمي إليها الذي يستشهد بعدها تاركا له المزيد من الأمل والأحلام، ورغم زواج جميلة بالسي سعيد في النهاية وبعد محاولاته وطلباته المتكررة إلا أنها ظلت مخلصة لذكرى السي الرشيد وكما يقول السي سعيد"لم تخوني الرشيد لقد كانت روحك العذراء ملكا له" (ياسمينة صالح2002 ص :136).

وما يبدو جليا من خلال الروايتين أن جلّ العلاقات التي تجمع الذكر والأنثى كانت علاقات يطغى عليه شكل وحسّ قوي من الإحترام والتقدير والوقار وكأنّه يوجد مسافة وحدود لا يمكن لأحدهما أن يتخطاها، نابعة من القيّم الأخلاقية والإجتماعية الإسلامية التي نشأ عليها كلاهما والتي لا تزال حاضرة إلى يومنا هذا .

وإلى السعودية وإلى أحد الروايات التي أثارت ضجة كبيرة وطالعها القراء من مختلف أنحاء العالم "رواية أحببتك أكثر مما ينبغي" للروائية الشابة "أثير عبد الله النمشي"والتي تسرد لنا قصة حب تعيشها البطلة جمانة مع شاب سعودي عبد العزيز في ديار الغربة أين التقيا لمواصلة دراستهما الجامعية وتظهر جمانة من خلال الرواية بصورة المرأة السعودية الواعية المتعلمة والناضجة المتمسكة بقيمها والمحافظة على تقاليدها والتي أحسنت الإستفادة من الحرية الممنوحة لها حيث استغلتها للدراسة والتعلم واستكشاف ثقافة الآخر والتعايش معه سعيا وراء تحقيق أحلامها وأحلام والديها بالنجاح،فجمانة ورغم المسافات البعيدة التي تفصلها عن عائلتها وعن المجتمع السعودي وعن تلك القيود التي تفرض على المرأة هناك لم تُجر وراء تلك المفاهيم الزائفة عن الحرية التي يروج لها الغرب وتغري البعض رغم تناقضها الشديد مع قيم وأعرافنا العربية الإسلامية،مقيمة بذلك رقابة ذاتية على تصرفاتها وأفعالها حافظة للأمانة والثقة التي منحها والداها ورغم حبها الشديد لعزيز فهي تأبى إلا أن تسير علاقتهما وفق العادات والأصول المتعارف عليها في مجتمعها من خطبة وتعارف بين الأهل فقراءة الفاتحة وحفل الزفاف ورغم أنّ الأمور لم تسر في النهاية مثلما حلمت بها وخططت لها جمانة بسبب خيانات عزيز المتكررة لها فهي تظهر بصورة المرأة القوية المقاومة الصامدة التي لا تخشى الوقوع وتنهض ولا تستسلم ولا ترضخ للألم، تفكر بعقلانية، حاسمة في قراراتها، متفائلة وأملها نابع من قوة إيمانها، إمرأة وفية ومخلصة لحبيب تعوّد على الغدر بها تعود وتثق به على أمل زائف أن يتغير تعلم أنّه لن يتغير تبقى محتارة هكذا بين عقلها وقلبها تسامحه إلى أن تقطع أملها منه في النهاية معاتبة نفسها على دخولها في علاقة ،مع شاب لعوب حذّرها منه الجميع ،كانت تعلم منذ البداية أنها الخاسرة الوحيدة فيها.

على عكس ما تظهر عليه شخصية صبا في رواية "الفردوس اليباب" ليلى الجهني حيث تحاول صبا التحرر والتخلص من القيود الإجتماعية والقيّم الأخلاقية في علاقتها مع عامر حيث تراها عائقا يحول أمام سعادتهما يمنعها الولوج ويحرمها نعيم الفردوس مع حبيبها رغم إدراكها أنّ ماتقوم به مرفوض وغير مقبول ويعدّ علاقة محرمة في المجتمع السعودي والعربي بشكل عام إلا أنها تخاطر وتغامر في سبيل عشقها الذي ظنت أنه دائم وحفاظا على فردوسها الذي سرعانما سيصبح يبابا وهميا عندما يسئم عامر منها ويتهرب منها عندما تخبره أنها حامل ويرفض الزواج منها وحتى الإعتراف بالمولود الذي سيشكك في أبوته له وفي أخلاقها وحبها له ويسارع لخطبة خالدة صديقة صبا التي لا تعلم شيئا عن علاقتهما ولفضلها لأنها أشرف وأصلح أن تكون زوجة من صبا مما يدفع صبا إلى التفكير في الإنتحار عدة مرات لتقدم عليه لا إراديا في النهاية عند محاولتها إجهاض الجنين بطريقة غير قانونية وتقليدية مع إحدى القابلات فتزداد المضاعفات وتخور قوى صبا فتموت وحيدة في غرفة مظلمة مهجورة خوفا من

الفضيحة الإجتماعية دافعة ثمن علاقة أًضحت كابوسا يتهدد حياتها كل لحظة، وبهذا تكون صبا قد مثلت صورة المرأة المتمردة المتهورة التي لا تدرك خطورة أفعالها والتي سرعانما تصبح وحيدة خائفة ضعيفة ويائسة باستفاقتها على حقيقة واقعها ووجودها وبمواجهتها لظروفها التي ستذكرها معنى أن تكون امرأة وسط مجتمع بقيّم وتقاليد لم تقدر وجودها ولم تفكر في احترامها واتباعها في البداية .

أما في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى"للروائية الكويتية" بثينة العيسى" تأتي شخصية فاطمة لتؤكد لنا زيف المقولة التي يواسى بها الصغار بقولهم ستكبر وتنسى، فها هي لم تنس أي شيئ مما عاشته وظلّ يلاحقها وينخر داخلها كل يوم فهي لم تنس وفاة والديها ويتمها ولم تنس ظلم وجور أخيها غير الشقيق صقر وطفولتها التي حرمها منها بفتاويه التي كان يحرّم من خلاله أي سبيل إلى المتعة إلى قلبها حيث يظهر هنا في هذه الرواية الأخ غير الشقيق مصدر جحيم وبؤس وتعاسة فاطمة وليس الحبيب أو الزوج كما قد نصادف في الروايات الأخرى فالتهديد يمكن أن يكون من الداخل أحيانا وليس من الخارج والغرباء دائما، وبما أنّ مأساة فاطمة بدأت في الثالثة عشر من عمرها فقد تعودت شخصيتها على الخضوع والرضوخ لأوامر صقر دون إحتجاج أو رفض أو مواجهة فقد اعتادت على القبول والسكوت والرضاء وتنفيذ طلباته حتى عندما قرّر تزويجها بصديق له وهي على علاقة بعصام انصاعت لأوامر أخيها دون تفكير لقد خلق بداخلها رعبا وخوفا مميتا فهي ترهبه وتخشى تعنيفه لها وعقابه فصارت ضحية له ولفكره المتعصب ونفسيته المريضة، لكنها ومع ذلك تبادر في النهاية وتحاول الخروج من الجحيم الذي خلقه لها صقر ببداية بالطلاق والتفكير بالعودة إلى عصام الذي وجدت معه معنى الطمأنينة والأمان.

وفي رواية "عام الفيل"للروائية المغربية" ليلى أبو زيد" تظهر شخصية البطلة زهرة بصورة المرأة القوية الواعية المناضلة والمساندة لزوجها في كفاحه ضدّ المستعمر الغاشم وفية لقيمها الوطنية والإجتماعية ومتفائلة بمغرب ما بعد الإستقلال متفائلة بزمن الحرية الذي ستتفاجأ بعدها بأنّها غريبة عليه، فأمام كل الترقيات التي نالها زوجها بعد الإستقلال لم تستطع هي أن تتنكر لمبادئها وثقافتها بالسرعة التي قام هو بها ولم تستطع أن تتأقلم وتتبنى أسلوب حياة معاصر في نظر زوجها لكنه غربي غريب ومن ثقافة ومجتمع كانا يكافحان ويحاربان من أجل خروجه في السابق، فوجدت نفسها امرأة مطلقة ضحية كلمة أطلقها زوجها لحظة غضب ضحية موقف ورأي ضحية شخصيتها ومبادئها التي عزّ عليها التخلي عنها، فهي كانت ضحية شخص تغريه المظاهر محدود النظر مولوع بالغرب لم تستطع إقناعه أنّ التحضر يكمن في الأخلاق والمبادئ وليس بالمظاهر والملابس وزيف وفساد تلك الصورة التي يبروج لها الغرب عن المرأة، لكن ومع هذا

نجد زهرة صامدة وقوية واجهت أزمتها وواقعها واعتمدت على نفسها وخرجت للعمل متصدية للصعاب في مجتمع وزمن يعيب على المرأة طلاقها.

أما شخصية عفاف في رواية "ذكريات امرأة غير واقعية" للروائية سحر خليفة فهي شخصية رومانسية حالمة مترددة وحانقة على مجتمعها تفكر بالتمرد لوهلة لكنها سرعانما تتراجع وكأنّ قيود المجتمع والأعراف والتقاليد تضغط عليها تخنقها وتسحبها إلى الوراءوتوقظها على حقيقة الحياة، على واقع مجتمعها،على حقيقة وجودها وانتمائها ومحيطها، فنجدها في حالة صراع دائم بين منطقها أحلامها وواقعها،غالبا مكتئبة وتنظر إلى العالم بسوداوية لاعنة قدرها حظها وزواجها التعيس جسدها العقيم ومرارة الوحدة التي أدينت بها، وحيدة لا يطاوع أحد جموحها يكبحه أحدهم يكبحه المجتمع فترضخ وتستسلم، لم تذق طعم النجاح ونشوة النصر في الحياة لم تثبت وجودها ولم تتعرف على حقيقتها ولم تستكشف قدراتها ومواهبها،تعيسة وغير راضية بما اختير لها فبقيت تائهة هكذا تبحث عن نفسها عن سعادتها وعن حياتها الضائعة لا يرضيها من حولها ولا أفكارهم ولا مواقفهم ولا يرضيها عجزها عن تغييرهم وإقناعهم بزيف وتخلف مبادئهم،لم تستطع أن تكون نفسها وتعيش حياتها وأحلامها فقد كانت قوية وضعيفة في آن واحد،طائشة ومطيعة،متمردة وانهزامية،مزاجية ومتهورة، ضائعة بين فلسفتها وأحلامها ومجتمعها،امرأة أرادت الحب والإستقلالية في مجتمع تقليدي محافظ يراه وقاحة وفسقا وعارا.

وتبقى هذه النماذج التي اخترناها مجرد نبذة صغيرة من الصور المتعددة التي اتخذتها المرأة في الرواية العربية منذ نشأتها إلى يومنا هذا والتي تعكس في كل صورة من صورها حالات لشخوص ونفسيات تعبّر عن واقع مجتمعاتنا العربية ومكانة ودور الأنثى فيها.

2-5-الـــروايـــة الـــنـــســـويـــة:

"يقول جورج طرابيشي في دراسة تحليلية لبعض الأعمال الروائية لكبار أدباءنا العرب (نجيب محفوظ- رواية ميرامار، فتحي غانم -زينب والعرش، توفيق الحكيم- عودة الروح)كم تخسر المرأة باعتبارها إنسانا حين تُحوّل إلى رمز للوطن وكم يخسر الوطن نفسه حين يرمز له بكائن لا حرية له"(جورج طرابيشي 1981 غلاف الكتاب).

إنّ عبارة أو مصطلح "الرواية النسوية" ليست بهذه الدرجة من الغموض أوالتعقيد كما روّج عنها والتي قد تجعل القارئ يعرض عنها ولا يجازف بمطالعتها نظرا لكثرة الجدل والشكوك التي أحيطت بهذا المصطلح، والتي بلغت إلى حدّ التشكيك في وجوده ووجود أدب نسوي ينتمي إليه ولا تزال إلى يومنا هذا تثار أحيانا هذه الأسئلة والمناقشات وتطرح قضية الإعتراف بالأدب النسوي، وهذا الإعتراض والرفض والحدّة التي رافقت ظهور هذا الأدب جعلت العديد من الأقلام الإبداعية النسوية ترفض في البداية تصنيف أدبهن أو إطلاق عليه صفة النسوية تخوفا من الإهمال والتهميش والنقد غير الموضوعي الذي قد تلقاه أعمالهن لأنّه لسبب أو لآخر ودون الإعتماد على الموضوعية وعلى مقاييس فنية وأدبية تمّ إتهام أدب المرأة وطبعه بالدونية والنقص لأنّها وقبل كل شيئ أنثى لها إمكانيات جسدية محدودة وبالتالي قدراتها الفكرية أيضا محدودة ولا يمكنها إطلاقا أن توازي قدرات الرجل وتنافسه في هذا المجال إضافة إلى وصفها بالعاطفية والحساسية وتغلب عواطفها وسيطرتها على قراراتها وغيرها من السلبيات التي نسبت إليها وجعلت من كل إنتاج أدبي تقدّمه ويصدر عنها قليل الشأن والأهمية يخوض فقط في مواضيع سطحية عاطفية كالحب والزواج والأطفال وغيرها من الأمور التي لا تهم سوى النسوة مما أثار مخاوف العديد من المبدعات وجعلهن يعرضنّ ويتفادين المغامرة في جعل أدبهن مادة لهذا الجدل كما رأين : "أنّ الحديث عن أدب نسوي هو طرح خاطئ ومفتعل لقضية الأدب لأنّه يجعل المرأة تستخدم سلاح أنوثتها من أجل ترويج كلماتها في مجتمع مكبوت تاريخيا"(شهلا العجيلي 2011 ص :77) ، والحقيقة أنّ كتابات النساء قد أثبتت ومنذ البداية عكس ما شاع عنها بطرحها ومناقشتها لمواضيع مختلفة إجتماعية وسياسية وغيرها وليس من الغريب أن تربط هذه المواضيع بشخصها لأنّها وعبر كتاباتها كانت تسعى إلى إيجاد مكانة وهوية لنفسها وسط مجتمع ذكوري لا يقدّر المرأة ولا جهودها أو إحتياجاتها وقد وجدت في الكتابة عونا كبيرا لمسيرتها التحررية ونضالها ضدّ القمع والظلم والإستبداد والتخلف الذي كانت تعيشه.

كما أنّ معالجة المرأة وطرحها لمختلف القضايا لا بدّ أن يكون فيه نوع من التغيير والإختلاف لأنّ موقعها في المجتمع يختلف عن موقع الرجل لهذا ستتطرق للموضوع من

زاويتها من منظورها من دورها ومدى تورّطها في الموضوع، وبعيدا عن الكتابة إذا اقتربنا من الجنسين معا لإيضاح أو تفسير أي حدث أو ظاهرة إجتماعية أو موقفهما إزاء أية تجربة معيشية ستكون الشهادتان مختلفتان نسبيا إختلافا يقتضيه موقع المتحدث من التجربة، دوره ومدى تورطه وتأثره بها مما يفرض بالضرورة رؤى ومواقف مختلفة، وهذا الإختلاف كما ذكرنا في الفصل السابق إختلاف لا بدّ منه لأنّ الخالق عزّوجلّ خلق هذين الجنسين مختلفين ليتكاملا لا ليعيب أحدهما الآخر، وبالنسبة إلى الكتابة لا بدّ من الإختلاف في كتابات الجنسين لأنّ لكلاهما خصائص وميزات بيولوجية ونفسية مختلفة مما يفرض تجارب مختلفة وبالتالي طموحات وآراء ومطالب مختلفة لاسيما وسط ما عاشته المرأة في المجتمعات القديمة من كبت وقهر نفسي وفكري وظلم وقمع فرضته طبيعة المجتمعات والعرف والتقاليد "فنحن ندرج على مسرح الحياة ونحن لا نحمل سوى الخبرة البيولوجية للجنس الواحد،أما الخبرة الهامة الثانية التي تميّز الإنسان-الخبرة الإجتماعية التاريخية –فتتوافر لنا من خلال معارك الحياة"(شهلا العجيلي 2011ص :74)فليس الجنس أو الإختلافات البيولوجية هي التي تحدد الإختلاف بالضرورة بل التجربة وما عايشه الفرد واكتسبه وتعرض له في حياته وعلاقاته لهذا قد نصادف إختلافات في كتابات الجنس الواحد سواء كانوا رجالا أو نساءً بحكم التجربة،المستوى العلمي،المركز الإجتماعي، الظروف المعيشية، الشخصية، الذهنية وأسلوب الكاتب لذلك لا عتب إن اختلفت كتابات المرأة عن كتابات الرجل، بل لا بدّ أن تختلف، ولا تنقص من قيمتها ولا من دورها ولا من مكانتها في الوسط الأدبي.

ويرى العديد من الباحثين أنّ جذور هذا الأدب لا تعود إلى ما نسبت إليه من تواريخ متأخرة سواء في الشرق أو في الغرب حيث "دخل مصطلح الأدب النسوي حقل التداول الثقافي والنقدي العربي في النصف الثاني من سبعينات القرن العشرين بعد أن نشأ في أوربا في نهايات القرن الثامن عشر"(نجيم مفيد2005 ص :160) فمثلما تقول فرجينيا وولف عن سبب عدم وجود كتابات نسوية قبل القرن الثامن عشر يعود إلى سيطرة الجنس الذكوري على ميدان الأدب والتاريخ ومحوهم وتجاهلهم لكل عمل نسوي كتابي حتى يبقى الرجل المسيطر الوحيد في هذا المجال وليفتخر بانجازاته وسلطته ونفوذه التي أورثها وأجازها له المجتمع على حساب المرأة، فمنافستها له ومشاركتها له في ميادين اعتبرها ملكه وحقّه كانت تهديدا وتشكيكا، لمدى أفضليته وقوته وامتيازه على الجنس الأنثوي، لا يسمح بهما وهذا ما حدث في الشرق أيضا حيث أكدّ العديد من الباحثين أنّ عدد الأشعار والكتابات النثرية التي قامت بها النساء قبل الإسلام وبعده أكثر بكثير مما وصلنا عنها و هذا عائد إما لإنصراف الناقلين عنه لصدوره من عند النساء أو لضياعه رغم قوة شعرهن وفصاحتهن وبلاغة وحسن نظمهن في شتى الأغراض الشعرية غير الغزل والرثاء، حتى أنّهن بلغن من الموهبة والإبداع ما خوّلهن في الحكم وتقييم أقوال

كبار الشعراء حينها أمثال تماضر بنت عمرو بنت الحرث بن شريد المعروفة بالخنساء وأم جندب زوجة امرئ القيس (نجم مفيد 2005 ص:29) لتستمرهذه الممارسة بعد الإسلام بظهور أسماء نسوية أخرى حيث يقول الدكتور محمد معبدي في كتاب عن الأدب النسائي في مرحلة ما قبل الإسلام :"أنّ الكاتبات النساء اللواتي يظهرن في هذا الكتاب يمثّلن نسبة ضئيلة من النساء اللواتي نظمن الشعر وكتبن النثر في مرحلة ما قبل الإسلام والمرحلة الإسلامية"(بثينة شعبان 1999 ص:26).

وإلى جانب الإبداع الأدبي النسوي العربي فإنّ الحسّ والوعي النسوي التحرري كان موجودا لدى النساء الشرقيات إذ شققن مسيرتهن النضالية عبر تأسيس المنظمات والجمعيات وعبر التحرير والكتابة حيث عبّرن عن مطالبهن وحقوقهن وحريتهن، وحاولن توعية المرأة العربية وتخليصها من قيود المجتمع التي أسرت حريتها وجعلتها حبيسة مخاوفها سجينة الآخر والعائلة والعرف والتقاليد، شعرا ونثرا مما مهدّ لظهور ما يسمى بالصحافة النسائية العربية التي ضمّت مجموعة من الأدبيات والناشطات النسويات اللاتي قمن بتأسيس المجلات النسوية والصحف واللاتي ناقشن فيها مختلف القضايا النسوية منها والوطنية ويعود تاريخ أوّل ظهور لمجلة نسائية عربية إلى القرن التاسع عشر حيث :"في عام 1892 أصدرت إمرأة سورية ،هي هند نوفل، المجلة النسائية الأولي بعنوان الفتاة في الإسكندرية معلنة بذلك بداية حقبة من الصحافة النسائية العربية المزدهرة، والتي ألقت الضوء منذ ذلك الوقت على الكتابات النسائية، لقد كان هناك قبل الحرب العالمية الأولي أكثر من 25 مجلة نسائية في العالم العربي تملكها وتحررها وتنشرها نساء وقد صرحت رئيسات تحرير هذه المجلات أنّ أهم شاغل لهن هو المرأة أدب المرأة، وحقوق المرأة ومستقبل المرأة"(بثينة شعبان 1999 ص:39) وبهذا نجد أنّ المسيرة التحررية للمرأة العربية واقتحامها ميدان التأليف والكتابة أبكر بكثير مما يؤرخ له البعض من الباحثين، وهذا ليس بالأمر الذي يعجب له فامرأة نافست كبار شعراء عصرها وامرأة قاتلت لنصرة قبيلتها وأرضها واستشيرت في أمور السياسة والحكم والدين، لا بدّ أن تكون على هذه الدرجة من الوعي والحكمة في الأزمان اللاحقة ببلوغها ما لم تنله في فيما مضى من ميزات كتعليم متطور وتوظيف لحقوقها السياسية والمدنية مع ما عرفته المجتمعات العربية من تغييرات إذ ناقشت في كتاباتها وتعرضت للعديد من المسائل التي تخص المرأة والتي لا تزال إلى يومنا هذا تطرح ولم تتقدّم كثيرا في بعض المناطق كقضايا الزواج والطلاق والتعليم والعمل وغيرها، ورغم المحاولات المتكررة للناشطات النسويات لتوعية المرأة العربية بحقوقها وبأهمية وضرورة حريتها الفردية واستقلاليتها ومحاولة توجيه تفكيرها وتغييرموقفها إزاء بعض المسائل،لازالت العديد من النسوة تفضّل الصمود والرضوخ للظلم والإستبداد بدل المواجهة والتغيير ربما تخوّفا من التغيير أو لإنعدام وخشية عدم إيجاد دعم مادي ومعنوي يساعدها على البدء من جديد

وغالب خوفا من موقف الآخر وردة فعل ونظرة المجتمع إليها في ظلّ غياب وقلة المنشئات والمراكز والجمعيات التي توفر لها الحماية والأمان وتمدّ لها يد العون في العديد من البلدان العربية.

أما عن مشاركة المرأة العربية ودورها في ظهور جنس الرواية في البلاد العربية،التي يصفها جورج طرابيشي "بأنها كانت ولا تزال رواية الرجل لما استطعنا أن نفهم كيف أمكن أن تنحط المرأة في رواياتهم من إنسان إلى رمز والترميز يفترض أصلا بالموضوع المرموز أن يكون قابلا للتشكيل أي مادة مطاوعة يحدّد الآخر مصائرها"(جورج طرابيشي 1981 غلاف الكتاب)، فيجمع الباحثون على أنّ ظهور أول رواية لامرأة عربية جاءت في النصف الأول من القرن العشرين وبعد مرور فترة زمنية معتبرة من ظهور أول رواية عربية "رواية زينب" لمؤلفها محمد حسن هيكل بالقاهرة سنة 1914بالرغم من ظهور بعض المحاولات الأدبية التي كتبت قبل هذه الفترة من قبل كتاّب أمثال أحمد فارس الشدياق، ابراهيم اليازجي، سليم البستاني وغيرهم لكنها استثنيت لافتقارها وعدم موافقتها للعناصر والمقومات الفنيّة التي تقوم عليها الرواية.

إنّ غياب المرأة العربية وتأخرها عن الساحة الروائية العربية رغم تاريخها الحافل في ميدان الأدب وشهرتها الواسعة في قول الشعر ونظم النثر وممارسة فن الحكي على مرّ العصور يجعل الفرد يتساءل عن الأسباب الكامنة وراء تأخرها في تجريب فن الرواية حيث يؤرخ لعام 1949 بأنّه أوّل تاريخ لظهور رواية من تأليف إمرأة عربية وهي رواية :"أروى بنت الخطوب"للروائية السورية وداد سكاكيني التي ظهرت بالقاهرة،لكن تشير الباحثة بثينة شعبان في كتابها "100عام من الرواية النسائية العربية"أنّ المرأة الكاتبة في البلاد العربية قد ألفت ما يقارب ثلاثة عشر رواية قبل هذا التاريخ وقبل سنة 1914بالتحديد التي تشير إلى تاريخ أوّل ظهور للرواية العربية إذ تعود أول محاولة لسنة 1899للكاتبة اللبنانية زينب الفواز:"ويبدو أنّ معظم المحاولات الرائدة قد ظهرت في لبنان،أو وضعتها كاتبات لبنانيات في مصر،ووجدت أوّلا أنّ فريدة عطايا قد نشرت روايتها التاريخية بين عرشين عام 1912.....وأنّ الكاتبة اللبنانية عفيفة كرم التي هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية قد نشرت أكثر من رواية قبل عام 1914وتوصلت أخيرا إلى أنّ الكاتبة الرائدة للرواية العربية هي زينب فواز،وهي أيضا كاتبة لبنانية، وقد نشرت روايتها الأولى حسن العواقب أو غادة الزهراء عام 1899،وبعد بضع سنوات نشرت رواية أخرى أسمتها الملك قورش وهي قصة رمزية تارخية،كما نشرت الكاتبة اللبنانية لبيبة هاشم....رواية عام 1904 بعنوان قلب الرجل وفي عام 1907نشرت رواية أخرى يعنوان شيرين بنت الشرق وفي عام 1904 نشرت لبيبة ميخائيل صوايا من لبنان روايتها حسناء سانوليك على حلقات في جريدة الهدى في نيويورك"(بثينة شعبان 1999ص :47).

وبهذا تكون زينب الفواز ليس فقط رائدة الكتابة النسوية العربية بل من الأوائل الذين طالبوا بحقوق وحرية المرأة في البلاد العربية حيث ظهر الوعي والحسّ التحرري لديها في وقت مبكر وانعكس هذا على كتاباتها ومنشوراتها ونشاطاتها في سبيل حقوق المرأة وحريتها حيث بلغت جهودها العالمية بمشاركتها في مختلف المؤتمرات الدولية التي كانت تقام من أجل قضية المرأة إضافة إلى جهود مثيلاتها ممن كنّ يؤمن بمسألة حرية المرأة ويسعين إلى تغيير مصيرها كالروائية والناشطة السورية عفيفة كرم التي ناقشت في روايتها "بديعة وفؤاد"بعض المسائل الجوهرية التي تهم المرأة ومفهومي الحضارة والهوية العربية وتعرضت إلى تأثير وانعكاسات الثقافة والمجتمع والسلطة على العلاقة بين الجنسين مشيرة إلى أنّ للجنس الأنثوي أخطاء ونقاط ضعف مثلها مثل الجنس الذكري ويجب أن لاتبنى العلاقة بينهما على أساس المال والقوة أو الجنس أو العرق بل على أساس الإنسانية والقيمة المعنوية للشخص ومؤهلاته ودوره في المجتمع، هذه الأعمال النسوية وغيرها كلها ألّف قبل صدور رواية زينب التي تعتبر أول رواية عربية بالمعنى الحديث لها مما يشير إلى دور ومساهمة العنصر النسوي في ميلاد وظهور الرواية العربية والذي تمّ تجاهله من قبل العديد من الباحثين والنقاد وقد يرجع السبب في ذلك كما يقول الكاتب محمد دكروب:"إنّ السبب الوحيد الذي يمكن لي أن أفكر به هو أنّ الكتّاب- بما فيهم أنا طبعا- يعتقدون بشكل لا شعوري أنّ الأدب الذي كتبته النساء غير هام"(بثينة شعبان 1999ص :62).

لكن الساحة الأدبية العربية تشهد وتعرف نوعا من الإختلاف والتعارض في هذا الموضوع فتتفق إيمان القاضي مع بثينة شعبان بأن رواية زينب فواز "حسن العواقب أو غادة الزهراء"هي أول رواية نسوية عربية بينما يخالفها عفيف دراج الرأي حيث يذهب بأن رواية "أليس بطرس البستاني "(صائبة) الصادرة عام 1891 هي أول إصدار روائي نسوي عربي تليها بعد ذلك رواية زينب فواز عام 1899، بينما يرى نزيه أبو نضال أنّ رواية "نتائج الأحوال"(لعائشة التيمورية)عام 1885 هي التي شكلت الإنطلاقة في العمل الروائي النسوي العربي.

ليأتي أيضا بعدهن الجيل الثاني من الروائيات مطلع الخمسينات من القرن العشرين بنصوص:"في حالة تمرد عن الوعي الذكوري ترفض وتطالب وتصحح حتى نعت أدب المرأة فيمرحلته الأولى بأدب الرفض نظرا للحضور القوي للإحتجاج الذي استعملت فيه المبدعة معول التحليل لتصحيح المفاهيم المغلوطة التي يحملها المجتمع عن جنس النساء ومن بين هذه المبدعات نذكر:"صبرية محمد، هيتم نويلاتي، همد سلامة، فتحية محمود الباتع،كوليت خوري، ماجدة العطار، خناثة بنونة، آمنة اللوه، فاطمة الراوي، عروسية الناتولي، عزيزة الأبراشي، ليلى بعلبكب، إملي نصر الله، وداد سكاكيني...."(عبد النور إدريس 2013ص :28) ما يؤكد على المنحى التحرري الذي سلكته كتابات المرأة منذ

البداية والتي وجدت في هذا الميدان ساحة ومعترك جديد لنصرة قضيتها وتحقيق مطالبها وتغيير أوضاعها عبر محاربة تلك التصورات القديمة المشوهة والمحتقرة لجنس النساء المتجذرة في عمق تاريخ وفكر وثقافة المجتمعات.

ولقد تزامن ظهور هذه الأعمال النسوية في البلاد العربية مع الأوضاع السياسية المتدهورة التي كانت تشهدها هذه البلدان حينها التي كانت معظمها تحت وطأة الإستعمار الغربي والتي أثرت بدورها على وضع المرأة وزادته سوءا مما جعل الروائيات يجمعن في كتاباتهن بين النزعة التحررية الوطنية والرغبة في الإستقلال والحرية الفردية وغالبا ما كنّ يسقطن سيطرة المستعمر وحكمه الغاصب على البلاد العربية وشعبها بالسلطة الذكورية والإستبداد الذي يمارس في حق المرأة العربية لهذا غالبا ما كانت رواياتهن توّجه إلى الرجال قبل النساء ويحاولن من خلال بطلاتهن مخاطبة الرجل وتغيير نظرته ونظرة المجتمع نحو المرأة وتصحيح أحكامه المسبقة بخصوصها وتذكيره بمشروعية مطالبها وحقوقها التي لا تسعى من خلالها إلى التفوق على الرجل أو زعزعته عن عرشه فهي ليست في سباق معه ولا تطمح أيضا لهدم القيّم الدينية والثقافية العربية التي تفرض قدرا من الإحترام والتقدير والمسافة بين الرجل والمرأة سواء داخل الأسرة أو خارجها بصفته قريبا أم أجنبيا، بل تسعى إلى إعادة بناء وتنظيم هذه العلاقة بين الطرفين التي ارتكزت على العديد من المفاهيم الرجعية غير المنطقية والظالمة بحق المرأة التي تجعل الذكر المتحكّم والمسيطر الوحيد على حياتها في حين أنّها مثلها مثل الرجل لها حقوق وواجبات وحرية التصرف وتسيير حياتها وتحقيق طموحاتها في حدود ما يسمح به الشرع والعرف الإجتماعي العربي، تقول الدكتورة شيرين أبو النجا:"إذ حدث خطأ تاريخيا واعتقد الخطاب الأبوي أنّ المرأة تريد أن تصبح رجلا ونتج عن ذلك المقولة الشهيرة الرجل رجل والمرأة إمرأة وهي مقولة رغم بساطتها المتناهية صحيحة تماما رغم أنّ قائليها لا يقصدون معناها الجوهري الصحيح بل يرمون من ورائها إلى تكريس تفوق الرجل"(شيرين أبو النجا 1998 ص :19)، ويمكننا القول أنّ جهود هاته النسوة وغيرهن إلى يومنا هذا قد أتت بثمارها وقد نجحن في تغيير مصير وحياة المرأة العربية التي نراها اليوم في شتّى المناصب وفي مختلف نشاطات الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية وحتى في المحافل الدولية وتشهد البلاد العربية اليوم على نجاحات المرأة العربية في مختلف القطاعات باستثناء بعض الحالات التي تجهد الجمعيات والمنظمات النسوية على إزالتها لكن وضع المرأة العربية عموما قد تغير بشكل كبير عما كان عليه في السابق،صحيح أنّه لم يتغير جذريا لكنه شهد تطورات ملحوظة وتحسّن نسبيا عن الماضي، وتلك الحالات التي نصادفها من تعنيف جسدي وقهر نفسي تبقى حاضرة ليس في المجتمعات العربية فقط بل حتى في أكثر المجتمعات تطورا ورقيا وهي غالبا ما تصدر من قلوب غير رحيمة ونفوس قليلة الإيمان دون ضمير وبعقول خاوية لهذا قد

يستعجب المرء أحيانا من وجود حالات مشابهة في المجتمعات العربية الإسلامية حيث يشكّل الوازع الديني أهمية كبيرة في حياة الأفراد والدين الإسلامي دين الحق والرحمة والتسامح والرفق بالمرأة، لهذا قد نعزو هذه التصرفات لجهل الأفراد وإبتعادهم عن الله عزّوجلّ ونأمل أن تقضي المنظمات والجمعيات النسوية على أكبر عدد ممكن من هذه الحالات وتساعد أكثر عدد ممكن من النساء بالقيام بحملات توعوية وتحسيسية أكثر وتذكير الأفراد بمدى خطورة وحساسية هذه الآفة على الأفراد والمجتمع ككل.

ومثلما ذكرت ساندي سالم أبو سيف في كتابها:"الرواية العربية وإشكالية التصنيف" التصنيفات المختلفة التي قام بها كتّاب ونقّاد ومفكّرون عرب للرواية العربية أمثال فرح أنطون، محمد يوسف نجم، أحمد أبو مطر، خالدة سعيد، طه وادي،ا براهيم سعافين وغيرهم وفق مجموعة من المعايير والمقاييس التي ارتأوها مناسبة لذلك فمنهم من صنّفها على أساس مذهبي فقسّمها إلى رواية رومانسية وواقعية ووجودية، ومنهم من صنّفها على أساس المضمون أو الموضوع الذي تعالجه، وصنّفها البعض الآخر على أساس الغاية والغرض الذي تهدف إليه وآخرون وفق معايير زمنية أو مكانية ليجمع البعض منهم أحيانا بين معيارين معا، وتعتبر الرواية النسوية شكلا من أشكال الرواية العربية التي تندرج ضمن هذه التصنيفات الروائية وتحديدا تلك القائمة على المضمون حيث وصفت بالنسوية نسبة إلى مضمونها وخطابها الذي يعج بأفكار تحررية تنادي بحرية واستقلالية وحقوق وحرية المرأة لتخرج هي الأخرى بدورها إلى تصنيفات فرعية أخرى فنجد:روايات الوطن النسوية ، روايات الحرب النسائية، روايات الإنتفاضة النسائية، روايات السيرة الذاتية النسوية وغيرها (أنظر ساندي سالم أبو سيف 2008 ص :148) .

وبهذا يكون الأدب النسوي قد أثبت مرة أخرى أنّ المرأة مهتمة وعلى وعي تام بكافة القضايا التي تحدث ليس في مجتمعها فقط بل في البلاد العربية كافة وقد أوضحت في العديد من رواياتها عن انشغالها ومساندتها لقضايا التحرر الوطنية القائمة في مختلق الدول العربية خلال القرن العشرين وأكّدت على أهميتها وعلاقتها الوطيدة بقضية تحرر المرأة العربية، فهي إذن لم تناقش فقط مسائلها الشخصية ومواضيع سطحية في كتاباتها بل عكست اهتماماتها وطموحاتها وربطتها بمختلف القضايا السياسية للبلاد العربية حينها في رواياتها فتنوعت مواضيعها بين سياسية وإجتماعية ونفسية وغيرها ومن أمثال هذه الروايات:"دمشق يابسمة الحزن للكاتبة السورية ألفة الإدلبي، عصافير الفجر للروائية اللبنانية ليلى عسيران، الدوامة للروائية السورية قمر كيلاني، وداع مع الأصيل للكاتبة الفلسطينية فتحية محمود الباتع، وتشرق غربا للكاتبة الأردنية ليلى الأطرش، سأمر على الأحزان للكاتبة اللبنانية بلقيس الحرماني، ليلة المليار للكاتبة السورية غادة السمان" (بثينة شعبان 1999ص :141) وغيرها من الأعمال التي وظفت فيها الروائيات العربيات بطلاتهن لمناقشة وكشف حقيقة وزيف العلاقات والقيّم الإجتماعية والسياسية التي كانت

سائدة في المجتمعات العربية حينها وانعكاسها على وضع المرأة وحياتها:"لأنّ الرواية تحديدا لا يمكنها أن تكون نزوة عقلية أو فكرة مجردة أو لعبة سردية تتولّد من الفراغ إنها بكل تأكيد في كليتها أو جزئيتها لا بدّ أن تنطلق من نشأتها على الأقل أو مكوناتها الرئيسة من سيرة الكاتب الواقعية والثقافية"(حسين المناصرة 2008 ص:49)، وتشهد هذه الأعمال الروائية العربية على مدى براعة وكفاءة ووعي المرأة العربية بمحيطها وعلى جهودها في سبيل الحرية والتغيير وعلى إسهاماتها في التأريخ والتعرض لما عاصرته من أحداث وثورات في مختلف أنحاء البلاد العربية، وعلى الإهمال والنقد والتهميش الذي تعرضت له أعمالها من قبل النقاد الذين تجاهلوها ورأوها بأنّها أعمال خالصة للنساء ولا تهم سواهن رغم تنوع مواضيعها وثراءها وشموليتها ورؤيتها للأحداث بعين الملاحظ وكونها مشاركة فيها ومتأثرة بها مما يضمن لها تغطية أوسع للأحداث على الصعيد الفردي، النفسي، الإجتماعي، السياسي والثقافي، ويرى بعض الأدباء والنقاد أن:"كتابة النساء في الوطن العربي مرت بثلاث مراحل أوّلها مرحلة المحاكاة للأشكال الأدبية السائدة وتقاليدها الأدبية المهيمنة وسميت بالمرحلة المؤنثة وثانيتها مرحلة الإعتراض على هذه المعايير والقيّم وسميت بالمرحلة النسوية وجاءت أخيرا مرحلة إكتشاف الذات وسميت بالأنثوية "(شهلا العجيلي 2011 ص :82) وقد اختلفت كتابات المرأة خلال هذه المراحل الثلاث لا سيما كتابات المرحلة الأخيرة حيث تميزت كتابات المراحل السابقة :"بالتمركز حول الذات، وفض السلطة الذكورية والبحث عن الحرية" (نجم مفيد 2005 ص:167)أما في كتابات المرحلة الأخيرة فنشهد عموما تبني المرأة لفلسفة واستراتيجية جديدة في مجال الكتابة مما يبرز التقدم الذي أحرزته في قضيتها وفي رؤيتها وفي ميدان الكتابة حيث أصبحت علاقتها بالرجل وما تتعرض له من تهميش وإهمال والسلطة التي يمارسها عليها المجتمع الأبوي مصدر إلهام وإبداع لها في حين أنّها كانت سابقا مصدر سخط وغضب وتذّمر من قدرها إذ أصبحت تطرح وتتعرض لقضيتها بذكاء وحذر أكثر وتربط بينها وبين مختلف الأحداث والقضايا من حولها من وجهة نظر ورؤية نسوية وهذا ما ذكرناه في السابق حيث أصبحت المرأة تناقش وتكتب عن الحرب والسياسة والمجتمع والدين وعلاقتها وتأثيرها على قضيتها بعد أن كانت كتاباتها في وقت مضى تقتصر على علاقتها بالرجل وحده:"فلم تعد القضية الأساس هي العلاقة بالرجل،بل صارت العلاقة بالعالم والرجل بوصفه جزءا منه"(شهلا العجيلي 2011 ص:166) فغيّرت ووسّعت أهدافها وانتقلت من التركيز على الرجل وحده إلى المجتمع أجمع لارتباطه بقضيتها وبالرجل كونه ناشطا وعضوا فاعلا فيه.

إنّ إهتمام المرأة الكاتبة العربية بقضايا السياسية والوطن قد شكّل نقلة نوعية في تاريخ الأدب النسوي العربي وشقّ الأفق نحو مسار جديد ومستقبل واعد للرواية النسوية العربية سواء على الصعيد الوطني أو الدولي، والمنعطف الأهم في تاريخ الرواية

النسوية العربية هو عند إبداء دور النشر الأجنبية إهتماما بترجمة ونشر بعض الأعمال الروائية النسوية العربية حيث:" في عام 1995 وحده ظهر أكثر من خمس روايات لكاتبات عربيات مترجمة إلى اللغة الإنجليزية"(بثينة شعبان 1999ص :163) من مختلف أرجاء البلاد العربية كالجزائر، المغرب، الخليج العربي لكاتبات أمثال أحلام مستغانمي، ليلى أبو زيد، نوال السعداوي، رجاء الصانعي وغيرهن من الكاتبات اللاتي لقيت أعمالهن رواجا وشهرة واسعة بين القراء، هذا التطور والتقدم الذي أحرزته المرأة العربية في مجال الكتابة وتمكنها من إيجاد مكانة لصوتها في رفوف المكتبات العالمية وبين أعمال كبار الناشطات النسويات في العالم الغربي يوحي إلى الجهود الكبيرة والمصاعب والعوائق الكثيرة التي اجتازتها في سبيل ضمان حياة كريمة للمرأة العربية في وسط منفتح متفهّم يؤمن بالمساواة بين الجنسين، ودليل على أهمية الأدب والمساعدة الكبيرة التي قدّمها للمرأة العربية حين أفضت وطرحت وعبّرت عن صوتها الذي حاول أن يكتمه العديد وأبى أن ينصت إليه الكثير فكان قلمها هو الملجأ الوحيد وأوراقها ساحة القتال التي خاضت فيها جلّ معاركها ضدّ مجتمع أبوي منغلق، مسيطر لا حياة ولا مستقبل للمرأة فيه،ورغم التحديات الكبيرة التي خاضتها المرأة العربية ولا تزال تخوضها يمكن التنبأ بمستقبل وحياة أفضل للمرأة العربية بصفتها كاتبة أومواطنة أو زوجة في ظلّ الظروف الحالية التي توفرها السلطات العربية للمرأة في المجتمع.

وهكذا بين الحرب والسياسة ومن التاريخ إلى مشاكل المجتمع وخصوصيات أفراده ومن توظيف وطرح وكشف أبسط الذهنيات إلى أكثر النفسيات علّة وتعقيدا ومن رائحة الدماء وجو المعارك القاتم وضجيج الأسلحة إلى نشوة النصر والحرية وأجواء حياة بعد الإستقلال تنوعت كتابات المرأة العربية وكشفت عن مدى وعيها واهتمامها وتورّطها بمختلف القضايا والمسائل المحيطة بها لا سيما عندما يتعلق الأمر بالوطن، وأظهرت العلاقة الوطيدة التي تربط قضيتها بمختلف القضايا السياسية والإجتماعية باعتبارها جزءا وعضوا في المجتمع لا يمكن إنكاره أو تجاهله فقضيتها تمتد وتتشعب لتظهر في أكثرالأزمنة حلكة وصعوبة كزمن الحرب وبهذا ترمي المرأة الكاتبة أنّ حرية المرأة من شأنه أن يساهم ويساعد في حلّ العديد من الأزمات على المستوى الشخصي والإجتماعي والسياسي، كما أنّ العدد المتزايد للروائيات من شتى أقطار البلاد العربية وتكريم وتتويج بعض الأسماء منهن بجوائز تقديرية تعترف بانجازاتهن ومساهمتهن في مجال الأدب وتوضّح المسار والشوط الكبير الذي قطعته المرأة العربية في هذا الميدان والنجاح والتقدّم الذي أحرزته في مسيرتها النضالية والعون الكبير الذي قدّمه لها الأدب إذ كان في كثير من الأحيان وسيلتها للتحرر والخلاص والتعبير عماّ نالها من بعض النفوس المريضة والعقول المتخلفة التي حاولت دحظ إمكانياتها وكبت طوحاتها وآمالها، وتبقى مسيرة المرأة العربية للتحرّر قائمة بفضل جهود العديد من الرموز النسوية ونسوة من

مختلف المستويات لتنال المرأة العربية وتنعم بما تستحقه من حقوق وحرية شرط أن لا يكون هذا التحرر على حساب قيّمنا ومبادئنا العربية الإسلامية وإلاّ سيصبح تمرّدا على أعرافنا وتقليدا أعمى للغرب وشر لا خير فيه لمستقبل الأمة العربية نظرا للمكانة والدور الكبير الذي تقوم به المرأة في المجتمع،فالتحرر يقصد به حرية الدراسة والعمل والمشاركة في مختلف الأنشطة والحرية أيضا هي حرية إبداء الرأي والإختيار وأن لا تكون تابعة للرجل وتعيش قي ظلّه وتقبل ما تتعرض له من تعنيف نفسي وجسدي من طرفه،الحرية هي أن لا تظلم ولا تسلب حقوقها في حدود الحياء والعفة والحشمة ولا يوجد أفضل من المكانة التي قدّمها ديننا الحنيف للمرأة والحرية والحقوق التي خصّصها لها والتوصيات التي خصّها بها ما يضمن حياة ساكنة آمنة وعادلة لكلا الجنسين.فالتحرر إذن يكون في الفكر والعقل وليس في الجسد وببعض الممارسات الغريبة غلى قيّمنا ومبادئنا ولا يجب أن تكون المرأة الغربية هي المثال والقدوة لأنّها تفكر وتعيش بما يتماشى وأعراف وقيّم مجتمعها،لهذا يجب أن يكون مفهوم التحرر الذي تسعى إليه المرأة العربية تحررا يعكس الشخصية النسوية العربية بقيّم ومبادئ عربية إسلامية ويضمن للمرأة حياة أحسن في وسط وظروف أنسب.

2-6-الـــروايـــة الـــنـــســويـــة الـــســعـــوديـــة:

لا شك أنّ وضع المرأة اليوم في الخليج العربي مغاير تماما عن ما كان عليه في السابق متؤثرا بدوره بالتطورات والتغييرات التي عرفتها المنطقة والتي انتقلت في فترة قصيرة من أسلوب حياة بسيط، بدوي إلى أسلوب حياة آخر مختلف تماما حديث عصري ومتحضر كان للمرأة نصيب منه حيث استفادت من أشكال وانعكاسات هذا التغيير الذي لم يكن ظاهري شكلي ومادي فقط،بل مسّ حتى الجوانب الفكرية والحياة الإجتماعية والثقافية للأفراد وبالتالي وضع ودور المرأة وموقعها في العلاقات، صورتها في المجتمع وموقف الآخر منها بعبارة أخرى على حياة المرأة بشكل عام حيث نالت من الحقوق والرعاية ما يضمن لها العيش الكريم ويخوّلها المشاركة في شتى دواليب الحياة الإجتماعية، الثقافية وحتى السياسية في بعض دول المنطقة ففي الكويت على سبيل المثال:"انتزعت المرأة أربعة مقاعد في البرلمان سنة 2009" (جاد إصلاح 2012ص :89)إضافة إلى إمتيازات عديدة أخرى تتمتع بها المرأة الكويتية خوّلتها أن تكون سبّاقة في نشاطات عديدة على نساء منطقة الخليج الأخرى، وتعدّ المرأة السعودية من بين نساء منطقة الخليج العربي التي عاشت وتأثرت بهذا التحوّل الذي سمح لها باكتساب بعض الحقوق في ظلّ التقاليد والبيئة الثقافية التي تميّز المملكة العربية السعودية عن باقي دول المنطقة، كالحق في التعليم الذي أصبح نظاميا منذ سنة 1960في عهد الملك فيصل والذي قوبل بالرفض والإعتراض من قبل الكثيرين مما دفع بنساء الطبقة العليا بمزاولة التعليم في الخارج أو في المدارس الخاصة والإحتكاك والإطلاع على وضع النساء من مختلف الثقافات وإكتشاف مدى تردي الظروف والحرمان الذي تعيشه المرأة السعودية والمبادرة والحركة من أجل التغيير واسترداد الحقوق والحرية التي سلبت منها،إنّ تأخر المرأة السعودية في استردادها لحق التعليم يوّضح سبب تأخر ظهور وعي وأدب نسوي في المملكة العربية السعودية مقارنة بدول المشرق العربي الأخرى وقد كانت البداية مع الصحافة المكتوبة حيث وجدت المرأة فيها فضاء للتعبير والدفاع عن حقوقها والرّد على أصحاب النظرة الضيقة المحدودة مثلما فعلت ثريا قابل :"في مقالة ترد فيها على مقالة تصف النساء بأنهن ناقصات عقل ودين في مجلة قريش عام 1959 علما أنّ بدء التعليم النظامي كان في سنة 1960.....وارتبطت الثلاثينات من القرن العشرين بأوّل إشارة إلى أدب نسائي في الحجاز فقد نشر أحمد السباعي مقتطفات من مذكرات إمرأة حجازية عام 1934 وتلاها في الخمسينات من القرن العشرين نشر مقالات بأسماء صريحة فكانت لطيفة الخطيب أول من كتبت بإسمها الصريح وكان ذلك في صحيفة البلاد عام 1951 ثم بدأت الصحف في نهاية الخمسينات من القرن العشرين بتخصيص صفحات للمرأة حول شؤونها وغالبا ما كانت تقوم هي أيضا بتحريرها فكانت جريدة حرّاء للأستاذ صالح جمال أقدم جريدة تخصص صفحة باسم حراء النسائية تحرّرها نبيلة خليل في العام

1957 تلتها في العام 1959 كل من مجلة قريش لأحمد السباعي وعكاظ لأحمد عبد الغفور عطاء"(جاد إصلاح 2012 ص :168) أما فيما يخصّ الإنتاج الأدبي الروائي في المملكة العربية السعودية على غرار دول الخليج العربي الأخرى باستثناء الكويت فهو قليل مقارنة بالدول العربية الأخرى التي تعتبر رائدة في مجال إنتاج الرواية والتي تعرف زخما وطفرة في هذا الميدان كمصر وبلاد الشام ولبنان وفلسطين حيث بدأ النشاط الروائي في هذه البلدان حوالي القرن التاسع عشر"ففي مصر على سبيل المثال فاق عدد الروايات الثلاثمائة سنة 1980وفي سوريا لم يتجاوز عددها 166 رواية سنة 1978"(محمد الباردي 2002ص13) بينما ينعدم في منطقة الخليج العربي خلال هذه الفترة ولا نجد له أيّ أثر في المملكة العربية السعودية إلى غاية الخمسينات من القرن العشرين ، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الناقد السعودي حسن الحازمي في عمله البطل في الرواية العربية السعودية يعتبر رواية (التوأمان) الصادرة عام 1930 لعبد القدوس الأنصاري أول رواية سعودية تمت كتابتها بينما يرى البعض أنّ رواية حامد دمنهوري (ثمن التضحية)الصادرة سنة 1959 هي الرواية الفنية الأولى في الأدب السعودي،ويمكن أن نعزو هذا التأخر الذي عرفته منطقة الخليج العربي إلى تمسكها بأشكال الأدب الأخرى وبالأساس الشعر وممارسة فن السرد بإنتاج القصص القصيرة كما تفعله الإمارات العربية المتّحدة لما لا تطرحه هذه الأشكال الفنيّة من جرأة وحرج وتصادم بين الأديب وقيّم وتقاليد مجتمعه مثلما تفعله الرواية حيث يرى الدكتور حسين المناصرة أنّ من أهم أسباب تأخر ظهور الرواية في المملكة العربية السعودية يعود إلى طبيعة المجتمع السعودي المحافظ جدّا لأنّه وإذا تطرقنا إلى مسألة التحفّظ فجميع الدول العربية محافظة وبقيّم وتقاليد ومبادئ وأعراف مشابهة قائمة ومرتكزة على العروبة والإسلام لكن قد نجد القليل من التفتح في المجتمعات العربية الأخرى لا نجده في المجتمع السعودي الذي لديه سياسة مختلفة نوعا ما لا سيما تجاه الإصدارات والإنتاجات الأدبية المحلية لهذا كان يتخوف الأدباء من الخوض في مواضيع قد تفرضها ضرورة العمل الروائي وتكون منافية وغريبة وغير مسموح بها في المجتمع السعودي حتى أنّ الكاتب قد يجد نفسه متهما وضحية أفكاره ومخيلته التي غالبا ما تترجم على أنّها حقيقة وحصيلة تجارب الكاتب وعلاقاته في الحياة فكان أغلبهم ينشر رواياته خارج البلاد أو يخلق فضاءا وجوّا روائيا مختلفا وبعيدا عن حدود المملكة ليجد لنفسه متسعا وحرية إبداعية أكثر:"فالتخوف عند الكتّاب من العقاب الإجتماعي خاصة أنّ الروايات تفسر في كثير من الأحيان على أنّها سير ذاتية لكتابها لذلك هرب بعض الروائيين إلى بيئات خارج المملكة لكونها تعطيهم حرية إجتماعية أكبر في التعبير عن تصرفات أبطالهم، إضافة إلى إحتفالية الرواية بواقعية الحياة والأحداث على عكس القصيدة والقصة القصيرة اللتين تنحازان أحيانا كثيرة إلى المجرد والغموض.....والخجل الذي تربى عليه الكاتب في البيئة المحلية

حيث التقاليد الصارمة والأجواء العامة المحافظة" (حسين المناصرة 2008 ص:41) كلها ساهمت في غياب وتأخر فن الرواية في المملكة العربية السعودية.

ويذهب بعض الباحثين أنّ فترة التسعينات من القرن العشرين هي فترة إزدهار الرواية في المملكة العربية السعودية نظرا للتطورات والتحولات الكبيرة التي عرفتها المملكة ومنطقة الخليج عامة إبتداءا من السبعينيات وما صاحبها من تغيرات وتحولات كبرى في طريقة حياة المواطن السعودي الذي إنتقل من حياة البداوة والريف إلى إستخدام أحدث منجزات الحضارة والتكنلوجيا وما ترتّب عنها من إنفتاح على الغرب وترحيب بالتغيير والإختلاف والتعايش مع الآخر: "فالتسعينات فترة درامية بكل المقاييس، فترة تحتاج من خلال الصراعات الدامية في منطقتنا إلى أكبر من القصيدة أو القصة القصيرة، من هنا كان لابدّ أن تنشأ الرواية الجديدة بصفتها المفتاح الذي يحلّ الألغاز الكثيرة التي تحاصر المبدع الذي أصبح يعاني من الإنفصام بينه والعالم من حوله"(حسين المناصرة 2008ص :36-37) إذ شكّلت جميع هذه المتغيرات وأخرى كأحداث حرب الخليج الثانية مادة وموضوعا للروائي السعودي وساهمت في ميلاد جنس الرواية بمقوّماته الأدبية والفنيّة الحديثة حيث اعتبرت أغلبية الروايات التي كتبت قبل هذه الفترة مجرد محاولات بعيدة عن مفهوم الرواية الحديث، فهذا التغير الذي طرأ على المجتمع السعودي وعلى حياة أفراده صاحبه تغير في الرؤى والأفكار والمفاهيم وانعكس هذا على الميدان الأدبي الذي تحرّر من بعض القيود وأصبح للروائي مساحة وحرية أكبر للإفضاء والتعبير مما سمح للرواية السعودية بالنمو والإزدهار فالمتتبع للإصدارات الروائية سيجد أنّها:"تجاوزت مئة رواية في التسعينات ويدرك أنّ هذه الفترة تشكل قفزة جمالية نوعية في مسيرة الرواية العربية السعودية حيث أنّ سجل الرواية البيبليوغرافي في المملكة كاد أن يصل أو وصل إلى حدود ثلاثمئة رواية مع تحفظ بخصوص مصطلح الرواية الذي هي خليط بين الفني وغير الفني"(حسين المناصرة 2008 ص :37-41) على يد مجموعة من الأقلام الإبداعية أمثال:عبد الله الجفري، سميرة خاشقجي، عصام خوقير، عبده خال، رجاء عالم، هدى الرشيد، أمل شفا، صفية عنبر، هند باعقار، نورة الغامدي، أحمد الدويحي وغيرهم.

وباعتبار التسعينات كانت فترة نضوج وإكتمال الرواية السعودية فقد عبّرت روايات هذه الفترة وتبنّت تيارات أدبية مختلفة كتيار الواقعية أوالوجدانية أوالتاريخية أوالشعبية...وغيرها من التيارات أو عبر الميل إلى والجمع بين تيارين مختلفين في رواية واحدة،وما يهم بحثنا في هذه الإتجاهات هو تيار الرواية النسوية حيث يقول الدكاور حسين المناصرة أنّه:"وجدنا أنفسنا في أوائل التسعينات نتعامل مع طفرة الكتابة النسوية"(حسين المناصرة 2008 ص:50) والتي بدأت عموما في المملكة حوالي السبعينات من القرن العشرين حيث يجمع الباحثون أنّ تاريخ ظهور أوّل رواية نسوية في منطقة

الخليج العربي يعود إلى سنة 1971 بظهور رواية "وجوه من زحام "للكاتبة الكويتية فاطمة يوسف العلي (انظر رفيعة الطالعي2005 ص:149) رغم وجود بعض المحاولات النثرية والأعمال السردية التي سبقت هذا الفترة لكنها لم تحمل من المقومات الفنية والأدبية ما يجعلها ترتقي لجنس وفن الرواية.

لقد أزهرت إذن التجربة الكتابية النسوية في المملكة العربية السعودية على يد مجموعة من المبدعات النسويات في النصف الثاني من القرن العشرين وأثرتها كاتبات فترة الثمانينات والتسعينات لتستمر الجهود النسوية بعدها وتتوّج وتكلّل بالمزيد من النجاحات،وأثبتت رغم تأخرها عدم غيابها عن الساحة الأدبية العربية وبراعة تطرقها وعرضها لإنشغالات المرأة من منظور الكتابة النسويةعبر طرحها لثنائية:الحب والزواج،الوفاء والخيانة، الحرية والقيود الإجتماعية، السلطة البطريكية والأنوثة الخاضعة،الجرأة والخوف، الطلاق والتمرد على العرف والتقاليد، الواقع والوهم، وغيرها من العلاقات المزدوجة التي تحكم وتسيطر على علاقة الذكر بالأنثى في المجتمع السعودي أو في المجتمع العربي كافة على وجه العموم كرواية أنثى العنكبوت لقماشة العليان الصادرة سنة 2000 والتي تطرح قضية السلطة الأبوية المفرطة القائمة على الإيمان بتقاليد غير إنسانية تؤدي في النهاية إلى شتات وضياع الأسرة وبالأخص الأنثى التي تتعرض لإضطهاد مضاعف مقارنة بالذكر وحرمانها من ممارسة حقوقها حتى في ضوء ما يسمح به الشرع والعرف الإجتماعي في ظلّ المفاهيم الخاطئة للعفة والشرف التي يحكم بها الأب أسرته بدكتاتورية وقمعية وإستبدادية.

ورواية الفردوس اليباب لليلى الجهني الصادرة سنة 1998 التي تطرح قضية العلاقات المحرّمة في المجتمع العربي والتي تخرج منها المرأة الخاسر الوحيد مقابل الذكر الذي تحميه ذكورته وتمكّنه من النجاة والعيش في منئى عن الفضيحة التي تعدّ المرأة أكثر عرضة لها.

ورواية وجهة البوصلة لنورة الغامدي الصادرة سنة 2002، ورواية بنات الرياض لرجاء الصانعي الصادرة سنة 2005التي ترجمت إلى اللغة الإنجليزية وأعيدت طباعتها لإقبال القراء المتزايد عليها والتي اخترناها كمادة لبحثنا هذا، إضافة إلى رواية رجاء عالم 4صفر الصادرة سنة 1987 ورواية الخاتم التي نشرت سنة 2011، ورواية صفية عنبر وهج من بين رماد السنين الصادرة سنة 1988، ورواية أمل شفا غدا أنسى سنة 1980 وغيرها من الروايات التي أسهمت في تشكيل وبناء تاريخ الرواية النسوية السعودية،وترى الدكتورة هويدا صالح أنّ رواية ودّعت آمالي الصادرة سنة 1958للروائية سميرة خاشقجي تأّرخ لبداية الرواية النسوية السعودية مؤكّدة على أنّ هذه المرحلة اتسمت بنشر الروائيات لأعمالهن من خارج حدود المملكة نظرا لطبيعة المجتمع

السعودي والتقاليد الإجتماعية الصارمة التي تمارس بحق المرأة وتحدّ من حريتها مقارنة بالمجتمعات العربية الأخرى والتي ما كانت لتتقبّل فكرة كتابة المرأة ومناقشتها وطرحها مسألة العلاقات الإجتماعية التي تربط الذكر بالأنثى داخل المجتمع السعودي بسهولة،وأيضا كون الروائيات السعوديات الرائدات في التجربة النسوية السعودية كنّ ممن تلقين تعليمهن خارج المملكة مما ساعدهن على التجرأ والخوض في غمار تجربة الكتابة النسوية وطرح ما كان يعدّ محرما ومن التابوهات حتى على الرجال في السابق كما ذكرنا آنفا والذي كان سببا في تأخر ظهور الرواية السعودية حيث: "يؤرخ للرواية النسوية في المملكة بعقد الستينات حيث بدأت سميرة خاشقجي تنشر رواياتها خارج المملكة وربما أسهم تأحر تعلّم المرأة في تأخر كتابة النساء .....ولو تأملنا الروايات التي صدرت في الستينات والسبعينات من القرن الماضي لإكتشفنا أنّها لكاتبات تلقين تعليمهن وثقافتهن خارج المملكة فسميرة خاشقجي وهدى الرشيد وهند باغفار وفوزية أبو خالد وشريفة الشملان استفدن من التجربة الثقافية الخارجية في تقديم هذه الروايات ونسبها إلى الرواية السعودية بحكم انتمائهن الوطني لا الثقافي لكن روائيات عقد الثمانينات وما بعده استفدن من الحراك العلمي والثقافي"(هويدا صالح 2014 مجلة الشرق الأوسط) ويؤكد الدكتور عبد الرحمن محمد الوهابي أنّ بداية العمل الروائي النسوي السعودي يعود إلى سنة 1960بنشر سميرة خاشقجي لروايتها(ودعت آمالي) في لبنان تحت إسم مستعار وهو "سميرة فتاة الجزيرة أو سميرة بنت الجزيرة" وتلتها رواية هند باغفار (البراءة المفقودة) التي نشرت أيضا في لبنان عام 1972 وتعدّ هذه الرواية أول رواية تنشر في المملكة في طبعتها الثانية عام 1978، وقد لاحظت سعاد المانع أنّ الكتابة الوحيدة للمرأة قبل النصف الثاني من القرن الماضي ربما المجموعة الشعرية التي كتبتها خديجة الشنقيطية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ونشرت عام 1936 بينما يختلف بعض الباحثين بشأن تاريخ صدور أول رواية نسوية سعودية حيث يرى البعض أنّ رواية سميرة خاشقجي الأولى صدرت سنة 1958 أو 1959 أو 1961 ويرى العوين أنّ أول رواية لها نشرت عام 1961 بمصر وهي (ذكريات دامعة) لكن الأمير نواف عبد العزيز في إستهلالية رواية (ذكريات دامعة)أشار إلى أنّه قرأ مسبقا رواية سميرة الأولي (ودعت آمالي) ما يجعلها أول رواية نسوية سعودية (أنظر عبد الرحمن محمد الوهابي 2008 ص:13-77) والكتابة بأسماء مستعارة عادة ما تتكرر في الميدان الأدبي خاصة عند طرح شكل أدبي لم يألفه الجمهور سابقا فيخشى الكاتب من ردة الفعل التي ستكون تجاهه وارتباط إسمه ومسيرته الأدبية بتجربة ومغامرة يجهل توابعها ونتائجها وموقف القارئ والمجتمع منها والتي قد لا تتوقف أحيانا عند حدود الفشل والنسيان بل بتكوين مواقف تأثر سلبا على مستقبل الأديب وأعماله وهذا ما حدث سابقا في أوربا عند خوض الأدباء في ميدان الكتابة للأطفال حيث نشر أول عمل مخصص للأطفال تحت إسم مستعار لأنّ الكتابة للقارئ الصغير كانت وكأنها تنزيل من قيمة الأديب ومكانته إلى أن تغيرت النظرة إلى

هذا الأدب الحديث واستوعب المجتمع ماهيته وأهميته غير أنّ الأمر مختلف نوعا ما مع التجربة الروائية النسوية في المملكة حيث لم يكن التستر وراء أسماء مستعارة لهذه الدواعي بل للمكانة والدور والنظرة والمواقف والحدود التي ترسم حياة ونشاط المرأة في المملكةوأيضا لتجريبها وخوضها في ميدان يخشاه حتى الرجل يحاكم ويعاقب فيه على أدق تجاوز وفقا والمناخ السياسي في المملكة وطبيعة وفكر وثقافة المجتمع القائم على جملة من الأحكام والأعراف التي تنظم حياة وعلاقات الأفراد لا يُسمح بتجاوزها خاصة عندما يتعلق الأمر بالمرأة التي تحظى بمكانة ودور وحرية مختلفة نسبيا في المملكة مقارنة بالدول العربية الأخرى، وسميرة خاشقجي ليست الوحيدة التي كتبت باسم مستعار نجد نورة الغامدي التي تكتب تحت إسم(وفاء البحر) وفاطمة عبد الخالق التي نشرت أعمالها تحت إسم (فاطمة بنت السراة) وقبلهن عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ) من خارج المملكة "ويعد ذكر إسم المرأة على الكتابة واحدة من الصراعات التي قامت في بعض المدن كالقاهرة ففي بداية القرن العشرين كان هناك صراع حقيقي حول حقوق المرأة الكاتبة لكتابة إسمها على النص"(عبد الرحمن بن محمد الوهابي 2008ص :73) إلا أنّ هذه التجربة قُدر لها بالنجاح لا سيما والظروف التي رافقت تطورها وقد كانت عاملا وحافزا وأداة في إثراء الساحة الأدبية السعودية عامة بسلسلة من الروايات التي توالى نشرها في السنوات التالية لا سيما فترة الثمانينات والتأريخ لبداية النشاط الروائي النسوي في المملكة أين تأخر هذا الشكل الأدبي بالظهور مقارنة بالدول العربية الأخرى وأصبحت من أهم الظواهر أهمية خلال الثمانينات من القرن العشرين في السعودية واتسع انتشارها تصاعديا مع التسعينات"لذلك نجد الكثير من الشعراء وكتاب القصة القصيرة مالوا إلى الرواية مثل غازي القصيبي، تركي الحمد، قماشة العليان وغيرهم "(عبد الرحمن بن محمد الوهابي 2008 ص:19) .

وتقسم الرواية النسوية السعودية عموما منذ ظهورها إلى ثلاثة أجيال وفق الظروف المصاحبة لظهور هذه الروايات والخصائص التي تميزت بها حيث خصّ:

الجيل الأول: بالكاتبات اللاتي نشرن أعمالهن خلال الفترة الممتدة بين 1960و1980 منذ تاريخ صدور أول رواية نسوية سعودية عام 1960"ودعت آمالي"لسميرة خاشقجي وبداية فترة الثمانينات والتغييرات التي ستعرفها المملكة أثناء هذه الفترة ومن كاتبات هذه المرحلة: هند باغفار، هدى الرشيد، عائشة أحمد، نجاة الخياط ...وأغلب روايات هذه المرحلة تلقين تعليمهن خارج المملكة ومارسن نشاطهن الروائي كذلك خارجها واتسمت أعمالهن بالمطالبة بحقوق المرأة الأساسية وخاصة التعليم تزامنا والنشاط النسوي الذي كانت تعرفه بعض الدول العربية آنذاك كمصر ولبنان وكان غائبا في المملكة بفعل بعض التأثيرات الداخلية والخارجية مثل ما حدث في مكة في 20 نوفمبر1979عندما اقتحم المسجد الحرام في مكة المكرمة مجموعة من الإسلاميين المتشددين مطالبين بتأسيس

دولة إسلامية وتبعات هذه الحادثة خاصة على وضع المرأة في المملكة الذي عرف مزيدا من التشديد إضافة إلى إستقبال المملكة العديد من المفكرين من الدول العربية الأخرى ذوي توجهات وأفكار دينية متشددة نابعة من بعض الأحداث التي عاشتها الدول العربية آنذاك(الحرب مع إسرائيل).

الجيل الثاني: يمثل هذا الجيل أعمال الكاتبات اللاتي نشرن أعمالهن خلال الفترة الممتدة بين 1980 وحرب الخليج الثانية 1991 مثل: أمل شطا،صفية عنبر، بهية بوسبيت ...وغيرهن ويشار إلى أنّ هذه الفترة هي فترة إزدهار الرواية السعودية لكن لا يمكن أن نقول هذا تماما عن الرواية النسوية التي أصبحت تحظى بقبول تدريجي في المملكة في ظلّ بعض الإصلاحات التي عرفها وضع المرأة خلال هذه الفترة مقارنة بالسنوات السابقة .

الجيل الثالث : يمثّل كاتبات الفترة الممتدة من حرب الخليج الثانية 1991 إلى يومنا هذامثل: ليلى الجهني، قماشة العليان، الغامدي، زهرة البرناوي وغيرهن وقد شهدت هذه الفترة تزايد ملحوظ في عدد الروايات النسوية والروائيات السعوديات تزامنا والتطورات الملحوظة التي عرفها وضع المرأة مؤخرا لا سيما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001حيث أصبحت الأوضاع في المملكة أُقرب ما يكون إلى التفتح والليونة والتفهم والديمقراطية والحرية حيث بدأ يسمح للمرأة بتقلّد بعض المناصب والسماح لها ابتداء من سنة 2001 بإصدار بطاقة هوية متضمنة صورتها الفوتغرافية وتزايد إقبالها عى مقاعد الدراسة وإلتحاقها بالجامعات وحتى السياقة ما أثّر إيجابا على كتابات المرأة حيث يرى الباحثون أنّ ظهور كاتبات من المنطقة الجتوبية للملكة يعكس الشوط الكبير الذي حققته الرواية النسوية السعودية ونجاحها في فرض وجودها والإعتراف بها في الساحة الأدبية السعودية ومدى نمو وعي الأفراد وتفتح المجتمع واحتضانه لهذا النشاط الأدبي:"الذي بدأ من منطقة الحجاز والرياض ثم المنطقة الشرقية وأخيرا المنطقة الجنوبية"(عبد الرحمن بن محمد الوهابي 2008 ص:245) لكن رغم هذا كلّه تبقى ظاهرة الرواية في المملكة العربية السعودية خاصة النسوية منها محدودة ببعض الشروط ولا يسمح لها بتجاوز بعض الحدود.

ولا تحظى الروايات النسوية بالإهتمام الكافي والدراسة والأبحاث الكافية في المملكة ولا يتم إدخالها ضمن مناهج الدراسة للتعريف بها كجزء من الأدب الروائي السعودي ويؤكد عبد الرحمن بن محمد الوهابي أنّ الإهتمام بدراسة هذا النوع من الأدب بدأ من خارج المملكة ومن قبل باحثين عرب غير سعوديين حيث تمّ ذكر هذا الأدب لأول مرة في دراسة قام بها الناقد السوري بكري شيخ أمين عام 1972 تحت عنوان الحركة الـأدبية في المملكة العربية السعودية في حين لم يهتم الناقدون السعوديون بالإشارة إلى هذا النوع من

الأعمال كجزء من النشاط والحركة الأدبية في المملكة وإذا تمّ ذكره فإنّه لا يخصّص له القدر الكافي من الإهتمام والبحث والدراسة كغيرها من الأعمال الأدبية المكوّنة االتراث الأدبي السعودي والتي يحظى الرجل بالقسط الأعظم منها ف:"عمر الساسي أول أستاذ سعودي يقوم بتدريس الأدب السعودي كمقرر جامعي في جامعة الملك عبد العزيز عام 1986 خصّص في كتابه ثلاثة صفحات فقط للحديث عن الأعمال الأدبية النسائية من مجكوع صفحات الكتاب لبالغ 396 صفحة ولم يذكر الساسي أي روايات لكاتبات في الطبعة الأولى من كتابه عام 1986 لكنه في الطبعة الثانية ذكر أمل شطا التي نشرت رواياتها بعد صدور الطبعة الأولى من كتابه، وبرغم ذلك فهو لم يذكر الروايات الأولى التي كتبتها سميرة خاشقجي أو هند باغفار أو هدى الرشيد.....أما الناقد السعودي منصور الحازمي من خلال كتابه فن القصة في الأدب السعودي الحديث لم يعلق على أنّ سميرة خاشقجي لكاتبة النسائية السعودية الأولى وأنّها الكاتبة الثانية للقصة القصيرة"(عبد الرحمن بن محمد الوهابي 2008 ص:26-27) في حين أشاد البعض الآخر مثل الناقد السعودي ابراهيم الفوزان ونسيم الصمدي بأعمال الروائيات السعوديات وإسهاماتهن في تطوير وتلوين وإثراء التراث الأدبي للملكة والحقيقة أنّ بعض تلك المواقف السلبية التي كوّنت بخصوص الرواية النسوية السعودية وما طالها من إهمال وتجاهل من قبل النقاد والمفكرين لا يعكس سوى موقف المجتمع والثقافة السعودية من المرأة وعملها التي حاولت عدم الإعتراف والإهتمام بهذه الأعمال وجهود المرأة ومساعيها لإسآمها وإحباطها وإقناعها بالعودة والحفاظ عى دورها التقليدي وعدم التفكير في تغيير هذا الوضع ومنافسة الرجل في ميادين غير مرحّب للمرأة فيها.

وهذا لم يغير في عزم ولا إرادة ولاطموح المرأة السعودية حيث لم تتاون عن الكتابة والنشر وواصلت نشاطها وتوالت الإصدارات النسائية حتى مع الحملة النقدية التي شنّت عليها واستطاعت أن تفرض وجودها في الساحة الأدبية السعودية لا سيما خلال فترة الثمانينات والتسعينات حيث شهدت هذه الفترة تزايد ملحوظ في عدد الأعمال النسوية السعودية واستطاعت أن تكسب وتغيّر موقف بعض النقاد وإقناعهم بوجود أدب نسوي سعودي وإسهامات وجهود المرأة الفكرية وازدادت مشاركتها في الصحف والمجلات واهتمام النقاد من داخل وخارج المملكة بهذا التيار والتوجه الأدبي الحديث مساهمات بذلك في رسم الخطوات الأولى نحو التجديد في المملكة إزاء وضع المرأة وحياتها ومستقبلها وتاريخ الأدب والثقافة السعودية، الذي يعرف مزيدا من التفتح والإنفتاح والتفهم والحرية لا سيما بعد حرب الخليج الثانية عام 1991 وأحداث 11 سبتمبر 2001 حيث تغيرت الأوضاع المعيشية في المملكة نوعا ما ومالت إلى المزيد من اللليونة والحرية مثل ما صدر في مارس 1992 عند تأسيس مجلس الشورى ونظام المناطق والنظام الأساسي للحكم حيث أصبخت الفضائيات متاحة بصورة قانونية في الأسواق

وهي خطوة كبيرة تجاه الإنفتاح وإعادة النظر في سياسات التشدّد التي تحكم المملكة وتتميز بها ، ليبلغ عدد الروايات النسوية في المملكة العربية السعودية عام 2006 (83 عمل روائي) من بين مجمل الأعمال الروائية التي بلغت في المملكة حتى عام 2007(363 عمل روائي)حسب إحصائيات قام بها خالد اليوسف.

ويرى المفكرون أنّ الرواية النسوية السعودية قد سلكت منذ نشأتها إتجاهين اثنين وتبنت أسلوبين في الكتابة:أحدهما بسيط عادي شكلا ومضمونا لا يحيد عن الغرض الأساسي والرئيسي للعمل الروائي الذي هو التسلية والترفيه ويتماشى والطبيعة والفكر الإجتماعي والخصوصيات الثقافية للمملكة، أما الثاني فيتخذ من الرواية أداة لكشف ومناقشة وتحليل ورفض تلك الأحكام الإجتماعية والمعتقدات والموروثات الثقافية التي شرعها الإنسان والخلط والمزج بينها وبين تشريع الخالق عزّوجلّ فيقول الناقد محمد معتصم في هذا الصدد:"يمكن التمييز بين نوعين من النصوص واتجاهين تعبيرين:نصوص سردية اختارت الإشتغال على اللغة وأساليبها وعلى أسطرة الواقع والحكاية متحاشية الإصدام بواقع الحال الإجتماعي والنمط الثقافي السائد ونصوص سردية نسائية اختارت المغامرة والوقوف على الطرف الآخر بغرض الإفصاح عن الحقيقة وتمزيق الغلالة التي تحجب عن الخارج حقيقة الحياة الإجتماعية والفكرية والسياسية والأدبية"(محمد معتصم 2007ص:167).

إنّ دخول المرأة السعودية ميدان الأدب وبدايتها للتأليف والكتابة تعتبر بحدّ ذاتها نصرا ونجاحا كبيرا لها في ظلّ القيود والأغلال التي كبلت بها ليغدو كل ما تفترب منه حراما ومحرّما في مجتمع ضيّق على الأنثى دائرة المسموحات باسم العرف والتقاليد حتى في أبسط الممارسات والنشاطات لا سيما تلك التي تقتضي إختلاطها بالرجل تفاديا للرذيلة و الشبهات والمحرّمات،لهذا فكان من البديهي أن تواجه كتابة المرأة في البداية نقدا عنيفا وأن تحارب ويحاول منعها مما جعل بعض الكاتبات ينشرن أعمالهن بأسماء مستعارة تخوفا من الحكم والعقاب الإجتماعي وما يترتب عنه من تبعات وخيمة تأثر في حياتهن على المستوى الشخصي والإجتماعي لا سيما بظهور:"نلك النزعة المضمرة التي تحاول أن ترد كل كتابة للمرأة إلى خبرتها الذاتية وأن تجعلها نوعا من السير القصصية"(شيرين أبو النجا 1998 ص:17) لكنه ومع ذلك تبقى جرأة وشجاعة كبيرة من قبل المرأة السعودية التي خلقت الحياة من العدم وتحدّت المجهول وأبدعت وأنتجت وسط الضغوطات رغم القيود رغم المجتمع وأعرافه وتقاليده لتصل في وقت قصير إلى ما وصلت إليه اليوم من نجاح وتجاري وتواكب نشاط الكاتبات في مختلف أرجاء البلاد العربية دون أن يلحظ تأخرها عن الإلتحاق بهذا المجال فتكون بذلك مثالا ورمزا لكفاءة المرأة العربية وجدّها ومثابرتها وعزمها على تحقيق أحلامها وطموحاتها "فالمرأة المبدعة التي اختارت ميدان الألغام وساحة المواجهة الحقيقة مع الذات والآخر والعالم والتقاليد والأعراف بالإبداع

هي التي حققت الإختلاف والتمايز ...لذلك تعرضت للمضايقة والتشهير أكثر من أي إمرأة في ميادين الحياة المدنية العامة والسياسية أو الحقوقية"(محمد معتصم 2007 ص:22).

والظاهر أنّ المزيد من النجاحات لا تزال في انتظار المرأة السعودية والأدب النسوي في المملكة لا سيما في ظل الإصلاحات التي تشهدها المنطقة في السنوات الأخيرة والتي تفك عن المرأة العديد من القيود التي تقف أمام قدراتها ومؤهلاتها الفكرية وتحول دون إسهامها في دفع حركة التنمية في المملكة كإصدار العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز قرار السماح للمرأة بقيادة السيارة "وقبلها السماح لها ولأول مرة بالتسجيل كمرشحة وناخبة في الإنتخابات البلدية في ديسمبر 2015وبعد يومين من إصدار الأمر الملكي الخاص بالسماح للمرأة بقيادة السيارة أصدر العاهل السعودي توجيهات لوزارة الداخلية باعداد مشروع نظام يجرّم التحرش بالنساء...وأعلنت السعودية في أفريل 2016عن الرؤية 2030..التي ستستمر في تنمية مواهب المرأة واستثمار طاقاتها وتمكينها من الحصول على الفرص المناسبة لبناء مستقبلها...كما أُبح يسمح لها بالعمل في مجال الفندقة والبيع وشهدت نهاية 2013 منح أول نساء سعوديات لشهادة المحاماة كما تقوم المملكة الآن بتوظيف نساء في السلك الدبلماسي وإصدار بطاقات عائلية للمطلقات والأرامل وهي بطاقات ضرورية تمكنهن من القيام ببعض الشئوون الإدارية من دون اشتراط اصطحاب أحد أقاربها الذكور لكي يعرف بها في المحكمة"(يمينة الحمدي جريدة العرب يناير 2018) وغيرها من التغييرات التي لاتزال تنتظر المرأة السعودية مستقبلا والتي ستعيد لها العديد من حقوقها المشروعة وحريتها المسلوبة وتخرجها من ضيق وتشدد الخطاب الديني والإجتماعي الذي ينظر إليها كمصدر للإغواء والفتنة.

ويمكن تلخيص الخصائص التي طُبعت بها الرواية النسوية السعودية، والتي تشترك فيها عموما جلّ الأعمال الروائية النسوية الصادرة في منطقة الخليج العربي لتقاسمها تقريبا المعطيات والقيم الإجتماعية والثقافية ذاتها في النقاط التالية:

- إكتشاف النفط وما صاحبه من تطورات وتحولات كبرى في حياة المواطن السعودي وفي منطقة الخليج العربي كافة.
- الإنتقال من بساطة حياة الريف والبداوة إلى أسلوب حياة مختلف تماما عصري يعتمد على أحدث منجزات التكنلوجيا في أبسط نشاطاته اليومية.
- إصطدام المواطن السعودي بواقع ظاهره أجنبي حضاري منفتح وجوهره تقليدي محافظ بقيم عربية إسلامية.
- موقف المرأة وموقعها من هذه التحولات.
- طبيعة العلاقات بينها وبين الرجل وسط هذه التطورات.

- تمادي الرجل وانغماسه في ملذات الحضارة وهذا التفتح الذي يقوده أحيانا إلى تجاهل ومعارضة قيمه ومبادئه في حين يمثل دور الرقيب على المرأة والمحافظ على الأعراف والتقاليد من خلالها وهنا نشهد تناقضا واضحا بين الفكر والفعل.
- تأرجح موقف المرأة بين صراع وتمرد على مجتمع يستمد شرفه وأخلاقه من جسدها وخضوع وخنوع له أحيانا تخوفا من الفضيحة والعار.
- محدودية الحقوق والحريات التي تتمتع بها المرأة السعودية وصعوبة تغيير واقعها في ضوء الأحكام والأعراف الصارمة في المملكة العربية السعودية .
- الهجرة لمواصلة التعليم، للتحرر والحياة بعيدا عن الضغوطات والرقابة والأحكام الإجتماعية وهذا ما يبدو جليّا في أغلبية الروايات حيث تدور الأحداث وتنشئ العلاقات في فضاءات بعيدة عن حدود المملكة.
- ثبات موقف المجتمع من المرأة سواء تمردت أم خضعت له وهذا ما يظهر في معظم الروايات التي تصور المرأة الطرف الخاسر والأضعف في علاقاتها مع الرجل كرواية الفردوس اليباب ليلى الجهني، رواية أنثى العنكبوت لقماشة العليان، رواية وجهة البوصلة لنورة الغامدي وغيرها.
- التطرق إلى مشكلة تعليم البنات وعملهن ومسائل الزواج والطلاق وغيرها من القضايا الإجتماعية حيث تجد المرأة نفسها محكومة بواقع السيادة فيه للرجل.
- مواجهة الواقع والنضال والتحدي تفاءلا بغد أفضل وحياة أحسن وحرية أكبر للمرأة داخل حدود المملكة.

2-7-الـــروايـــة الـنـسـويـــة الـــمـــغـــربـيـــة:

لقد نشأت الرواية في بلاد المغرب في المنصف الثاني من القرن التاسع عشر متأثرة بجملة العوامل السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي صاحبت فترة الثورة وما بعد الإستقلال وما ترتّب عنها من تغييرات وصراعات طبقية داخل المجتمع المغربي مسّت حتى الميدان الفكري وبالتالي الميدان الأدبي والرواية باعتبارها:"شكلا من أشكال الوعي الإنساني ووعاء تصبّ فيه أفكار ورغبات وأحاسيس الإنسان في صراعه مع واقعه ومحيطه"(عباس ابراهيم 2005ص :65) فجاءت جلّها تحليلا للواقع المعيشي المغربي إبان الثورة وما آلى إليه بعد الإستقلال منطلقة ومرتكزة على حقبات وأحداث تاريخية ودورها وعلاقتها بشؤون السياسة في البلاد وتأثيرها على حياة واختيارات المواطن المغربي وبنية وتشكيلة مجتمعه.

ويعتبر المغرب الأقصى إلى جانب تونس مقارنة بدول المغرب العربي الأخرى رائدا وسبّاقا في مجال إنتاج الرواية والرواية النسوية بشكل خاص حيث ظهرت أول رواية نسوية باللغة العربية سنة 1954 ، وتعدّ الأولى من نوعها في المغرب العربي، بعنوان "الملكة خناثة" لصاحبته آمنة اللوة من المغرب واختلفت الآراء بينها وبين الكاتبة المغربية فاطمة الراوي التي يؤكد البعض أنّ روايتها "غدا تتبدل الأرض"الصادرة سنة 1967 هي التي تشكّل نقطة بداية وإنطلاقة العمل والإبداع النسوي في المغرب الأقصى، حيث اعتادت الأقلام الإبداعية وعلى غرار دول المغرب العربي الأخرى على الكتابة بلغة المستعمر لأغراض تاريخية إجتماعية وأخرى نفسية إيديولوجية طرحا لإشكالية الهوية والذات في مواجهة المستعمر الذي حاول بشتّى الطرق طمسها وإلغاءها وإرساء وإحلال مقومات الهوية والثقافية الغربية المسيحية محلّها، لتنتشر هذه الظاهرة بعدها في مختلف بلدان المنطقة :"حيث بدأت في غضون الستينات في تونس والمغرب ومطلع السبعينات في ليبيا والجزائر وبداية الثمانينات في موريطانيا"(بوشوشة بن جمعة 2003 ص :20) وتجدر الإشارة هنا إلى إجماع النقّاد المغاربة بما فيهم الناقد الكبير عبد الله كنون أنّ رواية دفنا الماضي لعبد الكريم غلاب الصادرة سنة 1966 هي أوّل رواية مغربية مكتوبة باللغة العربية تعكس نضج الكتابة السلردية في بلاد المغرب وإدراك واستيعاب الكاتب المغربي لمقومات هذا الجنس الأدبي الحديث وأساليبه الفنية هذا باستثناء بعض المحاولات الأدبية السابقة التي حاولت التأريخ لميلاد وبداية هذا الفن الأدبي الحديث في بلاد المغرب مثل "نص في الطفولة "لعبد المجيد بن جلون 1957 الذي اتخذ شكل السيرة الذاتية، بينما يرى البعض الآخر أنّ بدايات الرواية المغربية كان أواخر الأربعينات مع رواية الزاوية للتهامي الوزاني،في حين كانت الإبداعات الروائية المكتوبة باللغة الفرنسية قد قطعت شوطا لا يستهان به في هذا الميدان واقتربت في أن تحاكي الأعمال الروائية الغربية في استيعابها لشروط ومقومات وخصوصيات هذا الجنس الأدبي"

ونجحت في تمثل الشكل الروائي الغربي خاصة مع ظهور رواية الماضي البسيط لادريس الشرايبي 1954" (فاتحة الطايب 2010ص :27) وتنضم لسجل الإنتاج الأدبي العربي متأخرة نوعا ما مقارنة بدول المشرق التي تصدّرت قائمة الإبداعات والإنتاجات الروائية وحتى النسوية منها.

وتعتبر رواية الملكة خناثة رواية تاريخية أعادت الكاتبة من خلالها صياغة وسرد بعض الأحداث التاريخية من منظور أنثوي مؤكدة على دور المرأة والإنجازات التي قامت بها في حين تنسب جلّ الإنتصارات والبطولات للرجل ضمن تاريخ ذكوري لا يذكر المرأة سوى ببعض الأدوار الثانوية تكريسا وتعزيزا للسلطة والهيمنة الذكورية والتقليد والعرف الإجتماعي القائم الذي اعتاد وعوّد الأنثى على العيش في ظلّ الرجل، أن ترى نفسها بإنجازاته ومآثره وأنّ لا حياة لها دونه فهي تحيى به معلّقة ومرتبطة به.

إنّ ظهور الرواية النسوية في بلاد المغرب في الخمسينات من القرن العشرين لا يعني أنّ المرأة المغربية كانت غائبة تماما عن الساحة الأدبية ومجال الكتابة قبل هذا التاريخ، فقد وجدت بعض الكتابات النسوية في فترة ما قبل الإستقلال ككتابات مليكة الفاسي في الثلاثينات من القرن العشرين والتي ناقشت من خلالها بعض المسائل المتعلقة بالمرأة وحقوقها المشروعة كالحق في التعليم والحرية والتي تنم عن مدى وعي ونمو الحس النسوي التحرري لدى المرأة المغربية حينها، إضافة إلى بعض التجارب والمحاولات السردية القصيرة ككتابات خديجة اللوة التي شكلت خطوة وفاتحة للعمل الروائي النسوي في بلاد المغرب.

لقد ولدت الرواية النسوية المغربية إذن من رحم وفي جو تسوده الصراعات والتناقضات التي ميّزت المجتمع المغربي في كفاحه ضدّ الإستعمار الغاشم وانعكاساته على وضع المرأة وحياتها" ففي قراءة لمشاركة المرأة الكاتبة العربية في بلاد المغرب في الإبداع الأدبي إشارة إلى أنّ الحضور الأدبي الأولي للكاتبة المغربية كان حضورا ممزوجا بالحركة الوطنية التحررية وامتداداته" (جاد إصلاح 2012 ص :92) ،هذه المرأة التي كانت كغيرها من غالبية النسوة في البلاد العربية لا حياة لها خارج أسوار منزلها لا علاقة لها بمحيطها الخارجي ولا علم لها ولا تصور لديها عن الحياة في الخارج بحكم بعض العادات والأعراف الإجتماعية السائدة آنذاك والتي كانت ترى في خروج المرأة فعلا منافيا لمفهوم الحياء والعفة والحشمة المتعارف عليها في المجتمع المغربي وهذا ما يبدو واضحا في شهادات تنقلها الباحثة النسوية المغربية فاطمة الزهراء أزرويل لنساء مغربيات يصفن ما حدث لهن عند أول خروج لهن إلى الشارع:"تروي إحداهن فتقول:جئت إلى الدار البيضاء متلحفة بطانية صوف وركبت حافلة النقل ولم أكن أملك إلا ريالا واحدا أديت منه ثمن التذكرة وحين وصلنا لم أدر شيئا وظللت قاعدة في الكار بباب

مراكش وحدي حتى الظهر ولم يقل لي أحد بأننا وصلنا.....مشكلتي في الدار البيضاء أنني لم أكن أعرف الطريق وحين بدأت أنتقل بين الأزقة كنت أضع علامة على باب كل درب لكيلا أضيع بين الأزقة حين أعود....وتقول أخرى كنت ما أكاد أتجاوز الشارع الذي نسكنه حتى أضيع ولا أعرف وجهتي، ذات يوم قدمت إحدى قريباتي من البادية وأحببت أن أفرح بها فعرضت عليها الذهاب إلى الحمام....أتعرفين أمضينا نصف نهار بأكمله ونحن نبحث عنه دون جدوى وقد مررنا أمامه مرارا دون أن ننتبه إليه ....لقد تكررت هذه الحادثة مرارا كنا نظل قاعدات في البيت وإذا ما حصل وخرجنا نضيع ولا نجد هدفنا"(عبد الله محمد الغذامي 2006 ص132 -133)، واستمرت الرواية النسوية بعد الإستقلال حتى أنّها ازدهرت في الثمانينات والتسعينات حيث بلغ عدد الروايات النسوية في الثمانينات تسع روايات وستة أخرى في التسعينات لتصل إلى أعلى معدل لها بلغ ستة عشر رواية بعد التسعينات(انظر بوشوشة بن جمعة 2007ص :207) متطرقة فيها إلى واقع المجتمع المغربي ووضع المرأة الذي وبالرغم مما جابه من إصلاحات وتطورات وتغييرات لا يزال بطريقة أو بأخرى يقيّد المرأة ويضيّق عليها حريتها وحياتها،مثلما جاء في رواية عام الفيل للكاتبة المغربية ليلى أبو زيد، بصفتها الأنثى مقابل الرجل هذه الذات التي حُكم عليها منذ الأزل والتي ستظل رغم الشعارات الطنانة التي تدعو وتحتفي بالمساواة والعدالة والحرية مُطاردة ومراقبة تترصدها الأعين منتظرة وقوعها في فخ الأعراف والتقاليد وحكم المجتمع الجائر وغير المنصف بحقها غالبا، فجاءت رواياتها منددّة على هذا الواقع الأليم الذي يجعل من الأنثى مهما كان موقعها من العلاقة التي تربطها بالرجل زوجة أم صديقة، أما أو بنتا،جارة قريبة أو زميلة الخاسر الوحيد في مجتمع ذكوري متزمت بتقاليد وأعراف صارمة وقيم محافظة لا تتساهل مع المحظور لا سيما إذا كان الفاعل إمرأة لهذا فحتى طرحها لهذا النوع من المواضيع التي تعدّ غربية عن قيّم المجتمع العربي الإسلامي تطلّب منها إضافة إلى الجرأة اللجوء إلى فنون البلاغة والتلميح حتى لا يجد القارئ نفسه أمام نص يتعارض مع قيمه وتربيته ومفهوم الحياء والحشمة المتعارف عليه في مجتمعاتنا، ويرى بعض الباحثين أنّ عرض المرأة سواء في الرواية المغربية أو الرواية العربية كافة لصورة الرجل بكل صفاته السلبية مقابل المرأة بكل إيجابياتها طرحا تعوزه الموضوعية ونحن نتفق تماما مع هذا الرأي فليس كل الرجال سواء ولا حتى النساء فمثلما تقول الروائية وداد سكاكيني في رواية (أروى بنت الخطوب): "ليست كل النساء سواء فبعضهن زهور وبعضهن أشواك" (بثينة شعبان 1999 ص :81) وهذه الصورة السلبية التي طبع بها الرجل في الروايات النسوية لا تعكس سوى لنقل أقلية لا تمثل المجتمع العربي الإسلامي بقيمه وأعرافه والذي يولي عناية كبيرة بالمرأة بل تعبّر عن نتيجة الإبتعاد عن الله عزّوجلّ والجهل بقيم الدين الإسلامي الحنيف وسوء تفسير وإستخدام الأعراف والتقاليد الذي يقود المرء إلى أخطر من هذا والمزيد من المعاصي والمحرمات،لهذا نتصور أن تكون بل نعتقد أنّ الروايات النسوية التي تصور

الرجل بهذه الأنانية والوحشية والمرأة بتلك الدرجة من الطيبة والضعف والتضحية تبقى تصويرا حقيقيا لبعض الحالات التي لا يمكن إنكار وجودها في المجتمع وتذكيرا بمعاناة بعض النسوة اللاتي تعشن أقدارهن ومصيرهن بصمت وخفاء تنتظرن بصيصا من الأمل ومغيثا ينتشلهن من ظلمات وقتامة وقساوة العالم الذي يحيين فيه،تعبيرا عن صوت هاته النسوة التي لا يتجرأن على البوح تضامنا معهن ومع معاناتهن التي لا يعرف معناها إلاّ من عاشها، بحثا عن حلول وحياة لهذه النسوة وسعيا لتغيير نظرة وموقف المجتمع إزاءها.

ولقد أشارت جريدة طنجة الأدبية في مقال نشرته في الثالث من شهر أوت من عام 2011 أنّ عدد الروايات النسوية في الألفية الثالثة قد بلغ خمسين رواية، إضافة إلى بعض الأعمال الشعرية النسوية والقصص القصيرة التي زاد إقبال الأقلام النسوية عليها منذ التسعينات من القرن العشرين لتشهد الساحة الأدبية المغربية بذلك إسهاما متنوعا من قبل المرأة على شتى أصناف الكتابة والإبداع الأدبي.

إنّ الرواية النسوية المغربية ، وكغيرها من النصوص الإبداعية النسوية في مختلف أنحاء البلاد العربية،تعكس عبر نصوصها ومواضيعها الظروف والعوامل التي ساعدت على نشأتها وتطورها والدوافع التي حثّت المرأة المغربية على خوض غمار تجربة الكتابة والتي يمكن تلخيصها فيمايلي:

- إصطدام المواطن المغربي بواقع مختلف تماما بعد الإستقلال عما كان يحلم ويأمل به إبان فترة الإحتلال.
- الشعور بالخيبة والغربة في مغرب ناله إستقلاله السياسي لكنه مازال مقيّدا ومكبلا داخليا بما خلّفه أثر المستعمر من سياسات وأساليب الهدف منها تشتيت وحدة الشعب المغربي والقضاء على الهوية العربية الإسلامية.
- إستيلاء الأقلية على المناصب والمراكز السياسية والثروات على حساب جهود وتضحيات العامة الذين يُحدثون التغيير لكنهم يبقون محافظين على أدوارهم ومواقعهم السابقة يُفيدون ولا يستفيدون.
- إستمرار تراجع وضع المرأة في المجتمع المغربي وهذا من خلال :
- إستمرار تخلف الأنثى عن مقاعد الدراسة وحرمانها من التعليم أو مزاولته ببلوغها سناّ معينة.
- تغيّب المرأة عن أوساط الشغل ومختلف دواليب الحياة الإجتماعية والثقافية والسياسية ترسيخا للفكر والثقافة التقليدية التي تبقي المرأة حبيسة الداخل (المنزل).

- إستمرار سيطرة بعد المعتقدات الجاهلة على ذهن المرأة كإيمانها بقوة السحر والشعوذة واللجوء إليها لحل مشاكلها بدل ترقية مستوى وعيها الفكري والعلمي .
- معاناة المرأة من ظاهرة الزواج التقليدي الذي غالبا ما تُكره عليه إنصياغا لأوامر السلطة الذكورية المتمثلة في الأب أو الأخ وفي غيابهما قد تصل أحيانا إلى أي فرد ذكر من العائلة مهما كانت صلة القرابة بينهما قريبة أم بعيدة وعلى حدّ قول الكاتبة الجزائرية فضيلة الفاروق في روايتها مزاج مراهقة "إنّ غياب الرجل عن العائلة يعني بيتا بلا سقف...فقد كنا فريسة لسلطة الأعمام والأقارب والجيران وعابري السبيل أحيانا".
- تكريس وتعزيز هيمنة وسلطة الرجل في المجتمع سواء إزاء العائلة (الزوجة، البنت، الأخت) أو خرجها لا سيما في أوساط الشغل وما يمارسه من قهر وإضطهاد وإستغلال أحيانا ضد الأنثى بفضل المسئوليات والصلاحيات التي ينعم بها وبحكم المناصب التي يتولاها والتي تثير غالبا خوف وعجز المرأة مما يدفعها إلى الإنصياغ والخضوع لأوامره.
- إكتفاء المرأة بالأدوار التقليدية التي خصصت لها وتلك الصورة النمطية التي تجعل منها مخلوقا أُل شأنا من الرجل.
- تحملها للمعاناة والقهر وتقبلها للواقع دون إحتجاج لإيمانها بعدم قدرتها على التغيير والإستقلالية والعيش بحرية وراحة دون اللجوء إلى الرجل.
- لهذا جاءت الكتابات النسوية إحتجاجا وتنديدا على هذه الأوضاع وللطالبة بالحقوق التي اغتصبت من المرأة والتي سنحاول ذكر البعض منها فيمايلي:
- المطالبة بالمساواة بين الجنسين وبمختلف حقوق المرأة السياسية والمدنية وحقها في أن تحيى حياة حرّة وكريمة.
- تحرير المرأة من الأغلال التي كُبلت بها ومن تلك الأعراف والمعتقدات النابعة من جهل الأفراد والفكر القديم الذي دأب على الحط من مكانة الأنثى والتقليل من شأنها.
- رفض ومناهضة فكرة تقسيم الأدوار بين الجنسين وإعادة النظر في طبيعة العلاقات بينهما.
- إعادة النظر في التراتبية الجنسية التي تجعل الرجل دوما في مرتبة أعلى وأسمى من المرأة.
- توعية المرأة وتذكيرها بأهميتها ودورها في المجتمع وبأنها مثلها مثل الرجل لديها قدرات ومؤهلات تخوّلها وتمكنها من تحقيق رغباتها وطموحاتها.
- تغيير وضع المرأة والنظرة والصورة التي كوّنت عنها على مرّ العصور.
- إسترداد حقها في الكتابة والتعبير عن رغباتها ومواقفها وتوجهاتها.
- ردّ الإعتبار لذاتها وكيانها عبر الكتابة.

- التأكيد على قدرتها على الكتابة وأهمية أدبها ورفض الفكر القائل بأنها تدور فقط في عالم النساء الضيق وهذا بربط قضيتها بمختلف المسائي والأحداث المحيطة بها.

وجلّ هذه المطالب نجدها في الكتابات النسوية في مختلف أنحاء البلاد العربية فهي مطالب مشتركة وليست خاصة بالمغرب الأقصى فقط نظرا للوضع المشترك للمرأة عموما في المنطقة العربية وتقاسمها المعطيات الثقافية والإجتماعية ذاتها.

-خـــلاصـــة الـــفـــصـــل:

لقد كانت الكتابة إضافة قوية في نشاط المرأة التحرري ودعما كبيرا لها في مسيرتها النضالية ومجالا فعالاّ لطرح مختلف الإنشغالات والقضايا ذات الصلة بقضيتها وكانت المرأة على إستعداد وعلى دراية بالحملة النقدية الكبيرة التي تنتظرها لتجرأها على خرق حدود نظام بناه وأسّس له الرجل منذ آلاف السنين ولتنتقل فيه من أداة ورمز يوظف بين الفينة والأخرى إلى عامل مسيطر ومتحكم في هذا الميدان مثلها مثل الرجل، فهوجمت من جميع الجهات وهوجم أدبها من وصفه أدب لا يخرج من عالم النساء الضيق إلى تجريده من أي خصوصية تجعل منه أدبا يختلف عن أدب الرجل لقيامه واستناده على لغة هي في الأساس لغة ذكورية، مما أحدث أحيانا بعض الإنشقاق في صفوف الأدبيات وانقسمن إلى مجموعتين أحدهما تؤيد وتفتخر بالأدب النسوي والأخرى ترفض إدراج أدبها ضمن إطار الأدب النسوي، إلاّ أنّهن استطعن تجاوز هذه العقبة وغيرها من العراقيل وتمكنّ من تكوين وتأسيس الأدب النسوي الذي لا يزال محل نقاش ودراسة إلى يومنا هذا.

ولقد كانت الرواية النسوية العربية محلّ دراستنا في هذا الفصل ورأينا إجماع الباحثين على أنّ أوّل رواية نسوية عربية هي رواية حسن العواقب الصادرة سنة 1899للكاتبة اللبنانية زينب فواز والتي توضحّ جهود المرأة العربية المبكرة في هذا المجال،إضافة إلى حسّها ووعيها التحرري الذي نلمسه في كتابات ناشطات نسويات ممن عاصرن قاسم أمين مثل عائشة التيمورية، باحثة البادية (ملك حفني ناصف) ، لبيبة هاشم وغيرهن، وبهذا فقد كانت الروايات النسوية العربية الأولى من بلاد المشرق لتنتقل بعدها إلى بلدان المغرب العربي والخليج العربي حوالي الخمسينات من القرن العشرين ننيجة الظروف التي كانت تعيشها المرأة آنذاك من إستعمار في دول المغرب وعزلة في بلدان الخليج بدأت تنفك مع الطفرة التي صاحبت ظهور النفط في المنطقة حوالي السبعينات من القرن العشرين،واستنتجنا أنّه وبالرغم من تأخر ظهور الرواية النسوية في هذه البلدان وتحديدا بالمغرب والمملكة العربية السعودية إلاّ أنّ جهود المرأة الروائية في هذين البلدين وعزمها على النجاح مكّناها من تدراك تأخر السنوات ومواكبة التطورات في هذا المجال والإرتقاء بأعمالها إلى العالمية حيث ترجمت بعض الأعمال الروائية النسوية من المغرب ومن المملكة العربية السعودية وأصبحت تدرّس في الجامعات الأجنبية وحظيت بجمهور واسع من شتّى أنحاء العالم.

الـــفـــصـــل الـــثـــالـــث

الـــتـــرجـــمـــة والـــنـــســـويـــة

3-0-تقديم الـفـصـل:

قال تعالى:"ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين"(الآية 23 من صورة الروم).

يعدّ تعدد الألسنة آية من آيات الله عزّوجلّ في خلقه ونعمة من أنعمه التي فضلّ بها بني البشر حيث جعل لكل جماعة خصوصيات لغوية خاصة بها وبالتالي أخرى ثقافية وإجتماعية تختلف وتتمايز بتباعد الحدود الجغرافية بينها ولإعتبارات أخرى تاريخية وحضارية صنعت لكل جماعة مجدها الخاص بها وتميزها ومكانتها بين الأمم.

ولأنّ التواصل ضرورة لا بدّ منها لتكوين علاقات بين هذه الجماعات لاحت الحاجة إلى تعلم لغة الآخر للتحادث والتفاهم في عملية وممارسة لغوية أًصبحت تعرف بالترجمة.

لقد اقترن مفهوم الترجمة في القواميس والمعاجم بمفاهيم متعددة:كالتفسير والتوضيح والتبيين والنقل من لغة إلى أخرى والتعريب والتعجيم وغيرها من التعريفات التي وإن تعدّدت فهي تشترك عموما في الغاية والنتيجة التي تهدف إلى تحقيقها ألاّ وهي نقل الأفكار والمعاني من نظام لساني إلى نظام لساني آخر مع مراعاة القواعد اللغوية والخصائص الثقافية للغة لمنقول إليها.

تعتبر الترجمة نشاطا إنسانيا وممارسسة لغوية وضرورة حياتية اقتضاها الثراء والتنوع اللغوي ليس فقط بين المجتعات بل أحيانا في المجتمع الواحد حيث تغدو ممارسة يومية وسبيلا وأداة للتواصل بين طرفين ذي هوية وطنية واحدة وميزات وخصائص ثقافية متنوعة،كما تكون أيضا وسيطا بين الشعوب والثقافات المختلفة ووسيلة لتبادل العلوم والمعارف بينها إذ يعود لها دوما كل الفضل في تعريفنا بإنجازات الآخر والتعريف بإنجازاتنا للآخر مثلما هو الحال مع بعض النصوص الروائية العربية والنسوية منها بشكل خاص في مضمار الترجمة الأدبية.

تعتبر الترجمة الأدبية شكلا من أشكال الترجمة على غرار الترجمة العلمية والإقتصادية والترجمة في الميدان السياسي وغيرها من الميادين تعتمد وترتكز على نظريات معينة وتواجه صعوبات محدّدة لبلوغها النتيجة المرجوة، ترجمة أمينة وفية للأصل ومناسبة ومقبولة لدى القارئ، وهذا ما سنحاول التعرض له في هذا الفصل المعنون بالترجمة والنسوية حيث سنتطرق للترجمة الأدبية بشكل عام والترجمة النسوية بشكل خاص.

3-1-الترجمة ممارسة حضارية:

تعتبر الترجمة عملية تواصلية تقوم وترتكز بشكل أساسي على اللغة باعتبارها الخطاب الذي يضمن عملية التعبير والتبادل الفكري لجملة من الرسائل بين مجموعة من المتلقين، ولأنّ ظهورها مقترن باللغة فهي تغدو بذلك من أُقدم ما مارسه وعرفه الإنسان باعتبارها حاجة وضرورة لخدمة مصالحه السياسية والإقتصادية ولتنظيم شؤون حياته الأخرى الإجتماعية والفكرية في علاقته مع الأخر.

وهذا ما يذكره التاريخ عن أعرق الحضارات القديمة التي كانت تستعين بالترجمة في تسيير علاقاتها مع الأمم الأخرى من غير الناطقين بلغتها أو في خضوعها أحيانا للغة الآخر الحاكم،المستعمر أوالمسيطر باعتبار اللغة مكوّن ورمز من رموز الهوية الوطنية للأمم تستمد قوتها وثقلها من المكانة والثقل والقوة السياسية للأمة وعلى هذه الحال ازدهرت واندثرت لغات كالسومرية والأكدية والأرامية وغيرها فاسحة المجال للأقوى ومخلّفة تراثا ونشاطا ترجميا للباحثين من الأجيال المتعاقبة ،في هذا الصدد يذكر الدكتور شحادة الخوري الحضارة الفرعونية القديمة التي كانت تردها مراسلات وتبعث هي الأخرى بمراسلات باللغة الأكادية كونها لغة التخاطب الدولي آنذاك" وقد وجدت ستمائة لوحة من الخزف المحروق في تل العمارنة بمدينة المنيا في البقعة التي تضم مدينة آخت آتون التي أسسها الفرعون أخناتون في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهذه اللوحات مكتوبة باللغة الأكادية وبالخط المسماري وجاءت مصر من جهات عدّة من الخارج من بابل وآشور وبلاد الحيثيين وجزر اليونان وكانت مصر ترد على المراسلات باللغة الأكادية أيضا فقد عثر الباحثون على رسائل مصرية بين آثار الحيثيين بهذه اللغة"(شحادة الخوري 1988ص :17) وقد اشتهرت وعرفت هذه الحضارة باهتمامها الكبير بالترجمة حيث اعتاد الأمراء على وصف أنفسهم برعاة المترجمين:"توجد تعليقات في أضرحة أمراء أليفانتين من أواسط الألفية الثالثة ق.م حتى أواخرها وكما تلاحظ إنغريد كورز 1985في دراستها عن المترجمين في مصر الفرعونية القديمة فإنّ الأمراء الذين تظهر نقوشهم في هذه الأضرحة يصفون أنفسهم بأنهم رعاة المترجمين"(دوغلاس روبنسون2009 ص :90) والشأن ذاته لدى الحضارات والشعوب التي عمرت بعض مناطق القارة الأسيوية كالآشوريين والبابليين والحيثيين وأيضا لدى الروم والفرس الذين كانوا يوظّفون تراجمة بحكم طبيعة نشاطهم السياسي التوسعي الذي كان يقتضي إختلاطهم وإقامتهم لعلاقات مع شعوب الأمم الأخرى، ولقد كان لها من الأهمية ما دفع بالمفكرين والمترجمين إلى محاولة وضع أسس ومقاربات ترجمية تعين المترجمين على الممارسة الصحيحة لهذا النشاط اللغوي وتكون الأساس والمرجع للمزيد من الدراسات

الترجمية (شيشرون، جيروم...) تيقنا منهم بعدم زوال هذه المهارة وحاجة وضرورة الأفراد إليها في كل زمان ومكان.

وبالرغم من هذا الدور الحيوي الذي اضطلعت به الترجمة لدى هذه الشعوب إلاّ أنّها لم تكن بالمكانة التي أولاها لها العرب المسلمون في العهد الأموي والعباسي حيث اعتبروها رافدا من روافد المعرفة وعاملا من عوامل الإزدهار والرقي لما خصصه لها الخلفاء من مراكز للبحث وللمترجمين من هدايا ومكافآت تحفيزية لما ينقلونه من علوم ومعارف خدمت وساهمت بشكل كبير في بلوغ الحضارة العربية الإسلامية آنذاك أسمى درجات التطور والرقي والتحضر مقارنة بالأمم الأخرى.

لقد اتسعت حركة الترجمة في العهدين الأموي والعباسي واكتسبت صفة وأهمية وماهية غير التي عهدتها في السابق،فقد تمّ استغلال فوائد هذه الصنعة وتوظيفها لخدمة مصالح الدولة في غير السياسة والإقتصاد مثلما عهدته الأمم السابقة فانتقلت من كونها وسيلة خطابية وتواصلية بين فئة وجماعة متعددة الألسن إلى محرك وأداة فاعلة في عملية النقل العلمي والمعرفي وبالتالي البناء الحضاري للأمم.

فالأمويّون على سبيل المثال حتى ولو لم يهتموا كثيرا بالترجمة مثلما فعل العباسيون بعدهم وهذا لأسباب أكثرها سياسية إلا أنّهم إستغلوها لما اقتضتها حاجتهم إليها آنذاك من أجل تثبيت وتدعيم ركائز الأمة التي أنشئت حديثا ولضمان استقرارها وتوطيد أركان الأمة والتأكيد على هويتها واستقلاليتها وأهليتها للخلافة ومكانتها وأهميتها بين الأمم حيث :"تمّ نقل الديوان في العراق من الفارسية إلى العربية بأمر الحجاج...وفي أيام عبد الملك نقل الديوان في الشام من الرومية إلى العربية.....وهكذا غدت العربية لغة الإدارة في الدولة العربية الناشئة المترامية الأطراف وزال الوهم الذي ساد فترة من الزمن من أنها لاتصلح لذلك"(شحادة الخوري 1992 ص :22) ولا نرى أفضل من ذلك إستعمالا للترجمة آنذاك حيث لم يكن من المنطق أن تحكم دولة عربية وتسير شؤونها بلغة غير العربية ففي ذلك تقليل من شأن وقدرة اللغة وأمتها كما كان ذلك ليفتح سبيلا أمام الطامعين والغزاة لبثّ ونشر أشكال ومظاهر التفرقة والنزاع والشتات وزعزعة الإستقرار السياسي للأمة.

ليهتم العباسيون بعدهم بتقوية وترقية الدولة فكريا بجلب والإستفادة من علوم وحضارات الأمم الأخرى لما لذلك من فوائد قيّمة تعود لصالح الدولة واللغة العربية وكان السبيل لذلك هو الترجمة وقد أثبتت هذه الممارسة بالفعل أهميتها وقدرتها على الإرتقاء الحضاري باللأمم ودورها وفضلها في تعزيز التواصل بين الشعوب والثقافات والتعريف بالعلوم والمعارف المختلفة وأحيانا قلب موازين السلطة والقوة لمن يحسن إستغلالها ويقدّر ويقرّ بضرورتها وحاجة الأفراد والأمم إليها ولا خير من العباسيين مثالا على ذلك حيث جعلوا حركة الترجمة تنشط وتصاحب جميع الميادين العلمية منها والأدبية وأكثروا النقل من اللغات المختلفة

خاصة بتأسيسهم لبيت الحكمة ببغداد فاستفادوا وأضافوا وأبدعوا وجعلوا دولتهم من أقوى الدوّل حينها وأنشأووا حضارة اهتمت واستغربت وانبهرت بها الامم وعرّفت بالتراث الثقافي الحضاري العربي الإسلامي بين الحضارات المختلفة.

وبالشكل ذاته بنى الأوروبيون مجدهم بعدها على أنقاض الحضارة العربية الإسلامية حيث استغلوا احتكاكهم بالعرب إثر الحروب الصليبية وبعدها في الأندلس لنقل ما افتقدوه من علوم حينها عن طريق الترجمة حيث أنشأوا مدرسة طليطلة للنقل من العربية إلى اللاتينية وازداد وعيهم وإدراكهم لأهمية هذه الممارسة فشجع بعض الحكام على مزاولتها "حيث اهتم حاكمان كبيران من حكام أوربا في القرن الثالث عشر برعاية حركة الترجمة وهما فريديرك الثاني(1215-1250م) امبراطور رومانية المقدسة وملك صقليا وألمانيا، وألفونسو العاشر ملك قشتالة الملقب بالحكيم(1284م) "(شحادة الخوري 1988 ص :64) لحاجتهم إليها للنهوض بمجتمعاتهم وإخراجها من قتمة الظلمات والجهل الذي قبعت فيه لدهور إلى سلطة العقل والعلم وأنوار الفكر والمعرفة التي واكبت ورافقت نموهم وتميزهم بين الأمم.

ولا تزال حركة الترجمة في الغرب إلى يومنا هذا نشطة وتتابع وتواكب آخر الإنجازات والأحداث والمستجدات لا سيما في ظلّ العولمة والمصالح السياسية والإقتصادية التي أصبحت تجمع بين الدول المختلفة والتي زادت التأكيد على ضرورة الترجمة والحاجة إليها وأنها أًصبحت من أساسيات تسيير العديد من العلاقات والمجالات التي تخدم مصالح الدول وتضمن رفاهيتها واستقرارها، حتى أنّهم جدّوا وثابروا في دراستها والبحث فيها ووضعوا لها القواعد والنظريات المختلفة التي تعين وتبسّط ممارستها، أما بالنسبة للوطن العربي فنأمل أن يعود الإهتمام بالترجمة إلى ما كان عليه الحال في السابق فبعد الضعف والشتات والركود الفكري الذي صاحب سقوط الدولة العباسية وتوالي الغزوات والحروب وبعد وقوع العديد من الدول العربية تحت سيطرة الإستعمار الغربي الغاشم انشغل العرب بالحرية والإستقلال وتضاءل مردودهم الفكري وقلّ اهتمامهم وانشغالهم بالترجمة التي أحياها مرة أخرى ويعد قرون محمد علي في مصر وقد كان لها دور وفضل كبير في إعادة إحياء وتنشيط الحياة الفكرية وتعريفنا بالعديد من المعارف والفنون التي أُثرت التراث الأدبي والمخزون العلمي العربي ودفعتنا للحاق بركب التطورات والمستجدات الحاصلة في العالم، ورغم هذا تبقى حركة الترجمة إلى يومنا هذا متباينة في الوطن العربي فنجد بعض الدول تحتل الصدارة من حيث نسبة ترجماتها كمصر وسوريا، العراق ولبنان بينما تكون حركة الترجمة جدّ ضعيفة وأحيانا منعدمة في بعض الدول وهذا يعيق حتما جهود ومساعي التنمية في هذه الدول آملين أن يزداد الوعي بأهمية وضرورة هذه الممارسة ويزداد الإهتمام بها وأن تنشط بكثافة في كافة أقطار الوطن العربي.

3-2-الــتــرجــمــة الأدبــيــة:

يقول الأستاذ بشير بن سلامة: "إنّ الترجمة بوجودها حية في مجتمع ما عنوان لليقظة والنهضة والتقدم،وانعدامها يعدّ نذيرا بالتدهور والإنحطاط"(شحادة الخوري 1988ص :102) .

فإذا نشطت حركة الترجمة في أمة من الأمم فهذا يعني أنّ هذه الأمة منكبة على العلم ومنشغلة به تسعى وراء إنجازات الآخر تستفيد وتفيد، تأخذ وتضيف في حلقة تطويرية لإمكانياتها أو في خطى تنافسية مع الآخر، وهي ملازمة للإزدهار والتقدم بها تعلو الأمم وتترفع وتترقى لأنها تثري لسانها بالمفردات والمصطلحات وعلماءها ومفكريها بشتى المستجدات وأحدث وآخر التطورات وتجعلها تتقدّم وتسبق وتتصدّر سائر الأمم بلغتها وثقافتها ومنجزاتها التي تغدو مثالا وعنوانا للنهضة والتحضر، أما غيابها فيمثل شكلا من أشكال الركود الفكري والإنغلاق الإجتماعي الذي يعيق لحاق الأمة بركب الحضارة والتقدم.

فالترجمة شكل وفرع من فروع العلم والمعرفة لما تقتضيه ممارستها من جهد فكري ومهارة لغوية وخلفية ثقافية تأهل المترجم أن يكون وسيطا بين نظامين لسانيين مختلفين وبالتالي بين معطيات ثقافية وحضارية متباينة، إضافة إلى طبيعة العمل الترجمي الذي يؤمن إحتكاك المترجم بنصوص متنوعة من ميادين مختلفة لا سيما في عصرنا الحالي حيث غدا التعددّ اللّغوي شرطا من شروط الإنفتاح والتعامل مع الأمم الأخرى وحاجة ضرورية لمواكبة تطورات العصر مما جعل الترجمة ممارسة ضرورية في حياة الفرد اعتياديا يصادفها يوميا في أبسط نشاطاته كإقتناء السلع الإستهلاكية المعلبة والمحملة بمعلومات إشهارية مكتوبة بلغتين كالفرنسية والعربية بالنسبة لنا، إلى الميادين العملية كالإدارات ومراكز التعليم والمؤسسات الدولية وفي العلاقات الخارجية في ميدان السياسة مع الدول المجاورة والأجنبية الأخرى، ما يجعل الترجمة ليست فقط شكلا من أشكال العلم والمعرفة بل علما متأصلا ومرتبطا بجميع العلوم من حولها.

والترجمة عملية تبادل لغوية فكرية ثقافية وحضارية تسمح للطرف الناقل بإثراء وتطوير نتاجه العلمي وموروثه الأدبي عبر الإستفادة من تجارب ونجاحات الآخر، إنّها تشجع عملية التواصل بين الشعوب والإنفتاح على الآخر وتساعد على تخطي الإنغلاق الذاتي والتراجع الفكري والمعرفي والترحيب وتجريب الحديث والآخر في خطى إصلاحية لمستقبل واعد ومزهر.

كما أنّها ليست إقتباسا أو نقلا وإعادة فقط لما أنتجه الغير بل هي عملية إبداعية تقتضي بعث روح وإحياء نص ما في لغة غير التي كتب بها وفي ثقافة غير ثقافته الأصلية، مما يخلق شيئا أو شكلا من الترابط بين المترجم ونصه ويضعه أمام تحديات ومسئوليات يجب أن

يحسن ويتقن التصدي لها خاصة عند نقله لنصوص قد تمس أوتؤثر أو ذات علاقة بثقافة ومعتقدات وديانة اللغة المنقول إليها حيث يكون المترجم محل ثقة أهل اللغتين ويعوّل عليه ويوثق فيه بأن يكون وسيطا للتفاهم والتواصل بين الطرفين وهذا ما يوضّح تعدد الإمكانيات والطاقات التي تستثمر في هذه الممارسة والتي تتطلب المزاوجة والجمع بين قيّم حسية (كالثقة والعزم والأمانة) ومهارات وطاقات فكرية أخرى تعين المترجم على القيام بعمله والإبداع فيه.

ولأنّ اللغة هي أحد المكونات الثقافية للشعوب وظاهرة من الظواهر التي تميزها عن بعضها البعض ولأنّ الترجمة تمارس عن طريق اللغة وبالتالي بين الثقافات فقد سجلّ التاريخ مواقف متعددة لمفكرين وأدباء عبّروا عن نظرتهم لطبيعة العلاقة التي تجمع الترجمة بالثقافة حيث يقول الأديب الفرنسي فيكتور هيقو في هذا الصدد:"عندما تقدّم ترجمة إلى أمّة ما ،فإنّ هذه الأمة تعتبرها فعلا من أفعال العنف ضدّ نفسها في معظم الحالات تقريبا"(أندري ليفيفير 2011 ص :23) وهذا طبعا ليس في كل الحالات كما ذكر الأديب لكن خاصة في النصوص ذات الطابع الثقافي الديني والتي تتعارض مع قيّم ومبادئ المجتمع الذي يترجم له،حيث يُخشى أن تتأثر الثقافة الأَصلية أو أن يحاول طمسها لا سيما إذا كانت الترجمة موجهة لفئات هشة وقابلة للتأُثير كجمهور الأطفال الذي يعدّ أكبر وأيسر فئة مستهدفة في عملية الغزو الثقافي،إضافة إلى القارئ الكبير الذي قد يتأثر ويستجيب ويذوب في ثقافة الآخر ما يجعل النصوص الأجنبية تبدو أو تشكل خطرا على الثقافة المحلية والهوية القومية للأفراد لكن يجب دوما الأخذ بعين الإعتبار أنّ عملية الترجمة بدورها تتأثر بممارسها الذي لابدّ وأن يترك لمسة على الأُثر المترجم لأنّه يقوم بعمله محاطا ومتأثرا بعوامل خارجية وأخرى داخلية كالثقافة التي تتدخل بدورها في طريقة فهمه للنص وفلسفته في الحياة ومواقفه إزاء بعض الأمور وغيرها من العوامل التي تؤدي غالبا وخاصة في الترجمات الأدبية إلى الخروج بترجمات متعددة ومختلفة لعمل أدبي واحد،كل ترجمة تعبّر وتوحي عن ممارسها، فإضافة للفضائل والميزات العديدة التي تفيد بها هذه الممارسة بني البشر يجب التذكير بحساسيتها وخطورتها أحيانا إذا تمّ إستغلالها لأغراض وأهداف تحيدها عن غايتها الأساسية التي ترتكز على الإفادة وتقليص المسافات بين البشر،حيث أنّ هذه العملية موجهة أساسا لمتلقي غير قادر على مطالعة الأصل والثقة التي يضعها هذا المتلقي في المترجم لا يجدر بها أن توّظف لغايات أخرى لا تخدمه قدر ما تخدم مشاريع سياسية إيديولوجية أخرى مستغلة إرتباط الترجمة بما حولها من ميادين لتكريس الهوّة بين الشعوب وترجيح موازين القوة لصالح الدوّل القوية على حساب الدول الضعيفة بتشويه وتحريف والتقليل من أهمية وإعتبار ثقافة وديانة وتاريخ وهوية هذه الأخيرة، مثلما حدث قديما في عهد الخليفة المهدي (157-169ه) مع بعض المترجمين الفرس والسريان الذين استغلوا الترجمة لإبراز حقدهم وضغنهم على الثقافة والعقيدة الإسلامية حيث كانوا يترجمون بغير أمانة ويحرفون ويألفون ما ينافي

قيّم الدين الإسلامي الحنيف لخلق الفتنة في صفوف الأمة الإسلامية "فظهرت البدع الدينية وكثر الزنادقة ولم تكن الترجمة كلها خيرا خالصا لوجه العلم والمعرفة، بل خالطها شر كثير وكان أكثر هذا الشر موجها ضدّ العقيدة الإسلامية وضدّ العرب كافة مستهدفا النيل منها"(مصطفى يعقوب عبد النبي 2007ص :10).

كما يحتمل القول دلالة أنّ إقدام بعض الأمم على فعل الترجمة يجعلها وكأنّما تقرّ بضعفها وعجزها وحاجتها إلى الآخر وهذا فيه تقليل من شأن أعمالها وإنتاجاتها الفكرية والحال أنّ الترجمة لم تكن يوما مظهر ضغف وتخلف بل على العكس فقد كانت ولا تزال وسيلة من وسائل التقدم والإزدهار وأكثر الأمم ممارسة وتقديرا للترجمة هي الأمم المتطورة المتحضرة التي لا تكتفي وتعتد بما لديها بل تنفتح وتستفيد وتهتم بإنجازات الآخرلا سيما في عصرنا الحالي حيث أصبح التواصل ضرورة والترجمة حاجة ولا سبيل لتحقيق التواصل سوى من خلالها.

كما أكدّ شيجل أوغست ويلهلم (Shegel August Wilhelm) في أحد أقواله على أنّ الترجمة لاتقل شأنا ولا أهمية عن التأليف بل قد تفوقه صعوبة أحيانا نظرا للقيود والحواجز التي تحيط بالمترجم وتبقيه محصورا بأفكار غيره ملزم بصياغتها ضمن حدود معينة لا يمكنه تجاوزها، ما يتطلب إبداعا من شكل آخر وموهبة وقدرة على الخلق والتفسير والتعبير لإعادة إنتاج الآخر بصورة توافق عبقرية اللغة المنقول إليها وثقافتها ومعتقداتها حيث يقول:"ما رأيته جديرا بالإطراء والثناء وبخاصة الكدّ والإجتهاد والبراعة في الترجمة قوبل بالرفض من قبل الكثيرين على أساس أنّه عادة مزيفة، يقولون إنّ هذا نابع من الكسل والعقم ويؤدي إلى أكثر من الشيئ نفسه إلى درجة تجعلك غير قادر على الإبداع الشخصي والإبتكار"(أندري ليفيفير 2011ص :52) مبرزا الجهد والإجتهاد الذي يبذله المترجم في سبيل إفادة الشعوب بعلوم ومعارف غيرها من الأمم وفضله في تخليد إنجازاتها وتوارثها على مر العصور بين الأجيال المختلفة وفي التقريب بين الأجناس عبر خلق جو وشكل من الإختلاط والتزاوج بين الثقافات والحضارات المختلفة بتبادل ونقل الأثار الأدبية والعلمية فيما بينها، وغيرها من الفضائل التي جعلت الترجمة على درجة كبيرة من الأهمية لتنال إهتمام المفكرين من مختلف العصور عبر ما طرحته ممارستها من تحديات وانشغالات لا تزال تطرح وتدرس البعض من إشكالياتها إلى يومنا هذا باعتبارها ممارسة ليس فقط على القديم من النصوص التي تم التطرق والتباحث في صعوباتها بل حتى الحديثة منها، فتغدو عملا وفعلا آنيا قد يصادف إشكاليات جديدة تفرضها طبيعة النصوص التي يتم نقلها والتي قد يختلف التعامل معها من مترجم إلى آخر لا سيما في ظلّ النظريات الترجمية الحديثة التي أصبحت تخوّل وتساعد المترجم على تخطي بعض العوائق التي تصاحب ترجمة بعض النصوص لا سيما ذات الطابع الثقافي والديني منها.

ولقد كوّنت مواقف مختلفة وأفكار متباينة حول هذه الممارسة من قبل المفكرين عبر الأزمان المختلفة عكس البعض منها الأهمية والمكانة التي أوليت لها حتى ولو كان جزء منها قد أصدر أحكام تعسفية وغير منصفة بخصوصها دون الأخذ بعين الإعتبار لا الجهود المبذولة من قبل المترجم ولا قيمة العمل المترجم وما يفيد به الثقافة واللغة المنقول إليها، وهناك من أقرّ واجتهد في التفكير إلى حدّ بلوغ التنظير لهذه الممارسة من أجل تخفيف أعباء المترجم وتسهيل عمله مع النصوص المختلفة كمقولة شلاير ميخر حول الترجمة حيث يرى بأنّها:"إستدراج القارئ نحو الكاتب واستدراج الكاتب نحو القارئ أو مثلما يقول أنطوان بيرمان أنّ المترجم يريد إرغام الجانبين إٍغام لغته بأن تثقل بالغرابة وإرغام اللغة الأخرى بأن تزيغ في لغته الأم"(بول ريكور 2014ص :11-34) ما يوضحّ الجهد والضغط الكبير الذي يقع فيه المترجم في وساطته بين الطرفين،في أن يكون أمينا للطرفين وفي أن ينتج عملا يجمع ويوحّد بين لغتين، ثقافتين وحضارتين.

وتعدّ الترجمة الأدبية شكلا من أشكال الترجمة التي تمارس كتابة وتنطوي تحت لواء الترجمة الثقافية التي تعنى بترجمة الآثار والأعمال الفكرية علمية كانت أم أدبية فنية من لغة إلى لغة أخرى وما أيسر ترجمة ونقل العلوم أمام ترجمة الأعمال والمؤلفات الأدبية فالأولى تخاطب العقل لا المشاعر والوجدان وتقتضي من ممارسها أن يكون أهل إختصاص عارفا وملما بالمصطلحات والمعلومات التي ينقلها تفاديا لأي خطأ أو سوء فهم وتقدير قد يعيق وصول الرسالة والإستفادة منها وما قد ينجم عنه من حوادث وأضرار لهذا يشترط في ممارسها أن يكون خبيرا في الموضوع المترجم ويتقن اللغتين التي ينقل منها وإليها.

أما ترجمة الآثار والمؤلفات الأدبية فهي كما قال حافظ ابراهيم في وصفه لأحد الأعمال الأدبية المترجمة:"جاء الأصل والترجمة كالحسناء وخيالها في المرآة"(شحادة الخوري 1988 ص:99) فهي ترجمة يتنظر منها أن ترد ذات النتاج بكل ما يحويه من جمال وخيال وعواطف وما يخلفه ويحدثه في نفوس المتلقين من آثار حسية تختلف من قارئ إلأى آخر حسب درجة الإستيعاب وطريقة التفسير وموقف القارئ إزاء بعض الأمور وفلسفته في الحياة،فالنص الأدبي نص ينبض بالحياة لأنّه ترجمة وإنعكاس لروح الأديب وشخصه وأسلوبه وموقفه وتوقعاته من الحياة فنجده يعج ويزخر بالمشاعر والأحاسيس والأخيلة التي ترمي إلى إثارة خيال القارئ وتحريك عواطفه والتأثير على نفسه وبالتالي تحقيق الغاية والهدف والرسالة التي يسعى إلى إيصالها إلى القارئ، لهذا يجب أن تتم الترجمة بأسلوب حسن وأن تنتقى لها الألفاظ والعبارات المناسبة التي تستطيع أن تخاطب وجدان وخيال القارئ وتثير أحاسيسه،هي ترجمة لابدّ لها من حسّ فني وذوق أدبي ومهارة لغوية تمكنها من أن تؤدي صدق المعاني والأحاسيس، هي عملية فنية جمالية تهتم بالنقل الشكلي والضمني للنصوص.

و"ترجمة الأدب هي أساسا إعادة ترجمة"كما يقول لوفيفر(لوفيفر1979ص:119) لما يحمله الأثر الأدبي في نسخته الأصلية من ترجمات حسية وفكرية لرؤى ومواقف وتوجهات الأديب يعبّر عنها بأسلوب فني في رسالته للقارئ مما يقتضي جهدا مضاعفا أثناء عملية الترجمة بدءا بتفسير وتقصي المعاني والأفكار المشفّرة والمتخفية وراء الكلمات بموضوعية قدر المستطاع أي أن يجتنب المترجم وضع البعض من نفسه في الترجمة (قيّم، أفكار، مواقف) وأن يتقمص روح المؤلف وأن يحترم ويتقبّل أفكاره ومعتقداته ويتعامل بأمانة مع عمله ضمانا للنقل السليم والأمين للأصل، وهذا ما يخلق أحيانا شكلا وجوّا من التناقض والتباين في المبادئ التي يتبناها لمترجمون في عملهم نتيجة بعض الترخيصات والإمتيازات التي تخوّلها بعض النظريات الحديثة التي تأخذ بعين الإعتبار وتهتم بالنتيجة والأثر الذي تحدثه الترجمة على المتلقي والغرض منها وخصوصيات المتلقي الفكرية والثقافية مما يجعلها ذات عون كبير في ميدان الترجمة لا سيما عندما تكون هذه الأخيرة موجهة لفئات معينة ولأغراض محددّة.

والترجمة الأدبية"هي نقل معاني الآثار الأدبية من لغة إلى أخرى بالحالة نفسها التي قصدها الشاعر أو الأديب أن يكون عليها الأُثر الأدبي.....ما يعني نقل معنى النص الأدبي كاملا شكلا ومضمونا،مع التركيز على قيمة النص الجمالية دون تقديم تنازلات إبلاغية لصالح قارئ الترجمة"(جمال محمد جابر 2005ص:53) وفي هذا تأكيد على ضرورة الإبقاء على روح النص الأصلي ونقل ما فيه من أخيلة وعواطف وصور حسية وأخرى جمالية فنية ضمانا لترجمة أمينة وسليمة يتم من خلالها إعادة إحياء عمل مماثل في لغة أخرى.

إنّ الترجمة الأدبية عملية إبداعية وليست نقلا جافا للأفكار والمفردات تجعل من المترجم كاتبا ثانيا للنص يعيد صياغته لجمهور آخر بنفس أسلوب الكاتب الأصلي وهذا ما قد يقتضي أحيانا أشخاصا من الميدان بخبرة وتجارب تضمن النتيجة المرجوة، يقول الدكتور محمد عوض محمد: "إنّ أوّل شرط يخطر إلى أذهاننا أنّ المترجم الذي سيكون إنتاجه أُثرا أدبيا يحاكي الإنتاج المترجم يجب أن يكون هونفسه أديبا راسخ القدم في التأليف الأدبي .....وإذا كنا نتطلب ممن يترجم كتابا في الطب أن يكون هو طبيبا فليس من المستغرب والحالة هذه أن تطلب من مترجم الأدب أن يكون أديبا أو ممن يترجم الشعر أن يكون شاعرا"(شحادة الخوري 1988ص :96) وهذا يثير قضية أخرى وهي قضية الإختصاص في الترجمة والتي تشترط في المترجم أن يلتزم بمجال واحد وأن تكون له دراسات سابقة ودراية وكفاءة في هذا المجال، وهذا فعلا من الأمور المستحبة والتي بالتأكيد ستؤدي إلى نتائج وترجمات متميزة لكن هذا لا يمنع المترجمين ممن لم تتح لهم الإمكانيات للقيام بتخصصات معينة من الخوض والقيام بترجمات متنوعة لأنّه إلى جانب الإتقان اللغوي والخبرة والتجربة فإنّ الإرادة كفيلة بتحقيق الغايات والطموحات.

ولعلّ هذا ما جعل جلّ الإشكاليات الترجمية تطرح في هذا الميدان لما يواجهه المترجم أُثناء النقل من صعوبات وخصائص لغوية وأخرى ثقافية قد يستعصى عبورها أحيانا إلى الضفة الأخرى وأن تتجاوز حدود الأعراف والتقاليد ليتم تطويعها أحيانا بما يناسب فكر الأفراد وثقافة مجتمعاتهم،فالترجمة هنا تتعدى حدود اللغة كونها مفردات وألفاظ وأداة خطابية لتغدو وسيلة وأداة تعبير ثقافية لهذا ينتظر من المترجم أن يجعل القارئ يشعر وكأنّ النص كتب لأول مرة وموجه خصيصا له وهذا لا يتم بإتقانه لغتين فقط بل بإلمامه بالخصائص الثقافية لهما حتى يتمكن من فهم وإستيعاب ما يضمنه الكاتب من معاني وتعابير مجازية حتى لا يقع بعدها في الخلط والإلتباس فيحرف أفكار الكاتب ويشوّه معانيها.

ولهذا النوع من الترجمة فوائد ومزايا كغيرها من فروع الترجمة الأخرى،إذ تسهم في إثراء التراث الأدبي للغة المترجم إليها بقطع فنيّة أدبية قيّمة خالدة تصلح لجميع الأزمان وتحيى في جميع المجتمعات تعتق ولا يجف عطاءها مهما تقدمت بها السنوات بل تزداد شأنا وقيمة وأهمية بمرور الزمان.

وإنّ ما يجعل ترجمة الآثار الأدبية بذلك القدر من الخصوصية والتعقيد والصعوبة أحيانا هو خصوصية العمل بحدّ ذاته الذي يعبّر عن صاحبه، ويعدّ خلاصة إبداعه، إنعكاسا لأفكاره وعواطفه، تعبيرا عن خيباته وتوقعاته وآماله، إنتاجه وإضافته التي يقدّمها إلى هذه الحياة، الأثر الذي سيخلفه ويخلّد إسمه وتتعاقب عليه الأجيال المتوالية، فالترجمة هنا لا تكون بصدد التعامل مع معطيات معرفية بل مع مزيج من الأفكار والعواطف الخاصة بشخص ما،مع إنتاج فني ذاتي تطغى وتسيطر عليه شخص وروح الأديب ما يجعل إعادة خلق وإنتاج عمل مماثل أمرا عسيرا أحيانا لا سيما عند نقل بعض الخصوصيات التي يوظّفها الأديب في تعبيراته والتي قد نجدها في أغلبية النصوص الأدبية كالإنتقال من مستوى لغوي إلى مستوى لغوي آخر على سبيل المثال من اللغة الفصحى إلى العامية والعامية تختلف من بلد إلى آخر كما هو الحال في وطننا العربي نظرا لإختلاف اللهجات وطريقة نطق الحروف والخلفية الإجتماعية والثقافية للمجتمع وغيرها من عوامل تاريخية أوحضارية، أو كتوظيف الأمثال والحكم وبعض الرموز والإيحاءات التي تنتمي إلى ثقافة وتاريخ المؤلف،أو كإستعمال بعض الصور البيانية والمحسنات البديعية التي تبرز القيمة الفنية والجمالية للغة،إضافة إلى سرد بعض العادات والتقاليد والمعتقدات التي تعكس الموروث الثقافي والإجتماعي وتاريخ المجتمع أو المنطقة التي يسرد عنها المؤلف والتي تطبع النص أو العمل بحلّة وطابع خاص تجعله ينفرد عن سائر الأعمال الأدبية الأخرى للمؤلف وغيره من الأدباء، وتعدّ الأعمال الروائية النسوية أعمالا أدبية يصادف نقلها إلى اللغات الأجنبية بعض العراقيل التي ذكرناها آنفا" فما يميز الرواية من منظور ترجمي الأهمية النسبية لثقافة اللغة الأصلية والغرض الأخلاقي الذي يتجه به المؤلف نحو القارئ، والذي قد يتمثل في ترجمة أسماء العلم ولهجة المؤلف الخاصة وترجمته ألفاظ اللهجة اللغوية، والتفريق بين الأسلوب الشخصي

والمواضعات الأدبية لفترة وحركة معينة"(جمال محمد جابر2005 ص :32) وهذا ما ينتج أحيانا ترجمات مختلفة لنص واحد لا سيما في ظلّ النظريات الترجمية التي تهتم بالترجمة بين الثقافات وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا وفي الفصل الموالي.

3-2-1-خصـــائـــص النـــص الأدبـــي والترجمة الأدبية:

يعتبر النص مجموعة من الأفكار والمعلومات معروضة وفق منهجية معينة ينتقيها الكاتب لغرض محدّد قصد خدمة الغاية التي ألفه من أجلها وضمانا لتحقيق الرسالة الأثر المنشود لدى القارئ والذي يتحدّد غالبا في أثرين وهدفين إثنين:أحدهما الإخبار وإطلاع وإعلام القارئ بمستجدات معيّنة علمية، إجتماعية أو ثقافية...يجهلها وهذه وظيفة غالبية النصوص والمقالات والأبحاث العلمية،النصوص الصحفية،التقارير الإقتصادية...وغيرها أما الوظيفة الثانية فهي فنية تعبيرية تخاطب الوجدان لا العقل لهذا يختلف تأثيرها على المستوى الشخصي من فرد إلى آخر حسب درجة التلقي ولأغراض أخرى إيديولوجية، سياسية وثقافية يؤمن بها القارئ ويتبناها في حياته، وبهذا تكون وظيفة هذا النوع من النصوص الأساسية هي الترويج عن النفس وإمتاعها في شكل رسالة مضمّنة بأفكار نقدية إصلاحية،وهذه هي وظيفة وغاية النصوص الأدبية، ويتخذّ النص الأدبي أشكالا مختلفة تتنوع بين الشعر، القصة، الرواية والمسرحية ولكل من الأشكال المذكورة مقوّماته الفنية التي يبنى عليها وسماته التي تميّزه عن سائر الألوان الأدبية الأخرى إلى جانب بعض الخصائص والوظائف التي تشترك فيها النصوص الأدبية عامة، والرواية باعتبارها شكلا من هذه الأشكال الأدبية تختلف شكلا من حيث نوع اللغة المستعملة وطول االرسالة ومضمونا من حيث اللغة المستعملة والأساليب الفنية الموّظفة، فهي تشترك مع بقية النصوص الأدبية في بعض السمات العامة التي تربطها بميدان الأدب وتحقق من خلالها بعض غاياته الأساسية ومن بين هذه السمات:

- يعرّف النّص الأدبي أنّه وبخلاف النص العلمي عبارة عن سرد أو وصف لمجموعة من الأحداث حقيقية كانت أم خيالية في طابع فني تحرّكها وتطغى عليها عواطف الكاتب وتوجهاته في الحياة وموقفه وآراءه إزاء بعض الأحداث والوقائع السياسية، الإجتماعية وغيرها بهدف التأُثير على القارئ وإثارة عواطفه وتوجيه موقفه خدمة للتغيير والإصلاح الإجتماعي مستعملا في هذا كلّه اللغة التي تغدو ذات وظيفة تعبيرية في المقام الأول هذه الوظيفة التي تصنع خصوصية النص الأدبي وتضفي عليه صفة الدوام على خلاف" النص العلمي الذي يكون خاضعا للعقل ومن ثمّ سريع التغيير"(عبد العزيز عتيق 1972ص :105).
- إتسام بعض جوانب النص الأدبي بالغموض نتيجة الإستعمال المجازي للغة وتوظيف الصور البيانية والقيّم البلاغية إلى جانب خيال الكاتب وعواطفه التي تفتح النص على

قراءات مختلفة مرتبطة بقدرة المتلقي وبيئته وموقفه إزاء بعض المفاهيم والوقائع، هذا ما يجعل النص الأدبي مصدرا لإيحاءات متنوعة تختلف تفسيراتها باختلاف وتعدّد مفسّريها.

- إختلاف الأسلوب بين كل نص أدبي والآخر وإختلاف الأغراض اللغوية المستعملة باختلاف القضية التي يعالجها الكاتب والرسالة التي يريد تبليغها للقارئ والأثر الذي يريد إحداثه في نفسه ويبقى أسلوب الكتابة ملكة شخصية تختلف من كاتب لآخر باختلاف القدرات الفكرية والفنية الإبداعية واختلاف الأنفس والآراء والمذاهب والبيئات والثقافات.
- يعتبر الشكل في النص الأدبي على القدر ذاته من الأهمية مع المضمون حيث يشكلان معا وحدة واحدة ومتكاملة ويبنيان معا خصوصية النص الأدبي ويفرقانه عن باقي الأشكال الأدبية الأخرى.
- مثلما يقبل النص الأدبي قراءات متعددة فإنّه أيضا يقبل ترجمات مختلفة وإبداعات متنوعة تعكس درجة الإختلاف بين متلقيه.
- تجاوز النصوص الأدبية حدود الزمان والمكان وبقاءها آثارا خالدة تستفيد منها الأجيال اللاحقة لما تحمله هذه النصوص من قيّم ومبادئ إنسانية رفيعة ومثالية تصلح لجميع الأزمنة وللأمم المختلفة ولطرحها قضايا وموضوعات ومسائل إنسانية وحياتية ثابتة كقيّم الخير والشر واضطرابات وأهوال النفس الإنسانية وتجاذب مشاعرها بين أقصى طرفي وحدود السعادة والحزن المترتبة عن عيش بعض التجارب وتجاوز بعض الإمتحانات الحياتية وغيرها من شئوون النفس الإنسانية التي لا تتغير مهما بعد المكان وطال الزمان.
- يهدف النص الأدبي إلى جانب إثارة خيال القارئ وعواطفه وتعريفه بثقافات وأجناس جديدة إلى توعية المتلقي ببعض المسائل وتوجيه فكره وموقفه لغايات وأغراض إصلاحية.
- تشكل الموسيقى جزءا لا يتجزأ من مكونات النص الأدبي والتي تظهر من خلال التوظيف المجازي للغة كاستعمال المحسنات البديعية والإيقاع والمحاكاة الصوتية، والوزن والقافية في النص الشعري.
- تتسم النصوص الأدبية بجمال داخلي يعكسه التوظيف اللغوي والمضمون الفكري ما يجعلها أكثر النصوص إقبالا ومطالعة من طرف القارئ.

لهذه الخصائص وغيرها وكما ذكرنا في الفقرة السابقة يشترط على من يخوض في ترجمة هذا النوع من النصوص توفره وامتلاكه لخصائص وكفاءات وقدرات تخوّله وتعينه على سلامة النقل والأمانة للأصل ما يذكرنا دوما بحساسية هذه الممارسة، ،لهذا لا تقل مسئوليات المترجم الأدبي عن مسئوليات المترجم بشكل عام الذي يجدر به أن يكون على قدر كبير من

معرفة باللغتين التي ينقل منها وينقل إليها كتابة قراءة وحديثا مما يمكنّه من فك الرموز اللغوية والثقافية المستعملة في النص، وأن يكون ملّما بميدان الأدب مطلّعا على الأعمال المختلفة للأدباء من شتى الثقافات وذو ذوق فني وأدبي يخوّله من إدراك القيمة الجمالية للعمل الأدبي،ما يعينه على إعادة التأليف والكتابة بطريقة فنية جمالية إقتداء بخطى الكاتب بهدف نقل وإعادة خلق وإحياء ذلك الأثر الأدبي في لغة أخرى، كما يشترط في المترجم الأدبي أن يكون ذو ثقافة واسعة على علم بالأحداث والوقائع والتطورات الحاصلة في العالم ليسهل عليه فهم العمل واستيعاب العوامل المحيطة بنشأته وتفسير مختلف الظواهر والرموز الإيحائية الموّظفة من قبل الكاتب، وإلى جانب كل هذا وذاك يحبّذ تحلي المترجم ببعض الشيّم والقيّم كالأمانة والنزاهة والصبر والإجتهاد والإلتزام والإخلاص والإرادة ....التي تساعده على تأدية عمله باتقان ونجاح وفي إيصال جوهر رسالة الأديب للمتلقي.

ولنص بمثل خصوصيات النص الأدبي يشترط في القائم على ترجمته أن يتحلى بكفاءات وقدرات معينة، أن يكون له أسلوب أو أساليب ترجمية خاصة به قادرة على إحتواء جملة المتغيرات والعوامل الثقافية الإجتماعية والأدبية المختلفة التي يزخر بها النص وفي هذا الصدد يرى بيتر نيومارك أنّ النص المترجم (النص الروائي هنا) يتأثر عند ترجمته بعشرة عوامل تأُثيرا متباينا يسعى كل عامل منها أن يترك أثره أو يكون له الإسهام الأكبر في عماية الترجمة وعند قراءة النص المترجم يتّضح لأي عامل انساق العمل المترجم أكثر وبأي عامل تأثر المترجم أكثر وقاد وبتى عمله حوله ما سيفسر أيضا إيديولوجية المترجم والغرض من ترجمته وموقفه إزاء بعض المسائل والقضايا وتتمثل هذه العوامل فيما يلي:

- المؤلف في اللغة المنقول منها.
- عبقرية اللغةالمنقول منها.
- ثقافة اللغة المنقول منها.
- صيغة النص والتقاليد التي تحكمه في اللغة المنقول منها.
- قراءة النص في اللغة المنقول إليها.
- عبقرية اللغة المنقول إليها.
- ثقافة اللغة المنقول إليها.
- صيغة النص والتقاليد التي تحكمه في اللغة المنقول إليها.
- الحقيقة التي يحملها النص.
- وأخيرا المترجم، فكل هذه العوامل تتدخل وتتحكم في عملية الترجمة وباعتبار النص الأدبي نصا ذو رسالة مزدوجة يهدف إلى جانب الإبلاغ والإخبار الذي تتميز به سائر النصوص الأخرى بميزة التأُثير،يجب أن يتوفر النص المترجم على هاتين الخاصيتين معا:"ولا يتم ذلك إلا من خلال إتباع منهج الترجمة الدلالية الذي يعني نقل المعنى السياقي الحقيقي للنص بالقدر الذي تسمح به البنى الدلالية والتركيبية للغة

المستهدفة"(جمال محمد جابر 2005 ص :66) فالترجمة الدلاللية حسب نيومارك هي أحد السبل لإعادة خلق نص مماثل في اللغة المنقول إليها بكل ما فيه من صور وأحاسيس وأخيلة يصبح من خلالها المترجم مؤلفا ثانيا للنص يخاطب جمهورا ذو لغة وثقافة مختلفة يقوم بدور الوسيط بين الضفتين، مسئولا عن نقل العوامل الثقافية الموّظفة في النص الأصلي ومفسّرا وشارحا لمختلف الرموز والإيحاءات التي يزخر بها النص، فالترجمة الدلاللية تنص على إعادة خلق نص مطابق تماما للنص الأصلي بقدر ما تسمح به عبقرية اللغة المنقول إليها مع اتباع التفاصيل ونقل الأجواء والخصوصيات الثقافية والدينية التي تلوّن النص وتبعث فيه الحياة والحركة وتطبعه بشكل من الخصوصية التي تميّزه عن سائر النصوص الأخرى دون الأخذ بعين الإعتبار أو الإهتمام بموقف القارئ في اللغة الهدف الذي قدي جدها غريبة أو غير مألوفة، مع التأكيد والتركيز على صوت المؤلف وأسلوبه وحضوره في النص وغيرها من التفاصيل التي تعيد خلق تلك النكهة والنغمة والخصوصية التي يتميز بها النص الأصلي، هذا مقابل الترجمة التواصلية التي لا تهتم بالشكل قدر إهتمامها بإعادة خلق التأُثير ذاته الحاصل لدى جمهور أو متلقي النص الأصلي حتى ولو كان ذلك يستدعي إجراء بعض التعديلات والتغييرات في الرسالة بما يناسب فكر، ثقافة قيّم ومعتقدات القارئ في اللغة المنقول إليها، وهنا تكون الترجمة موجهة لفئة محددة ومعينة من القراء عكس الترجمة الدلالية التي تكون موجّهة إلى أكبر عدد ممكن من القراء، والترجمة الدلالية هي الأقرب للمفهموم الحقيقي للترجمة وهي التي تحقق الأمانة في الترجمة وهي الغرض والهدف عموما من هذه الممارسة، لكن لا يسعنا إلا أن نقول أنّ هذا النوع من الترجمة يصلح لنصوص معينة ولتحقيق غايات معينة ولهذا ميّز نيومارك نوعا آخر من الترجمة (الترجمة التواصلية) التي تطبق على نصوص معينة وتحقق غايات أخرى يحتاجها المتلقي وصاحب الرسالة وتخدم أيضا أحد الغايات الأساسية التي تسعى إليها الترجمة ألا وهي التأثير والتواصل مع المتلقي ولهذا فإنّ أسلوب الترجمة يتضح غالبا عبر الغاية التي تسعى الترجمة إلى تحقيقها عند نقل الرسالة ولا يمكن الحكم على نصوص معينة بأساليب ترجمية دائمة لا يمكن أن تخضع لسواها، ما دامت النصوص تمر على مؤلف ثاني المترجم الذي قد يترك أحيانا أثره عن قصد أو غير قصد على العمل متأُثرا بإديولوجيته في الحياة وثقافته ومجتمعه ما يدفعه أحيانا إلى التصرف في بعض المواقف آخذا ببعض الأساليب التي تبيحها نظريات الترجمة الأخرى لا سيما عندما تكون الرسالة موجهة لفئة وجمهور ذو قدرات نفسية وفكرية وإجتماعية متباينة، إلا أنّ النص الأدبي باعتباره نصا ذو خصوصيات فنية جمالية أدبية تتطلب من قارئها أن يكون على قدر كاف من الإستعداد لتلقي وإستيعاب هذه المعطيات ما يشترط أيضا في متلقي الترجمة والمقدم على قراءة النص أن يكون على قدر من الكفاءة والذكاء تمكّنه من فك وتحليل الرموز

والإشارات المضمّنة في النص الأدبي وعلى قدر من الإنفتاح والوعي يجعله يعي ويتقبل الإختلافات الثقافية الحضارية ويحترم خصوصية الآخر ما يجعل الترجمة حينها أداة ووسيلة فقط لبلوغ إنتاجات الآخر والتعرف عليها مثلما جاءت في نسختها الأصلية محافظين بالتالي على الوظيفة والغاية الأساسية للترجمة التي تهدف إلى مد جسور التواصل والوساطة بين الشعوب المختلفة، دون المساس بأصالة وخصوصية العمل الأَصلي الذي سيفقد ماهيته وهويته مع التعديلات والتغييرات التي تطوله من المترجم والتي يحبّذ أن تتخذ شكل توضيحات وشروحات وتعليقات في الهوامش في حالة وجود بعض الأفكار التي تصطدم وتتعارض وثقافة المتلقي "فموقف المترجم المحتمل ضد النص الروائي أو صاحبه قد يكون بسبب الإنتماء القومي أو الثقافي أو العقائدي أو بسبب الموقف السياسي أو الفكري أو بسبب الإرتباط بتيار أدبي أو منهج فني وقد يكون ناتجا عن جنس المؤلف نفسه.....كل ذلك وغيره من الأسباب قد يكون باعثا على تأويل النص تأويلا تعسفيا أو عدم نقل كل المعاني التي يحملها النص الروائي لذلك وجب على المترجم أثناء الإختيار أن يراعي موقفه الشخصي تجاه المؤلف نفسه وتجاه النص باعتبارالثاني نتاج الأول فلا يقدم على ترجمته"(جمال محمد جابر 2005 ص:31).

هذا إضافة إلى المفاهيم الأخرى القائمة على إزدواجية الفعل الترجمي الذي يتجاذبه نسقيان لغويان وثقافيان مختلفان:مثل مفهوم الزجاج الملون مقابل الزجاج الشفاف لجورج مونان، المعادل الشكلي في مقابل المعادل الدينامي لأوجين نايدا، مفهوم المصدرين مقابل مفهوم الهدفين لجون ريني لادميرال "(فاطمة الحبابي 2010 ص :401).

ومن الأساليب الترجمية الأخرى المتبعة في ترجمة النصوص الروائية نجد بعض المناهج المطروحة لبول فيني وجون داربلني وبعض النظريات الترجمية الحديثة كنظرية الترجمة الوظيفية أو الغائية(Skopos Theory) لهانز فيرمير وكاترينا رايس أو نظرية تعدد النظم (Polysystem Theory) لايتامار ايفن زوهار وجدعون توري ونظرية التوطين والتغريب(Domestication and foreignisation) للورانس فينوتي(Lawrence Venuti)وأنطوان بيرمان (Antoine Berman) والتي تركز في مجملها على النص المترجم ومتلقي الترجمة وبعض المناهج الأخرى التي يستخدمها المترجمون كلّ وحاجته وغايته والغرض من الترجمة.

ويذكر جمال محمد جابر أنّ ترجمة هذا النوع من النصوص (النصوص الأدبية) لن يحقق غايته إلاّ بتوفر جملة من الشروط والعوامل التي ترافق فعل الترجمة والتي يجدر بالمترجم إتخاذها كأساس وقاعدة يبني عليها عمله إذا أراد له النجاح والإستمرارية لأنّ الترجمة في هذا القطاع مقترنة بغايات تتجاوز المستوى الفردي إلى المستوى القومي

والإنساني باعتبار الأدب فنا ذو مضمون حسي ترفيهي نقدي وإصلاحي واسع الجمهور غير مقيّد بمفهوم الزمان والمكان ولهذا يشترط في القائم على ترجمته أن يأخذ ببعض الإعتبارات ضمانا لتحقيق الأغراض السالفة الذكر"وحتى تكون الترجمة وسيلة تفاعل ثقافي واستزادة، لا وسيلة تغلغل ثقافي أو إستيلاب فكري" (جمال محمد جابر 2005 ص 73:) نذكر منها:- يجب أولا قراءة العمل وتقييمه والتأكد من أهمية ترجمته قبل انتقاءه للترجمة ولا يجدر بأسباب الإختيار أن تبنى على أغراض ومصالح مادية أو شخصية (ابتغاء الشهرة) أو إختيار العمل لمجرد إحداثه ضجة في الساحة الأدبية العالمية.

- يجب أن يخدم العمل المترجم مصالح الأمة الثقافية والفكرية والإجتماعية وأن يكون للأمة حاجة ونقص من مثل هذه الأعمال.
- مراعاة إستعداد الأمة الإجتماعي والثقافي لاستقبال العمل أي إذا كان العمل يلبي احتياجات الأمة ويتوافق والأوضاع السياسية والإجتماعية والفكرية فيها.
- يجب أن يتوفر العمل على قيّم أخلاقية وإنسانية ومبادئ سامية ورفيعة تسهم في صلاح وتهذيب النفس الإنسانية وفي التكوين النفسي والإجتماعي للنشئ وأن لا تتعارض والقيم الأخلاقية والدينية للمجتمع.
- كفاءة المترجم وقدرته على الخوض في غمار الترجمة في هذا الميدان والتي تتطلب رغبة وإرادة ومؤهلات نفسية وفكرية إلى جانب التجربة والإلمام بهذا الميدان وامتلاك ذوق أدبي يمكنه من استشعار وتذوق النصوص الأدبية ومن ثم اختيارها للترجمة.

هذا ما يؤكد على خصوصية وحساسية هذه الممارسة التي تتجاوز كونها نقل شفرة ورسالة لغوية من نظام لساني إلى نظام لساني آخر إلى كونها احتكاك وتواصل وتبادل وتأثر ثقافي حضاري اجتماعي وفكري بين الأمم يجب أن تمارس بحذر وذكاء ويحسن الاستفادة من مزاياها وتوظيفها فقط لما يخدم مصالح الأمة الناقلة وتجنب كل ما يمكن أن يكون له تأثير وانعكاس سلبي عليها بانتقاء النصوص والأعمال التي تثري وتكمّل وتطوّر الجوانب والقطاعات التي بحاجة إلى دعم لدفع حركية النشاط فيها وهذا لا يستثني قطاع الأدب الذي يجب أن يتصدى له مترجمون ذوي أهلية وكفاءة عالية قادرين على انتقاء وتمييز ما يفيد أدب أمتهم ويتوافق وقيّم ومبادئ مجتمعهم قيّم قد نجدها مشتركة بين غالبية النصوص الأدبية التي تزخر بقيم ومبادئ إنسانية رفيعة تسعى عبرها إلى تقديم توجيهات ونصائح ذات غايات إصلاحية على المستوى الفردي الوطني والعالمي.

- -3-3--الـــتـــرجـــمـــة والـــنـــســويـــة:

يعتبر الأدب النسوي العربي أدبا حديث النشأة تأخر بتأخر ظهور جنس الرواية في الأدب العربي الذي يعود إلى بدايات القرن التاسع عشر(بعض المحاولات الأدبية) لتظهر الرواية النسوية العربية هي الأخرى حوالي أواخر القرن التاسع عشر لتتبلور معالمها وتزهر بعدها في القرون الموالية متجاوزة العديد من العقبات والضغوطات ومثبتة أهليتها وقدرتها على التواجد والتنافس في الساحة الأدبية واتخاذها كفضاء جديد للتعبير عن آراءها وتوجهاتها وتوقعاتها ونشر الوعي النسوي بين أكبر عدد من القراء، وإنّ النجاح الذي حققته الكاتبة العربية في هذا الميدان قد كان كبيرا ليتجاوز حدود الوطن العربي ويبلغ عددا من الدول الأجنبية حيث شهدت بعض دور النشر الأجنبية إقبالا على ترجمة بعض الأعمال النسوية إلى لغات متعددة وتزايدت بشكل كبير حوالي القرن العشرين لتشكل غالبية الأعمال العربية التي تتم ترجمتها حيث تشير الإحصائيات إلى أنّه:"منذ 2010 أغلب ما تمت ترجمته هو روايات ومجموعات قصصية نسائية تشكل حوالي 80% من الأدب العربي الذي يترجم إلى اللغة الإنجليزية" (إياد نصار 2010 صحيفة قاب قوسين) لكاتبات من مختلف أنحاء الوطن العربي ما أثار تساؤلات عديدة حول سر إهتمام الغرب بأعمال وكتابات المرأة العربية، والحقيقة أنّ الآراء تتأرجح بين مؤيد ومعارض فمن الباحثين من يرى للأمر بإيجابية ومنهم من يرى للأمر بسلبية،فماهي المعايير وراء إختيار هذه الأعمال؟ هل هو نجاحها عربيا؟ أم هو إنتقاءها للمواضيع وطريقة التعرض لها؟ أم هو إسم الكاتبة وشهرتها؟ ما هي معايير الحكم على رواية عربية بالنجاح من قبل الغرب؟ هل هذه الخطوات نجاح آخر يحتسب لصالح المرأة العربية أم هو جزء ومخطط لمشاريع سياسية غربية؟.

لقد سبق وأن طرح الباحث ريشار جاكومون الإنشغالات ذاتها في أبحاثه عن الترجمة وتباين القوة التي تنتمي إلى سلسلة دراسات الترجمة ما بعد الكولونيالية حيث صنّف لغات العالم إلى لغات الشمال (الدول القوية) ولغات الجنوب (الدول المستعمرة) ورأى بأنّ الثقافة المسيطر عليها تترجم من الثقافة المهيمنة أكثر بكثير من ما تقوم به هذه الأخيرة من الأولى وأغلب النصوص التي تترجم من الثقافة المسيطر عليها لا توجه إلى عامة القراء بل إلى جمهور من المتخصصين بوصفها غامضة وغير مفهومة إضافة إلى إنتقاء الأعمال التي تزخر بقيّم غربية والتي عادة ما تكتب من أجل الترجمة وتكليلها بالهوامش والشروحات من قبل المترجم المستشرق:"تلك اليد المتزنة المرجعية يد المترجم المستشرق كلي المعرفة الذي تدرب على فك مغاليق أسرار الشرق التي ما كانت لتكتنه من دونه فيغدو الكاتب ذلك المحلي الصامت الذي يحتاج إلى صوت المراقب الغربي كي يتكلم ويحتاج إلى سبرالمحلل الغربي لكي يتوصل إلى فهم ذاته فلا يستطيع في النهاية سوى أن يهز رأسه بالموافقة على ما يكتبه المترجم الغربي" (دوغلاس روبنسون 2009 ص :66-85).

توجد بعض الأعمال النسوية العربية التي حققت نجاحا كبيرا في الوطن العربي لكنها لم تترجم إلى لغات أجنبية وهذا ما دفع العديد من الباحثين إلى الإجماع بعدم موضوعية المعايير التي يتم على أساسها إنتقاء الأعمال النسوية للترجمة أو إختيار تلك التي تعزّز صورة الشرق المتعصب الظالم والمتزمت والساخط على المرأة لما تظهره هذه الروايات من معاناة وجور يمارس في حق المرأة يسعى من خلاله الغرب إلى تشويه الدين الإسلامي وإظهاره بأنّه حقا دين إرهاب ورعب وعنف خاصة عندما يتعلق الأمر بالمرأة،يفسرون من خلالها أحقية وجهة نظرهم الخاطئة المقصودة عن الدين الإسلامي التي كوّنوها من بعض التجاوزات والأعمال المسلحة لجماعات ربط نشاطها بالدين الإسلامي هذه الجماعات التي طورت مفاهيم ومعتقدات خاطئة عن ديننا الحنيف وروّجت لها عند الغرب،وهناك من الباحثين من يرى أنّ إهتمام الغرب بالمرأة العربية بدأ حوالي السبعينات من القرن العشرين بتخصيصها هذا العقد لأن يكون العقد العالمي للمرأة وفيه يهنم بشؤون وأحوال المرأة من شتى أنحاء العالم حيث:"أنّ الولايات المتحدة الأمريكية خصصت العقد منذ منتصف سبعينات القرن العشرين إلى منتصف الثمانينات ليكون العقد العالمي للمرأة"(دوغلاس روبنسون 2009 ص : 86) وأيضا بعد إطلاع الغرب على بعض الأعمال الأدبية الشرقية التي بلغت العالمية كأعمال الأديب نجيب محفوظ إضافة إلى العديد من الأحداث السياسية التي طرأت في القرن الواحد والعشرين (أشهرها أحداث 11سبتمبر) التي دفعت الغرب وغرست فيه الرغبة والفضول لإستكشاف وإستطلاع العالم الشرقي الذي بات يشكّل تهديدا لأمنها واستقرارها ولما لا إظهاره بصورة تكرّس تفوّق الغرب وهيمنته وتحضّره وتقدّمه على الشرق الذي يصوّر غالبا بأنّه منغلق، متخلف، مستبد غير منصف للمرأة وغيرها.

إنّ كلتا وجهتا النظر أو الأسباب التي قدّمها الباحثون قد تكون حقيقة وراء إهتمام دور النشر الغربية بالأعمال النسوية العربية ونحن نتفق مع كلتيهما، إلاّ أنّه يوجد من الباحثين من يعيب على المرأة الكاتبة ذكرها لبعض أشكال العنف والظلم الذي تعانيه المرأة العربية ويتهمها بأنّها تشغّل وتوظّف صورة المجتمع الشرقي السيئ للفت إنتباه دور النشر الأجنبية لأعمالها والترويج لها والمتاجرة بها إلى غير ذلك، لكن لا يمكننا إنكار حقيقة هذه المعاناة والظلم الذي تعيشه آلاف النسوة يوميا ليس في المجتمعات العربية فقط بل حتى في الأجنبية منها لعوامل دينية إنسانية إجتماعية وغيرها، ومهما كان السبب وراء إهتمام الغرب بكتابات المرأة العربية فلننظر نحن للأمر بإيجابية ونعتبرها إنفتاحا للغرب على الثقافة الشرقية فمثلما يطالع القارئ العربي مختلف الروايات الأجنبية لما لا يطالع القارئ الغربي أعمالنا العربية فهي بذات الجمال والإبداع والأهمية، وقد تكون الرغبة في إكتشاف العالم الشرقي وثقافته وجماله هي حقا وراء هذا الإهتمام حتى وإن لم يكن الأمر كذلك فإنّ بلوغ هذه الأعمال النسوية العربية العالمية يعتبر في حدّ ذاته نجاحا وخطوة كبيرة في مسيرة نضال المرأة العربية حيث تجاوز صوتها حدود القارات وعرّفت بشكل من أشكال الأدب والثقافة العربية في الخارج

وبانشغالاتها أيضا وأحلامها وطموحاتها التي قد تجعلها يوما تنافس إبداعات نظيراتها في الغرب.

وتعدّ ترجمة النصوص النسوية مساحة وحقل معرفي حديث التقت فيه الدراسات والأبحاث النسوية بدراسات ونظريات الترجمة حيث قامت بعض الباحثات النسويات بتطوير بعض النقاط المشتركة بين المجالين والتنظير لها وخلق وإضافة مفاهيم وأبحاث جديدة تخدم وتثري كل من ميدان الترجمة والنظرية النسوية، وأبرز ما حققته هذه الدراسات هو الإتيان بمفهوم "الترجمة النسوية" الذي يعدّ ثمرة الإكتشاف ونتيجة العلاقة التي تربط ويشترك فيها المجالان.

إنّ الترجمة وكما سبق أن ذكرنا آنفا مرتبطة بجميع العلوم والمعارف من حولها وباعتبار النصوص النسوية كغيرها من النصوص من المجالات الأخرى تخضع للترجمة فقد وجدت بعض الباحثات النسويات ابتداء من الثمانينات من القرن العشرين علاقة بين الدراسات النسوية وأبحاث الترجمة ليظهر هذا الإتجاه الفكري أي (الترجمة النسوية) لأول مرة على يد لوري تشامبرلين في مقالتها عن الجندر والمجاز في الترجمة عام 1988 لتفتح المجال للمزيد من الدراسات والأبحاث في السنوات الموالية لمفكرات أمثال:شيري سايمون، لويز فون فلوتو، باربارا جورارد وغيرهن وأبرز القضايا التي يهتم بها هذا الإتجاه الفكري وأهم الأفكار التي جاء بها:

إنّ الترجمة تحمل في طياتها وتظهر من خلال عملياتها اتسامها بسمات جندرية وهذا يظهر في العديد من الترجمات التي ان قورنت بالنصوص الأًصلية وكما تشبهها لورين تشامبرلين بالعلاقة التي تجمع الرجل والمرأة حيث اعتمدت على بعض الأساليب الترجمية كالأمانة والخيانة و استغلال الترجمة أحيانا لتكون سبيلا للغزو الثقافي والفكري في التنظير لرأيها ودعم موقفها هذا، فبعض التعديلات والتجاوزات التي تبيحها بعض النظريات الترجمية تعدّ غير منصفة بحق النص الأًصلي وهي تشبه بكثير الهيمنة والسيطرة التي يمارسها الرجل على المرأة، فالترجمة هنا تشكل مركز القوة وهي التي تسيطر على نوع العلاقة التي ستربط النص الأصلي بالنص المترجم، والأمر ذاته عندما تكون الترجمة لا تخدم الثقافة واللغة المنقول إليها وتكون وسيلة من وسائل الغزو الثقافي والتشويش الفكري على الأمة المستقبلة حيث تغدو الترجمة فعل قوة وسيطرة يمارس على الطرف المقابل ما يشبه بكثير صفة العلاقة التي تجمع بين المرأة والرجل، وبصفة عامة فإنّ جميع التعديلات والتغييرات التي تحدثها الترجمة على النص الأصلي تجعل النص المترجم يختلف عنه اختلاف الرجل عن المرأة.

كما تذهب بعض الباحثات أن ترجمة النصوص النسوية تتجاوز القدرات والمهارات اللغوية إلى القدرة على فهم وإستخلاص وتحليل العبارات والأفكار والمفاهيم النسوية الكامنة في

النص الأصلي التي يتطلب نقلها إلى لغة أخرى معرفة مسبقة بالفكر النسوي وإتجاهاته وخصائصه وأهدافه المختلفة وموقفه من الترجمة التي لا ينظر إليها بأنّها عملية لغوية فحسب بل هي قد تكون ذو اتجاهات وأهداف سياسية إجتماعية وثقافية وعلى المترجم أن يدرك ويحسن استغلال هذه الميزة الكامنة في الفعل الترجمي لصالحه وصالح النص والفكر النسوي.

كما تمّ الجمع بين بعض المفاهيم الأساسية للفكر النسوي كالإختلاف والصوت النسوي والمقاومة وبعض الإستراتيجيات الترجمية كالأمانة والخيانة والتعريب وغياب صوت المترجم والخروج بمفاهيم مشتركة تجمع بين الإختصاصين وأحيانا رفض تطبيق بعض الأساليب الترجمية على النص النسوي كغياب المترجم (invisibility) الذي أتت به نظرية التغريب للورانس فينوتي (Lawrence Venuti) حيث يتطلب من مترجم النص النسوي إتخاذ موقف داعم للفكر النسوي في ترجمته ولو كان النص الذي يقوم بترجمته يخالف ويعارض الفكر والنشاط النسوي فعليه أن لا يكتفي بمقاومته بل أن يبرز صوته وموقفه أيضا في الهوامش أو بتخصيص مقدمة يوضّح من خلالها النقاط والأفكار التي لا يتفق فيها مع المؤلف،وغيرها من الإستراتيجيات التي توصي بها الترجمة النسوية كمسألة تأنيث اللغة لا سيما عند النقل من اللغة الإنجليزية ومسألة إظهار وإعلاء الصوت النسوي في الترجمة، وأنّ مفهوم الوفاء والخيانة يختلفان في النص النسوي فإذا كانت الترجمة ناقصة أو خائنة فهي أنثى" كما يمكن للوفاء أيضا أن يحدّد علاقة المؤلف-المترجم (الذكر مع لغته الأم الأنثى) تلك اللغة التي يترجم إليها شيئا ما، وفي هذه الحالة فإنّ اللغة (الأنثى) ينبغي أن تُحمي من القدح والسّب والمفارقة أنّ هذا الضرب من الوفاء هو الذي يمكن أن يبررإغتصاب لغة أخرى ونص آخر وسلبهما" (دوغلاس روبنسون 2009ص :110)، ومن الأفكار التي اشتركت فيها الترجمة والنسوية هي فكرة التذويت (Subjectification) وهي تنتمي إلى حقل النظرية ما بعد الكولونيالية حيث كان يعمل على تذويت الأفراد أي لا يغدون أفرادا أو مواطنين صالحين إلاّ إذا كانوا خاضعين ومطيعين للسلطات الكولونيالية يفكرون ويتحركون مثلما يريدون، فعملت النسوية بدورها على تذويت النساء أي بتذكيرهن بأنّهن ذوات بعد أن كان ينظر إليهن على أنّهن أجساد فقط دون فكر أو مشاعر وغرس الوعي النسوي فيهن وتذكيرهن بحقيقتهن وأهميتهن وحقوقهن وبأنهن مثلهن مثل الرجال بعقول ومهارات وطاقات وأن تنظرن إلى أنفسهن بإيجابية وتتغلبن على تلك التصورات والمفاهيم والمعتقدات الخاطئة التي عمل المجتمع على إقناعها بها (أنظر دوغلاس روبنسون2009 ص:47) كما تؤكد لوري تشمبرلين في مقالتها الجنوسة واستعارية الترجمة على العلاقة بين الترجمة والجنوسة حيث غالبا ما تشبه الترجمة من خلال عملياتها بالمرأة فالتعديلات التي يحدثها المترجم على النص الأصلي شبيه بالزينة التي تتزين بها المرأة وهذا من خلال قول توماس درانت على ترجمته لهوراس:"لقد قمت أولا بما أمر شعب الله أن يقوم به مع أسيراته اللواتي

كنّ حسنوات وجميلات لقد حلقت شعره وقلمت أظافره أي أنني أزحت بعيدا جميعا التوافه والزوائد في مادته وهذا يبدي العنف الجنسي الملمع إليه في وصف الترجمة "(دوغلاس روبنسون 2009 ص:109) وغيرها من الأساليب التي تؤكد أنّ الترجمة النسوية هي ترجمة لا تقوم بين نصين فقط ونظامين لغويين مختلفين بل هي ترتكز على نقل نظام ومنهج فكري بكل خصوصياته وأهدافه وتوجهاته ما يتطلب معرفة دقيقة بتاريخ ونشاط وتطور الحركة النسوية وإلماما بالمصطلحات والمفاهيم النسوية التي قد يستعصي نقلها أحيانا إلى اللغات المختلفة لحملها لمعاني ودلالات خاصة في إطار التظرية النسوية .

وناهيك عن هذه الإفادات والإضافات التي أثرى بها كل حقل معرفي الحقل والمجال الآخر لإنتمائهما واشتراكهما في بعض الأسس المعرفية والمجالات البحثية التي ترتكزعليها بعض دراسات الترجمة والأيحاث النسوية، فقد يتبادر إلى ذهن المفكر والقارئ والباحث العربي التساؤل التالي: ماذا قدمت الترجمة وأضافت إلى حقل الأبحاث النسوية العربية؟ هل تمّ توظيف الترجمة لصالح ترجمة الفكر والوعي النسوي العربي؟هل من تغيير؟ هل استطاع الفكر النسوي العربي التماشي واللحاق ومواكبة التطورات التي تعرفها هذه الحركة والنظريات النسوية في الغرب؟

يجمع معظم الباحثين النسويين والمفكرين المهتمين بالحركة النسوية في الوطن العربي على تضاءل ومحدودية الأنشطة والأبحاث النسوية في الوطن العربي والنتائج والتغييرات المحتشمة التي استطاعت أن تحدثها هذه الحركة منذ ظهورها سواء في المجال النظري أو العملي ليس لندرة الأفكار والمشاريع النسوية ولا ركودا أو تردّدا وقلة إهتمام من قبل الباحثين بل بسبب بعض العراقيل والممارسات السياسية والمفاهيم الإجتماعية الثقافية التي صاحبت هذه الحركة منذ نشوءها في الوطن العربي والتي أخّرت بشكل أو بآخر وحالت دون التطور الكلّي لهذا الفكر في الوطن العربي، هذا التيار الذي لا يزال يواجه بعض التحديّات لترسيخ وتأصيل فكر نسوي عربي كالسعي مثلا لإنشاء مراكز لدراسة النوع ودمجها في بعض الجامعات العربية، هذا الإنشغال الذي طرح في ندوة"نظّمتها تجمع الباحثات في يونيو 2004 عنوانها إدماج منظور الجندر في سياسات ومناهج الجامعات اللبنانية لإدماج دراسة النوع في مجموعة تخصصات أكاديمية كالحقوق وعلم الإجتماع وعلم النفس"(إصلاح جاد 2012ص :180) قد لقي إستحسانا من قبل بعض الدول العربية التي قامت بدعم وتفعيل هذا القرار بإنشاء مراكز وفتح تخصصات لدراسة النوع في جامعاتها مثل تونس، مصر، الأردن، السودان، فلسطين، لبنان، الإمارات العربية المتحدة وغيرها مستقبلا.

ومن التحديات الأخرى التي تقف أمام الباحث النسوي العربي هو جدل ترجمة بعض المصطلحات والمفاهيم النسوية ما يعيدنا مرة أخرى إلى التساؤل المطروح حول علاقة الترجمة بالنسوية والإضافات والمزايا التي قدّمتها للنسوية العربية؟

تستعمل الباحثات النسويات غالبا ترجمات مختلفة لبعض المصطلحات النسوية كمصطلح (Gender)على سبيل المثال الذي يترجم ب:نوع، نوع إجتماعي ،جندر، الجنس، الجنوسة أو الإستجناس وهذه الإستعمالات والترجمات المختلفة لمصطلح واحد قد تذهب بالأذهان إلى التفكير والتساؤل عن قدرة الترجمة واللغة والثقافة العربية على إحتواء وتبني الفكر النسوي؟

إنّ مجرد التفكير بأنّ ظهور النظرية النسوية كان في الغرب يجعل التفكير في مسألة المصطلحات أمرا في غاية البساطة والمنطقية فالإختلاف واقع لكن مسألة الإجماع على ترجمة بعض المصطلحات من الأمور المتوقعة والمنتظرة من قبل الباحثات النسويات، وتفسّر الدكتورة هدى الصدّة هذه الظاهرة بمفهوم سفر النظريات لإدوارد سعيد وما ينتج عنه من تغييرات وإختلافات عند إحتكاكه ببيئة ولغة وثقافة جديدة وترى بأنّ لكل إستعمال (ترجمة معينة) أسبابها التي تعكس إهتمامات ممارسها وأنّ الترجمات المختلفة لمصطلح (Gender) هي في الحقيقة إنعكاس لتاريخ تطور مفهوم المصطلح والنظرية:"فنجد أنّ نوع تحاكي ظهور مفهوم (Gender) في بداياته ففي الستينات كان مفهوما في النحو ولم يكن له أي دلالات نسوية كما هو الحال الآن،وقد استعملته النسويات في السبعينات من القرن العشرين لخلق معان جديدة، للتأكيد على فكرة أنّ التمميز بين المرأة والرجل لا علاقة له بالطبيعة أي أنّه ليس مسألة بيولوجية وإنما مسألة إجتماعية ثقافية، وبالتدريج اكتسب مفهوم (Gender) معاني ومفاهيم مستحدثة إلى أن استقر في اللغة ودخل القاموس الإنجليزي ....ومصطلح النوع الإجتماعي يعبٍّ عن محاولة لتأكيد فكرة أن الإختلافات بين الجنسين متعلقة بالتنشئة الإجتماعية"(إصلاح جاد 2012 ص:194) فلكل ترجمة مفهومها وصحتها في تاريخ تطور النظرية النسوية،والجهود والمساعي لا تزال قائمة في سبيل تطوير الأبحاث والإنتاجات النسوية باللغة العربية ومثلما استطاعت اللغات الأخرى أن تتبنى هذا الحقل المعرفي والتيار الفكري بفضل الترجمة تستطيع النسوية العربية هي الأخرى أن تبدع وتضيف وتفكر بما يتوافق ومجتمعاتها وثقافتها فالمسألة مسألة حداثة وليست مسألة قدرة حيث يمكننا أن نعزو هذه الإختلافات والمحاولات إلى تأخر النسوية العربية في اللحاق بركب هذا التيار الفكري العالمي.

ويعدّ مصطلح (Gender) مثال بسيط وليس وحيد عن بعض الصعوبات التي تواجهها النسوية العربية في مسألة توحيد المصطلحات والمفاهيم والإتفاق على برنامج وأجندة نسوية واحدة تجمع وتوحّد بين جميع الناشطات النسويات العربيات، لكن وكما ذكرنا سابقا فإنّ تأخر ظهور هذا التيار في الوطن العربي له حتما عواقبه إضافة إلى تردّد وتخوف المرأة العربية في البداية من الإعلان والتفكير بإنشاء والإنضمام إلى هذا التيار لأسباب سياسية وإجتماعية جعل بعض الخطوات والمبادرات تأتي من النسويات العربيات المقيمات أو اللاتي تلقين تعليمهن في الخارج، وبهذا الشكل فإنّ الأعمال والأنشطة والأبحاث النسوية العربية تأتي بلغات أجنبية متعددة وليس فقط باللغة العربية مما يعيق بشكل ما مسألة التنظيم وتعريب

المصطلحات والإتفاق على الإستعمال الواحد والموحّد لبعض المفاهيم والمصطلحات،وهكذا تغدو المسألة قضية تنظيم وتنسيق بين النسويات العربيات وليس أزمة ترجمة ولغة ومصطلحات، فاللغة العربية وكما قال العالم الكبير أبو الريحان البيروني في كتابه الصيدنة:"وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أُقطار العالم، فازدانت وحلّت في الأفئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأفئدة"(شحادة الخوري 1992 ص:161) فلا شك في قدرتها على إستيعاب العلوم والمعارف المختلفة أما عن المصطلحات فهذه الظاهرة أي الإتفاق على إستعمال واحد للمصطلح فهذه الظاهرة منتشرة في جميع الميادين الأخرى العلمية منها والأدبية وليست حصرا على الميدان النسوي فقط وهذا عائد إلى عدم إتفاق الباحثين والإلتزام باستعمال مصطلح واحد متفق عليه ليغدو بديلا ثابتا للمصطلح الأجنبي مما يستدعي مزيدا من الجهود من قبل السلطات المعنية بالتعريب في الوطن العربي ومزيدا من الإلتزام والتنسيق بين الباحثين العرب ففي زمن العباسيين وبدون لجان وهيئات رسمية تعنى بالتعريب استطاع المترجمون اثراء اللغة العربية بالعديد من المصطلحات العلمية في مختلف الميادين والإتفاق على إستعمال وترجمة ومصطلح واحد ليدخل القاموس اللغوي العربي ويغدو من المفردات العربيو ويشيع استعماله وتداوله على الألسن إلى يومنا هذا:"فهذه المصطلحات التي أوجدتها ترجمة العلم إلى اللغة العربية دخلت اللغة العربية واندرجت مع ألفاظها واشتملت عليها معجماتنا القديمة وكانت صالحة للتعبير عن علوم القدماء وجعلت من العربية لغة العلم آنذاك، بل هي ما تزال تصلح للتعبير عن بعض موضوعات العلوم الحديثة .....ولم يكن في ذلك العهد مجامع لغوية أو لجان علمية أو مكاتب تعريب أو دوائر معاجم"(شحادة الخوري 1992 ص :27) ونعتقد أنّ السرّ وراء هذه الدقة والتنظيم جهود القدماء الصادقة وحبهم وإخلاصهم للغة العربية والدولة العباسية آنذاك ورغبتهم في تطوير اللغة وازدهار الدولة باعتبار اللغة أحد الأركان الأساسية لقيام وتطور هذه الأخيرة فكان وكأنّ إثراء اللغة العربية وجعلها تحتوي العلوم والمعارف الأخرى أحد مسئولياتهم وواجباتهم إزاء هذه اللغة، إضافة إلى فصاحتهم وبلاغتهم ومعرفتهم الكبيرة باللغة العربية وقواعدها كما أنّ إتساع المساحة الجغرافية للخلافة العباسية وغياب الحدود الجغرافية التي يعرفها الوطن العربي اليوم وارتكاز مقر الخلافة ببغداد والباحثين والمترجمين بالمدينة نفسها قد يكون من الأمور التي ساعدت بشكل كبير في مسألة تنظيم والإتفاق على ترجمة وإستعمال المصطلحات ، وبهذا لا يمكننا تجاهل أو إنكار فضل الترجمة ودورها في التعريف بالفكر النسوي ونشأته في الوطن العربي وفضلها على العديد من المعارف والميادين الأدبية والعلمية التي ما كانت لترى النور في الوطن العربي لولا الترجمة.

3-3-1-نظريات الترجمة التي تخدم حقل النسوية :

3-3- 1-1نـــظـــريـــة الـــتـــرجـــمـــة الـــــوظـــيـــفـــيـــة:

كانت أولى النظريات التي وضعت في ميدان الترجمة تولي الكثير من الإهتمام بالنص المصدر وحاولت بجميع الأشكال وضع خطوات منهجية تساعد المترجم على فهم وتحليل النص الأصلي قصد إعادة صياغة نص آخر مماثل شكلا و مضمونا لكن في لغة أخرى ، فكان كل التركيز منصبا على الأصل وإذا لم يتمكن المترجم من فهم الأصل فستكون ترجمته فاشلة وغير أمينة وبالتالي لا يمكن تسميتها ترجمة لأنّها لم تتمكن من نقل الأفكار والمفاهيم التي أوردها الكاتب الأصلي في نصّه ، إلى أن ظهرت نظرية الترجمة الوظيفية بألمانيا في السبعينات والثمانينات من القرن العشرين على يد "هانز فيرميرHans.j.Vermeer "(محمد عناني2003ص:114،115) وجاءت بأفكار جديدة صبّت إهتمامها على النص المستهدف ، وكانت بداية التأسيس لهذه النظرية بفضل الدراسات التي أنجزتها كاترينا رايس katharina Reiss والتي إعتمدت بدورها على الجهود الأولى للسابقين إذ تناولت مفهوم التعادل الذي ناقشه نايدا و نيومارك لكن من زاوية أخرى إذ ركّزت إهتمامها على النص بدل الكلمة والجملة ، وتحقيقا لهذا الغرض قامت بتصنيف النصوص إلى أنماط حسب مضامينها ، ورأت بأنّ هذا المضمون هو الذي يوّجه المترجم أثناء الترجمة ويرشده إلى الأساليب أو الإستراتيجيات الواجب عليه إتخاذها لكي يحقق الغرض الذي كتب من أجله النص الأصلي ، ففي النصوص الإخبارية مثلا يجب على المترجم أن يركز فقط على نقل المعلومات ، وفي النصوص الأدبية عليه أن يهتم بجمال اللغة والأسلوب ، أما في النصوص السياسية كالخطابات مثلا عليه أن ينتقي لغة ذات ألفاظ قويّة قادرة على التأثير على المتلقي وإقناعه وتقول في هذا الصدد : " إنّ نقل الوظيفة المهيمنة للنص المصدر هي العامل الحاسم الذي نحكم بمقتضاه على النّص المستهدف"(محمد عناني2003ص:117 .

أما فيرمير فقد أسس مايسميه النظرية الوظيفية أو الغائية Skopos Theory ، وإختار الكلمة اليونانية Skopos والتي تعني الغاية أو الغرض كعنوان لنظريته ، إذ أنّ الغرض أو الهدف من الترجمة هو الذي سيرشد المترجم إلى الخطوات الواجب عليه إتباعها أثناء عمله لضمان الحصول على ترجمة تحقق الهدف المنشود، فالترجمة لدى الوظيفيين عملية إتصالية يقوم بها المترجم بهدف تحقيق غرض معين ، ويجب عليه خلال هذه المرحلة أن يأخذ بعين الإعتبار ثقافة اللغة المستهدفة والفئة المستهدفة والغرض من وراء تكليفه بالترجمة، لهذا يرى فيرمير بأنّ المترجم حرّ في إختيار الطريقة التي يراها مناسبة للترجمة ، حرفية كانت أم حرّة كما يجوز له الحذف والإضافة حسب ما تقتضيه ثقافة اللغة التي ينقل إليها وحسب طبيعة الفئة التي يترجم لها ، والغرض من الترجمة ، كما يرى فيرمير أنّ بإمكان المترجم أن يترجم نصا واحدا بطرائق مختلفة يحددها طبيعة الزبون الذي طلب الترجمة، فمعرفة

المترجم لمن يترجم ولماذا يترجم شرط أساسي لنجاح عملية الترجمة فمثلا إذا طلب الزبون ترجمة وصية ميراث لكي يقدّمها للمحامي أو القاضي لن ينتهج الأسلوب نفسه إذا ما ترجم الوصية نفسها لأشخاص آخرين عاديين أرادوا الإطلاع على محتوى تلك الوصية، أو إذا ما طلب منه ترجمة نصوص أدبية رفيعة كالروايات العالمية لطلاب يدرسون في الإعدادي أو الثانوي سنجد إختلافا بين الترجمتين لأنّ مايستوعبه تلميذ الثانوي لا يستوعبه تلميذ المرحلة الأخرى ، أو إذا كلّف المترجم بترجمة تقارير طبية بهدف إستعمالها في المحكمة سيلجأ المترجم إلى التبسيط لأنّ المحامي والقاضي ليسوا من أهل الإختصاص ولن يتمكنوا من فهم المصطلحات الطبية المعقدة والطريقة نفسها سينتهجها إذا ترجم هذه التقارير الطبية للقارئ العادي ، لكن سيختلف الأمر إذا قام بالترجمة لأهل الإختصاص أي للأطباء فلن يهتم بالأسلوب وجمال اللغة ، ولن يلجأ للتبسيط بل سينقل تلك المصطلحات الطبية مثلما جاءت في النص الأصلي حتى يتحقق الغرض من وراء الترجمة.

وبهذا نرى أنّ هذه النظرية قد جعلت من المترجم مؤلفا ثانيا للنص يجوز له التصرف به، مانحة إياه الثقة بأنّ أي طريقة يتبعها ستكون صحيحة إذا ما كانت تخدم الغرض من وراء الترجمة ولا يمكن لأحد الحكم عليها بالخطأ(محمد عناني2003ص:132،131)

- **أســـس الـــنـــظـــريـــة الـــوظـــيـــفـــيـــة:**

وضع فيرمير في نظريته شروطا يجب أن تتحقق في النص المترجم وسنذكرها فيمايلي:(محمد عناني2003ص:132)

- طبيعة النص المترجم أي المستهدف translatum يحددها الغرض منه skopos لذا على الزبون أن يخطر المترجم سلفا بالغرض الذي طلب من أجله ترجمة النص ، وفي حال لم يقدم الزبون أية تفسيرات محددة عن الغاية من ترجمة النص على المترجم أن يقوم بدور الزبون ويستشف الغرض من وراء الترجمة حتى يتمكن من تحديد الإستراتيجيات المناسبة لعمله.
- يعتبر النص المستهدف عرضا للمعلومات an offer of information في الثقافة المستهدفة وباللغة المستهدفة بخصوص عرض آخر للمعلومات في ثقافة المصدر وبلغة المصدر.
- لا يعتبر النص المترجم منشئا "لعرض المعلومات" يمكن إرجاعه بوضوح إلى شيئ آخر وهذا يعني أنّ الغرض الذي كتب من أجله النص الأصلي قد يوافق أو لا يوافق الغرض من الترجمة ، فإذا ما تطابق الغرض من الترجمة مع الغرض الذي كتب من أجله النص الأصلي فسيكون النص المترجم ثابتا وظيفيا functional constant أي أنّه يحافظ على الوظيفة الأصلية ، أما إذا إختلفت و ظيفة الترجمة عن وظيفة النص الأصلي فسيكون ملائما وظيفيا functional adequate أي أنّه يحقق الغاية من الترجمة.

- يجب أن يتحلى النص المستهدف بالتماسك والإتساق الداخلي أي أنّه يكون مفهوما ومقبولا لدى المتلقي.
- يجب أن يكون النص المستهدف متسقا مع النص المصدر.

- **مكانة النص المصدر:** كما ذكرنا في السابق تركّز هذه النظرية إهتمامها على النص الهدف لأنّه هو الذي يحقق الغاية من الترجمة لهذا يكون النص المصدر أحيانا مجرد نقطة إنطلاق يعتمد عليها المترجم أثناء عمله .

- **مهمة الترجمة:** يشترط على المترجم قبل البدء بعملية الترجمة أن يعرف بعض العناصر الأساسية التي سيحتاجها أثناء عمله كالغاية من الترجمة ومعلومات كافية عن المتلقي ، إضافة إلى بعض الأمور العملية كالأجل المحدد ، وعلى المترجم أن يتفاوض بشكل صريح مع الزبون حول الشروط السابق ذكرها وبحكم خبرته عليه أن ينصح الزبون حول الجدوى من غاية من الترجمة إذا كان له تصور خاطئ أو غير واضح عن كيفية تلقي الترجمة في الثقافة الهدف.

وفي الـأخير يمكن القول بأنّ هذه النظرية قد أتت بأفكار جديدة خرجت عن دائرة الدراسات المألوفة ، إذ أعطت المترجم والترجمة الكثير من الأهمية تجاوزت أهمية النص الأصلي والمؤلف الأصلي مانحة المترجم حرية التصرف بالنص تحت شعار " الغاية تبرر الوسيلة" ، ويمكن القول بأنّ هذه النظرية تخدم ميدان الترجمة في عدة مجالات لاسيما إذا كانت عملية الترجمة تقوم بين ثقافتين مختلفتين حيث يقوم المترجم بتطويع النص الأصلي بما يناسب ثقافة المتلقي وبالطريقة التي يجد فيها قارئ النص المترجم الترجمة مفهومة ومقبولة توافق تفكيره وقيّمه ومعتقداته.

3-3-1-2 نظرية تعدد النظم Polysystem Theory

ظهرت هذه النظرية في أواخر السبعينات ومؤسّسها هو إيتامار إيقن زوهار وجدعون توري ، لكن البداية كانت مع إيتامار –إيقن- زوهارالذي إستنبط نظريته من أفكار المنظرين الروسيين الذين يرون بأنّ كل دراسة لأي عمل أدبي كان تقتضي ربطها بالظروف الإجتماعية والثقافية والتاريخية المحيطة به(محمد عناني2003ص:200،199) ومثال ذلك أنّ بعض الأعمال الأدبية قد نجدها نالت شهرة واسعة خلال فترة زمنية معيّنة لكن قيمتها قد تتراجع وتتضاءل مع مرور الزمن لنجد القراء قد كفّوا النظر عنها وهذا كلّه تحدّده الأحوال الإجتماعية والثقافية وطبيعة التفكير السائدة في كل أمة على مر الأزمنة وهذا ما يسميه إيتامار-إيقن- زوهار ب "تعبير الفيضflux أي التدفق المستمر"(محمد عناني2003ص:201)

وهذا يمس أيضا الأدب المترجم فأحيانا نجده إحتل الصدارة وأحيانا أخرى تتراجع أهميته أمام الأعمال الأدبية الأخرى،وحسب إيقن زوهار فإن المرتبة التي يحتلها الأدب المترجم هي التي تتحكم بطريقة الترجمة فإن كان الأدب المترجم يشغل مكانا رئيسيا سيسعى المترجمون إلى إخراج نصوص قريبة جدا من النص الأصلي دون مراعاة أعراف وتقاليد وثقافة اللغة المنقول إليها ، أما إذا كان الأدب المترجم يشغل مكانا ثانويا فسيسعى المترجم إلى إخضاع النص الأصلي وتطويعه بما يناسب ثقافة وتقاليد اللغة المنقول إليها (محمد عناني2003ص:202)

تعتبر نظرية تعدد النظم مصدر ظهور العديد من الدراسات الحديثة في الترجمة إذ أصبح الإهتمام منصبا على دراسة مدى تأثير العوامل الثقافية والإجتماعية على الترجمة بدل تلك النقاشات القديمة التي كانت تدور حول الترجمة الحرفية والترجمة الحرة ، ويعتبر جدعون توري من المفكرين الذين ساهموا كثيرا في تطوير هذه النظرية حيث إتفق مع إيقن زوهار بأنّ أسلوب الترجمة يحددّه الموقع الذي تحتله الترجمة في مجتمع اللغة المترجم إليها ويوّجه المترجم الذي يقوم بالنقل بين الثقافات إلى ثلاث خطوات رئيسية يجب عليه إتباعها أثناء الترجمة : (محمد عناني2003ص:227)

1- وضع النص في إطار نظام الثقافة المستهدفة والنظر إلى دلالته أو قبوله ، أي يرى المترجم هل الأفكار المتضمنة في النص الأصلي تناسب تفكير وإعتقاد القارئ في اللغة المترجم إليها .
2- مقارنة النص المصدر بالنص المستهدف لتحديد التغيرات ورصد العلاقات بين ثنائيات مختارة من أجزاء النصين ومحاولة إصدار أحكام عامة على مفهوم الترجمة الذي يقوم عليه العمل، (وهذه الخطوة تتم بعد الترجمة)
3- إستنباط مايستفاد من ذلك للإهتداء به في الترجمة في المستقبل ، وهذا تسهيلا لعمل المترجم.

كما وضع توري مجموعة من المعاييرnorms التي تتسبب في سلوك المترجم إتجاها معينا عند الترجمة دون سواه حتى تتوافق ترجمته مع قواعد و ثقافة المجتمع الذي ينقل إليه ، ويعرفها توري بأنّها " القيود الثقافية الإجتماعية التي تفرضها ثقافة معينة أو مجتمع معين أو زمن معين " ويقسمها إلى ثلاثة أقسام:(محمد عناني2003ص:230،229)

- **المعايير المبدئية:**(Initial norms) وهذه المعايير تضع المترجم أمام خيارين إثنين لا ثالث لهما ، إما أن ينقل النص المصدر كما هو بما يحمله من أفكار ومعتقدات حتى و لو لم تكن تناسب ثقافة اللغة المنقول إليها فيتحصل على ترجمة كافية

adequate ، أو أن يترجم النص وفق ما تقتضيه ثقافة ومجتمع اللغة المنقول إليها فيتحصل على ترجمة مقبولةacceptable ، وهذا الإختيار يحدّده المترجم أحيانا إذ يختار الطريقة التي تناسب تفكيره وميوله وإتجاهته وأحيانا أخرى يكون مجبرا على إتباع إحدى الطريقتين لأسباب سياسية وإقتصادية وثقافية .

- **المعايير التمهيدية**(preliminary norms) تجعل هذه المعايير المترجمين يترجمون أنواع معينة من النصوص دون غيرها ، فيختارون فقط تلك التي تحتاج إليها مجتمعاتهم والتي تحوي علوما ومعارف يفتقرون إليها قصد الإستفادة منها ، ويبتعدون عن كل ما قد يمس أو يؤثر على ثقافتهم وتاريخهم وآدابهم ، ويمكن القول بأنّ العرب في العصر العباسي قد إنتهجوا هذه الطريقة إذ ترجموا فقط ما يفيدهم وما احتاجوا له من علوم ،وأعرضوا عن كل ما هو أدبي حفاظا على ثراثهم العربي الأصيل وثقافتهم العربية الإسلامية.
- **المعايير العلمية**(operational norms) ويقصد بها القواعد اللغوية بما فيها من نحو وصرف إضافة إلى الأسلوب اللغوي وبعض التعديلات الأخرى كالحذف والإختصار التي يتبعها المترجم لإخراج نص يناسب عبقرية اللغة التي ينقل إليها حتى ولو إختلف شكل النص المترجم عن شكل النص الأصلي ، ومن القوانين التي و ضعها توري في ميدان الترجمة " قانون التوحيد وقانون التدخل"(محمد عناني2003ص:233) فأما الأوّل فيعني إخضاع النص المصدر لقواعد اللغة المنقول إليها وإختيار المترجم لعبارات لغوية وتراكيب مستعملة بكثرة في اللغة المترجم إليها والإبتعاد عن النقل الحرفي للعبارات والتراكيب الموجودة في النص الأصلي ، وقانون التدخل يجعل المترجم يلتصق بالنص الأصلي ويبقي على التراكيب والعبارات نفسها حتى ولو لم تتناسب مع قواعد وأسلوب اللغة المترجم إليها.

وبهذا نلاحظ أنّ الدراسات التي قام بها توري قد خدمت كثيرا ميدان الترجمة وحرّرت المترجم من أساليب الترجمة القديمة التي تفرض عليه إما إتباع المنهج الحرفي أو المنهج الحر ، كما أنّ أفكاره فتحت مجالات جديدة للدراسة في الترجمة بعدما كان الإهتمام في الأوّل منصبا فقط على اللغة إذ أصبحت الترجمة عملية تقوم بين ثقافة لغتين وأصبح بإمكان المترجم أن يخضع النص لما يناسب أفكار وثقافة وعبقرية اللغة التي ينقل إليها فيقدّم للقراء ما يتلائم مع ثقافتهم حتى ولو لم يشبه النص الأصلي دون الحكم على الترجمة بالصواب أو الخطأ.

3-3-3- -نـــظـريـــة الـــتـــوطين والـــتـــغريـــب للورانس فينوتي و أنطوان بيرمان

(Domestication and Foreignization)Antoine Berman and Vennuti

ظهرت هذه الدراسات في التسعينات من القرن العشرين متأثرة بما سبقها من بحوث ودراسات التي أخرجت الترجمة من دائرة الدراسات اللغوية وركّزت على العوامل الأخرى المحيطة بالمترجم كالظروف الإجتماعية والتاريخية والخصوصيات الثقافية التي قد تكون أحيانا الموّجه الوحيد والرئيسي لعملية الترجمة، ويعتبر لورانس فينوتي أحد هؤلاء المفكرين الذين نظروا إلى الترجمة من منظار مغاير، فجاء بفكرة التجنيس Domestication والتغريب foreignization في الترجمة ، فالتجنيس برأيه هو أن يحاول المترجم قدر الإمكان تطويع النص إلى الثقافة المستهدفة ويتجنّب نقل كل ما يوحي أو يرمز إلى الأعراف والثقافة الأجنبية وينقل النص بلغة ذات مفردات وتراكيب وأبنية نحوية قريبة من اللغة المنقول إليها ومثال ذلك أن يصادف المترجم في النص أسماء حيوانات أو نباتات أو مأكولات غير موجودة في لغة المجتمع الذي ينقل إليه فيعمل على تعويضها بما هو موجود ومفهوم لدى قارئ النص المترجم أو يحذفها إذا إضطره الأمر إلى ذلك في سبيل إخراج نص مترجم ملائم ومقبول عند المتلقي ، وهذه الطريقة كثيرا ما يتبناها المترجمون الذين عانت بلدانهم وحشية الإستعمار الغربي، الذي حاول بكل الوسائل تشويه وطمس والقضاء على هوية البلدان المستعمرة،إذ يخضعون بعض النصوص إلى مايسميه فينوتي" التجنيس ، وهو " ينعى هذه الظاهرة لأنّها تتضمن مايصفه بإنّه إختزال للنص الأجنبي reduction من وجهة نظر عرقية محضة ethnocentric بتطويعه للقيم الثقافية في اللغة المستهدفة"(محمد عناني2003ص:258) وبالرغم من رأي فينوتي الذي يعتبر هذه الطريقة إجحافا بحق النص الأصلي إلا أنّها تبقى طريقة مهمة بيد المترجم الذي يسعى إلى حماية تراث وديانة وقيّم مجتمعه من التبعية والغزو الثقافي الأجنبي فليس كل ما يفكر به الغربي أو يقوم به مقبول في الثقافات الأخرى لاسيما الثقافة العربية الإسلامية نظرا لإختلاف الديانات فديننا الحنيف لا يبيح العديد من التصرفات والأعراف التي تعد مقبولة ومسموح بها في المجتمعات الغربية ، لذا وحفاظا وحماية للخصوصيات الثقافية العربية الإسلامية تعتبر ظاهرة التجنيس في الترجمة أنجع وسيلة بيد المترجم العربي الغيور على دينه وتراثه وشعبه فهي صالحة للعديد من المجالات في الترجمة لاسيما الترجمة الأدبية .

أما التغريب Foreignization أو إضفاء الطابع الأجنبي " فهو إختيار نص أجنبي وإبتداع طريقة في الترجمة تقوم على أسس لا تتضمنها القيّم الثقافية السائدة في اللغة المستهدفة"(محمد عناني2003ص:258) ويعني بهذا أن يقوم المترجم بنقل الأفكار الموجودة في النص الأصلي دون تغيير حتى ولو كانت غير مقبولة في الثقافة الهدف ،

كما يجب أن تكون اللغة المستعملة أقرب ما يكون للغة الأصلية ، أي يقوم المترجم بالحفاظ على الطابع الأجنبي (مثلا إذا ما تم ذكر مأكولات غربية أو حيوانات أو نباتات نبقي عليها حتى ولو لم تكن موجودة في اللغة المنقول إليها) فيشبه النص المترجم إلى حد الكبير النص الأصلي ، ويكون كنوع من التجديد والتثقيف للقارئ حتى يطّلع على ثقافة الآخر وتفكيره وحياته ولا يبقى تفكيره محدودا فقط بما يراه في مجتمعه فيخرج من دائرة الإنزواء والإنغلاق وينفتح على الغير فيرقى بتفكيره إلى مستويات أخرى ،ويطلق فينوتي أيضا على هذه الطريقة مصطلح " نهج المقاومةresistancy" (محمد عناني2003ص:259)أي مقاومة النص الأصلي لثقافة و إيديولوجية الثقافة المستهدفة.

ولا يعتبر فينوتي المفكر الوحيد الذي دعا إلى التغريب في الترجمة بل يوجد أيضا أنطوان بيرمان الذي شجّع على تغريب النصوص أثناء الترجمة والإبتعاد عن أسلوب التوطين أو ما يسميه هو التجنيسNaturalization خاصة في النصوص الأدبية والروائية بالتحديد " لأنّ ذلك ينزع عنها طابعها الـأجنبي ، ويركز على ظاهرة معينة وهي توحيد أسلوبها بفرض منطق الثقافة المستهدفة عليها ، ويشير مرار وتكرار إلى أنّ للرواية بناء خاص يتميز بالمنطق المتعددpolylogic الذي يتحرّر من أي شكل يمكن فرضه عليه ثقافيا أو لغويا"(محمد عناني2003ص:271)لأنّ تطويع الرواية الأجنبية لثقافة اللغة المستهدفة سيؤدي دون محال إلى ضياع الشكل الفني والجمال الأسلوبي والإبداع اللغوي الذي يميّز تلك الرواية ، وفيمايلي سنذكر" أهم الإتجاهات التي يرى بيرمان أنّها تتسبب في تشويه ترجمة العمل الأصلي"(محمد عناني2003ص:272) :

- **الـتـرشـيـد rationalization** : ويقصد به أن تكون التراكيب اللغوية وشكل النص يتوافق وعبقرية اللغة المنقول إليها .
- **الـتـوضـيـح clarification :** أي إستبدال العبارات الغامضة الموجودة في النص الأصلي بعبارات أخرى أكثر وضوحا في النص المترجم .
- **التوسع expansion:** أي أن يختلف النص المترجم عن النص الأصلي من حيث الشكل ، كأن يكون أطول منه بسبب لجوء المترجم إلى الشرحات.
- **الإرتقاء ennoblement:** هو أن يرتقي أسلوب النص المترجم عن أسلوب النص الأصلي أي أن يكون أسلوب المترجم أجمل وأفضل من أسلوب كاتب النص الأصلي.
- **الـإفـقـار الـنـوعـي qualitative impoverishment:** يحدث هذا عند إستعمال المترجم لمفردات تعجز عن التعبير وغير قادرة على الوصول إلى المعنى الحقيقي الذي ترمز إليه الكلمات في النص الأصلي .
- **الـإفـقـار الـكـمـي quantitative impoverishment:** عجز اللغة المترجمة عن إيجاد مقابلات محددّة للكلمات الموجودة في النص الأصلي فيلجأ بالتالي إلى إستعمال كلمة واحدة عامة وتكرارها مما سيؤدي إلى عدم تنوع لفظي للمفردات في النص .

- **تدمير الإيقاع the destruction of rhythms:** خاصة في ترجمة النصوص الشعرية.
- **تـدمير شبكات الدلالة الباطنة:** ويقصد بها عدم تمكن المترجم من إيصال تلك المعاني والعلاقات الغامضة الموجودة في النص الأصلي.
- **تـدمـير الأنـساق اللغوية the destruction of linguistic pattering** : ويقصد بهذا بعض الميزات اللغوية التي يعتمدها الكاتب فتصبح جزءا من أسلوبه وتضفي جمالا ورونقا على النص إلا أنها تضيع أثناء الترجمة لأنّ لكل لغة عبقريتها فما يعتبر محبّذا وجميلا في بعض اللغات كالإطناب في اللغة العربية سيكون مرفوضا في لغات أخرى .
- **تدمير شبكة الدلالة العامية أو تغريبها the destruction of vernacular networks or their exoticization:**

كأن تترجم اللغة الفصحى بالعامية أو العامية بالفصحى.

- **تدمير التعابير الثابتة والإصطلاحية the destruction of expressions and idioms:**

ويقصد بهذا إستبدال الأمثال والحكم الموجودة في النصوص الأجنبية بما يقابلها في اللغة المترجم إليها وهذا سيجعل القارئ يبتعد عن المفهوم الأساسي الذي أراد كاتب النص الأصلي إيصاله ويجعله يفكر ويفهم النص بأسلوب الثقافة المستهدفة التي تكون بعيدة كل البعد عن ثقافة النص الأصلي.

- **طمس التداخل اللغوي the effacement of the superimposition or languages:** ويقصد هنا أن النص الأجنبي قد لا يكتب كلّه بلغة فصحى فقد يدخل الكاتب بعض الكلمات العامية وهذا قد يضيع أحيانا أثناء الترجمة إذا قام المترجم بإهمال تلك المستويات اللغوية ،مماسيؤثر سلبا على العمل الروائي لأن قارئ الترجمة لن يتمكن من فهم المقصود من وراء تلك العبارات وأثرها على العمل بأكمله لأن توظيفها كان بهدف إرسال رسالة معينة للقارئ وتجاهلها قد يؤدي إلى إخراج نص يختلف عن الأصل شكلا ومضمونا.

لذا وتفاديا لتشويه وتحريف معاني النص الأصلي يرى بيرمان أنّه على المترجم تجنّب الإتجاهات التي ذكرناها سابقا وينتهج أسلوب التغريب في الترجمة الذي يحافظ على شكل النص الأصلي ومعناه ويوصل المترجم إلى ترجمة وفية وأمينة للأصل.

ويبقى أسلوب التقريب والتغريب في الترجمة أحد الأساليب التي قد يضطر المترجم إلى إتباعها أحيانا، وأحيانا أخرى قد ينتهجها دون تعمد لأنّه أحيانا ومهما حاول إنتهاج وإتباع

أسلوب واحد منهما يجد نفسه قد وقع في الأسلوب الآخر ، وعموما يمكن القول أن إستعمال أحد هذين الأسلوبين دون الآخر قد يكون خيارا بيد المترجم أوقد تفرضه أحيانا أخرى طبيعة النص وعبقرية اللغة وثقافة المجتمع الذي ينقل إليه المترجم.

4-3 تــرجــمــة الــروايــة العــربيــة :

لقد نجحت الرواية العربية إذن ومنذ أواخر القرن العشرين في بلوغ الساحة الأدبية الغربية وأن تحظى بنقاد وقراء ودراسات خارج حدود الدول العربية وأن يتجاوز تداولها حدود الوطن والمجتمعات العربية إلى نطاق العالمية ويؤرخ لهذه الحركة بسنة 1988 تاريخ حصول الأديب الكبير نجيب محفوظ على جائزة نوبل للآداب على ثلاثيته الشهيرة (من بين القصرين 1956، قصر الشوق 1957، السكريّة 1957) ، رغم وجود بعض الترجمات القليلة جدا في الخمسينات ومابعدها، حين بدأ إلتفات دور النشر الغربية إلأى بعض الأعمال الأدبية الصادرة من هذه الأقطار التي ما كانت لتظن بقدرتها على خلق وإبداع أعمال قيّمة من شأنها أن تحاكي عظمة الإبداعات والأعمال الروائية الغربية التي احتكرت وأحكمت السيطرة على هذا الميدان باعتبارها الرائدة والمنتجة بحكم الأُدمية والأسبقية وإكتشاف القارئ الأجنبي وتعرفه على سحر ورونق وخصوصية الشرق هذا الجانب من العالم الذي ظلّ مرتبطا في ذهنه بالجو الحكائي لقصص ليالي شهرزاد سيعرض مادة حكائية مختلفة ومتنوعة مستمدة من واقع وحقيقة الحياة المعاشة في المجتمعات الشرقية والتي ستشهد إقبال من طرف القارئ الأجنبي الذي قد يرغب في سبر أغوار هذا العالم الخفي والمختلف لا سيما مع ما يروّج ويشاع عنه بالتشدّد والتعصب والإرهاب والتضييق على حريات الأفراد لا سيما المرأة لاعتبارت أكثرها دينية وإجتماعية .

لقد جاءت الرواية العربية بمضمون مختلف وشائق يبرز ويدافع عن زيف المتخيل الذي تسعى بعض الجهات الغربية لتكوينه وإلحاقه بالشرق وإقناع القارئ الأجنبي وإقناعه وتعريفه بحقيقة واقع المجتمعات الشرقية وتميزها وخصوصياتها الثقافية الحضارية الضاربة في القدم وقد كان لنجيب محفوظ الفضل الأكبر في جذب واستقطاب إهتمام العالم الغربي بالرواية العربية بعد حصوله على جائزة نوبل أواخر القرن العشرين على إبداعه الروائي الذي شكلّ نقطة تحوّل كبرى في مسار الرواية العربية التي زادت حظوظها في الترجمة والروّاج والدراسة والشهرة بمقارنة بالسنوات السابقة وأزهرت الرواية العربية من شتى أقطار البلاد العربية مثبتة جدارتها وأهليتها لاقتحام السوق الدولية وأن تصفّ على رفوف المكتبات الأوروبية مع نظيرتها من العالم الغربي ومن هذه الروايات نذكر الرواية السودانية "موسم الهجرة إلى الشمال" للأديب الطيّب صالح والتي ترجمت إلى أزيد من 30 لغة، الرواية المغربية" الخبز الحافي" لمحمد شكري، والرواية الفلسطينية "رجال في الشمس

"للكاتب غسان كنفاني والرواية الجزائرية" ذاكرة جسد" للروائية أحلام مستغانمي، والرواية السعودية "مدن الملح" خماسية المبدع الراحل عبد الرحمان منيف وغيرها كثير حيث لا تعدّ هذه الأعمال الوحيدة التي ترجمت من البلدان المذكورة بل توجد إبداعات أخرى من هذه البلدان ومن بلدام عربية أخرى تزايد الإهتمام بها بشكل ملحوظ مؤخرا من بينها أعمال وإبداعات نسوية عربية، غير أنّ السؤال الذي يطرح بكثرة هو هل الحال والموقع الذي وصلت إليه الرواية العربية اليوم يعتبر نجاحا ونصرا حقيقا يحتسب لصالح مسار الرواية والأدب العربي؟هل أٍبال دور النشر الغربية على ترجمة بعض الأعمال يعني وجود طلب عليها من قبل القارئ الأجنبي؟وهل يعني أنّها تحظى بنفس المكانة التي تحظى بها الرواية الغربية؟ هل فعل الترجمة يشير إلى القيمة والإهتمام والنجاح الحقيقي الذي حققته الرواية العربية والذي يجعلها على نفس الكفة مع نظيرتها الغربية أم يدلّ على غايات وأغراض أخرى مخفية وراء حفوة وبهجة الإنتصار والنجاح؟

يميل بعض النقاد والباحثين إلى الإعتقاد بأنّ إختيار الناشر الأجنبي لبعض الروايات العربية للترجمة كنماذج ينتظر منها التعريف بالثقافة والأدب الشرقي أو على الأقل هذا مايعتقده القارئ والروائي العربي، الذي يأمل من حركة الترجمة في هذا المجال أن تكون انعكاسا ودليلا على نسبة النجاح والتطور الذي حققته الرواية العربية والتي استطاعت في ظرف سنوات أن تبلغ متناول القارئ الأجنبي وتزداد حظوظه في القراءة والدراسة والترجمة، لا يعكس في الحقيقة مدى الرواج والشهرة التي حققتها هذه الروايات وسط القراء الأجانب ولا يوحي بتلهف القارئ الأجنبي على إقتناءها أو كثرة الطلب عليها بل غالبا ما يكون هذا الإنتقاء لغايات تجارية تخدم مصالح دور النشر الأجنبية التي تنتقيها أحيانا وفق الشهرة التي حققتها هذه الروايات في الأوساط العربية أو لشهرة الأديب نفسه حيث يصبح كل عمل له محط إعجاب حتى ولو لم تتوفر فيه الشروط التي تؤهله لذلك، وغالبا ما يتفق الباحثون أنّ جلّ هذه الأعمال كتبت للترجمة وبالتفكير في القارئ الأجنبي لاحتواءها على مضامين ترضي تطلعاته ومتخيله عن العالم الشرقي كما تذكر الدكتورة فاتحة الطايب أنّ أغلب مستهلك للأعمال العربية المترجمة في البلاد الأجنبية هم المهاجرون العرب المقيمون بهذه البلدان ما يحبط قليلا تطلعات وآمال الروائي والقارئ العربي بالجهود العربية المبذولة في هذا المجال،حيث تبقى هذه الروايات نعروفة وسط فئة محدودة من القراء الأجانب أكثرهم من المهتمين بالدراسات الأدبية العربية ومجهولة لدى القارئ العام باستثناء روايات الأديب نجيب محفوظ، وفي هذا الصدد ترى الدكتورة فاتحة الطايب "قبل حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل كان على دور النشر الفرنسية التي تتكفل باصدار ترجمات الأدب العربي أن تبذل جهودا كبيرة لاقناع المكلفين بالصفحات الثقافية في الصحف الغربية تخصيص حيّز للأدب العربي المترجم ضمن إهتماماتهم بآداب أجنبية أخرى.....وأنّ الجائزة التي نالها محفوظ قد دشنت بالفعل بداية تفعيل فك الحصار على العالم العربي الذي ظلّت ثقافته لسنين

طويلة حكرا على المستشرقين بمنطلقاتهم الإيديولوجية المشكوك فيها،وممثلة على مستوى الإبداع بالكتاب الفارسي الأصل ألف ليلة وليلة إلأ أنها ضربت حصارا جديدا على الأدب العربي الحديث يمثّل في تركيز دور النشر الغربية على الأسماء العربية الكبيرة ضمانا للربح الشيئ الذي يكرّس تراتبية الإنتاج في البلدان العربية" (فاتحة الطايب2010 ص :151-351) ما سلّط الضوء على أسماء وأعمال معينة وحجبه عن أعمال إبداعية أخرى، كما تشير بعض الدراسات إلى العوائق الكثيرة التي ترافق فعل الترجمة في هذا المجال وفي هذا الإتجاه وشروط دور النشر والتكاليف الباهضة وشروط المترجمين أحيانا في سبيل نقل البعض من هذه الأعمال إلى القارئ الأجنبي ما يوضح عدم الإهتمام الكبير والتلهف على اقتناء هذه الأعمال من قبل الغرب عكس ما تعرفه حركة هذا النشاط في الاتجاه المعاكس أي إلى اللغة العربية والإقبال المتزايد والشديد غلى نقل الأعمال الروائية الغربية دون تمحيص أحيانا في ظلّ غياب استراتيجية وخطة محددة تنظم وتوحّد نشاط دور النشر العربية لتفادي النقل المتكرر لأعمال معينة على سبيل المثال ووضع معايير معينة تساعد على الإقتناء السليم والمفيد لأعمال على حساب أعمال أخرى وكل ما من شأنه أن يسهم في تنظيم نسيير هذه الحركة الترجمية في الوطت العربي، التي تفتقد إلى أِقام وإحصائيات شاملة لمجمل ما تتم ترجمته من أعمال إلى اللغة العربية ما يجعل تقصي وتيرة هذا النشاط في المجال الأدبي أمرا صعبا نوعا ما ويذكر الدكتور وائل حسن استاذ الأدب المقارن في جامعة الينوي في مقال أجرته معه ليلاس سويدان بتاريخ 12 مارس 2017 لصتلح مجلة ثقافات "أنه حتى عام 2005 كان الوضع كالتالي بالنسبة للترجمة الأدبية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية أن الغالبية العظمى من الأعمال المترجمة نقلت عن الانجليزية إلى اللغات الأوروبية الأخرى وكانت ايطاليا واسبانيا في الصدارة بنسبة 25بالمئة تليها فرنسا بنسبة 15- 18% ثم ألمانيا 11 -14 % أما الترجمة إلى الإنجليزية في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية فلا تتعدى 3% فقط ، والترجمة من اللغات غير الأوروبية إلى الأوروبية ضئيل جدا حيث جاءت اللغة اليابانية في المركز الثامن والعربية في الثامن عشر بين جميع اللغات المترجم منها في أوروبا" موضحا ضآلة النشاط الترجمي من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية الأخرى وبالتالي قلة الدراسات والإهتمام بهذه الإبداعات العربية من طرف الأجانب.

كما تذكر الدكتورة فاتحة الطايب أنّ ما تترجمه دور النشر الفرنسية من روايات عربية لا يتعدى 10 أو 12 عمل روائي من مجمل ما تقوم به من ترجمات يبلغ أحيانا 600 عمل ترجمي وإنّه استنادا إلى إحصاء قامت به نقابة الناشرين الفرنسيين فإنّ الرواية العربية تأتي في المرتبة الثامنة من بين إجمالي ما تشتريه من حقوق ترجمة الروايات التي عادة ما تتكفل بها دور النشر الصغيرة على غرار آكت سود (Actes Sud) مجموعة سندباد، دار فرتيكال، بينما تنشر دور النشر الكبرى (غاليمار، لوسوي) حوالي رواية واحدة أو إثنتين

سنويا فقط أو تقوم بذلك بالتعاون مع دور نشر محلية تخوفا من الخسائر التي قد تتكبدها لخوضها في مغامرة غير مأمونة العواقب.

بيما يشيد البعض الآخر بالتطور المحسوس الذي عرفته ترجمة الرواية العربية إلى اللغات الأجنبية وتزايد دور النشر المهتمة بنقل هذه الإبداعات لا سيما الفرنسية منها وإنشاء مجلات أجنبية تعنى بدراسة وترجمة هذه الأعمال (أهمها مجلة بانيبال 1998 بلندن مجلة الأدب العربي الحديث (Magazine of Modern Arab Literature) وتخصيص دراسات وتنظيم ملتقيات ومؤتمرات لمناقشة وتقييم البعض من هذه الأعمال الروائية التي تمّ اتخاذ البعض منها كنماذج للدراسة في الجامعات والمدارس الأجنبية، ويذكر إياد نصار "أنّه في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا يصدر حوالي 20 كتاب سنويا من الأدب العربي المترجم"(صحيفة قاب قوسين 23-10-2010) ما يعكس جديّة المساعي التي تبذلها وتلقاها الرواية العربية في مسارها نحو العالمية،هذا ما توضحه الأرقام في مجال نقل الرواية العربية إلى اللغة الإنجليزية حيث كان النقل في البدايات (1947-1967) محدودا للغاية فخلال الفترة المذكورة تمت ترجمة 16 رواية فقط إلى اللغة الإنجليزية بينما تزايد هذا العدد إلى أكثرمن 50 رواية و36 مجموعة قصصية خلال الفارة الممتدة بين (1968-1988) ليتضاعف ويتكاثف النقل إلى اللغة الإنجليزية بعد حصول نجيب محفوظ على الجائزة حيث سجلت الفترة الممتدة بين 1990- 2010ترجمة حوالي 300 عنوان أدبي ما يوضح التحول الإيجابي الذي عرفته حركة ترجمة الرواية العربية إلى اللغة الإنجليزية .

وبما أننا في بحثنا هذا بصدد دراسة الرواية المغربية والسعودية على وجه الخصوص نحاول فيمايلي التعرض لوضع ترجمتها في كلا البلدين:

أ-بـــلاد الـــمـــغـــرب:

بدأت حركة ترجمة الرواية في بلاد المغرب حوالي أواخر القرن العشرين بعد فترة معتبرة من بداية العمل الروائي المغربي وكان أكثر النقل يمارس إلى اللغة الفرنسية بحكم لعلاقات التي تربط البلدين وبوجود روايات ألفت أساسا بلغة المستعمر السابق الفرنسي،وكانت حركة الترجمة في بداياتها (حوالي السبعينات) تنشط بوتيرة ضعيفة ليزداد نشاطها أواخر الثمانينات بعد حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل مستفيدة هي الأخرى كغيرها من الروايات العربية من بركة هذا الفوز الذي سلّط الضوء على العديد من الأعمال الإبداعية العربية .

وترى الدكتورة فاتحة الطايب أنّ إستفادة الأدب العربي من جائزة محفوظ كان محدودا جدّا حيث أنّ بدايات حركة ترجمة الرواية المغربية في السبعينات كان بفضل جهود دار سندباد في سبيل التعريف بالأدب العربي ومساعي المثقفين والأدباء المغاربة ووساطاتهم مع دور النشر الأجنبية والمترجمين الأجانب وأيضا مبادرات معهد العالم العربي بباريس لاحقا هي

التي أسهمت في تسريع وتيرة هذا النشاط في التسعينات وتسليط الضوء على الإبداع الروائي المغربي وضمّه إلى سلسلة الإبداعات العربية التي تستقطب وتثير إهتمام القارئ والناشر الأجنبي: "فإذا أخذنا بعين الإعتبار المجهود الذي بذله محمد برادة ليحظى بمساهمة إيف غونزاليس كيخامو في ترجمة لعبة النسيان واقتراحه كاثرين شاريو مترجمة للضوء الهارب نحصل على نتيجة مفادها ضآلة إهتمام المترجمين الفرنسيين ودور النشر الفرنسية بالإبداع الروائي المغربي مقابل سعي المبدع والوسط المغربيين إلى التعريف به"(فاتحة الطايب2010 ص :150) ولا يسعنا سوى أن نقول أنّ هذه الخطوات أتت بثمارها وأنّ تكفّل الأدباء المغاربة ودور النشر العربية بالترجمة أحيانا بالتعاون مع دور النشر الأحنبية التي كانت تخشى الخوض في مثل هذه الترجمات غير مأمونة العواقب قد كان له دور كبير في رفع حظوظ ترجمة الرواية المغربية التي تزايد نقلها إلى لغات مختلفة وانتشارها في بلدان متعددة لا سيما في السنوات الأخيرة.

وحسب مقال نشرته صحيفة قاب قوسين عام 2010 فإنّ حوالي 80% بالمئة من الأدب العربي المترجم في السنوات الأخيرة عبارة عن أعمال روائية نسوية وتشكلّ الروايات المغربية النسوية بالتأكيد جزء من هذه الترجمات التي تمثّل الأدب العربي بالخارج،حيث أنّ الرواية النسوية المغربية منذ ظهورها حوالي أواخر الخمسينات وهي تسعى نحو التألق والتميّز الذي نجحت في نحقيقه في السنوات الوالية (حوالي الثمانينات) على المستوى الوطني (المغرب) وعلى المستوى الدولي وأفضل مثال على ذلك هي رواية (عام الفيل) للروائية المغربية ليلى أبو زيد الصادرة عام 1983 والنجاح الكبير الذي حققته هذه الرواية التي ترجمت إلى اللغة الإنجليزية عام 1989 عن جامعة تكساس والجامعة الأمريكية بالقاهرة وتدرّس في عدد من الجامعات الأمريكية في إطار نظرية ما بعد الإستعمار، وصدورها باللغة العربية في أربع طبعات بسحب بلغ 2000 نسخة لكل طبعة كما تمت ترجمتها إلى لغات أجنبية أخرى كاللغة الإسبانية والهولندية، الألمانية، الأرِدية والفرنسية ما يعكس الرواج الكبير الذي عرفته هذه الرواية محليا ودوليا ونجاحها في استقطاب إهتمام القارئ الغربي ودور التشر ومؤسسات التعليم الأجنبية علما أنّها أوّل عمل روائي للكاتبة وليس الوحيد المترجم (حيث ترجمت لها أيضا رواية الفصل الأخير2005) وكونها أول كاتبة مغربية يترجم لها ما يوضح اسهامات المرأة المبدعة المغربية في تطوير الأدب المغربي والتعريف به في الخارج مثل أعمال ليلى سليماني الفائزة بجائزة غونكور عن روايتها التهويدة، ليلى العلمي، زكية داود، فاتحة مرشيد، مليكة أوفقير وغيرهن من أسناء نسوية من داخل وخارج حدود المملكة المغربية واللاتي بلغت أبدعن بلغات مختلفة(ليس العربية فقط) وترجمت أعمالهن إلى لغات أجنبية متعددة إلى أجانب أسماء مغربية كبيرة أخرى مثل:عبد الكريم غلاب، عبد الله العروي، محمد شكري (الخبز الحافي)، بنسالم

حميش، محمد برادة، عبد المجيد جلون أنور مجيد (رواية سي اليوسف 1992) عبد الإله الحمدوشي (رواية الذبابة البيضاء) وغيرهم.

أما فيما يخص

ب- المملكة العربية السعودية : حيث تأخر جنس الرواية في الظهور(هناك من يؤرخ له بالثلاثينات من القرن العشرين مع عبد القدوس الأنصاري والبعض الآخر يورخ له بالستينات من القرن العشرين مع حامد دمنهوري) مقارنة بالبلدان العربية الأخرى لإعتبارات إجتماعية ثقافية وسياسية وبالتالي تأخر الأقلام النسوية عن الخوض في غمار التجربة الروائية التي بدأت في الستينات في المملكة مع رواية سميرة خاشقجي (ودعت آمالي1960) ولهذا فإنّ دخول الرواية السعودية ميدان الترجمة وبلوغها متناول القارئ الأجنبي جاء في تواريخ بعيدة ومتأخرة عن نظيرتها في البلدان العربية الأخرى ، كما أنّ نسبة الأعمال الروائية السعودية المترجمة إلى لغات أجنبية ضئيل نسبيا مقارنة مع ما يترجم من بلدان عربية أخرى حيث استنادا إلى إحصاء نقابة الناشرين الفرنسيين فإنّ الروايات السعودية نحتل المرتبة الثالثة ضمن الروايات العربية المختارة للترجمة بعد اللبنانية والمغربية (بلدان المغري العربي)، ويمكن التأِيخ لبداية حركة ترجمة الأعمال الروائية السعودية بالثمانينات من القرن العشرين مع الكاتب الراحل عبد الرحمن منيف الذي يعدّ أول كاتب سعودي تترجم أعماله إلى لغات أجنبية متعددة مثل رواية التيه1984، الأخدود 1986، تقاسيم الليل والنهار1989.....، لتلحقها بعدها في السنوات الموالية أعمال روائية أخرى لأدباء سعوديين مثل غازي القصيبي الذي ترجمت أعماله إلى اللغة الإنجليزية مثل رواية شقة الحرية الصادرة سنة 1994 والمترجمة سنة 1996، ورواية سبعة التي ألّفها سنة 1998 وترجمت سنة 2001، وروايات الأديب تركي الحمد على سبيل المثال العدامة الصادرة سنة 1997، ورواية الشميسي 1998 والتي ترجمت إلى الإنجليزية عام 2003، هذا إلى جانب الأعمال السعودية التي ألفت أصلا بلغة أجنبية مثل الكاتب أحمد أبو دهمان الذي يعدّ أوّل روائي سعودي يكتب روايته الأولي باللغة الفرنسية عام 2000 وترجمت إلى حوالي 12 لغة أجنبية بما فيها اللغة العربية التي أشرف هو على ترجمتها والتي أسهمت في مجملها بالتعريف بالأدب والفن الروائي السعودي في الخارج.

هذا إلى جانب الأعمال الروائية النسوية التي أصبحت تشكل جزءا من هذا الأدب المترجم والتي يرى النقاد والباحثون أنّه ازداد الإهتمام بها لا سيما بعد أحداث 11 سبتمبر2001 ضمن مشروع لتحليل ودراسة الأوضاع في المجتمع السعودي والتأكيد على مفهوم الإٍهاب والرعب الذي تصدّره المجتمعات الشرقية وحجم الخطر الذي يحدّق بالغرب من هذه المناطق والثقافات المتشددة والخانقة لحرية المرأة وحياتها، وحقيقة فقد بدأت ترجمة الروايات النسوية السعودية بداية القرن الواحد والعشرين بعد فترة معتبرة من ظهور الرواية

النسوية السعودية على عكس الروايات النسوية من البلدان العربية الأخرى مثل المغرب التي بدأت ترجمتها نهاية الثمانينات ما يدعم قليلا صحة هذه النظرية ، حيث توجد روايات نسوية سعودية ناجحة قبل أحداث 11 سبتمبر لكنها لم تحظ باهتمام دور النشر الغربية غير أنّ عدد الأعمال النسوية السعودية المترجمة قليل جدا نذكر منها رواية خاتم لرجاء عالم الصادرة سنة 2001 والتي ترجمت إلى اللغة الفرنسية عام2011 وإلى لغات أجنبية أخرى مثل الإسبانية، ورواية رجاء الصانعي بنات الرياض الصادرة سنة 2005 والتي حققت شهرة كبيرة وواسعة في الأوساط العربية وحتى الأجنبية حيث ترجمت إلى 40 أربعين لغة أجنبية (النسخة الإنجليزية عام 2007 والفرنسية عام 2013) ونجد أيضا رواية هند والعسكر للروائية بدرية البشر الصادرة سنة 2006 والتي ترجمت إلى اللغة الإنجليزية عام 2017.

لقد استفادت البعض من هذه الروايات من مزايا تكنلوجيا الإعلام والإتصال الحديثة حيث أنّ إنتشار البعض منها على المواقع الإلكترونية قد حقّق لها الرواج وضمن انتشارها بين فئات كبيرة من القراء (رواية بنات الرياض على سبيل المثال التي كانت تنشر على شكل مقاطع متتالية في مواعيد زمنية محددة) وزاد من تسليط الضوء عليها وسهلّ عملية انتشارها خارج حدود المملكة لا سيما عند فئة الشباب الذي اعتاد هذا النوع من التسهيلات والمزايا المصاحبة للتكنلوجيا ووسائل الإتصال الحديثة التي أصبح يعتمد عليها بشكل كبير في تسيير شئون حياته اليومية، وحقيقة فقد خدمت هذه التطورات التكنلوجية كثيرا الرواية الحديثة حيث أصبح بإمكان القارئ الحصول على نسخة منها في ظرف ثوان ومجانا دون تحمل عناء السفر والتنقل بين المكتبات بحثا عن بعض الأعمال مثلما كان عليه الحال في السابق، إضافة إلى هذا يرى بعض النقاّد أنّ نوظيف الروائيات لعناوين مغرية يزيد ن فرص ترجمة أعمالهن وفي هذا الصدد يذكر المترجم البريطاني أنتوني جوزيف كالدربانك في حوار له مع مجلة الرياض أنّ عنوان رواية بنات الرياض عنوان مغر وموضوعها ممتع ومثير ما يعكس موقف القارئ الأجنبي واختياره لبعض الأعمال، كما أنّ دور النشر ضمانا لتحقيق الربح لا تستقطب أنظارها سوى الروايات التي حققت شهرة وضجة في الأوساط العربية لا سيما إذا تناولت هذه الأعمال وصف وسرد لحياة المرأة العربية ما يجعلها محط دراسة وتحليل للباحث الأجنبي الذي ينتظر هذه الأعمال بشغف لتكوين وبناء نظريات استنادا على نماذج وأدلة محلية تدعم صحة تصوراته وتضفي عليها توعا من المصداقية والأمانة.

غير أنّ حظوظ الرواية العربية في الترجمة قد لا تتفق كلها والمعايير المذكورة آنفا حيث أنّه توجد بعض الروايات التي حققت انتشارا واسعا وكبير بين جمهور القراء العرب لكنها لم تنقل إلى لغات أجنبية أخرى (سواء القديمة منها أم الحديثة التي تنشر على المواقع الإلكترونية) ومنها ما لا يعكس عنوانها مواضيع مثيرة ومغرية مثل رواية خاتم للكاتبة رجاء عالم، ومنها ما لا يشكل مضمونها مواضيع تخدم التصورات والمفاهيم التي تسعى المجتمعات الغربية للترويج لها عن الثقافة العربية الإسلامية مثل رواية ذاكرة جسد للكاتبة

أحلام مستغانمي، ما يبقيعملية الترجمة أحيانا بعيدة عن مجال السياسة ويجعلها لا تتعدى المصالح الإقتصادية والربح التجاري الذي يعدّ الغاية الأولية والأساسية لدور النشر التي تحققه وتضمنه بالترويج لهذه الأعمال وتخصيص سوق لها يكون المهاجر العربي المقيم بالخارج المستهدف والمستهلك الأول لها غالبا.

وعلى الرغم من تباين الآراء والمواقف التي تنظر تارة بإيجابية وتارة أخرى بسلبية إزاء ترجمة الأعمال الروائية العربية والنسوية منها إلى لغات أجنبية تبقى هذه الخطوة بحدّ ذاتها نجاحا كبيرا يسجّل لصالح الرواية العربية التي يبقى لها أن تحدّد مستقبلا ومن خلال مضامينها أي أثر سيكون لها في تاريخ الثقافة والأدب العربي وأي إستخدام سيكون لها وأية مصالح ستخدم الأجنبية منها أم العربية مستقبلا، وسيكون عليها أن تحدّد وتبرز الغايات وراء إقبال دور النشر الغربية على نقلها إلى اللغات المختلفة.

-خـــلاصــة الــفصــل:

لقد حاولنا في هذا الفصل التطرق أوّلا لبعض مفاهيم الترجمة بشكل عام والترجمة الأدبية بشكل خاص باعتبار ترجمة النصوص الروائية تطوي تحت لواء هذه الأخيرة مع ذكر بعض الخصائص التي يتميز بها النص الأدبي والتي تجعل من ترجمته عملية إبداعية قبل كونها نشاطا وممارسة لغوية، لنتطرق بعدها إلى الروابط التي تجمع ميدان الترجمة بمجال البحث النسوي والإسهامات والإضافات التي أغنى بها كل ميدان الميدان الآخر لاسيما باعتبار الترجمة مجالا يحتك بجميع الميادين والقطاعات من حوله فخضوع النصوص النسوية لهذا النشاط اللغوي غدا متداولا بكثرة وكان له دور كبير في تنشيط الحركة النسوية العربية والتعريف بالنشاطات والإتجاهات المختلفة للحركة النسوية عبر العالم،كما حاولنا في الأخير التعرض لواقع الترجمة في الوطن العربي عبر مجموعة من الأرقام والإحصائيات التي يشكو المتخصصون من غيابها ودقتها والتي تعكس في مجملها الواقع المتأزم للترجمة في البلاد العربية التي تشهد سوء تسييروتنظيم هذا القطاع الذي لا يخلو من المؤتمرات واللقاءات الواعدة دون نتائج وإنجازات على أرض الواقع، ولعلّ أحد أهم الحلول التي اقترحت للنهوض بهذا القطاع في البلاد العربية هو اقتراح المدير العام للمنظمة العربية للترجمة هيثم غالب الناهي واقتراح شحاذة الخوري وغيرهم من المفكرين سابقا الذين دعوا إلى الإهتمام بالتعريب واللغة العربية التي تعدّ أساس تنشيط حركة الترجمة في الوطن العربي إلى جانب الإهتمام بتكوين المترجمين وتدريس هذا النشاط وتهيئة ما يلزم من إمكانيات مادية وهيئات ومؤسسات تساعد على دفع حركية هذا النشاط، وذكرنا في هذا المجال بعض الآراء المتضاربة حول ترجمة الرواية العربية بشكل عام والنسوية بشكل خاص إلى اللغات الأجنبية المختلفة بين مؤيد ومعارض واعتبرنا في الأخير أنّ هذا الإنجاز(الترجمة) يحتسب لصالح الرواية العربية التي يبقى لها مستقبلا أن تدفع عنها أصابع الإتهام وتؤكدّ أنّ هذا الإهتمام الذي تلقاه من دور النشر الأجنبية نابع من النجاح والروّاج الذي حققته وسط جمهور القراء الأجانب ومن تزايد وكثرة الطلب عليها لا خدمة لأغراض وغايات سياسية وإيديولوجية غربية.

الـفـصـل الـرابـع

الـدراسـة التحـلـيـلـيـة المقـارنـة للمـدونـة:

4-1-التعريف بالمدونة:

4-1-1-أسباب إختيار المدونة:

إنّ إختيارنا لروايتي "الفصل الأخير"للكاتبة المغربية ليلى أبو زيد، ورواية "بنات الرياض" للكاتبة السعودية رجاء الصانعي من بين الروايات العربية الأخرى المترجمة إلى اللغة الإنجليزية واتخاذهما موضوعا لبحثنا هذا له أسبابه التي سنحاول ذكرها فيما يلي:

أوّلا: يعتبر هذان العملان الروائيان نموذجا ليس فقط عن الأدب العربي المترجم والذي رسم مسار وتاريخ جديد للرواية العربية بدخولها حيّز العالمية واستقطابها لاهتمام الناشرين والدارسين والقراء والنقّاد الأجانب وتعريفها بالثقافة والأدب العربي في الخارج إلى جانب أكبر الأسماء الأدبية العالمية في هذا الميدان، بل لاعتبارها أيضا نموذجا عن الكتابة والإبداع الروائي النسوي العربي الذي يؤرخ لبداياته بأواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والذي استطاع أن يتموضع ويتمركز في الساحة الأدبية العربية رغم ما اعتراه من صعوبات وعوائق داخليا وأن يبلغ متناول القارئ الأجنبي ويشكّل أحد بؤر إهتمامه وينقل إلى لغات متعددة (منها ما ترجم إلى أزيد من 40 لغة مثل رواية بنات الرياض) إلى حدّ بلوغه وتشكيله غالبية ومعظم نسبة الأدب العربي الذي ينقل إلى لغات أجنبية وسيطرته وإحكامه على قطاع الترجمة في هذا المجال.

ثانيا: لقد تعمدنا اختيار روايتين عربيتين من قارتين مختلفتين إحداهما من القارة الإفريقية من بلاد المغرب وهي رواية (الفصل الأخير للكاتبة المغربية ليلى أبو زيد) والثانية من القارة الآسيوية من المملكة العربية السعودية وهي رواية (بنات الرياض للكاتبة السعودية الشابة رجاء الصانعي) وكلتا الروايتين حققتا شهرة واسعة وكبيرة عربيا وعالميا رغم إنتماء الكاتبتين إلى جيلين مختلفين حيث تعتبر الكاتبة ليلى أبو زيد رائدة من رواد الكتابة النسوية في بلاد المغرب فقد شرعت في الكتابة مطلع الثمانينات وصدرت أول ترجمة بالإنجليزية لأوّل عمل روائي لها (عام الفيل) سنة 1989، بينما تنتمي الروائية رجاء الصانعي إلى جيل مختلف تماما فهي من مواليد الثمانينات من القرن العشرين وشرعت في العمل الروائي حديثا حيث صدر أول عمل لها عن دار الساقي في لبنان عام 2005 وهو بنات الرياض،وبهذا نكون قد اخترنا ثاني عمل للروائية المغربية ليلى أبو زيد وأوّل عمل روائي للروائية السعودية رجاء الصانعي، وأيضا قصد إبراز الثراء والتنوع الثقافي العربي والإبداع الأدبي النسوي من جهتين مختلفتين من أنحاء البلاد العربية مع محاولة كشف سر إهتمام

الغرب بالإبداع النسوي العربي حيث ترجم هذان العملان إلى لغات متعددة وكيف كان هذا النقل هل تمّ فيه الحفاظ على الخصائص اللغوية والثقافية والحضارية التي تطبع هذان العملان أم تمّ تطويعهما بما يناسب عبقرية اللغة المنقول إليها وثقافة متلقيها، كما لا يفوتنا أن نشير أنّ وجود ترجمة رسمية للروايتين زاد من رغبتنا في إختيارهما كموضوع ومادة لبحثنا هذا، وسنستهل القسم الأول من هذه الدراسة بعمل الروائية ليلى أبو زيد بحكم أسبقيتها في هذا الميدان وبحكم صدور عملها (الفصل الأخير) في فترة زمنية تسبق بكثير تاريخ صدور رواية (بنات الرياض) للروائية رجاء الصانعي.

- **تحليل المدونة :أولا رواية الفصل الأخير لليلى أبو زيد**

4-1-2-لمحة عن الكاتبة ليلى أبو زيد وروايتها:

تعتبر ليلى أبو زيد كاتبة مغربية ولدت سنة 1950 في قرية القصيبة قرب مدينة بني الملال المغربية أين زاولت تعليمها إلى غاية المرحلة الثانوية لتنتقل بعدها إلى الإقامة في مدينة الرباط والدراسة في جامعة محمد الخامس حيث تحصلت على شهادة الليسانس في اللغة الإنجليزية وتسافر لمواصلة دراستها في الولايات المتحدة الأمريكية وبالتحديد في جامعة تكساس بأوستن.

بدأت أبو زيد حياتها المهنية كصحفية في قناة تلفزيونية وعملت في عدة دواوين وزارية من بينها ديوان الوزير الأول، كما اشتغلت بالترجمة والتأليف وعبّرت في أكثر من لقاء لها عن ولعها بالكتابة والمطالعة منذ الصغر حيث صرّحت في لقاء تلفزيوني لها مع قناة الأولى المغربية في برنامج مشارف أنّها كانت تحبّذ القراءة منذ المرحلة الإبتدائية وكانت تنتقي الكتب المكتوبة باللغة العربية على حساب تلك المؤلفة باللغة الفرنسية باعتبارها لغة المستعمر والتي تستعمل على نطاق واسع في بلاد المغرب إلى جانب اللغة العربية، وحبّها وشغفها هذا باللغة العربية جعل منها أول روائية مغربية تكتب باللغة العربية وتترجم أعمالها إلى اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية الأخرى، فأبت أن تعبّر سوى بلغتها فاللغة عندها مسألة هوية وكيان ومسألة أمّة وشعب وتمثيلها وتعبيرها عن الذات المغربية كان لابدّ وأن يكون بأحد أهم المقومات المكوّنة لهذه الذات وهويتها ألاّ وهي اللغة العربية والدين الإسلامي حيث نلمس حضور قوي للثقافة الإسلامية عبر استشهادها بالعديد من الآيات القرآنية في فقرات الرواية ما يوضح اعتزازها بلغتها ودينها وهويتها وجاءت جلّ أعمالها ترجمة وانعكاسا للواقع المغربي والمجتمع والمرأة هذا ما نلمسه خاصة في أعمالها الروائية:

فأوّل عمل روائي لها عام الفيل (الذي يشير إلى عام إستقلال بلاد المغرب عام 1956) الذي كتبته عام 1980 ونشر عام 1983 تحدثت فيه عن نضال وتضحيات وكفاح المرأة المغربية قبل الإستقلال وما آل إليها وضعها بعد الإستقلال في مغرب ومجتمع ذكوري ومانالته من الوطن والرجل (الزوج) بعد سنين من التضحية والوفاء والإخلاص بمجرد رفضها الإنسلاخ عن هويتها والتخلي عن مبادئها وقيّمها، مدركة في الأخير مدى سلطة وهيمنة النظام البطريكي ومدى هشاشة وضعف قيمة المرأة في المجتمع وتبعيتها وخضوعها للرجل.

أما رواية رجوع إلى الطفولة الصادرة سنة 1993 فهي تعتبر سيرة ذاتية روت فيها الكاتبة عن طفولتها وحياتها وهي تعدّ أوّل سيرة ذاتية تنشرها إمرأة في المغرب العربي وهي تدرّس الآن لتلاميذ السنة الثالثة إعدادي في بلاد المغرب، لتأتي رواية الفصل الأخير الصادرة سنة 2005 لتحكي هي الأخرى عن الواقع الإجتماعي والثقافي والفكري المتدهور في بلاد

المغرب وصراعات المرأة المغربية مع هذا الواقع وإحباطاتها المستمرة منه وتتطرق لقضية المرأة والزواج على لسان بطلتها عائشة التي لم تستطع الولوج إلى هذع المؤسسة لأسباب متعددة وموقف المجتمع المغربي والعربي بشكل عام الذي يعيب على المرأة تأخر دخولها إلى هذه المؤسسة وأداء وظيفتها التقليدية كزوجة وأم.

كما كتبت ليلى أبوزيد بعض المجموعات القصصية:كالمدير والغريب وألّفت أعمال تصنّف ضمن أدب الرحلات :كأمريكا الوجه الآخر وبضع سنبلات خضر، وترجمت عددا من الأعمال من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية مثل:سيرة الملك محمد خامس وسيرة الداعية الإسلامي الأمريكي مالكوم أكس، كما قامت بترجمة السيرة النبوية إلى اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية سنة 2005 بعد صدور تلك الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للإسلام والرسول عليه الصلاة والسّلام.

لقد بدأت أبوزيد ممارسة فن الكتابة في سن مبكرة وذكرت أنّ أوّل مقال لها كتبته وهي لا تزال طالبة في جامعة محمد الخامس نُشر تحت إسم مستعار ما يذكرنا بالمراحل الأولى التي تجرأت فيها المرأة العربية على دخول ميدان الكتابة (وحتى المرأة الغربية) وتخوفها من الحكم الإجتماعي في ظلّ القوانين التقليدية التي تحدّ وترسم صورة ودور المرأة في المجتمع العربي، كما أكّدت على إتخاذها للواقع مادة وموضوعا لأعمالها الأدبية باعتباره يزخر بالعديد من العديد من القضايا والمسائل التي تحتاج وتنتظر المناقشة من قبل الأدباء، وتأسفت من حاجة الأديب المغربي لفعل الترجمة للظهور في وطنه والساحة الأدبية العربية بشكل عام حيث دُرست روايتها عام الفيل في عدد من الجامعات والثانويات الأمريكية وترجمت إلى عدة لغات لتعرف لدى المختصين في بلدها واحتاجت لعشر سنوات بعد صدورها لتنال إهتمام المختصين والنقّاد العرب وتحظى بدراستان قيّمتان باللغة العربية واحدة من قبل الدكتور عبد العالي بوطيب من جامعة المولى إسماعيل بمكناس والدكتورة بثينة شعبان من جامعة دمشق، وكما ذكرت في حوار لها في برنامج مشارف في قناة الأولى المغاربية أن لولا شهرتها في الخارج لما عرفت في بلدها لأنها ليست مدعومة من قبل أي هيئة أو مؤسسة حكومية،أما في كلمتها الختامية في رواية الفصل الأخير رأت أنّ النقّاد المشارقة لا يهتمون كثيرا بأعمال الأدباء المغاربة وكما قال أحد الأساتذة المصريين بخصوصها "كان بالإمكان أن تكون من أحسن الكاتبات العربيات لو لم تكن مغربية" (ليلى أبو زيد 2011 ص:172) قالت فلو كنت من المشرق لما عرفت في الغرب قبل أن أعرف في الشرق،إلاّ أنّه وبالرغم من الصعوبات التي اعترت طرقها في البداية لا يمكن إنكار النجاح الكبير والشهرة التي حققتها ليلى أبو زيد على الصعيد الوطني والعالمي بفضل أسلوبها الأدبي الشيّق وقوة إبداعها وذوقها الفني وبراعة طرحها للمواضيع وحسن إختيارها لما يرضي تطلعات القارئ ويستجيب لتوقعاته.

وتظهر كل من رواية (عام الفيل) و(الفصل الأخير) شخصية المرأة المغربية الناضجة والقوية والتي نستشف من خلال تصرفاتها ومواقفها إيمانها القويّ بمبادئها وقيّمها العربية الإسلامية التي ترفض الإنسلاخ عنها والرضوخ لضغوطات ومساومات البشر والواقع مها كان الثمن.

وعند مطالعة الرواية يمكننا أن نستشف بعض مظاهر الحياة الإجتماعية السياسية والإقتصادية السائدة في بلاد المغرب حينها (من الستينات حتى التسعينات زمن كتابة الرواية) والتي تشكل خصوصية هذا المجتمع وتميّزه عن بعض المجتمعات العربية الأخرى (كإقامة اليهود فيها وشهرتهم بممارسة السحر والشعوذة وتفوق المجتمع المغربي في هذه الممارسة التي أصبح يلجأ إليها ليس المغربي فقط للوصول ومن أجل تحقيق مطامح دنيوية فانية وزائلة وهذا الوصف التحليلي لهذه المظاهر وغيرها من المعتقدات الراسخة في المجتمع المغربي تساعد القارئ على فهم الأحداث وطبيعة الشخصيات وتسهّلأ وصوله واستيعابه للغرض والمغزى من العمل الروائي وتلقي رسالة الكتابة .

وما يمكننا قوله حول رواية (الفصل الأخير) أنّ الشخصية المحورية "عيشة أبو العزم"بطلة الرواية إمرأة مثقّفة ومتعلمة أصلها من مدينة مكناس المغربية لكنّها تعلّمت وتقيم في الرباط، واصلت تعليمها في فترة زمنية قلّ أو ندر إلتحاق المرأة المغربية فيها بالجامعة (الستينات من القرن العشرين أي فترة ما بعد الإستقلال) لهذا نجد آرائها ومواقفها من الحياة تختلف عن باقي النسوة التي يرين في الزواج حلما ومطمحا لابدّ من بلوغه وتحقيقه في سن مبكرة مهما كان شكله ونتائجه فهنّ لا يفكرنّ في الزواج باعتباره خطوة مصيرية وبداية حياة جديدة سيقدمنّ عليها، بل يرينه كفكرة وصورة وإنجاز أمام المجتمع عكس عائشة التي ترى أنّ المرأة المتعلمة أصبحت تختار ولا تتزوج لمجرد الزواج بل تتزوج في الوقت المناسب مع الرجل المناسب.

وموضوع الرواية هو حياة المرأة وصراعها في المجتمع المغربي والعربي بشكل عام، صراعها مع الرجل مع الثقافة والتقاليد وسعيها لتغيير السائد ومحاربتها الفكر الذي يراها كجسد فقط وإثبات قدراتها الفكرية والعقلية ورفض تلك الدونية والهيمنة التي سيطرت عليها لعصور من قبل النظام البطريكي وتحدّيها للصعاب التي تعيق وتحول دون وصولها لهدفها دون أن تكترث برأي الآخر فيها.

وتنقسم الرواية إلى ستة فصول تسرد البطلة في الخمسة فصول الأولى ذكرياتها بدءا من أيام الدراية في الثانوية سنة حصولها على البكالوريا فأيام الجامعة بصورة مختصرة ثم تجاربها في الحياة العملية وبعض العلاقات التي دخلت حياتها خلال هذه الفترة والتي فشلت إما بسبب السحر الذي تلجأ إليه بعض النفوس المريضة البعيدة عن ربّها أو بسبب النوايا السيئة التي يضمرها الرجل منذ بداية العلاقة والتي ترفضها عائشة باسم الدين والمبادئ والقيّم وبإيمانها

بقدرتها على تغيير تلك الصورة النمطية السائدة التي اقترنت بالمرأة لعصور وقدرتها على إختيار ورسم مسستقبلها لاسيما وأنّ المرأة اليوم أصبحت متعلمة ومثقفة وموظّفة، ولهذا نجد الزمن الموّظف في الرواية ينتقل بين إستعمال الماضي والمضارع ليأتي الفصل السادس والأخير سردا على لسان أحد زميلاتها في الثانوية التي اكتشفت عن حياة عائشة ما لم تعرفه هي بذاتها، ويمكن أن نقول أنّ فصول الرواية ليست مرتبة ترتيبا كرونولوجيا حيث تنتقل البطلة بين الأزمان على حريتها كل فصل يحكي أحيانا على أكثر من فترة زمنية واحدة في حياة البطلة، وفيما يخص البيئة المكانية للرواية فهي مدينة الرباط المغربية أين تقيم البطلة وتعمل كما نجد حضور لمدينة طنجة المغربية ومدينة مدريد الإسبانية والعاصمة الفرنسية باريس حيث سافرت البطلة للقاء بعض الشخصيات التي جمعتها معها علاقة في وقت من الأوقات.

أما من الناحية الزمنية فقد انتهت الروائية من كتابة الرواية في 5 ماي 1999 أما أحداث الرواية فهي تحكي على فترات زمنية سابقة كدخول البطلة الجامعة الذي حدّدته بفترة الستينات من القرن العشرين، أما التواريخ الموظّفة في الرواية والتي توضحّ الفترات الزمنية التي تلقت فيها البطلة الرسائل فهي تتنوع بين الستينات والتسعينات من القرن العشرين.

4-1-3-ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية حول الشابة المغربية عائشة أبو العزم المقيمة بمدينة الرباط مع والدتها أين زاولت دراستها وبدأت حياتها المهنية، تعيش البطلة مع والدتها معا منفصلتين عن الوالد الذي تزوج بامرأة أخرى ويقيم في مدينة مراكش المغربية، وتعود أصول البطلة إلى مدينة مكناس المغربية، تستهل البطلة الفصل الأول من الرواية بسردها وباسترجاعها لذكريات الثانوية حيث تحكي عن مدى صعوبة الدراسة مع الذكور في مغرب مابعد الإستقلال والتعامل معهم بفعل الأفكار والمعتقدات الزائفة التي غذّى بها المجتمع عقل كل من المرأة والرجل ضدّ الجنس الآخر وتتوصل إلى نتيجة مفادها أنّ المرأة بإمكانها أن تتغلب على هذه الغيلان حسب ما يصوّرهم الموروث الشعبي وإرهابهم داخل الفصل بعضلات العقل ما يجعل التعليم سلاحها للمواجهة والصمود والمطالبة بالتغيير، وإن كان هذا الجنس يكنّ نوعا من الخطر والتهديد لللجنس الأنثوي فهذا لا يجعله أكثر خطورة من جنس النساء وتأكدت من أكبر عدوّ للمرأة هو المرأة نفسها وهذا من خلال خيبتها في صديقتها التي غدرت بها ليلة إمتحان مادة الفكر الإسلامي، لتتذكر بعدها تجربة أحد زميلاتها الأخريات لطيفة البنت الغنية والجميلة والمتحررة التي لم تتم دراستها ولم تتحصل على البكالوريا لأسباب وأهداف دنيوية أخرى (المال، الغنى، السيارات والحفلات) تزوجت فرنسيا له أربعة أولاد ترك زوجته من أجلها وعيّنها للعمل كسكرتيرة في كلية الحقوق بحكم إتقانها للفرنسية غير أنّ والدها تبرأ منها بفعل هذه الزيجة التي لم تدم طويلا (حوالي أربع سنوات) ليعود الزوج إلى زوجته الأولى ويهجر لطيفة التي تأسفت عائشة لحالها عند لقاءها في أحد الشوارع وبريقها قد خطفته وسرقته منها الأيام، لتنتقل بعدها البطلة للحكي عن أوّل شخصية ذكورية سالم زميلها في الثانوية الذي افترى عليها حينها عند المراقب العام عاد من الماضي طارقا باب منزلها بعدما قضى شبابه وحياته في الولايات المتحدة الأمريكية وتحصل فيها على شهادة الدكتوراه استقبلته عائشة في منزلها لم تتعرف عليه في البداية لكنها سرعانما تذكرت ملامح وجهه واسترجعت معه ذكريات الماضي وعلاقتها بسالم العلاقة التي دامت عامين والتي سرعانما أنهتها بمجرد إدراكها لنوايا سالم وحقيقته فهو مجبل على الخيانة مثله مثل غيره من الرجال،وتسرد البطلة في الفصل الثالث من الرواية عن دخولها إلى الجامعة في فترة الستينات من القرن العشرين وعن خطابها الأوّل الذي تقدّم لها وهي في سن الثانية عشر والآخر في سن الثالثة عشر والذي لا تدري كيف حالفها الحظّ وطرده الوالد مثيرة بذلك قضية زواج القاصرات المستترة في بلاد المغرب والتي لا تزال تعاني منها بعض من المجتمعات الشرقية،ثم تنتقل للحكي عن عملها في إحدى الوزارات في سن العشرينات أين ظهر معجب آخر لها لكنه لم يكن متدينا ولا مؤمن بفكرة الزواج فرضته هو الآخر ليعود إليها بعد سنوات طالبا الزواج لكنها رفضته هي هذه المرة،ثم جاءها خاطب آخر رفضه والدها وجاء بآخر من معارفه من القرية أعجبت به وأحبته بفعل السحر لتعود وتنفصل عنه

أيضا بفعل السحر الذي كانت تمارسه أخته متطرقة في ذلك إلى ظاهرة السحر والشعوذة التي يشتهر بها المجتمع المغربي وإلى حدود حرية المرأة التي مهما بلغ جمالها وتعليمها ومنصبها تبقى دوما ضعيفة وبدون حيلة أمام السلطة الأبوية وإن كان في هذه الحالة من باب الإحترام والطاعة النابع من تخلّق وتديّن البطلة والتي عازت دون إقترانها وإرضاء العائلة والمجتمع بسبب عجزها عن إيجاد الزوج الصالح المثالي وذو النوايا الحسنة، وتواصل البطلة سردها عن معاناة المرأة في المجتمع ليس فقط كإبنة وحبيبة بل وأيضا كزميلة في العمل حيث تشير إلى الضغوطات النفسية التي كان يمارسها عليها المسئولون الذين تقلّدوا مناصبهم عبر الوساطة والشعوذة كبنعبد الله الذي لم يغفر لها إهانتها له ورفضها للخضوع والإستسلام له إلى حدّ دفعها إلى الإستقالة والتخلي عن منصبها،ليأتي بعدها إلتقاءها بالشاب الصحرواي كريم الذي قدم إلى المغرب وعرضت عليه إحدى معارفه إيزابيل في الصحراء الغربية الذهاب إلى عائشة لكي تساعده بحكم أنّ هذه الزيارة هي زيارته الأولى لبلاد المغرب فيبدأ بالتودّد إلى عائشة ويوهمها بأنّه جاد معها لكن على حدّ قوله فهو ملحد وبمجرد إنتقاله من المغرب إلى مدينة مدريد الإسبانية يرسل إلى عائشة رسالة يخبرها فيها بأحواله ويزوّدها بعنوانه في حال ما إذا أرادت زيارته لتصطدم عائشة عند ذهابها بزوجة وابن حديث الولادة وتستشف من خلال حديثها مع الزوجة أنها كانت موجودة في حياة كريم وقت زيارته للمغرب وأنّها كانت حاملا لهذا لم ترافقه وهي ذاتها ماريا التي كان يشبهها بها كريم وعندما تسأله عنها يقول مجرد موظفة إلتقاها أثناء عمله بجزر الكاناري،غير أنّ الحقيقة عكس ذلك تماما فهي لم تعمل أبدا ولم تسافر قط إلى جزر الكاناري لتصطدم عائشة من جديد بجنس الرجال ويخيب أملها فيهم.

أما الفصل السادس والأخير فتسرده أحد زميلاتها في الثانوية التي عادت وتذكرت عائشة برؤيتها لها في التلفزيون، وفرحت لنجاحها هي التي طالما انبهرت بذكاءها وشخصيتها، أما عن نفسها فتقول أنها تزوجت رجلا متدينا أو فقيها ودفنت نفسها في البيت مع الأولاد والحماة والأشغال حتى نسيت على حدّ قولها كيف تمشي أو كيف تقرأ جريدة وتواصل سردها لمعاناتها مع الحماة والمرض التي تبيّن في نهاية الأمر مع الطبيب أنّه ليس علّة جسدية بل نفسية سببها السحر الذي أنّ حماتها وزوجها الفقيه يبرعان فيه والذي كانت تعاني من آثاره ليلا ونهارا لتستفيق في أحد الليالي على أحد الكوابيس المزعجة التي اعتادت أن تراها بعد زواجها وركضت لتفسيرها في كتاب تفسير الأحلام وبمجرد فتحها للكتاب سقطت منه صورة عائشة أبو العزم مع مع ورقتين كتبهما زوجها الأولى تقضي بتعلقها بأحد الرجال والأخرى لحرمانها من الزواج بطلب من رجلين دخلا حياتها فتذكرت مباشرة مشاهدتها لعائشة في التلفاز الليلة السابقة وتذكرت سؤال المذيع لها إن كانت لم ترتبط لتتفرغ لعملها فأجابت عائشة أنّ الأمر قد يحتاج لكتابة رواية رواية لن تعرف أبدا فصلها الأخير.

ملاحظة: ذكرت الكاتبة ليلى أبو زيد في أحد حواراتها التلفزيونية أنّ رواية الفصل الأخير ليست سيرة ذاتية، يمكن أن يكون هناك تشابه كبير بينها وبين البطلة لكنها ليست هي.

4-1-4-الجانب النسوي في الرواية:

تسعى ليلى أبو زيد في رواية الفصل الأخير إلى مناقشة بعض القضايا المتعلقة بالمرأة في المجتمع المغربي من خلال سرد بعض التجارب التي عاشتها البطلة أو كانت شاهدة عليها والتي تسلّط من خلالها الضوء على أشكال التميّيز والإضطهاد الذي تعانيه المرأة المغربية والعربية بشكل عام في مجتمع عربي محافظ أين ارتبطت صورة المرأة بمجموعة من الأعراف والمعتقدات المتوارثة التي كرسّها الفكر والثقافة التقليدية بخصوصها،فتتعرض لقضية تعليم المرأة وصعوبة اختلاطها مع الذكور في البداية (بدايات التحاقها بالثانوي والجامعة) وتتطرق إلى قضية العنف الأسري الذي يكون ضحيته حتى الأبناء أحيانا وتطرح مسألة الدعارة وتعدد الزوجات وزواج القاصرات والعنف النفسي الذي تتعرض له المرأة في المجتمع إذا لم تتوفر فيها معايير الجمال المحدّدة من قبل المجتمع والكتعلقة فقط بالجانب والشكل الجسدي مهما كان سن المرأة ومنذ صغرها، كما تطرح أيضا مسألة الخيانة بأشكالها المختلفة مهما كان نوع العلاقة التي تجمع الجنسين زوجين أم حبيبين وتذكر أيضا مسألة السلطة الأبوية ومدى ضعف المرأة أمام قراراتها مهما بلغت درجة تعليمها وعملها ومسألة التحرش الجنسي أيضا والمضايقات والضغوطات التي تتعرض لها المرأة من مسئوليها في مجال العمل موضّحة في هذا كلّه مدى هشاشة المرأة في مجتمع تهيمن فيه السلطة والنظام البطريكي والمشاق التي تتعرض لها في سبيل تغيير العرف السائد والفكر المتوارث بحقها،وتذكر الكاتبة في كلمة الختام التي ألحقتها بالنسخة المترجمة من الرواية (الفصل الأخير) أنّ أعمالها أدرجت وصنّفت ضمن حقلين دراسيين هما نظرية ما بعد الإستعمار والآخر في إطار الكتابة النسوية وأُقرّت تقبلّها للتصنيف الأول ورفضها للثاني الذي كانت تحسبه كغيرها من الكاتبات تقليلا من شأن وتحقيرا لأعمالها الإبداعية لكن بعد إلمامها بمفهوم مصطلح النسوية تقبلّت التصنيف ووجدت أنّ أعمالها حقا تنتمي حقا إلى هذا الحقل الفكري الذي أصبحت تفتخر كونها تشكلّ جزءا منه وتسهم بدورها في التعبير عن صوت المرأة التي تشكلّ جزءا لا يتجزأ من المجتمع والتي كان لا بدّ لها من ظهور أدب يعبّر عن توجهها، موقفها، أحلامها وأهدافها في الحياة كونها تحيى مواقف وتجارب تختلف تماما عن تلك التي يسرد عنها أدب الرجال.

4-1-5-لـمـحـة عـن المـتـرجـم :

يعتبر جون ليتشي (John Lietchy) كاتب ومترجم مقيم بولاية كولورادو الأمريكية ويعمل كأستاذ في جامعة مسقط بعمان،قام بترجمة العديد من الأعمال الروائية العربية لا سيما المغربية منها مثل أعمال الروائي يوسف أمين العلمي وليلى أبو زيد، يثني عليه الكثيرون بسبب أسلوبه الكتابي المتميّز وبراعة نقله للأصل وتجدر الإشارة أنّ ههنا في هذا العمل (رواية الفصل الأخير) قام بالترجمة بالتعاون مع الكاتبة ليلى أبو زيد صاحبة العمل والتي سبق لها وأن مارست الترجمة ولها تجربة في هذا الميدان.

4-1-6-طـريـقـة الـتـرجـمـة:

تجدر بنا هنا الإشارة إلى أنّ النسخة الإنجليزية من رواية الفصل الأخير للكاتبة المغربية ليلى أبو زيد تمت ترجمتها من قبل المترجم جون ليتشي (John Lietchy) والكاتبة نفسها ليلى أبو زيد والتي كما ذكرنا في السابق لها خبرة سابقة في هذا الميدان ولهذا فإنه عند قراءة النسخة المترجمة من الرواية يشعر القارئ وكأنّه بصدد قراءة الرواية في نسختها الأصلية باللغة العربية حرصا من الكاتبة أن تصل روايتها للقارئ الأجنبي بنفس الروح والرسالة والمضمون وبذات الخصائص اللغوية والثقافية الحضارية التي تطبع خصوصيتها وأصليتها وروحها المغربية التي خشيت الكاتبة ضياعها وفقدانها إثر بعض الإنزلاقات التي قد لا يسلم منها أي مترجم أثناء نقله لأعمال أدبية مماثلة، وبهذا فقد جاءت الترجمة تقريبا نقلا تاما وحرفيا للأصل مع بعض التعديلات أحيانا من حذف وإضافة وتغيير التي تمّ إدراجها إما شرحا أو تبسيطا أو تسهيلا لمرور الرسالة إلى القارئ.

4-2-خـطــة التــحلــيــل:

لقد قمنا في الفصل التطبيقي من هذه الدراسة بدراسة المدونتين وعرّفنا بهما وبكاتبتيهما والمترجمين،كما ارتأينا تقديم ملخص عن الروايتين وذكر الجانب النسوي لكلتيهما وقبل الشروع في تحليل الأمثلة استهلينا الدراسة بالتعرض لجانب آخر من العمل الروائي يتأثر بدوره بعملية الترجمة ألا وهو الجانب الشكلي أو المظهر الخارجي للعمل وما يأتي معه من عنوان، والصورة المطبوعة على الغلاف ونص ظهر الغلاف إضافة إلى عنصرين آخرين يتم إرفاقهما عادة بالعمل الروائي ألا وهما المقدمة والخاتمة، سنقوم بمقارنة هذه العناصر جميعا بما يقابلها في النص المترجم ونرى هل تمّ الإبقاء عليها أو تمّ تغييرها أو تعديلها ولأي غرض .

وسنقوم في مايلي بعرض الأمثلة التي استخرجناها من الروايتين وأفردنا كل مثال برقم خاص لتسهل علينا المهمة أثناء التحليل، وأرفقنا الأمثلة المستخرجة من النص الأًصلي بما يقابلها من ترجمة من النص الإنجليزي المترجم، لنستعرض الأمثلة بعدها حسب ما تمليه أهداف البحث كلما وجدنا ظاهرة تستدعي النظر والتوقف.

سوف نقارن أثناء التحليل الأمثلة المترجمة بما يقابلها في النص العربي لنرى هل عمل المترجم على مراعاة النص الأصلي أم كان أكثر إهتماما بقارئ الترجمة، وسنبدي ملاحظات ونخرج باستنتاجات ونحاول التصويب بقدر ما نراه مناسبا.

لقد قمنا بتصنيف الأمثلة التي درسناها إلى أربعة مستويات هي:

أ- **المستوى المعجمي:**

تطرقنا في هذا القسم من الدراسة إلى مناقشة الأمثلة التي حملت بعض الإنزياحات والتغييرات على مستوى الوحدات المعجمية حيث تمّ استبدال بعض المفردات الواردة في النص الأًصلي بمفردات أخرى لا تطابقها من حيث المعنى في النص المترجم أو حذفها أحيانا مع تحديد غاية المترجم من اتخاذه لإجراءات مماثلة.

ب- على المستوى النحوي:

تطرقنا في هذا القسم من الدراسة إلى مناقشة الأمثلة التي لحظنا فيها بعض التغييرات التي مست الجانب النحوي بين النص الأًصلي والنص المترجم وحاولنا تحديد مدى ضرورتها في اللغة المنقول إليها.

ج- على المستوى الدلالي:

تعرضنا في هذا القسم من الدراسة إلى إقتراحات المترجم للتعبير عن الأمثال والخصائص الثقافية الموظّفة في النص الأصلي ومدى مطابقتها للمعنى المقصود من قبل الكاتبة في عملها.

د- على المستوى الأسلوبي:

احتوى هذا القسم من الدراسة على جملة الأمثلة التي تمّ فيها:

- إما حذف بعض العناصر والخصائص الثقافية لما قد تسببه من حساسية لدى المتلقي.
- إجراء بعض التعديلات والتغييرات بما يناسب فكر وثقافة المتلقي.
- الإبقاء على بعض الخصائص الثقافية والحضارية للنص الأًصلي لخلق الإختلاف الذي قد يبحث عنه قارئ الترجمة.

ولقد قمنا بإرفاق كل قسم من الدراسة بجملة من الإستنتاجات عدنا وذكرناها في نهاية التحليل على شكل خلاصة.

وفي الأخير سنختم بحثنا هذا بحوصلة أو بالأحرى بخاتمة نحاول الإجابة فيها عن التساؤل المبدئي الذي وضعناه في بداية هذه الدراسة.

4-3-تحليل ومناقشة أمثلة المدونة(رواية الفصل الأخير):

قبل البدأ في تحليل ومناقشة الأمثلة لتي استوقفتنا أُثناء دراستنا للنسخة المترجمة من الرواية والصادرة عن قسم النشر للجامعة الأمريكية بالقاهرة عام 2000 إرتأينا أن نناقش أو نتعرض لبعض النقاط الأخرى التي تخضع بدورها وتتأثر أحيانا بفعل الترجمة عن قصد أو عن غير قصد لأسباب وغايات متعددة غالبا ما تكون تجارية ولتكن البداية مع:

4-3-1-العنوان: تتعرض بعض عناوين الروايات أثناء الترجمة لبعض التعديلات أو التغييرات إما من قبل المترجمين أو بطلب من دور النشر بغرض الربح التجاري واستقطاب القارئ وتشويقه لمطالعة العمل نظرا للوظيفة والدور الكبير الذي يقوم به العنوان باعتباره الواجهة التي تعكس مضمون ومحتوى العمل،وهنا في هذه الحالة فقد احتفظت الرواية في النسخة المترجمة بذات العنوان وهو: (The Last Chapter) الذي يقابله باللغة العربية (الفصل الأخير) وهنا لا نعتقد أنّه كانت هناك إمكانية كبيرة للتغيير لا سيما أنّ العنوان عبارة عن جملة إسمية مكوّنة من مفردتين تمّ استبدالهما ببساطة بما يقابلهما في اللغة الإنجليزية، بينما لو احتوى على فعل أو كان أطول ولو بمفردة أو حرف واحد لأمكن التلاعب وإحداث تغييرات معينة فيه، ويمكن تغيير العنوان أحيانا لإزالة الغموض وتبسيط وتلخيص المحتوى أو تقديم فكرة للقارئ عما سيكون عليه موضوع الرواية في حين قد يكون ذلك الغموض مصدر حماس وتلهف القارئ لاكتشاف وفك وخوض غمار هذه المغامرة الجديدة فيكون بالتالي مصدرا لاستقطاب وإقبال القارئ على العمل، فهنا على سبيل المثال عنوان "الفصل الأخير" قد يحمل إيحاءات ومعاني مختلفة في أذهان الأفراد ولن تتضح الصورة ويفهم المعنى حتى يُتمّ القارئ قراءة الرواية فقد تُرك للقارئ العربي والغربي مهمة إكتشاف معنى العنوان،فقد وظّفت الكاتبة كلمة (الفصل) ككلمة مفتاحية في الرواية جاءت بمعاني مختلفة (قسم الدراسة، فصل من فصول الطبيعة، جاءت أيضا بمعنى إبعاد وتفريق ...وغيرها) غير أنّ المعنى الذي اتخذته كلمة الفصل في عنوان الرواية لن يفهمها القارئ إلى أن يُتم آخر جملة في الرواية فالفصل الأخير هنا متعلق بحياة البطلة التي ظنت أن حياتها يجب أن تُدوّن كرواية رواية لن تعرف أبدا فصلها الأخير حسب زميلتها في الثانوية لجهلها بالمسببات التي رسمت لها هذه الحياة وجعلتها تعيش تلك الأُقدار، فالفصل الأخير هنا اتخذ أحد المعاني التي تحملها هذه المفردة وهي قسم أو جزء من رواية أو كتاب لكنه هنا يوحي إلأى مصير حياة البطلة المجهول.

أما في ما يخص العنوان الذي اتخذته النسخة المترجمة من الرواية وهو (The Last Chapter) فهو مناسب تماما للعنوان الأًصلي ويمكن لقارئ الترجمة أن يخمّن مضمون الرواية حيث أنّ كلمة (chapter) باللغة الإنجليزية قد تعني أحد الفصول أو الأقسام أو الأجزاء التي يتكون منها الكتاب،كما قد ترمز إلى فترة معينة في حياة شخص ما أو حقبة

تاريخية معينة، كما قد يتم استخدامها للدلالة على رجال الكنيسة أو أن تتخذ معنى منظمة محلية وبنا أنّ المعنيين الأساسيين لكلمة (chapter) هما المقصودان من المفردة العربية (الفصل) فيمكن أن نقول أنّ الترجمة قد استطاعت أن تردّ المعنى الذي قصدته الكاتبة باللغة العربية ما يساعد قارئ الترجمة على تكوين فكرة مبدئية عن موضوع الرواية،ولهذا فإنّه في هذه الحالة لم تكن هناك حاجة لتغيير العنوان كما قد يحدث في بعض الحالات الأخرى، كما يحدث أحيانا وأن لا يغيّر المترجم شيئا في العنوان إما إيمانا منه واقتناعا بتوافق العنوان ومضمون الرواية أو لعدم قبول كاتب النص الأصلي ورفضه إجراء تعديلات مماثلة لعمله.

4-3-2- الصورة المطبوعة على غلاف النسخة الأَصلية والنسخة المترجمة:

طبع على غلاف النسخة الأصلية من الرواية صورة إمرأة تظهر هي وامرأتان أخريتان بالكاد تظهران من الوراء، المرأة مرتدية لباس محترم غير محجبة وحاملة حقيبة وكأنها بصدد المشي من خلال ملامحها (الشعر الأسود ، البشرة السمراء وطريقة اللباس) يتبيّن للقارئ أنّها عربية الأَل وليست أجنبية ومن خلال انحناءاتها أثناء المشي وطأطأتها لرأسها قد يتصور القارئ الكفاح والصراع الذي تعيشه هذه المرأة في مجتمعها،بينما طُبع على غلاف النسخة المترجمة من الرواية صورة إمرأة ذات بشرة سمراء وشعر أسود قصير جالسة على أريكة بطريقة مريحة وسط مكتبة من خلال قصة شعرها لباسها يتضح أنها أكثر حرية وتحررا من المرأة المصوّرة على النسخة العربية فهي مواكبة للموضة والعصر أكثر من الأخرى التي تبدو أكثر تحفظّا والتزاما، فالمرأة المصوّرة في النسخة المترجمة تبدو أكثر ثقة وقوة وكأنّها جالسة في مكان من حقها ناضلت وآمنت باستيعاده وجاهزة لمواجهة أي شيئ لأنها مؤمنة بقدرتها على النجاح والكتب التي وراءها تنبّئ القارئ بمدى وعي وثقافة ودرجة تعليم البطلة التي سيكتشفها بقراءته للعمل.

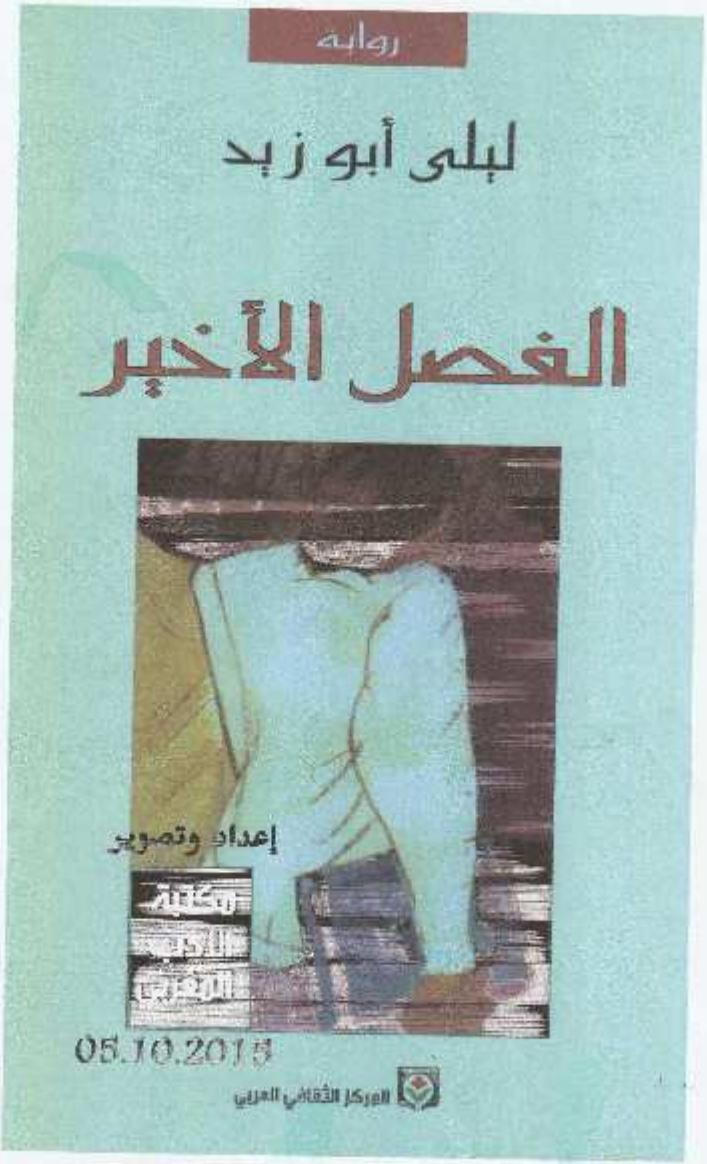
رواية
ليلى أبو زيد
الفصل الأخير
إعداد وتصوير
05.10.2015
المركز الثقافي العربي

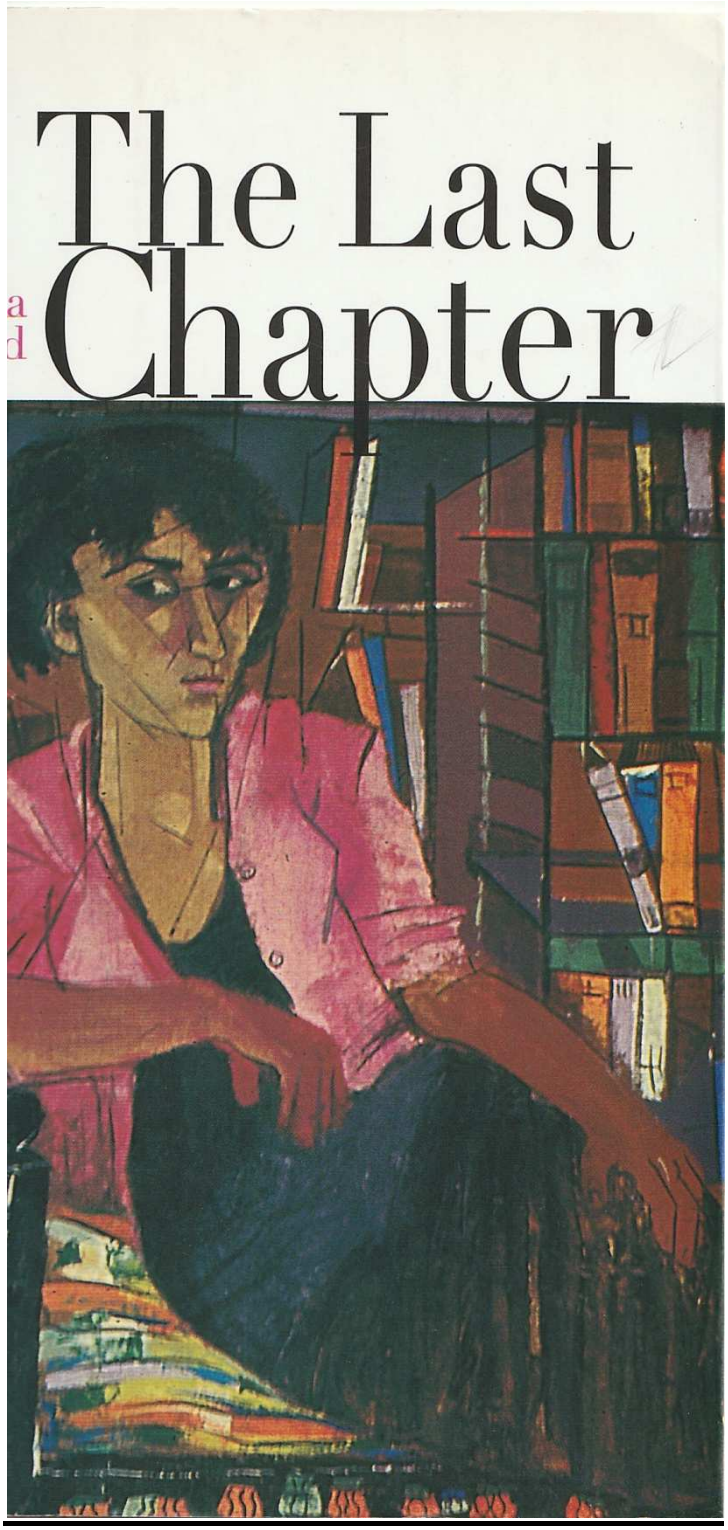
The Last
a
d
Chapter

4-3-3-نص ظهر الغلاف:

يظهر من خلال النص المطبوع على ظهر غلاف النسخة الأَصلية من الرواية محاولة تقريب القارئ وتعريفه بالكاتبة ليلى أبو زيد أسلوبها وطريقتها في الكتابة،اختيارها ومعالجتها للمواضيع،حبّها لبلدها واعتزازها بثقافتها ودينها،صدقها في كشف وسرد عيوب وخبايا المجتمع المغربي ومزاياه النابعة من رغبتها الصادقة في الإصلاح والتغيير الإيجابي، ما يجعل القارئ يتشوق لإلقاء نظرة على الواقع المغربي الذي تستمد منه الكاتبة مواضيعها وخوض تجربة العيش في هذا المجتمع الذي يزخر بتنوع ثقافي وحضاري بفعل التفاصيل التي تضمّنها الكاتبة في عملها هذا إلى جانب تزويد القارئ ببعض المعلومات عن السيرة الذاتية للكاتبة إنجازاتها، تعليمها وأعمالها ما يقدّم للقارئ فكرة عن مستوى الكاتبة وعن نوع الأعمال التي سيطالعها.

أما في النسخة المترجمة من الرواية فنجد ملخصا عن الرواية يتحدث عن جملة الأحداث التي ستعيشها البطلة وبالتالي الأفكار الأساسية التي ستناقشها الرواية، كما نجد لمحة أو مقتطف عن حياة الكاتبة وأهم إنجازاتها إضافة إلى شهادة بعض المجلات المشهورة عربيا وعالميا المثنة للعمل ما يعدّ حركة وفكرة جيدة لاستقطاب القارئ وإُثارة إهتمامه لمطالعة وإقتناء العمل لا سيما والطريقة التي كتب بها الملخص والمفردات الموّظفة فيه (كصراع المرأة لإيجاد هويتها، تقاليد المغرب ،الإسلام، الزواج، العلاقة بين الجنسين ودورهما في المجتمع، الحي،السحر والشعوذة، الصراع بين القيّم الدينية والقيّم الغربية ، اللغة الأم ولغة المستعمر....وغيرها) كلها تزيد من رغبة القارئ وإهتمامه لمعرفة ومطالعة تجربة البطلة وواقع الحياة في بلاد المغرب.

4-3-4- المقدّمة:

لا نجد في النسخة الأصلية من الرواية ولا في النسخة المترجمة أي مقدمة للعمل لا من قبل الكاتبة نفسها ولا من طرف كتّاب آخرين غالبا ما تستعين بهم دور النشر أو كاتب العمل الأصلي للإشادة بالعمل وتثمينه في عين القارئ وكلما كانت الشهادة من قبل أدباء مشهورين وكبار كلما زادت قيمة العمل وفرص نجاحه وغالبا ما تثبت هذه الشهادات صحتها بجودة وإبداع وجمال مضمون هذه الأعمال،كما أنّ كتابة المقدمات يعدّ أحد الأساليب المنتهجة من قبل المترجمات النسويات كوسيلة وأداة لإبراز وإعلاء صوتهن بخصوص بخصوص العمل المترجم وفي هذا العمل نجد أنّ المترجمة لم تلجأ إلى هذا النوع من الإجراءات المستعملة غالبا في الترجمة النسوية .

4-3-5-الخاتمة:

غالبا ما تضمّن الأعمال الروائية بكلمة ختامية يوجّهها الكاتب لقراءه عند نهاية الرواية وقد جاء في رواية الفصل الأخير كلمة ختامية كرسالة للقارئ امتدت على بياض ستة صفحات سردت فيها الكاتبة تجربتها مع الكتابة لأول مرة مع رواية عام الفيل وكيف أنها كانت تكتب لإرضاء القارئ لا الناقد وكيف تفاعل معها الجمهور وأعجبوا بالعمل رغم إهمال النقاد لها وتجاهلهم لإبداعها الذي لم تظهر قيمته على الساحة الأدبية المغربية والعربية إلا بفعل الترجمة وإهتمام النقّاد والمدارس الغربية به وكيف استطاعت النجاح والظهور بفضل القارئ لاب فضل الوساطات والدعم السياسي الذي كان يعدّ المحرك الأساسي للنجاح في مغرب تلك الفترة،ووسط جهل النقاد لمفهوم كلمة نقد التي استمدوها كغيرها من المصطلحات والمفاهيم من المدارس الغربية ويحاولون تطبيقها وتقليد الغرب بجهل تام للأسس والركائز التي يقوم عليها هذا المفهوم، أما عن المشرق العربي فقد رأت أنّه أهمل عملها لمجرد صدوره من كاتبة مغربية وكما قال أحد الأدباء أنها لوكانت من المشرق لكانت حققت نجاحا وصدى كبير ما يبيّن التمييز وبعض التعصب الذي كان يحكم الساحة العربية حينها،ومن خلال هذه الكلمة يمكننا أن نستشف أنّ الكاتبة قد عبّرت عن الصعوبات التي تواجه المرأة الكاتبة وعدم الإعتراف بجهودها وإمكانياتها التي لم تقدّر في وضعها هي حتى بعد إهتمام دور النشر الغربية بعملها وبهذا فقد كانت الخاتمة نسوية لكن بقلم الكاتبة.

كما أرفقت النسخة المترجمة أيضا من الرواية بكلمة ختامية حاولت من خلالها الكاتبة أن تعرّف نفسها لقارئ الترجمة وتسرد له بداياتها مع تجربة الكتابة التي شرعت فيها أو اكتشفت ولعها بها منذ الصف الرابع إبتدائي وحبّها الكبير للغة العربية التي كانت تدرسها إلى جانب لغة المستعمر الفرنسي والتي حزمت على أن لا تستعملها خارج المدرسة تقول هذا الموقف والقرار الذي اتخذته في سن مبكرة أتت بثمارها حيث جنّبها أن لا تكون أحد هؤلاء الكتّاب الذين ينتجون أدبا محليا بلغة أجنبية وتصنّف أعمالها ضمن أدب ما بعد الإستعمار.

كما لم تتوان عن ذكر العلاقة المتوترة التي كانت تربطها باللغة الفرنسية ولجوئها واستعمالها للغة الإنجليزية التي وإن كانت لغة المستعمر أيضا إلا أنها لا تحمل ذات الشحنات السلبية التي قد تذكرها بجروح الماضي والتاريخ والتجارب المريرة التي عاشها شعبها وبلدها مع المستعمر الفرنسي، تقول أنها حتىّ بداية التسعينات بدأت تشعر بنوع من التصالح مع اللغة الفرنسية ورغبة في إستعمالها من جديد والتواصل مع شعبها وبلدها،غير أنّ شغفها وحبها للغة العربية فاق كل الحدود لذا رغبت في أن تصبح صحفية أو مذيعة أو الأُثنان معا عند إتمام دراستها.

ذكرت الكاتبة بعدها الوظائف التي شغلتها عندما كانت لا تزال طالبة جامعية والأخرى التي زاولتها بعد الدراسة، والأشواط الأولي التي قطعتها ككاتبة والتحديات التي خاضتها،

التجارب التي ألهمتها والإنتقادات التي تعرضت لها من قبل النقّاد وخاصة الرجال منهم الذين لم يعرفوا كيفية التعامل أو الردّ على هذه الظاهرة الغريبة في الوسط الأدبي المغربي والإهمال والنجاهل الذي طالها من قبل المشرق العربي والنجاح والشهرة التي ساعدتها الترجمة على بلوغها.

صرّحت الكاتبة أيضا أنّ تصنيف أعمالها ضمن أدب ما بعد الإستعمار والأدب النسوي جعلها تفضّل الخيار الأول عن الثاني الذي كانت تراه تقليلا من شأن إبداعها لكن وبعد إطلاعها أكثر على مفهوم النسوية تأكدت أنها كانت تنتج أدبا نسويا عن غير قصد واقتنعت بوجوده وتفتخر لإسهامها فيه.

وأنهت الكلمة بتذكيرها بالصعوبات التي يواجهها الكاتب في المجتمع المغربي والطاقة الكبيرة التي تتطلبها هذه العملية الإبداعية التي تجدها أًصعب بكثير من إقناع المجتمع الذكوري والتسرب داخل المملكة الأدبية الذكورية باعتبارها امرأة.

من خلال الكلمتين الختاميتين المرفقتين بالرواية الأصلية والنسخة المترجمة يتضح للقارئ أنّ المضمون مختلف وأنّه ليس ترجمة للكلمة التي كتبتها الكاتبة في الرواية الأصلية بل هي كلمة أخرى اختارتها خصيصا للقارئ الأجنبي، وبهذا تكون أيضا الخاتمة في النّص المترجم من غير تأليف المترجمة بل ترجمة لكلمة أخرى إختارتها الكاتبة خصيصا للقارئ الأجنبي، فلم تكن مساحة تبدي من خلالها المترجمة موقفها من النص المترجم مثلما قد تتخذها بعض المترجمات النسويات وهذا قد يكون عائدا إلى عدم مقاومة المترجمة للنص أثناء عملها وعدم تعارضه مع مبادءها وفلسفتها في الحياة.

4-3-6-الهوامش:

استعملت الكاتبة الهوامش في نصها إما شرحا للهجة المغربية التي وظفتها في نصها غالبا في الحوار بين الشخصيات لإضفاء الروح والطابع الثقافي المغربي على النص، أو شرحا لبعض الألفاظ التي قد يستعصي على القارئ إدراك معناها في اللغة العربية، أو تفسيرا لبعض الأقوال الشعبية المغربية المرتبطة ببعض الوقائع التاريخية والإجتماعية لبلاد المغرب، أما النسخة المترجمة فنلاحظ أنّ المترجمة لم تلجأ إلى الهوامش لا تفسيرا للقارئ الأجنبي ولا لإبداء رأيها أو موقفها مما يذكر في الرواية، علما أنّ الهوامش تعدّ أيضا أحد الأساليب المنتهجة من قبل المترجمات النسويات كمساحة وفضاء للتعبير عن موقفهن النسوي ونصرة قضيتهنّ.

4- 3-7-خصوصية الفعل الترجمي وعبقرية اللغات:

مثلما سبق وذكرنا في الفصول النظرية آنفا أنّ فعل الترجمة نشاط وممارسة لغوية خاصة جدا وحساسة لقيامها أساسا على نظامين لغوين مختلفين لكل منهما عبقريته الخاصة به وقواعده وأسسه النحوية والصرفية التي يقوم عليها وخصوصياته الأسلوبية التي تمتد جذورها للمحيط والثقافة التي ينتمي إليها ما يجعل فعل الترجمة بانتقاله من نظام لغوي إلى نظام لغوي آخر يصادف بعض العراقيل التي يجهد المترجم لتجاوزها لكنها تؤدي أحيانا إلى بعض الإنزياحات الناتجة عن طبيعة هذا النشاط الذي يقتضي إنتقال المترجم بين لغتين مختلفتين، وفيما يلي سنحاول مناقشة بعض الأمثلة التي استخرجناها من النسخة الأصلية وترجمتها باللغة الإنجليزية واستنادا إلى التراتبية اللغوية التي تفرض نفسها على المترجم، سنرى إلى أي مدى حاول مترجم رواية الفصل الأخير وبمساعدة من الكاتبة ليلى أبو زيد أن يحافظ على النص الأصلي وأن يكون أمينا في نقله للعمل للقارئ الأجنبي، سنحاول أن نكتشف إلى أي طرف إنزاح المترجم أكثر هل كان حريصا على أن ينقل النص الأصلي بأمانة أم فكّر بقارئ الترجمة أثناء النقل، كل هذا وذاك سنحاول التعرض له من خلال الأمثلة التي صنّفناها كالتالي:

4-3-7-1-على المستوى المعجمي:

تجدر بنا الإشارة هنا إلى أنّ الأمثلة التي سنحللها هنا تمثّل بعض الإنزياحات التي طرأت على النص الأصلي أثناء عملية الترجمة حيث تمّ استبدال بعض الوحدات المعجمية بوحدات معجمية أخرى لا تطابقها تماما من حيث المعنى وهذا ما سنتطرق له فيما يلي:

1- ما العمل يارب؟ ص:8

1- What could I do ?

لا نجد في هذا المثال مقابل للمفردة العربية (ياربّ) والتي غالبا ما توظّف في حالات الحيرة أو الخوف عندما تضيق الأمور بالشخص فيعتقد أنّه لا سبيل لخروجه من الأزمة التي يعانيها فيلجأ إلى التضرع إلى الله ويدعوه أن يفكّ عليه كربه ويعينه على الخلاص وإيجاد مخرج وحل للمشكلة التي يعاني منها، فجاءت العبارة الإنجليزية (What could I do ?) كمقابل للعبارة العربية "ما العمل يا ربّ؟" ولقد أدّت المعنى العام الذي قصدته الكاتبة في النص الأصلي حتى ولو أنّ الترجمة الحرفية للعبارة تعطي:"ما ذا كان بإمكاني أن أفعل؟ "تماشيا والزمن الماضي الذي صرّفت باقي الأفعال في الرواية في نسختها المترجمة والتي توافق في معظمها طبيعة السرد في الرواية الأصلية، إلاّ أنّنا نلاحظ أنّ صيغة النداء "يا

ربّ" قد تمّ حذفها في الترجمة لأنّها مألوفة ومقبولة لدى القارئ العربي لخلفيات دينية ثقافية يؤمن بها لكنها قد لا تؤثر في القارئ الأجنبي ولا يكون لها ذات الصدى في نفسه مثلما قد يحصل مع القارئ العربي،ولهذا يمكن أن نقول أنّ المترجم فضّل استراتيجية التغريب التي يدعو لورانس فينوتي لتطبيقها على النص الأدبي.

2- أنا شخصيا أفضّل مجابهتهم ص5.

Yet I learned to prefer interaction with men. P1

نجد في هذا المثال أنّ مفردة (شخصيا) لا يوجد لها مقابل في الترجمة الإنجليزية وبالنسبة للفعل(أفضّل) تمّ إضافة فعل آخر وهو (to learn) ما يعطينا (تعلمت أن أفضّل) مقابل (أفضّل) أما مفردة (مجابهتهم) فقد تمت ترجمتها ب(interaction) التي تعني تفاعل أو إختلاط ما لايردّ المعنى الحقيقي للمفردة العربية والمعنى الذي قصدته الكاتبة فالفعل "جابه" من الأفضل أن يترجم ب (to face) الذي يحمل معنى التنافس والتحدّي،ونلحظ من خلال الترجمة أنّ المترجم لم ينقل مفردة"شخصيا"التي من دورها إبراز والتأكيد على الهوية الأنثوية لدى الكاتبات النسويات ،كما نجد في هذا المثال دعوة الكاتبة المرأة إلى المواجهة والتفاعل مع الرجل في المجتمع والتحرك من أجل استرداد حقوقها والمكانة التي تستحقها في المجتمع وقد تمّ نقل هذا المفهوم النسوي إلى اللغة الإنجليزية.

3- استدعانا الحارس العام.ص6

The director called us into his office.p2

نجد هنا أن عبارة (الحارس العام)قد تمت ترجمتها ب (director) التي تعني المدير ومهام المدير تختلف تماما عن مهام الحارس العام لهذا نرى أنّ مفردة (the director)لا تردّ المعنى الحقيقي الذي قصدته الكاتبة والذي كان بالإمكان ترجمته ب (assistant principal.) ونلحظ من خلال هذا المثال أنّ المترجم لجأ إلى أسلوب الترجمة الحرفية أحد أساليب الترجمة المباشرة التي صنّفها بول فيني وجون

داربلني كاستراتيجية من استراتيجيات الترجمة التي يمكن تطبيقها على النصوص الأدبية.

4- إنّ باحثا قد أدخل نملة على قرية لا تنتمي إليها. ص6

Our science teacher told us about some research project in which an ant was introduced into an established colony.

تمت ترجمة مفردة (قرية) في هذا المثال بعبارة (established colony) فكلمة (قرية) التي تقابلها عادة مفردة (village) باللغة الإنجليزية تمّ استبدالها هنا بعبارة (established colony) ونرى أنّ المترجم نجح هنا في نقل المعنى الحقيقي الذي أرادت الكاتبة إيصاله للقارئ فالمقصود هنا ليس القرية التي نعرفها والتي يعيش فيها البشر بل المقصود منها خلية تمّ انشاؤها بغرض تحقيق تجارب معينة.

5- قالت لهذه"انظري إلى ثنيته الساقطة".ص6

This is one he pointed to me…she told her friend there to look at the brèche-dent between my tooth.p3

تمت ترجمة عبارة (ثنيته الساقطة) بالعبارة الفرنسية (brèche-dent) في حين كان يمكن ترجمتها باللغة الإنجليزية باستبدالها بالعبارة (gap toothed) أو (the gap between my tooth) للدلالة على الفجوة أو الفراغ الموجود بين أسنان المتحدث.

6- نعجب أن يخرج الكلام من فمنا فرنسيا.ص6

We squirmed and hoped our’ s head been adequately French.p2

تمّ استبدال الفعل (نعجب) بعبارة (We squirmed and hoped) التي يقابلها في اللغة العربية عبارة (خجلنا وأملنا) والتي لا يقصد بها التعجب والتي كان يمكن التعبير عنه بالفعل (to astonish , to surprise)،يمكن القول أنّ المترجم هنا

اعتمد أسلوب التصرف في نقله لهذه العبارة حيث أنّه عمل على نقل معنى العبارة دون الإهتمام كثيرا بالجانب الشكلي،ونلحظ في هذا المثال موقف الكاتبة النسوي من الإستعمار الغربي ولغة المستعمر حيث تبرز بوضوح عدم رغبتها في استعمال اللغة الفرنسية وتمسكها بهويتها العربية الإسلامية وتمّ نقل هذا المفهوم إلى القارئ الأجنبي .

7- يا لطيف ! وبدأت تصاحب أصحابه.ص15

Then she started dating her father's friends.what a whore !

هنا سنركز في هذا المثال على عبارة (يالطيف !) وهي صيغة أو عبارة نستعملها كثيرا للتعبير عن اشمئزازنا من شيئ ما ولطلب اللطف من الله عزّ وجلّ كي ينجينا ويحمينا من مطبّة الوقوع في أخطاء وحالات نخشى وقوعها، وفي هذه الجملة تمّت ترجمة عبارة (يالطيف !) ب (! what a whore) والتي يقابلها في اللغة العربية عبارة (يالها من فاسقة) وهي عبارة شتم مألوفة لدى القارئ الأجنبي تمّ استعمالها لوصف الحالة أو الرذالة التي وقعت فيها هذه الشخصية،لكن كان بإمكان المترجم نقل العبارة العربية (يالطيف !) والتي يقالبها (O my God! Good Heavens !). ،غير أنّه نلمس في هذا المثال أحد مواقف النسوية العربية من الدعارة وتمّ نقل هذا الموقف إلى القارئ الأجنبي حيث ركزّ المترجم على نقل المعنى المقصود من وراء مفردة يا لطيف وأبرز صوت الكاتبة وموقفها من هذا النوع من العلاقات المحرّمة .

8- سبحان الله كيف يستحيل الجمال قبحا.ص16

God have mercy ! that radiant dignity turned to darkness.p11

تمّت ترجمة عبارة (سبحان الله) في هذه الجملة بعبارة (Good have mercy !) وهذه الترجمة لا تردّ المعنى الحقيقي الذي تحمله عبارة (سبحان الله) والتي كان يجب ترجمتها ب:(! Glory to God) التي تحمل في طياتها معنى القوة والمقدرة واستعجاب الإنسان من قدرته عزّوجلّ ،ولا تتوانى الكاتبة في كل

مرة إبراز تمسكها وتعلقها بالدين الإسلامي وهذا يظهر بوضوح في اللغة الموّظفة والإستشهادات والتعابير الدينية المستعملة لتبرز للقارئ أنّ الدين جزء لا يتجزأ من حياة المرأة والمجتمع العربي الإسلامي.

9- أنا لا أُقول إنّ هناك مجتمعا ذكوريا شريرا ومجتمعا أنثويا طيّبا.ص7

I am not suggesting that male society is evil and female society good .p3

نلمس في هذا المثال موقف نسوي آخر للكاتبة حيث أنّها تبرز أنّها لاتجزم بطيبة المجتمع الأنثوي كافة ولا بأنّ الشر مسيطر على كافة المجتمع الذكوري ،وقد تمّ نقل هذا الموقف بحرفية للقارئ الغربي .

10- لا تذكرينني.ص:17

You do not know me ? said the face.p11

هنا أيضا تمت ترجمة الفعل (تذكّر) بالفعل (to know) الذي يقابله في اللغة العربية (عرف) حيث كان بالإمكان ترجمته مباشرة بالفعل (to remember)الذي يعني (تذكّر).

11- كأنّها شهادة دكتوراه.ص:22

Better than a PhD. P16

تمّ استبدال في هذه الجملة حرف التشبيه (كأنّ) بصيغة التفضيل (Better) التي تعني (أفضل) في حين كان يمكن ترجمة الحرف (كأنّ)ب : (the preposition like) والتي تردّ معنى العبارة العربية.

12- وعادت صورة زميل لبناني متديّن.ص33

I remembered a Libanese friend from my student days in the states ,a fundamentalist who anounced one day..p24

تمتّ ترجمة مفردة (متدين) ب المفردة الإنجليزية (fundamentalist) التي تحمل في طياتها معنى التعصب والتطرف في حين كان يمكن ترجمتها ب (religious or pious or devout) التي تؤدي معنى المفردة العربية التي قصدتها الكاتبة والتي أرادت من خلالها أن تصف الصديق بتطبيقه والتزامه بتعاليم الدين وابتعاده عن المحرمات والمكروهات، أما عن استعمال لفظة (fundamentalist) فهو يوحي عن المعتقدات المتجذرة الخاطئة التي كوّنها الآخر الغرب عن الإسلام والمسلمين بفعل تأُثير بعض الجهات ووسائل الإعلام الغربية التي تسعى إلى تشويه صورة العرب والإسلام ،ومن خلال المثال أيضا تبرز الكاتبة أنّها شديدة التعلق بدينها حتى أنّها تختار من الأصدقاء المتدينين وبهذا نلحظ أنّ الدين يشكّل أحد أهم المقومات التي تقوم عليها النسوية العربية .

13- هل تترك أنت دينك من أجلها؟ أبدا....ص34

Would you give up yours for her ? don’t be ridiculous.p25

كان يمكن ترجمة (أبدا) في هذا المثال بالمفردة الإنجليزية (never) التي تعني إطلاقا لكن المترجم استعمل عبارة don t be rediculous والتي يقابها باللغة العربية عبارة (لا تكوني سخيفة) والتي قد تحمل في طياتها مفهوم الإستحالة لكن كما قلنا كان يمكن ترجمتها ببساطة ب (never) ،وبهذا نرى أنّ صديق الكاتبة متعلّق بالدين مثلها تماما فالدين أحد الركائز الأساسية التي تقوم عليها النسوية العربية كما لمحت إلى أنّ الصداقة بين الجنسين في المجتمع العربي أمر طبيعي في حدود الإحترام وعندما يكون للجنسين ذات المستوى التعليمي والتوجه الفكري ويكونان على دراية بتعاليم الدين وعنما يعامل كل منهما الآخر بتقدير وإحترام ومساواة.

14- لا إله إلاّ الله ص27.

God have mercy !p20

تمت ترجمة عبارة (لا إله إلا الله) في هذا المثال بالعبارة الإنجليزية (God have mercy) والتي يقابلها باللغة العربية عبارة (الرحمة ياالله) وهي بعيدة تماما عن معنى عبارة (لا إله إلا الله) التي تجدر ترجمتها ب(There is no God but God).

15- مأخوذة بالحرف العربي من القرآن.ص12

What does it mean when even Arabs close their ears to the wisdom of the prophet' s words .p8

نجد في هذا المثال أنّ المترجم استبدل مفردة (القرآن) بعبارة (the prophet s words) أي كلام النبي عليه الصلاة والسلام وهذا يعدّ خطأ وتحريفا وتشويها للحقائق والعقيدة الإسلامية فالقرآن الكريم أوحي إلى النبي عليه الصلاة والسلام لكنه كلام الله عزّ وجلّ لهذا هنا كان يجب ترجمة كلمة القرآن بما يقابلها مباشرة في اللغة الإنجليزية وهي (the koran or the holy Koran).

16- لولا لطف الله والتعليم لكنت الآن أربي في الأيتام.ص56

But for God' s grace and education I could have ended up a teenage with a litter of children to bring up.p45

تمّ في هذا المثال استبدال كلمة الأيتام بعبارة (a litter of children) والتي يقصد بها مجموعة من الأطفال لكن لم يتمّ تحديد أنّ هؤلاء الأطفال أيتام حي كان يمكن ترجمة المفردة العربية مباشرة بكلمة (orphans) والتي تردّ معنى المفردة العربية،

ومن خلال هذا المثال أبرزت الكاتبة موقفها النسوي من زواج القاصرات وما يترتب عنه من عواقب تؤثر سلبا على حياة المرأة وقد تمّ نقل هذا الموقف للقارئ الأجنبي غير أنّه لم يحدّد المترجم أنّ الأطفال أيتام وأنّهم نتاج زواج شرعي بل اكتفى فقط بذكر (مراهقة تربي مجموعة من الأطفال) كطريقة لتغريب النص العربي لكنّه لا يبرز موقف النسوية العربية .

17- تتكلم العربية ولكن روحها مسيحية حتى النخاع.ص57

Although she spoke Arabic ,her attitudes and behaviour were distinctly un-Morrocan. P46

لم تترجم هنا كلمة (مسيحية) باللفظة الإنجليزية (christian) التي تردّ المعنى الذي قصدته الكاتبة باللغة العربية بل ترجمت ب (un-Morrocan) وهذا قد يحمل معاني أخرى غير التي قصدتها الكاتبة فغير مغربية قد تجعل منها عربية لكن من بلاد أخرى ولا تعني بالضرورة أجنبية غير مسلمة ولهذا كان من الأفضل لو ترجمت ب (christian) التي تقابلها كلمة (مسيحية) باللغة العربية، ربما لم يرد المترجم استعمال لفظة (christian) لتفادي أي حساسية قد يشعر بها القارئ الأجنبي لكننا لا نرى أي حرج في استعمال هذه المفردة فهي بالنتيجة ديانة من الديانات التي تعتنقها البشرية،وهنا أيضا تأكّد الكاتبة موقفها من الدين وتبرز مدى تمسكها به غير أنّ المترجم لم ينقل هذا للقارئ الأجنبي كما توضّح أيضا التنوع الثقافي والديني الذي يحتضنه المجتمع المغربي وحرية الأفراد في اعتناق الديانات وأنّ النسوية العربية نشأت في ظلّ هذه الإختلافات وتحترمها غير أنّ لها توجهات ومبادئ خاصة بها تقوم وترتكز بشكل أساسي على الدين الإسلامي.

18- مع أنها تبيع الحب.ص69

- الرخيص.

Was she that bad ?
I ve said what I think.p59

هنا تجنّب المترجم ذكر أي عبارة توحي بممارسة الفسق واستبدله بعبارة (was she that bad) التي تعني وهل كانت بهذا السوء في حين كان بإمكانه مثلا أن يستعمل عبارة (even though she was a prostitute)،يظهر من خلال هذا المثال موقف النسوية العربية من العلاقات المحرّمة التي تكون خارج إطار الزواج غير أنّ المترجم لم يبرز هذا للقارئ الأجنبي.

19- أصبح التدين في زمانهم آفة.ص62

Now my faith was considered to be a defeat.p50

تمّ في هذا المثال ترجمة كلمة (آفة) التي قصدت بها الكاتبة معضلة أو مشكلة عويصة أو تخلف وحالة ينفر منها ولا يستحب لقاءها، لكنها ترجمت هنا بكلمة (defeat) والتي يقصد منها هزيمة في حين كان يمكن ترجمتها ب (blight) أو(plague) أو (scourge)التي تردّ معنى المفردة العربية ،هنا تبرز الكاتبة مرة أخرى أنّها شخصية متدينة وأنّها تسيّر حياتها وفق تعاليم الدين الإسلامي ووفق القيّم الإسلامية العربية وأنّ مطالبة المرأة العربية بحقوقها وطرحها لانشغالاتها في ظلّ النظرية النسوية لا يعني بتاتا انفصالها أو ابتعادها عن تعاليم الدين الإسلامي بل على العكس فإنّ النسوية العربية تبنّت هذه النظرية وفق قيمّ مجتمعها العربي الإسلامي وعمل المترجم على نقل هذا المفهوم للقارئ الغربي .

20- انظري إلى الأُقدار.ص62

What a life ! p51

كان يمكن هنا ترجمة كلمة (القدر) ب (destiny)أو (fate) بدلا من كلمة (life) التي تعني الحياة، فعبارة(what a fate !) or (what a destiny تكون مناسبة جدا للعبارة العربية (انظري إلى الأقدار)، يظهر من خلال هذا المثال إيمان الكاتبة بالقضاء والقدر الذي يعدّ أحد صفات المؤمن التقيّ ويعتبر هذا تأكيدا على أنّ الدين أحد الركائز الأساسية التي تقوم عليها النسوية العربية غير أنّ هذا الحسّ الديني لم نلمسه في النصّ المترجم .

21- التقيته في الحج82.

I met on the hajj.p78

تمّ في هذا المثال ترجمة الكلمة العربية (الحج) ب (the hajj) رغم أنّه كان باستطاعته ترجمتها بالكلمة الإنجليزية (pilgrimage) لكنّه فضّل كلمة (hajj) التي دخلت القاموس الإنجليزي عبر أسلوب الإقتراض الإختياري .

22- وجدت أمي في وجهي تقول ملمحة:ستتخاطفه المغربيات.ص148

"Dont be too hopefull "she said pointedly ,some Moroccan girl will snap him up .p98

تمّ في هذا المثال ترجمة مفردة (ملمحة) باللفظة الإنجليزية (pointedly) والتي يقصد بها مباشرة وصراحة وهذا لا يطابق معنى المفردة العربية حيث كان يمكن مباشرة استبدالها بالفعل (لمّح) الذي يقابله في اللغة الإنجليزية (to hint)، كما طرحت الكاتبة من خلال هذا المثال مسألة الزواج الذي يعتبر أحد أهداف المرأة في المجتمع العربي في ظلّ إرتفاع نسبة العنوسة ويعتبر هذا أحد إنشغالات النسوية العربية التي تؤكد على أهمية هذا الرباط المقدّس لكن تحاول أن تظهر للمرأة أنّه يفضّل أن تكون مستقلة على زوجها ماديا وأن تزاول تعليمها وتكون لها حياة خاصة بها تكمّل الطرف الآخر .

23- لماذا يستمر الإنسان في أذية الإنسان أذكر مادوموازيل دوز،أستاذة الفرنسية في مدرسة البنات ، كانت صارمة ومهابة وفجأة تحطمت، كأنّها ماتت ولم يبق إلاّ الجسد .....كانت نظرة منها كفيلة بإحلال الصمت والإنتظام وفجأة بدأت بنات صغيرات يطبلن ويرقصن على الطاولات وهي تلقي درسها فتلوذ بالركن خلف مكتبها ، مرعوبة مكسورة إلى أن تأتي الحارسة العامة لتعيد النظام .....مع أنّها

فرنسية وعلاقتنا بالفرنسي وإن عاش على أرضنا ،علاقة بالشخص لا بالإنسان ،أحزنني ما آلت إليه.ص9

Why do human beings delight in hurting others , I think of Mademoiselle Doze, a teacher of French I had at the girls¨school . She was impregnable as a mountain,yet all of a sudden went to pieces …..a glance alone was sufficient to command an instantaneous stir of activity…then one day ,one girl after another stepped free and started banging desks or dancing about the room in the middle of a lesson .Mademoiselle Doze cowered behind her desk,terrorized and defeated,until the director burst in to restore order….I felt sad for Mademoiselle Doze ,even if she was French .p5

تبدي الكاتبة من خلال هذا المثال انشغال نسوي آخر حيث تبرز أنّ المرأة أحيانا قد تعاني الإضطهاد من الجنسين معا أي من قبل الرجل والمرأة في الوقت ذاته وهذا ماحصل مع معلمة اللغة الفرنسية التي انهارت نفسيتها عندما تخلى عنها خطيبها وبدل أن تجد الدعم والمواساة من قبل طالباتها إلا أنّهن استغللن ضعفها وكنّ يستمتعنّ في أذيتها ومعاناتها ،فتكون بالتالي المرأة أحيانا أحد أسباب إضطهاد المجتمع لها وتكرّس أحيانا بنفسها السلطة الذكورية في المجتمع والمكانة المتدنية والمواقف التقليدية التي كوّنت بحقها،كما طرحت الكاتبة أيضا من خلال هذا المثال موقفها من المستعمر الفرنسي ونظرتها له هذا ما يوضح تصنيف البعض لكتاباتها ضمن إطار نظرية ما بعد الإستعمار لكن ورغم هذا فإنّ صوتها النسوي قد طغى ولو بشكل قليل على شعور الكراهية الذي تكنّه للمستعمر الفرنسي ما جعلها تتضامن وتشفق على معلمة اللغة الفرنسية ، وقد حاول المترجم نقل هذا للقارئ الغربي حيث نجد في المثال المترجم الإنشغالين معا معتمدا في ذلك على استراتيجية التغريب للورانس فينوتي حيث حاول أن ينقل النص العربي مثلما جاء دون أن يحدث تغييرات أو يقوم بتعديله.

24- كأنّه مُحرم.ص164

Perhaps he is coming from the bath.p149

لم يدرك المترجم في هذا المثال معنى (الشخص المُحرم) الذي يؤدي مناسك الحج وحاول أن يستشف معناها من سياق النص فترجمها بعبارة و(كأنّه خارج من الحمام) لارتداء المُحرم تقريبا نفس الرداء الذي قد يرتديه أو يلف الفرد نفسه فيه وجسمه بعد خروجه من الحمام لهذا كان يجب ترجمة هذه العبارة ب(like a pilgrim).

من خلال الأمثلة التي حلّلناها آنفا نلاحظ أنّ الوحدات المعجمية التي تمّ الإنزياح عنها والخلط في معناها تنقسم إلى:

- وحدات غير مألوفة لدى القارئ الأجنبي.
- وحدات تحمل أكثر من معنى واحد لا سيما من غير التشكيل.
- ترجمات تعبّر عن نظرة الآخر الغربي للإسلام.
- عدم النجاح في ترجمة العبارات التي تنتمي إلى الثقافة العربية الإسلامية.
- تفادي ترجمة المفردات التي قد تسبب حساسية لدى القارئ الأجنبي.

4-3-2-7-على المستوى النحوي:

سنحاول فيما يلي التعرض لبعض الأمثلة التي شهدنا فيها بعض الإختلافات على المستوى النحوي بين اللغة المصدر واللغة الهدف على مستوى النص:

1- الدراسة مع الذكور شاقة كصعود الجبل في الصحراء.ص5

- Studying with boys was reckoned to be hard.p1

نشهد هنا في هذا المثال تغيير للصفة (شاقة) باستخدام صيغة المبني للمجهول (was reckoned to be hard) في حين كان يمكن أن تترجم العبارة مباشرة ب

(studying with boys was hard) غير أنّ عبارة (was reckoned to be hard) يمكن أن تكون استعملت شرحا للقارئ الأجنبي الذي قد لا يعرف الصعوبات التي واجهتها المرأة المغربية لالتحاقها بصفوف التعليم فصيغة المبني للمجهول (was reckoned) جاءت للدلالة لما كان يروّج له في الوسط المغربي لإخافة المرأة من الولوج إلى قطاع التعليم،وبالتالي هنا فقد عمل المترجم على التركيز على فعل الدراسة

وصعوبته بالنسبة للمرأة ،هذا الإنشغال الذي عملت وناضلت من أجله النسوية العربية باعتبار التعليم حقا من حقوق المرأة.

2- والآن وكأنّنا ندرس مع الغيلان.ص5

- As if we were studying with ghouls.p1

نجد في العبارة العربية إستعمال للزمن الحاضر (المضارع) مع الظرف (الآن) أما في الترجمة فإنّنا نلاحظ إستعمال للماضي(past continious) الذي يدلّ على إستمرار الفعل وعدم إنتهائه في الماضي، بينما نشعر ونحن نقرأ العبارة العربية أنّ الفعل لم ينتهي في الحاضر،وهنا أيضا طرحت الكاتبة أحد القضايا النسوية العربية وأحد العراقيل التي كانت تواجهها المرأة من أجل التعليم مع كل ما يروّج عنه عن الدراسة مع الرجل فالدراسة مع هذا الجنس كانت بمثابة كفاح بالنسبة للمرأة .

3- قلة الشغل ! أفلتت مني،قلة الشغل كرّرها بسخط، فقلت لا يعني لم تجد ما تعمله.ص91

I am sure you have got nothing better to do, she burst out and then hearing her own words she added quickly……p82

نلحظ من خلال هذا المثال أنّ هناك تغيير في الضمائر حيث نجد في الجملة العربية إستعمال ضمير المتكلم "أنا" بينما في الترجمة تمّ إستخدام ضمير الغائب "she".
ويعدّ إستعمال ضمير المؤنث (she) أحد الأساليب التي تستعملها المترجمات النسويات لإبراز وإعلاء الصوت النسوي والتأكيد على الهوية النسوية من خلال تأنيث اللغة.

.

4- وجدت ورقة كُتب عليها غرض....ص165

- I find a slip of paper on which my husband has written ….p150

تمّ الإنتقال في هذا المثال من صيغة المبني للمجهول في اللغة العربية مع الفعل (كُتب) إلى صيغة المبني للمعلوم في اللغة الإنجليزية حيث تمّ ذكر الفاعل الذي قام بفعل الكتابة ألاّ وهو زوج المتحدثة قد يكون هذا نوعا من التفسير والتوضيح للقارئ الأجنبي،وتمّ في هذا المثال طرح أحد الإنشغالات النسوية التي تعاني منها المرأة في المجتمع المغربي وهو ظاهرة الجهل والإيمان بالسحر والشعوذة وبعض الطقوس والمعتقدات التي تلجأ إليها بعض النسوة كحل وسبيل لبلوغ بعض الأهداف الدنيوية لاسيما الزواج والعمل حتى أنّ الكاتبة تذكر في عملها أنّه حتى الرجال قد يلجئون إليه أحيانا قصد تحقيق بعض الأغراض .

5- كأنّنا الآن نوعان بشريان.ص5

- To the point where we are two distinct species.p2

يوجد في الجملة العربية صيغة تشبيه مع الحرف (كأنّ) بينما لا نجد في الجملة المترجمة أي تشبيه بل نجد جملة إخبارية عادية ،وهنا تأكّد الكاتبة على أنّ النظرة التي ساهم في تكوينها المجتمع لكل جنس عن الجنس الآخر جعلت منهما يشعران أنّهما مختلفان تماما لحد كونهما جنسان من نوعين مختلفين وبالتالي تطرح انشغالا نسويا آخر وهو مكانة المرأة في المجتمع والعلاقة التي تجمع بين الجنسين في المجتمع ،فذكرت في الجملة العربية أنّهما بمثابة جنسين مختلفين بينما أكّد المترجم أنّ المعتقدات الثقافية كرّست الهوة بين الجنسين وأصبحا جنسين مختلفين تماما.

6- خوفي عليك من السيارات الحمراء الفارهة، من السعادة الفوارة ومن الأيام.ص14

- Why did God not protect you , Latifa from red sport cars and all that babbling happiness ?.p9

تمّ أيضا في هذا المثال الإنتقال من صيغة الإخبار إلى صيغة الإستفهام في الجملة الإنجليزية،حيث في الجملة العربية تعبّر الكاتبة فقط عن مشاعرها وتخوفها على صديقتها ،بينما في الجملة الإنجليزية وكأنّها استبقت الأحداث وكانت متأكدة من الأمور السيئة التي ستحصل مع صديقتها،وتطرح هنا الكاتبة أيضا انشغالها النسوي حيث ترى أنّ ترك صديقتها لطيفة للتعليم واهتمامها واعتمادها على ثروة أبوها لن يعينها مستقبلا على مواجهة تحديات الحياة فهي ترى أنّ التعليم والعمل أحد الحقوق الأساسية التي يجب على المرأة أن تسعى جاهدة لتحقيقها .

نلحظ من خلال الأمثلة التي تعرضنا لها فيما سبق أنّ وبالرغم من أنّ المترجمة كانت حريصة على النقل الحرفي للأصل إلاّ أنّه قد أحدثت بعض التغييرات والتعديلات على النص الأصلي من الناحية النحوية منها ما قد تتطلبه طبيعة السرد وعبقرية اللغة الإنجليزية ومنها ما كان يمكن الإبقاء عليه مثلما ورد في النص الأصلي ومن هذه التغييرات:

- الإنتقال بين الأزمان مثل الزمن المضارع والزمن الماضي أو من الأمر إلى الماضي وغيرها.
- إستبدال المبني للمعلوم بالمبني للمجهول.
- عدم إستبدال بعض المحسنات البديعية بما يقابلها في اللغة الإنجليزية.
- الإنتقال أو التغيير في الضمائر كطريقة لتأنيث اللغة أحيانا وإعلاء الصوت النسوي.
- إستبدال الجمل الإستفهامية بصيغ النفي أو الإنتقال من أسلوب الإستفهام إلى أسلوب التعجب.

4-3-7-3 على المستوى الدلالي:

لقد استعملت الكاتبة في عملها العديد من الأمثال التي تشكّل جزءا من الجانب أو الخاصية الثقافية للغة وفيما يلي سنحاول التعرض لبعض من هذه العبارات واقتراحات المترجم للتعبير عنها في اللغة المنقول إليها:

1- أو رؤوس الأيتام التي يتعلّم فيها الحلاقون كما يقول المثل المغربي.ص7

As the Moroccan saying goes :the orphans head used to train hairdressers.p3

لجأ المترجم هنا إلى الترجمة الحرفية كوسيلة لنقل المثل العربي إلى القارئ الإنجليزي الذي قد لا يعني له شيئا أو يحاول أن يستشف معناه من خلال السياق في حين كان بإمكانه أن يحاول إستبداله وشرحه بعبارة أقرب لثقافة القارئ المتلقي مثل:

A surgeon tries his experiments on the heads of orphans.

الذي يؤدي نفس المعنى وهو أقرب لثقافة المتلقي.

2- الحقيقة تأخذ من أفواه السكارى.ص21

In vino veritas .p15

تمّت ترجمة المثل العربي بما يقابله في اللغة اللاتينية (بمعنى في الخمر نجد الحقيقة) وليس في اللغة الإنجليزية ما قد يشكّل صعوبة لدى بعض الفئة من القراء في تلقي رسالة الكاتبة حيث كان يمكن ترجمة هذا المثل بما يقابله في اللغة الإنجليزية على سبيل المثال ب:

Out of the mouth of babies.

3- لو كتبت بالإبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر.ص33

- Were it written with needles on the inner cornes of the eye, it could be a lesson for those who would be taught.p23

لجأ المترجم هنا إلى الترجمة الحرفية لإعادة نقل المثل العربي إلى القارئ الأجنبي الذي قد يضيع في محاولته لفهم المعنى المقصود من قبل الكاتبة الذي أرادت من خلاله أن تقول بأن تلك التجربة يجدر بها أن تكون درسا لكل من يفكر في تجربة شيئ مماثل وقد كانت درسا كبيرا لمن عايشها، وهنا كان بإمكان المترجم إستبدال هذا المثل بآخر قريب من المتلقي ومؤلوف لديه كعبارة:

Once bitten, twice shy.

4- توافق الحك اللي طاح وصاب غطاه.ص56

لا نجد مقابل لهذا المثل في النص المترجم الذي كان بإمكان المترجم ببساطة أن ينقله بعبارة:

Birds of feather flock together. التي توافق معنى المثل العربي بأنّ الأشياء المتشابهة تجد دوما بعضها البعض .

5- بلغ السيل الزبى.ص92

لا نجد أيضا مقابل لهذا المثل في النص المترجم حيث كان يمكن ترجمته بالمثل الإنجليزي (enough is enough) : الذي يردّ المعنى الموجود في النص الأصلي والذي قصدته الكاتبة في عملها.

نلا حظ من خلال الأمثلة التي تطرقنا إليها آنفا أنّ المترجمة لجأت في أغلب الأحيان إلى الترجمة الحرفية لنقل الأمثال الشعبية التي وظّفتها الكاتبة إلى اللغة الإنجليزية دون الأخذ بعين الإعتبار البعد الثقافي بين اللغتين الذي لا يخدمه النقل الحرفي بل قد يضيع معناه ويجعله غريبا في نظر القارئ الأجنبي،كما لجأت مع بعض الأمثلة إلى أسلوب الحذف والحال أنّه كان يمكن استبدالها بما يقابلها في اللغة الإنجليزية باعتبارها أيضا لغة ثرية ثقافيا ولديها من الأقوال والعبارات ما يردّ معاني الأمثال العربية وغيرها من الأمثال من مختلف اللغات كون معظمها عبارات مشتركة من التراث الإنساني والتجارب التي تشترك فيها البشرية جمعاء.

4-3-4-7-4- على المستوى الأسلوبي:

الإعتبارات الثقافية والتاريخية وتأثيرها على الترجمة:

1- من تأليف هذا المجوسي.ص6

لا نجد مقابل لهذه العبارة في النص المترجم حيث عمل المترجم على حذفها لما قد تسببه من حساسية لدى قارئ النص المترجم فالبطلة هنا وبتلقيبها لزميلها الذي افترى عليها بصفة المجوسي تقصد بأنّ هذه التصرفات والإفتراءات لا تنبع إلا من شخص غير أخلاقي غير متديّن ليس له علاقة بدين الإسلام دين العدل والمساواة والصفح وغيرها من قيّم أخلاقية وهنا أيضا تبرز الكاتبة مدى إهتمامها وتعلّقها بالدين الإسلامي وتظهر صوتها النسوي القائم على ثقافة وقيّم المجتمع العربي الإسلامي، والمجوسي برأي الكاتبة قد تنبع منه هذه التصرفات وهومنبوذ من قبل المسلمين لإعتقاداته الخاطئة وعبادته لغير الله عزّ وجلّ،ولتفادي أي حساسية قد تنتج لدى متلقي الترجمة الذي قد يكون مجوسيا عمل المترجم على حذف هذه العبارة.

وكان يمكنها ترجمة هذه العبارة ب:invented by this Magian

2- نعرة الفرنسي. !ص11

قام المترجم هنا أيضا بحذف هذه العبارة التي تحمل العديد من الشحنات والإيحاءات السلبية التي قد يشعر بها متلقي الترجمة الناتجة عن التاريخ والماضي المشترك الذي يربط بعض بعض الدوّل الغربية بمستعمراتها في الدوّل العربية، فالكاتبة هنا عبّرت بصراحة عن رأيها وموقفها تجاه الشخص الفرنسي الذي كان ينظر ويتعامل باحتقار وإزدراء وفوقية مع الفرد المغربي حتى في حديثه، ولتفادي أي شكل من أشكال الحساسية والتوتر التي قد تنتج عند قراءة المتلقي لهذا النوع من العبارات اختار المترجم حذفها.

3- عاشت مع النصراني .ص15

She lived with the foreigner.p10

- نحن الذين نحسب أنّ هذه لا يفعلها النصراني.ص16

And we Moroccans think foreigners are incapable of such behaviour.p10

قام المترجم في هذا المثال بترجمة كلمة (النصراني) التي يقابلها في اللغة الإنجليزية كلمة (Christian) والتي تدلّ على إعتناق الفرد للديانة المسيحية، باستبدالها بكلمة (foreigner) التي تعني باللغة العربية في هذا السياق أجنبي حتى لا يشعر متلقي الترجمة وكأنّ الكاتبة تفرّق بين الديانات أو تفضّل دينها عن باقي الديانات الأخرى مع أنّه هذا هو القصد من كلام الكاتبة حيث ترى أنّ هناك الكثير من أبناء بلدها من يشيد بتصرفات الأجانب وقد تعجبه الثقافة الغربية ويحاول الإقتداء بها بدل الإفتخار بثقافته العربية الإسلامية وينسب إليها أخطاء البعض ممن لا يفهمون شيئا منها، فتؤكّد هنا أنّه مهما اختلفت الثقافات والديانات فالإنسان خطّاء والأخطاء تردّ إلى شخصية الفرد وأخلاقه وتربيته لا لدينه ،وقد ظهر الصوت النسوي في هذا المثال موضحّا موقف النسوية العربية من زواج المرأة المسلمة بالأجانب الذي يعدّ من المحرّمات غير أنّ المترجم لم ينقل بوضوح موقف الكاتبة من هذه الظاهرة.

4- سبحان من يغيّر ولا يتغيِّر ! سبحان الله القادر على كل شيئ. ص13
- ....وسواس خنّاس ص17
- أقول شهادة لله والله هكذا. ص31
- والله أعلم. ص31

لم يعمل المترجم هنا على نقل العبارات المذكورة والتي تعبّر في مجملها عن خصوصية الثقافة العربية الإسلامية حيث اختار خاصية الحذف بدل الإبقاء عليها والإسهام في كشف خصوصية النص الأصلي وهذه الإستراتيجية تبيحها بعض النظريات الحديثة كالنظرية الوظيفية ونظرية تعدّد النظم ونظرية التوطين لأنطوان بيرمان .

5- يحمل جواز سفر إسرائيليا. ص24

لم يقم المترجم أيضا بترجمة هذه العبارة خشية منه أن تولّد حساسية لدى قارئ الترجمة الذي قد يكون إسرائيلي الجنسية لما يحمله السياق من شحنات سلبية وموقف معادي للفرد الإسرائيلي الذي لم تتردّد الكاتبة في التعبير عنه كغيرها من المسلمين والمسلمات في باقي أرجاء الكون لإعتبارت دينية تاريخية سياسية وإنسانية، وهنا أيضا بدا واضحا موقف النسوية العربية من الشئون السياسية ومساندتها للقضية الفلسطينية .

6- حسبي الله !عيد الشياطين؟يزعمون أنّه عيد الأموات أو عيد الأرواح.ص36

لم يترجم المترجم هذه العبارة وفضّل حذفها لتعبيرها الصريح عن الإشمئزاز والنفور وعدم الإيمان بهذه الطقوس والإحتفالات التي يقوم بها الغرب وأنّها منافية تماما للأخلاق والقيّم الإسلامية الثقافية العربية .

7- الحمد لله رب العالمين.....حسبي الله !لا دنيا ولا آخرة ! ص56-57

لحاجة في نفس يعقوب قضاها...ص70

إختار المترجم هنا أيضا خذف هذه العبارة الدينية بدل الإبقاء عليها للتأكيد على خصوصية وأصالة العمل الأصلي مراعاة للمتلقي الذي قد يجدها غير مألوفة وبعيدة عن ثقافته ،ويعدّ أسلوب الحذف أحد الإستراتيجيات الترجمية التي تخوّلها بعض نظريات الترجمة الحديثة والتي تبيح للمترجم حرية التصرف في النصّ الأصلي مثل النظرية الوظيفية ونظرية التوطين .

8- تتكلم العربية ولكن روحها مسيحية حتى النخاع. ص56

Although she spoke Arabic her attitudes and behaviour were distinctly un-moroccan.p46

قام المترجم بترجمة كلمة (مسيحية) ب (un-moroccan) التي تقابلها في اللغة العربية عبارة (غير مغربية) والتي لا توافق المعنى الذي قصدته الكاتبة في عملها ،ويظهر من خلال هذا المثال أنّ النسوية العربية وبالرغم من وجود أقليات مسيحية في هذا المثال (بلاد المغرب) إلا أنّها تتعايش معها ولا تؤثر على المبادئ الأساسية التي ترتكزعليها النسوية العربية والتي يشكلّ الدين الإسلامي المحور الرئيسي الذي ترتكز عليه مطالبها .

9- الكافرة ماتعطيش فيها فرنك ولكن طرقت عليه المسمار.ص156

That good-for-nothing piece of shit cast a spell on him.p142

لم يقم المترجم في هذا المثال بترجمة كلمة (كافرة) وحذفها تماما باعتبار الكاتبة تشير إلى كل من يعتنق دين غير الدين الإسلامي ومعظم القراء الأجانب لن يكونوا من المسلمين فتفادي ترجمة عذه المفردة تجنبا للإستياء الذي قد يشعر به قارئ الترجمة الذي يعتز بدوره بدينه وثقافته،ونجد هنا أنّ المترجم قامت باستبدال كلمة (كافرة) بمفردة أخرى وفق ما تنصّ عليه بعض النظريات الحديثة التي تعطي للمترجم حرية التصرف في النص بغرض تحقيق الغرض من الترجمة كالنظرية الوظيفية.

<u>الـتـرجـمـة بمـا يـنـاسـب المتـلـقـي (إستراتيجية التوطين):</u>

1- يا لطيف !ص 15

What a whore ! p10

لم يقم المترجم في هذا المثال بترجمة عبارة (يا لطيف) التي يقابلها في اللغة الإنجليزية عبارة(O my God !good Heavens !) بل قام باستبدالها بعبارة (يا لها من فاسقة)والعبارتان لا تحملان ذات المعنى والدلالة باللغة العربية ولا باللغة الإنجليزية ف (يالطيف) ليست ب (يا لها من فاسقة) و(what a whore) ليست (God !good

(! Heavens لكنه قام بإيصال الصورة أو الحالة التي وصلت إليها الشخصية بعبارة مألوفة ومستعملة لدى القارئ الأجنبي في وصفه لحالات مماثلة.

2- في وضع مخز.ص36

She was kissing her boyfriend.p26

لم تقم الكاتبة في النص العربي بتحديد نوعية الوضع المخزي إحتراما للقارئ وقيّمه الثقافية الدينية التي لا تسمح له بتقبل هذا النوع من التصرفات التي تعدّ غريبة عن مجتمعه وثقافته بينما قام المترجم بالتوضيح للقارئ الأجنبي وذكر فعل التقبيل الذي يعدّ مألوفا ومقبولا في ثقافته ،وبهذا نجد مرة أخرى أنّ الكاتبة أظهرت موقفها النسوي من بعض العلاقات المحرمة بين الجنسين ونجد أنّ المترجم قام بإحداث تعديلات على العبارة قصد إيصال المعنى المقصود للقارئ الأجنبي.

3- غولة هادي يالحاجة، غولة وسكتت.ص76

She sounds evil enough !said susan, she was evil.p65

قامت الكاتبة باستعمال كلمة (غولة) لوصف مدى دناءة وبشاعة أحد الشخصيات وبما أنّ مفردة (غول) لا تحمل نفس الدلالة لدى القارئ الأجنبي إذا وظّفناها عن الأشخاص فقام المترجم باستبدالها بصفة (evil) التي تردّ المعنى الذي قصدته الكاتبة في اللغة العربية، وهذه الإستراتيجية في الترجمة تبيحها بعض النظريات مثل النظرية الوظيفية ونظرية التوطين لأنطوان بيرمان .

4- ليس كتلك ال.....الكاتبة التي حكت الحكاية ...ص91

At least you are raising a family not like that slut who turned……p91

تجنبت الكاتبة في هذا المثال ذكر أي مفردة قد لا يتقبلها القارئ العربي وغير مناسبة لقيّم وفكر وثقافة المتلقي فوضعت نقاطا متتالية وتركت للقارئ حرية التفكير والفهم بينما قام المترجم بوضع بوضع مفردة (slut) التي تعني (ساقطة أو فاسقة) لكي يوضّح للقارئ ما قصدته الكاتبة، ورغم أنّ هذه المفردة تستعمل للشتم فقد اختار المترجم استعمالها فهي في النتيجة أحد المفردات التي يعرفها القارئ الأجنبي ويسمعها في محيطها.

<u>الإبقاء على العناصر الثقافية والحضارية للنص الأًصلي (إستراتيجية التغريب):</u>

1- أن تقول للنصرانية للا . ص74

My mother was about to say lalla, but caught her self in time.p63

أبقى المترجم في هذه الجملة على مفردة"للا" التي تستعمل في لغة التواصل اليومي في بلاد المغرب بمعنى (سيدة) والتي توظّف كنوع من الإحترام واللباقة والتقدير تجاه المرأة المخاطب بها واقتراض المترجم للفظة (للا lalla) لا يعني عدم وجود مقابل لهذه المفردة في اللغة الإنجليزية حيث كان يمكن استدالها مثلا بمفردة (lady) لكنّه فضّل الإبقاء على هذا العنصر الثقافي الذي يلوّن العمل الأًصلي بحلّة مغربية خاصة وبهذا يكون المترجم قد اعتمد على إستراتيجية التغريب التي يدعو إلى تطبيقها لورانس فينوتي خاصة مع النصوص

الأدبية ،كما قام المترجم بحذف مفردة (النصرانية) التي تشير من خلالها الكاتبة أنّ هذه الشخصية ليست من دينها .

2- قولي تبارك الله.ص143

Say Tabaraka Allah .p130

لم تقم المترجمة أيضا في هذا المثال بترجمة عبارة (تبارك الله) بما يقابلها في اللغة الإنجليزية ب (Blessed be God) بل فضّل الإبقاء عليها مثلما جاءت في اللغة العربية مبرزا هذا العنصر الثقافي الحضاري الذي قد يبحث عنه القارئ الذي يريد أن يعيش تجربة الإختلاف ،كما يوحي إستعمال هذه التعابير الدينية المتكرّرة عن مدى تديّن وإيمان الكاتبة القويّ والذي تبني عليه نظرتها النسوية ومطالبها النسوية.

3- تزوجت فقيها وهجرت الحياة.ص144

There was the year I got married to a Faquih .p131

أبقى المترجم في هذه الجملة على كلمة (فقيه) مثلما جاءت في اللغة العربية بدل أن يستبدلها بما يقابلها في اللغة الإنجليزية كمفردة (pious) التي تحمل ذات المعنى رغبة منه في الإبقاء على بعض الخصائص الثقافية التي قد تحمل القارئ على تخيل شكل الحياة في بلاد المغرب والمعتقدات الدينية التي يؤمن بها الأفراد هناك وبعض أجواء الحياة الدينية والروحية التي يتميّز بها دين الإسلام عن باقي الديانات الأخرى كنوع من التعريف بالإسلام وتقديم صورة عنه للقارئ الأجنبي.

4- عندنا كل شيئ العدول والنكافات والشوافات والجوق والطبل والغيطة...ص156

We have got everything there adouls, neggafas, fortune-teller, musicians….p142

قام المترجم هنا في هذا المثال بالإبقاء على كلمة (العدول) التي تعني العطور أو البخور وكلمة (النكافات) التي تعني الحلاقة أو مزينة العروس واستبدل الجوق والطبل والغيطة بالمفردة الإنجليزية (musicians) وغم وجود مقابل لجميع هذه المفردات في اللغة الإنجليزية حيث كان يمكن ترجمة كلمة (عدول) ب(perfumes) والنكافات ب(hairdressers) والجوق ب(the flute) والطبل ب(the drum) والغيطة ب(musicians) التي تؤدي تقريبا ذات المعنى،فهنا لجوء المترجم إلى نقل المفردات العربية مثلما جاءت في اللغة الأصلية قد يسبّب أو يؤدي إلى إعاقة وصول الرسالة للمتلقي الأجنبي خاصة وأنّ هذه المفردات خاصة بالثقافة المغربية ولا يعبّر عنها بذات المفردات حتى في البلدان العربية المجاورة ولهذا كان من الأفضل لو قام باستبدالها بما يقابلها في اللغة الإنجليزية أو حتى شرحها في الهامش إن أراد الحفاظ على الخصوصيات الثقافية للنص الأصلي ، وبهذا نجد أنّ المترجم اعتمد على أسلوب التغريب الذي دعا إليه لورانس فينوتي ، كما أنّ الكاتبة في هذه العبارة أوضحت موقفها النسوي من بعض الممارسات والأعراف التي تسود المجتمع المغربي والتي تقبل عليها النسوة بلهفة ،حتى أنّها طرحت قضية السحر والشعوذة في عدة مواضع وتحسّرت لما آل إليه وضع النسوة في بلادها بسبب تفشي الجهل والإعراض عن الدين و التعليم والعمل والحلم فقط بالزواج والزوج الثري في حين كان يجب على المرأة أن تناصل من أجل الحق في التعليم والعمل والإعتماد على الذات في إطار ما تنص عليه تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

قامت المترجمة من خلال الأمثلة التي تعرضنا لها سابقا إما بحذف العبارات لتفادي خلق حساسية لدى القارئ الأجنبي لإعتبارات تاريخية سياسية وثقافية .

- أو بترجمة بعض العبارات بما يتوافق وفكر وثقافة المتلقي.
- أو بالإبقاء على بعض العناصر الثقافية الحضارية للنص الأصلي لخلق نوع من الإختلاف والتشويق الذي يبحث عنه القارئ الأجنبي.

-خلاصة:

نستنتج من خلال الأمثلة التي حلّلناها آنفا والتي صنّفناها إلى أربعة مستويات:المستوى المعجمي،المستوى النحوي،المستوى الدلالي والمستوى الأسلوبي أنّه وبالرغم من محاولة المترجم أن يكون أمينا للنص الأصلي قدر الإمكان بمساعدة من الكاتبة إلا أنّه حدثت بعض الإنزياحات على المتسويات التي ذكرناها حيث قام المترجم أحيانا بإجراء بعض التغييرات بما يتوافق واللغة والثقافة التي ينقل إليها ما يعدّ خاصية أو ميزة من ميزات الفعل الترجمي حيث يضطر المترجم أحيانا إلى إتخاذ بعض الإجراءات لغايات مختلفة إيديولوجية أحيانا أو سياسية أو ثقافية....

فالوحدات التي تمّ الإنزياح عنها على المستوى المعجمي كانت إما:

- وحدات غير مألوفة لدى القارئ الأجنبي.
- وحدات تحمل أكثر من معنى واحد لا سيما من غير التشكيل.
- ترجمات تعبّر عن نظرة الآخر الغربي للإسلام.
- عدم النجاح في ترجمة العبارات التي تنتمي إلى الثقافة العربية الإسلامية.
- تفادي ترجمة المفردات التي قد تسبّب حساسية لدى القارئ الأجنبي.

أما على المستوى النحوي فقد تمّ:

- الإنتقال بين الأزمان مثل الزمن المضارع والزمن الماضي أو من الأمر إلى الماضي وغيرها.
- إستبدال المبني للمعلوم بالمبني للمجهول.
- عدم إستبدال بعض المحسنات البديعية بما يقابلها في اللغة الإنجليزية.
- الإنتقال أو التغيير في الضمائر.
- إستبدال الجمل الإستفهامية بصيغ النفي أو الإنتقال من أسلوب الإستفهام إلى أسلوب التعجب.

وهذا نتيجة ما تتطلبه طبيعة السرد وعبقرية اللغة الإنجليزية ، رغم أنّ البعض منها كان يمكن الإبقاء عليها مثلما وردت في النص الأصلي.

وعلى المستوى الدلالي:

فقد اعتمد المترجم عند نقله للأمثال الواردة في النص الأصلي على النقل الحرفي دون الأخذ بعين الإعتبار البعد الثقافي بين اللغتين مما أدى إلى ضياع معنى ومغزى الأمثال عند نقلها إلى اللغة الإنجليزية كما لجأ أيضا إلى أسلوب الحذف في حين وجود البديل في اللغة الإنجليزية.

أما على المستوى الأسلوبي:

فقد تمّ حذف بعض الخصائص والعناصر الثقافية للغة المنقول منها وتغيير البعض الآخر لتفادي خلق حساسية لدى متلقي الترجمة ومحاولة أن تكون الترجمة قريبة قدر الإمكان منه مع الإبقاء على بعض الخصائص الحضارية والثقافية للغة المنقول منها التي قد يرغب متلقي الترجمة في إكتشافها والتعرف عليها.

كما لاحظنا أيضا من خلال مقارنتنا للنسخة الأصلية والنسخة المترجمة أنّه:

- لم يطرأ أي تغيير في ترجمة العنوان.
- الصورة المطبوعة على النسخة المترجمة صورة اختيرت خصيصا لتتوافق وتطلعات القارئ الأجنبي وحول الإنطباع الذي سيكوّنه على بطلة الرواية المرأة المثقفة العربية.
- يحتوي النص المطبوع على ظهر غلاف النسخة المترجمة على لمحة عن الكاتبة والرواية .
- لا توجد مقدمة لا في النص الأصلي ولا في النسخة المترجمة.
- لم تكن الخاتمة ترجمة لما ورد في النص الأصلي بل كانت كلمة موّجهة خصيصا للقارئ الأجنبي تحتوي في طياتها بعض الإيحاءات النسوية وبالتالي فلم تكن الخاتمة فضاء قد تعبرّ من خلاله المترجمة عن صوتها النسوي مثلما نجده في بعض الترجمات النسوية.
- لا توجد في النص المترجم أية هوامش بينما استعملتها الكاتبة في نصها شرحا لبعض مفردات اللهجات المغربية وبعص الوقائع والخصائص الإجتماعية لبلاد المغرب.

-ثانيا:رواية بنات الرياض للكاتبة رجاء الصانعي:

4-4-1-لمحة عن الكاتبة رجاء الصانعي وروايتها:

تعتبر رجاء عبد الله الصانع كاتبة سعودية من مواليد سنة 1981 بمدينة الرياض السعودية أين زاولت تعليمها إلى غاية حصولها على بكالوريوس طب الأسنان عام 2005 من جامعة الملك سعود لتسافر بعدها إلى الخارج لمزاولة تعليمها وتتخرج من جامعة إلينوى بشيكاجو عام 2009 كطبيبة أسنان متخصصة في علاج علوم الفم والخلايا الجذعية، عرفت رجاء الصانع لتميّزها وتفوقها في تخصصها ولم يمنعها شغفها وميلها إلى الإبداع الأدبي من التألق في المجالين حيث جاءت فرصة دراستها في الخارج كونها ضمن الطلبة المتفوقين الذين يحقّ لهم الإستفادة من برنامج الملك عبد الله لإرسال بعثات طلابية إلى الخارج لاستكمال الدراسة،لتعود إلى المملكة بعد تحصلها على شهادة الماجستير وعلى شهادة الزمالة الملكية من الكلية الملكية لأطباء الأسنان بكندا عازمة على إفادة بلدها والطلاب والشعب السعودي من خبراتها التي اكتسبتها بتواصلها مع أكبر الأطباء الأجانب وتعرفها على أحدث التقنيات وآخر التطورات التي توصل إليها طب الأسنان في العالم، تعدّ رجاء الأخت الصغرى لأسرة مكوّنة من أربعة أشقاء وشقيقة واحدة يحترف جميعهم مهنة الطب بتخصصاتها المختلفة وبلغ نجاح الدكتورة والكاتبة رجاء الصانعي إلى حدّ تصنيفها في المرتبة السابعة والثلاثين ضمن قائمة أقوى مئة شخصية عربية تحت سن الأربعين إضافة إلى التكريمات التي حظيت بها من قبل الجامعات الأجنبية لأبحاثها المتميزة في علاج الأعصاب السنية والخلايا الجذعية.

عملت رجاء الصانعي كأستاذة مساعدة في جامعة إلينوى بشيكاجو ما بين 2008 و2010 وتعمل الآن بعد عودتها إلى المملكة العربية السعودية كمستشارة المعالجة اللبية وباحثة الخلايا الجذعية في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث، اشتهرت رجاء الصانعي بروايتها الأولى والوحيدة بنات الرياض التي كتبتها وهي في سن الثامنة عشر ونشرتها وهي في سن الثالثة والعشرين (حيث نشرت لأول مرة في لبنان عام 2005 وبالإنجليزية عام 2007) والتي حققت ضجة كبيرة في المجتمع السعودي حينها لا سيما والطريقة التي اتخذتها الكاتبة في إيصال روايتها للقارئ مستخدمة الرسائل الإلكترونية التي كانت تبعث فيها تقريبا كل أسبوع(كل يوم جمعة) مقاطع من روايتها نحكي في كل مقطع عن حدث معين وتجربة محددة لشابة من الصديقات الأربعة، تاركة القارئ يتحمس ويتشوق لمعرفة المزيد، المزيد من المغامرات ومن أسرار وخبايا المجتمع السعودي وبالتحديد الطبقة الراقية من فتاة غامضة لم تفصح هويتها لقارائها إلا بعد أن قررت أن تنشر هذه الرسائل على شكل عمل روائي فوجئت بالحفاوة والإقبال الكبير الذي لقاه عند القراء في المملكة العربية السعودية وخارجها.

رشّحت رواية بنات الرياض لجائزة دبلن الأدبية العالمية IMPAC عام 2009 وترجمت إلى أربعين لغة عالمية وبيع منها ثلاثة نلايين نسخة حول العالم وطبعت أكثر من سبع مرات خلال أقل من عامين(2005و2007) ونفذت الطبعة الأولى منها في أُقل من شهر من صدورها لكن هذا لا يعني أنّ الكاتبة لم تعاني من تبعات جرأتها على خوضها في هذا النوع من الكتابة أو بالأحرى على نشر مضمون مماثل عن المملكة التي تتميز ببيئة محافظة ومتشددة نوعا ما لا سيما فيما يخص العلاقة بين الجنسين حيث رفعت بحقها دعوى قضائية بتهمة الدعوة إلى الرذيلة واتهمها بعض النقاد بكثرة الأخطاء اللغوية والنحوية واحتواءها إيساءات للمعتقدات الدينية وسعى البعض إلى محاولة منع نشرها في المملكة ومحاولة حرمان الكاتبة من الإستفادة من برنامج الملك عبد الله لإرسال الطلاب إلى الخارج لولا مساندة وزير التعليم العالي حينها لها الدكتور خالد العنقري، وذكرت في أكثر من حوار لها أنها وجدت صعوبة في التوظيف بعد عودتها من الخارج بالرغم من تفوقها وتخصصها الطبي النادر الذي تحتاجه المملكة بشدة لتحسين خدماتها الطبية في مجال طب الأسنان.

ذكرت رجاء الصانعي في أحد حواراتها التلفزيونية عن حبها الكبير للكتابة والتي كانت تزاولها منذ الصغر وعبّرت عن افتخارها بعملها الأول الذي استطاعت من خلاله أن تثبت قدرة المرأة على التألق والإبداع في مجالين بفضل إرادتها وطموحها، وسعدت بالأكثر على إعجاب الأديب الراحل غازي القصيبي بروايتها باعتباره قدوتها وكونها أشدّ المعجبين بأعماله وإبداعاته وتشرفت بتقديمه لروايتها وإطراءه لها، علما أنّ رواية بنات الرياض حسب تصريحات الكاتبة ستتحول إلى مسلسل تلفزيوني من إنتاج قناة HBO الأمريكية وأنه سيصدر عمل جديد للكاتبة مختلف كليا عن عملها الأول بنات الرياض.

وأكدت الكاتبة أنها لم ترغب في ولوج عالم الكتابة من خلال المجلات والجرائد بل أرادت أن يكون أوّل إتصال بينها وبين القارئ من خلال عمل ضخم كرواية بنات الرياض التي لم يهدأ المجتمع السعودي منذ أول رسالة إلأكترونية بعثت بها الكاتبة وحتى سنوات بعد نشرها على شكل رواية من مناقشة وتحليل الأبعاد المختلفة المحيطة بنشأة هذا العمل وخصوصياته وآثاره على المجتمع والأدب السعودي بشكل عام،لقد كان الجدال كبيرا والإنتقادات والهجومات ألذع وأعنف فمنهم من رآها خطيئة أدبية وضعيفة لغويا وغير متماسكة دراميا ومنهم من عزا نجاحها لجنس مؤلفتها وتكلمها عن التابو وبعض الممارسات المحرمة غير المقبولة في المملكة العربية السعودية وفي الثقافة العربية الإسلامية والتي على قدر رفضها ونبذها وإستيسائها لا يمكن الإنكار أوالجزم بخلو المجتمعات العربية منها ما دامت صادرة من النفس البشرية والنفس خطاءة والكمال لله تعالى،ولقد رفضت الكاتبة هذه الإنتقادات وذكّرت بوجود كتابات وأعمال نسائية سابقة في المملكة لم تحقق هذا النجاح إن كان نجاحها مرتبطا بكونها إمرأة وهناك أعمال ألّفها أدباء وحققت نجاحا كبيرا،كما نفت كون الرواية تجربة شخصية بل هي سرد ووصف لوقائع حياتية حقيقية تحدث في المملكة وتجارب

وعلاقات قد تعيشها أية إمرأة وتعاني من تبعاتها في وسط ومجتمع ذكوري متزمت ومتسلط يفرض على المرأة مواصفات نموذجية تتقيد بها حتى وإن لم تكن مقتنعة بها في سبيل إرضاء الطرف الآخر الذي يدّعي الكمال وينقّب عنه في المرأة في حين ممارسته بسرية لكل ما لا يرضى ويأبى أن تمارسه المرأة التي قد يختارها لتكون شريكة حياته،ونعتقد أنّ هذه الظاهرة ليست حصرا على المجتمع السعودي فقط بل هي مشتركة بين أغلب المجتمعات العربية وتطبع وتسيطر على العلاقة بين الجنسين وأنّ كشف الكاتبة رجاء الصانعي لهذه الحقيقة في أكثر المجتمعات العربية تشددا وإلتزاما هو ما أسهم في النجاح الكبير الذي حققه عملها عربيا وعالميا.

وتظهر رواية بنات الرياض من خلال شخصيات البنات الأربعة (سديم الحريملي، قمرة القصمنجي، لميس جداوي ومشاعل عبد الرحمن) التي تدور حولهن أحداث الرواية أشكال ومظاهر أو واقع حياة المرأة السعودية وحقيقتها والتناقضات والصراع الذي تعيشه بداخلها بين محاولة كبتها لمشاعرها وتجاهلها أو الإنسياق لها وبين ما يمليه عليها عقلها والمنطق وإرضاءها للمجتمع وتخوفها منه ومن الأعراف والتقاليد التي تظل تلاحقها أينما كانت بعين المتسلط والمراقب.

ولم تهمل الكاتبة ذكر ووصف أجواء حياة المرأة في المجتمع السعودي سواء داخل الأسرة أو خارجها بدءا من الثانوية إلى الجامعة وحتى أثناء خروجها للتسوق وكيف تكون عيون المجتمع عليها فمثلا كلما خرجت البنات نذكر مرافقة السائق لهن وإيصالهن إلى وجهتهن لأن المرأة السعودية محرومة من القيادة (هكذا كان عليه الحال أُثناء كتابة الرواية عام 2004 وظلّ هكذا إلى غاية 2017 سنة استرداد المرأة السعودية حقها في القيادة) وتذكر كيف يمنع الإختلاط بين الجنسين في الأماكن العامة واعتياد المرأة السعودية على البيت ليكون مكان التجمع والإلتقاء بين الصديقات للحديث والتنفيس عن الذات،وسرد المراحل والخطوات المختلفة التي تتبعها العائلات السعودية قبل الزواج والتي تختلف تماما عن تلك المتبعة في المجتمعات العربية الأخرى والتي تعكس تماما طابع الحياة وطبيعة العلاقات التي تحكم الرجل بالمرأة داخل المملكة العربية السعودية ما يساعد على فهم الأحداث والشخصيات .

تتحدث الرواية عن حياة أربع شابات سعوديات أتممنّ تعليمهن الثانوي وهنّ على وشك دخول مرحلة وتجارب جديدة في حياتهن وهي الحياة الجامعية بكل حماس وتلهف وبهذا فإننا في هذه الرواية لا نجد بطل أو بطلة واحدة فقط أي شخصية محورية واحدة بل نجد أِبع شخصيات محورية وهي(سديم الحريملي، قمرة القصمنجي، لميس جداوي ومشاعل غبد الرحمان) كلهنّ فتيات من الطبقة المخملية حلمهن الأساسي إيجاد الزوج المثالي والحب الخرافي يردنّ معرفة وتجربة هذه الأسطورة المحرمة وإيجاد النصف الآخر الذي يبادلهن

ذات مشاعر الغرام التي يقرأنها في الروايات والقصص الرومانسية وبهذا يكون إتمام الدراسة ليس على الدرجة ذاتها من الأهمية والأولوية مثل الزواج، وبالرغم من أنّ الفتيات الأربعة متدينات إلا أنّ لكل واحدة منهن قيّم ومبادئ أو بالأحرى شخصية تختلف عن الأخرى وتوقعاتهن من الحياة مختلفة،فقمرة على سبيل المثال لم تتم دراستها لتتزوج بأول خاطب جلبه أبوها على أمل أن تجد معه الحب والطمأنينة وهي أكثر تدينا ووقارا من الأخريات أما سديم فهي مندفعة ومتهورة ترضخ لمشاعرها ولا تفكر بالنتائج،ولميس أكثر عقلانية من جميعهن ولهذا فهي الوحيدة التي كان لها زواج ناجح وعلاقة مستقرة أما ميشيل فهي نصف أميركية نصف سعودية ولم تفهم يوما طبيعة هذا المجتمع وارفض رفضا تاما أعرافه وتقاليده المتخلفة.

وبهذا فإنّ موضوع الرواية هو واقع حياة المرأة السعودية المأساوي،حياتها المقيدة وحريتها المسلوبة باسم الأعراف والتقاليد والدين، نظرة الآخر لها وتوقعاته منها إدعاءه للمثالية بينما يعيشي ويغرق في اللذات والمحرمات سرّا،وعجز المرأة السعودية عن التواصل وتفهم جنس الرجال الذي يتخلى عنها إرضاءا للأهل والمجتمع ليدفن ويضحي بامرأة أخرى لا يرغب بها ويعيشا في تعاسة مثلما ترضاه التقاليد والعائلة والمجتمع، إضافة إلى القيود الأخرى التي تحكم مختلف جوانب حياة المرأة السعودية داخل الأسرة وخارجها والتي تحدّ من حريتها وإستقلاليتها والتي تجعلها تتحرك وتتخذ مواقف وقرارات غير مقتنعة لها فقط تخوفا من ردّ فعل المجتمع وأحكامه الجائرة بحقها.

وباعتبار أوّل ظهور لرواية بنات الرياض كان على شكل رسائل إلأكترونية تبعث بها الكاتبة كل يوم جمعة (انقطعت عنها فقط خلال شهر رمضان الكريم) تسرد في كل رسالة منها مقطعا أو جزءا من الأحداث التي عايشتها الصديقات الأربعة فقد حرصت على عدم تغيير شكل الرواية ونشرها مثلما تعرّف عليها القارئ لأول مرة ،فجاءت الرواية مكونة من خمسين رسالة إلكترونية تحتوي كل رسالة على تاريخ نشرها ومضمون معيّن مكمّل للأحداث السابقة التي تروي مغامرات حياة الشابات السعوديات الأربعة والعلاقات التي تجمعهن أو التجارب اللاتي عشنها مع بعض الرجال سواء كأزواج أو خطّاب أو عشّاق لتختم الرواية بسرد ما آل إليه مصير تلك العلاقات وحياة الفتيات والقرارات اللاتي اتخذنها أو أجبرتهن الحياة على اتخاذها، ولا يمكننا قول أنّ الرسائل مرتبة ترتيبا كرونولوجيا دقيقا حيث أنّ الكاتبة أحيانا تكون قد تقدّمت في السرد وتجاوزت مراحل معينة في حياة الفتيات لكنها تعود أحيانا وتسرد في بعض الرسائل بعض المفي المواقف والتجار السابقة في حياتهن،أما فيما يخص البيئة المكانية التي تدور فيها أحداث الرواية الأساسية فهي مدينة الرياض السعودية مع ذكر لبعض العواصم الأجنبية وبعض المناطق في المملكة العربية السعودية التي تنقلت إليها الفتيات بحكم الدراسة أو في بعض الإجازات والأعياد الوطنية (لندن، سانفرانسيسكو، دبي، شيكاجو...).

أما من الناحية الزمنية فقد انتهت الروائية من كتابة الرواية في 18فيفري 2005بعد أن بدأتها سنة من قبل بتاريخ 13 فيفري 2004 ويوجد في الرواية بعض التواريخ الزمنية التي توحي بزمن أو تاريخ سير الأحداث كذكرها أحد صيحات الموضة التي كانت رائجة سنة 1996وبعض الأفلام التي استعارتها البنات لمشاهدتها فور صدورها في أمريكا مثل (Brave Heart1995)و(The Nitty Professor1996)أثناء دراستهن في الثانوية ما يجعل أحداث الرواية قريبة جدا من تاريخ صدورها،ولهذا فإنّ عند قراءة الرواية يشعر القارئ أنّ الأحداث ليست بعيدة عن تاريخ صدورها وأنّ بطلات الرواية مثلما قالت الروائية ختارتهن أن يكنّ قريبات من عمرها وبالتالي تكون قد سردت تجارب ومعاناة قد تقع فيها أية شابة من جيلها.

4-4-2-ملـخـص الـروايـة:

تدور أحداث رواية بنات الرياض حول حياة أربع شابات سعوديات من الطبقة الراقية وهنّ قمرة القصمنجي، سديم الحريملي، لميس جداوي وميشيل عبد الرحمان مقيمات في مدينة الرياض السعودية أين تقاسمن الكثير من التجارب السعيدة والمؤلمة في آن واحد تعرّفنّ من خلالها على واقع الحياة وعلى حقيقة وضع المرأة ودورها وطبيعة العلاقة التي تجمعها بالآخر في مجتمع عربي محافظ متشدّد أحيانا أو غالبا شديد التمسك بأعرافه وتقاليده التي يستمد معظمها من الفكر والثقافة التقليدية التي تكوّن خصوصية المجتمع السعودي وتميّزه عن بعض المجتمعات العربية الأخرى، تعدّ سديم صديقة قمرة المقرّبة منذ تعرفهما في الفصل الثاني إبتدائي وانضمت إليهن ميشيل في الصف الثاني متوسط بعد مجيئها من الولايات المتحدة الأمريكية حيث كانت تقيم مع والدها السعودي الأصل وأمها الأمريكية وأخيها المتبني ميشو لكن وبحكم عدم إتقان ميشيل للغة العربية إضطرت إلى الإنفصال عن مدرسة قمرة وسديم بعد سنة من الدراسة لتنتقل إلى مدرسة تعتمد اللغة الإنجليزية كلغة أساسية في منهاجها الدراسي وتعرفت بالتالي على لميس ومنذ ذلك الحين والفتيات الأربعة صديقات مقربات لم ينفصلن أبدا،تعدّ لميس فتاة حجازية لها جذورية مصرية(جدتها من أمها) والدها عميد سابق في كلية الصيدلة ووالدتها وكيلة سابقة في نفس الكلية ما دفع بها لاختيار دراسة الطب في الجامعة هي وتوأمها تماضر،أما سديم فهي يتيمة الأم تعيش مع والدها عبد المحسن الحريملي وعلى اتصال بخالتها بدرية وجدّ مقرّبة من جارتها الكويتية أم نوير مفتشة مادة الرياضيات في الرئاسة العامة لتعليم البنات طلّقها زوجها السعودي بعد بعض التصرفات الشاذة الصادرة من ابنهما نوري وأصبحت أم نوير بالتالي مقربة من الفتيات الأربعة يجتمعن في منزلها وتقدّم لهن نصائح في علاقاتهن وتحذّرهنّ وتساعدهن في شتى الأمور حتى أبسطها، اتجهت سديم إلى دراسة الأعمال في الجامعة بينما اختارت ميشيل علوم الحاسب أما قمرة فقد احتاجت إلى الكثير من الوساطات ليتم قبولها لدراسة التاريخ لكنها لم تتم دراستها بسبب إنشغالها بتحضيرات زواجها من راشد التنبل، تبدأ الرواية بسرد تفاصيل زفاف قمرة من راشد حماس قمرة وخوفها وجمود وعبوس راشد،خطط الفتيات لاستقطاب أعين الخاطبات وغيرتهن الخفية من قمرة التي ورغم تزينها وفستانها الذي لم يرق للفتيات كانت تبدو أقلّهن حسنا وجمالا وأوفرهن حظا،تعرفت ميشيل على فيصل البطران أياما قليلة قبل زفاف قمرة في حفلة الباشلورات بارتي التي نظّمتها الفتيات لصديقتهن قمرة وبمرور الأيام أعجبت ميشيل كثيرا بفيصل وأحبّته وبادلها هو نفس المشاعر واندهشن من وجود شاب مثل فيصل في هذا المجتمع المتخلف في نظرها،أما سديم فقد تقدّم الكثير لخطبتها بعد زفاف قمرة ومن بين العرسان اختارت خالتها أحسنهم أغناهم وأرقاهم وليد الشاري الذي أعجب كثيرا بسديم وأوهمها بحبّه وأراد أن يقام الزفاف في أسرع وقت

ممكن فتمّ عقد القران وحدّد موعد الزفاف لكنه طلقها ودمّر حياتها بعد الليلة التي قضياها معا.

انتقلت قمرة بعد شهر العسل الذي قضته في إيطاليا إلى شيكاجو أين يحضر زوجها لشهادة الدكتوراه في التجارة الإلكترونية، وصعب على قمرة التعود على حياتها الجديدة مع المباني الشاهقة والمصاعد الكهربائية والتعامل مع الأشخاص لعدم اتقانها اللغة الإنجليزية إلاّ أنّ أكثر ما استصعبته هو معاملة راشد لها فقد فوجئت بمعاملة غير تلك التي تخيلتها قبل الزواج ومع مرور الوقت أدركت حقيقة مشاعره والسبب وراء هذا الجفاء والقسوة فقد كان لزوجها حبيبة تدعى كاري سعت قمرة جاهدة للقائها ولم يكن لقاءهما لطيفا أبدا حيث لم تستطع قمرة تمالك نفسها وراحت تشتمها بكل ما تعرفه من ألفاظ بذيئة باللغة الإنجليزية، غضب راشد كثيرا لفعلة قمرة هذه وطردها من المتزل رغم معرفته بحملها وبعث لها بورقة الطلاق أسبوعين بعد بعد وصولها إلى الرياض لتبدأ معاناة قمرة النفسية وحالات الإكتئاب الحادة التي عايشتها دون ذكر موقف المجتمع السعودي من المرأة المطلقة والحدود التي تفرض عليها أكثر من المرأة العزباء، في حين كانت ميشيل تعيش مع فيصل أجمل وأسعد أيام حياتها فهو لا يفوّت أية فرصة ليعبّر ويبرهن لها عن حبّه وقد أُثارت الهدايا الثمينة ورومانسية فيصل يم عيد الحب غيرة العديد من زميلاتها في الجامعة اللاتي لم ينلن من الإهتمام والحب الذي تتلقاه ميشيل من فيصل والذي جاهد لنوفير وإيصال الهدايا لأنّ هذا النوع من الإحتفالات محرّم في المملكة فحتى توفير الزهور في مثل هذا اليوم يحتاج للكثير من الوساطات، إلاّ أنّ علاقتهما وكغيرها من أغلب العلاقات في المجتمع السعودي لم يكتب لها النجاح بسبب رفض والدة فيصل زواج ابنها الصغير من فتاة ذات أصول أمريكية ومن عائلة غير معروفة في وسطهم الراقي وما كان لميشيل سوى أ تترك فيصل رغم حبها الكبير له بعد رفض والدته لها ولومها لفيص لعدم قدرته على المحاربة من أجل حبهما وخضوعه لأحكام وتقاليد تقليدية متخلفة كغيره من الرجال في هذه المملكة الذي ظنّته مختلفا عنهم.

سافرت سديم إلى لندن بعد دخولها في نوبة إكتئاب حادة بعد تطليق وليد لها ورسوبها في الدراسة حاولت أن تضمد جراحها في هذه المدينة التي تحبها وتبتعد بقدر ما تستطيع عن المملكة وتهرب بتفكيرها ومشاعرها وتحاول أن تتجاوز هذه الصدمة وبمرور أيام من الحزن والبكاء بدأت تعمل في أحد البنوك أين تعرفت بفضل بعض معارفها بفراس الشاب السعودي المثالي الذي ستعيش معه قصة حب خرافية وينسيها وليد الخائن لا سيما باستقراره في المملكة ودخوله ميدان السياسة ليصبح أحد أهم الشخصيات في البلاد،شعرت سديم مع فراس بمشاعر لم تعشها مع وليد وتعرفت على معنى الحب الحقيقي وأَبح فراس كل حياتها الآن.

سافرت ميشيل إلى سان فرانسيسكو للدراسة والإبتعاد عن فيصل وكانت تقضي معظم وقتها مع ابن خالها ماثيو الذي خالت في وقت من الأوقات أنها تحبّه، وأنجبت قمرة ابنها صالح الذي ظنت أنه مفتاح عودة راشد لها غير أنّ راشد لم يعد ومصير صالح أصبح معلقا بيد الخادمة والمربية الفيليبينية التي استقدمتها والدة قمرة لمعرفتها بمدى إهمال إبنتها وعدم قدرتها على تحمل مسئولية العناية بهذا الصغير إلا أنها وبعد مرور فترة معينة وبعد تقبلها لمصيرها وحياتها تعلقت بطفلها وأحبته وأصبحت تهتم به لا سيما عند اكتشافها لإهمال المربية له، أما ميشيل فبعد عام من الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية قرر والدها أن يستقروا جميعا كعائلة في دبي وأن تكنل دراستها هناك أين صادقت جمانة الطالبة الإماراتية التي عرضت عليها العمل معها في أحد محطات والدها التلفزيونية ونجحت ميشيل في هذه المهمة ببراعة.

تعرفت لميس على نزار في أحد المستشفيات خلال تدريبها بعد انتهاءها من السنة الرابعة وقررت لميس أن تتفادى في علاقتها مع نزار جميع الأخطاء التي وقعت فيها صديقاتها من قبل ولقد سارت خطته بالفعل بنجاح حيث كانت علاقتها أكثر العلاقات صحة ونجاحا حيث تقدّم نزار لخطبتها وتزوجا وعاشا بسعادة معا ورزقا بطفل معا.

أما سديم فبعد علاقة دامت ثلاث سنوات ونصف مع فراس صارحها برفض أهله زواجه من مطلقة وأنّه خطب أحد قريبات أخته لتتدمر سديم من جديد وتغرق في أحزانها وحظه السيئ وتحاول أن تخرج نفسها من هذه الدوامة التي سوّدت ودمّرت حياتها،إلاّ أنّه وبعد ثلاثة أسابيع من الإنفصال يعود لها فراس وترضى بعودته رغم معرفتها بخطبته وتكلمه مع أخرى إلا أنّ نوبات غيرتها تجعله يتركها من جديد ولتشتيت ذهنها هذه المرة تقرر الدخول في مشروع تنظيم الحفلات بالإرث الذي بقي لها من والدها وتسافر للعيش مع خالتها بدرية لعدم قدرتها على البقاء وحيدة في المنزل بعد وفاة والدها وهناك يصارحها ابن خالتها طارق بحقيقة مشاعره تجاهها وأنه سيكون أسعد رجل في الكون إذا رضيت الإرتباط به.

تنتهي الرواية مع حفل تخرج لميس وميشيل في أحد الفنادق أين يلمح فراس سديم ويعاود الإتصال بها ليطلب الزواج منها كزوجة ثانية بعد انجابه طفلين من زوجته الأولى،تقفل سديم الخط وتتخذ قرارها بالزواج من ابن خالتها فيصل الذي دعته إلى منزلها لإخباره بقرارها بعد أن ترك لها مهلة للتفكير بعرضه،أما فيصل حبيب ميشيل السابق فقد تزوج من إحدى الفتيات التي اختارتها له والدته ولقد حرصت ميشيل على خضور العرس بعد بلوغها نبأ زواجه للإنتقام والشماتة من حبيبها الذي تأكدت من نوع الحياة وجهنم التي سيعيشها بعد الآن.

ملاحظة:

ذكرت الكاتبة رجاء الصانعي أنّ رواية بنات الرياض ليست تجربة شخصية مثلما لن يمون عملها القادم تجربة شخصية حتى وإن كان يوجد البعض منها في كل من الفتيات البطلات الأربعة.

4-4-3-الجانب النسوي في الرواية:

تحاول الكاتبة رجاء الصانعي من خلال روايتها بنات الرياض مناقشة بعض القضايا المتعلقة بالمرأة في المجتمع السعودي،طرح بعض الأفكار المعتقدات والممارسات التقليدية التي تضيّق على المرأة حريتها وحياتها وسرد بعض أشكال وأجواء الحياة في المملكة العربية السعودية التي تعكس مدى التشدّد في التعامل مع الجنسين والإجراءات والتدابير التي يتم إتخاذها لدحض أي علاقة غير مشروعة يمكن أن تنشأ بينهما ومعاناة المرأة عموما من مظاهر التشدد هذه التي تجعلها تحيى بخوف دائما فهي لا تدرس ولا تتسوق ولا تسافر بحرية تخشى دوما أن يلمحها أحد معارفها من النساء أو الرجال ويسيئ تأويل تصرفاتها ويؤلف أقاويل عنها فسديم على سبيل المثال حتى وبوجودها في لندن خشيت عند إلتقاءها بشاب سعودي أن يُحدّث معارفه في البلد عنها بسوء وعلى حدّ قولها فإنّ صيتها سيشاع في جميع أمحاء البلد مثلما يحدث عادة مع بعض الفتيات ولن يقترب أحد للزواج منها ما يبرز خوف المرأة السعودية من ردة فعل المجتمع وموقفه منها ما يحدّ من حريتها وحرية تصرفاتها وحياتها، كما تخشى أن تقع ضحية أحد التفتيشات التي تقوم بها هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلما حدث مع لميس أثناء وجودها م صدسقعا في أحد المقاهي والتبعات النابعة عن حوادث مماثلة، كما ذكرت الكاتبة الإجراءات الت يتم اتخاذها لمنع الشباب من الإحتفال ببعض الأعياد الغربية كعيد الحب حيث يحظر بيع الورد ولا يحصل عليه إلا بالوساطة وأكثر من ذلك حيث يتمّ تفتيش البنات ومنعهن من إرتداء اللون الأحمر في يوم مماثل ما يعدّ مبالغا فيه نوعا ما،وتواصل الكاتبة سرد جميع أشكال الرقابة والقيود المفروضة على المرأة في المجتمع السعودي والتنازلات التي تجبر على إتخاذها لإرضاء المجتمع فالمرأة المطلّقة مثلا تعاني أكثر بكثير مما تعانيه المرأة العزباء فهي تحاسب على خروجها وعلى أفعالها وأُقوالها ولايرضى أحد بالزواج منها لا سيما إن كان لها أبناء فأكثر ما ستناله إذا كانت صغير ة في السن هو رجل مسنّ مطلّق أو متزوج يفرض عليها شروطه وكأنّه يحسن إليها بزواجه منها مثلما حدث مع قمرة عندما اشترط أبو مساعد عليها أن تترك ابنها أو بالأحرى اشترط من والدها ولم يفكر أحد بأن يأخذ برأي قمرة في الموضوع كأنها ليست معنية فالمطلقة لا يأخذ برأيها غالبا إَضافة إلى رفض الأعزب الزواج من مطلقة مثلما حدث مع سديم وفراس،ورفض الآباء زواج أبنائهم من فتيات لسن من طبقتهن الإجتماعية لاسيما إن كنّ لسن سعوديات مثلما حدث مع ميشيل وفيصل وفشل علاقتهما لكون ميشيل

نصف أمريكية،كل هذا وذاك يعكس شكال الإضطهاد النفسي والظلم واللامساواة التي تعانيها المرأة في المجتمع السعودي بسبب الأعراف والتقاليد لا الدين وبسبب نظرة الآخرروتوقعاته وتعامله معها المبني على أساس التمييز والشعور بالفوقية وقدرته على الهيمنة والسيطرة عليها ما يضيّق عليها حريتها ويجعل من حياتها في أغلب الأحيان تضحية وتنازلات في سبيل إرضاء الآخر والمجتمع فقط ولمجرد كونها إمرأة جنس إعتاد ولعصور أن يُكتسب وتكوّن بحقه معتقدات خاطئة مستمدة من تقاليد وأفكار رجعية ومتخلفة.

4-4-4-لمحة عن المترجمة:

تعتبر مارلين بوث(Marilyn Louise Booth)كاتبة ومترجمة أمريكية من مواليد 24فيفري 1955 بالولايات المتحدة الأمريكية أين قضت طفولتها لتنتقل في سن الثانية عشر مع عائلتها إلى بيروت(لبنان) لمدة سنة كاملة حيث كان لها أول إحتكاك بالتقافة واللغة العربية التي أثرت فيها كثيرا وأدركت أنها ستكون جزءا من مستقبلها حيث أُثّرت على خياراتها الدراسية لاحقا وفضّلت دراسة الأدب العربي والثقافة الشرقية على باقي التخصصات والإختيارات التي حظيت بها،وبعد تخرجها انتقلت للعيش في مصر لمدة خمس سنوات بحكم دراستها للمنطقة وأدباءها، عملت كأستاذة للغة العربية والثقافة الشرقية في عدة جامعات أجنبية وتعمل منذ عام 2015 كأستاذة في جامعة خالد ابن عبد الله آل سعود،كتبت مارلين العيد من الكتب والمقالات حول العالم الشرقي إضافة إلى ممارستها للترجمة وإهتمامها بالحركة النسوية في الشرق والكتابات النسوية هناك مع ميل كبير لدراسة الشعر الشعبي والنثر الهزلي في مصر .

4-4-5-طريقة الترجمة :

شكرت الكاتبة رجاء عبد الله الصانعي في نهاية النسخة المترجمة من الرواية (بنات الرياض) كل من ساعدها حتى لا تضيع روايتها أثناء عملية الترجمة والتي حرصت هي الأخرى أن تكون مرافقة للمترجمة مارلين بوث (Marylin Booth)أثناء عملها وساعدتها على فك وتحليل ونقل جلّ الرموز الثقافية والدينية التي تزخر بها الرواية والتي تمثل خصوصيات وأجواء الحياة في المملكة العربية السعودية والتي قد يعجز أحيانا حتى الشخص العربي الذي لا يعيش في المملكة على تفسير وفهم البعض منها، فجاءت الترجمة هنا أ]ضا نقلا حرفيا للأَصل ونشعر وكأنّ الكاتبة حرصت على عدم ضياع أية فكرة أو معلومة أو جملة وإيصال الرواية مثلما كتبتها للقارئ الأجنبي فجاءت الترجمة على امتداد ثلاثمئة 300صفحة تقريبا نفس عدد صفحات الرواية الأصلية لكن بالطبع كانت هناك بعض التعديلات والتغييرات الصغيرة كحذف بعض الفقرات وإضافة بعض الأفكار وتغييرها إَضافة إلى بعض الشروحات في الهامش لما قد يستعصي على القارئ الأجنبي إستيعابه.

4-4-6-تحليل ومناقشة الأمثلة (رواية بنات الرياض):

سنستعين في مناقشتنا وتحليلنا للأمثلة التي استخرجناها من الرواية (بنات الرياض)وترجمتها (The Girls of Riyadh) بالطبعة العربية الثانية للرواية الصادرة عام 2007 عن دار الفارابي بلبنان والنسخة المترجمة الصادرة عام 2008 عن Penguin Books بالمملكة البريطانية المتحدة،وقبل البدأ في تحليل الأمثلة سنقوم بالتعرض للعناصر الأخرى المكوّنة للتركيب الروائي مثلما فعلنا مع الرواية الأولى وستكون البداية مع:

4-4-6-1العنوان:

مثلما سيتّضح لقارئ الرواية فإنّ العنوان هو آخر شيئ قد فكّرت فيه الكاتبة حيث أنّ عملها لم ينشر مباشرة كعمل روائي بل كان عبارة عن مجموعة من الرسائل الإلكترونية التي تبعث بها الكاتبة كل يوم جمعة لمستعملي البريد الإلكتروني في المملكة العربية السعودية وباقتراب العمل من نهايته وبطلب وإلحاح من العديد من القرّاء الذين اقترحوا على الكاتبة نشر العمل على شكل رواية ذكرت الكاتبة هذا الإقتراح لقراءها وطلبت منهم المساعدة في إيجاد عنوان مناسب للرسائل إن حدث ونشرتها على شكل عمل روائي وفعلا تظهر حيرة الكاتبة عند اقتراب العمل من النهاية فقد عرضت على القارئ جملة من العناوين التي رأت أنّها قد تصلح لتكون عنوانا لعملها وارتأت في النهاية اختيار عنوان "بنات الرياض"نسبة إلى الأغنية السعودية "يا بنات الرياض"للمطرب عبد المجبد عبد الله والتي وظّفتها الكاتبة في بداية الرواية عندما قامت الفتيات ترقصن على أنغامها في حفلة وداع العزوبية التي أقمنها لصديقتهن قمرة،حيث رأت الكاتبة أنّ هذا العنوان قد يكون مناسبا للعمل حتى وإن إنتقدها البعض قائلا أنّ بطلاتها لا تمثّلن جميع بنات الرياض لكنها في النهاية تعبّر وتمثّل جزء أو عينة من بنات الرياض موجودة في الواقع مهما حاول البعض إنكار ذلك.

وقد تمّت ترجمة العنوان تماما مثل ما جاء في اللغة العربية (بنات الرياض Girls of Riyadh) دون إحداث أي تغيير أو تعديل عليه،ونعتقد أنّ دار النشر والمترجم كانا على ثقة كبيرة بأنّ الإبقاء على العنوان مثلما جاء في اللغة العربية سيكون أفضل وأكثر فائدة للترجمة حيث سيثير إهتمام القارئ وسيولّد لديه الرغبة في الإطلاع وإكتشاف أسرار المجتمع السعودي وحياة وواقع المرأة فيه لا سيما بعد أحداث 11 سبتمبر والصورة المزيّفة التي عملت وسائل الإعلام الغربية على الترويج لها عن الإسلام والمسلمين.

4-4-6-2-الصورة المطبوعة على النسخة الأصلية والنسخة المترجمة:

لا نجد في النسخة العربية من الرواية صورة معينة مطبوعة قد توحي أو ترمز لضمون الرواية من غير بعض رموز الإيموجي(الرموز التعبيرية)التي تستعمل في الرسائل الإلكترونية للتعبير عن حالات نفسية معينة كالفرح أو الغضب أو البكاء وغيرها وهذا الإستعمال يوحي إلى الشكل الأول الذي تعرّف فيه القارئ على هذا العمل فهي توحي ضمنيا إلى البدايات الأولى للعمل لكن لا نجد أي تعبير آخر يرمز إلى حياة أو تجارب الفتيات أي القصة التي يقوم عليها العمل عموما.

أما في النسخة المترجمة فنجد غلاف جذّاب ومثير تماما بألوان باهية وجميلة قصدا لاستقطاب القارئ فالغلاف جاء بلون بنفسجي فاتح عليه كتابات ذات أحجام مختلفة بألوان متنوعة مزيّنة برسومات جميلة أزهار وردية،،نجوم لامعة،سيارات رياضية، حقائب وأحذية نسائية، أحمر شفاه مثير، إبريق شاي،هاتف محمول، شيشة ونظارات شمسية كل هذ وذاك يعطي فكرة للقارئ عن نوع الحياة التي تعيشها هاته العينة من بنات الرياض التي تحكي عنها الكاتبة، بنات الطبقة المخملية ما يشوّق القارئ ويدفعه إلى التساؤل عن هذه التجارب التي تعيشها هاته النسوة في محيط وبيئة متشدّدة كالمملكة العربية السعودية.

وفيما يلي سنرفق الصور المطبوعة على النسختين من العمل الأصلي منها والمترجم:

رواية بنات الرياض

للكاتبة رجاء عبد الله الصانع

بنـــات الريـــاض

بنـــات الريـــاض

للكاتبة رجاء عبد الله الصانع

الإعداد والتنفيذ الإلكتروني

م. أمجد قاسم

engamjad@gmail.com

JOIN AAFAQ GROUP

http://tech.groups.yahoo.com/group/aafaq/

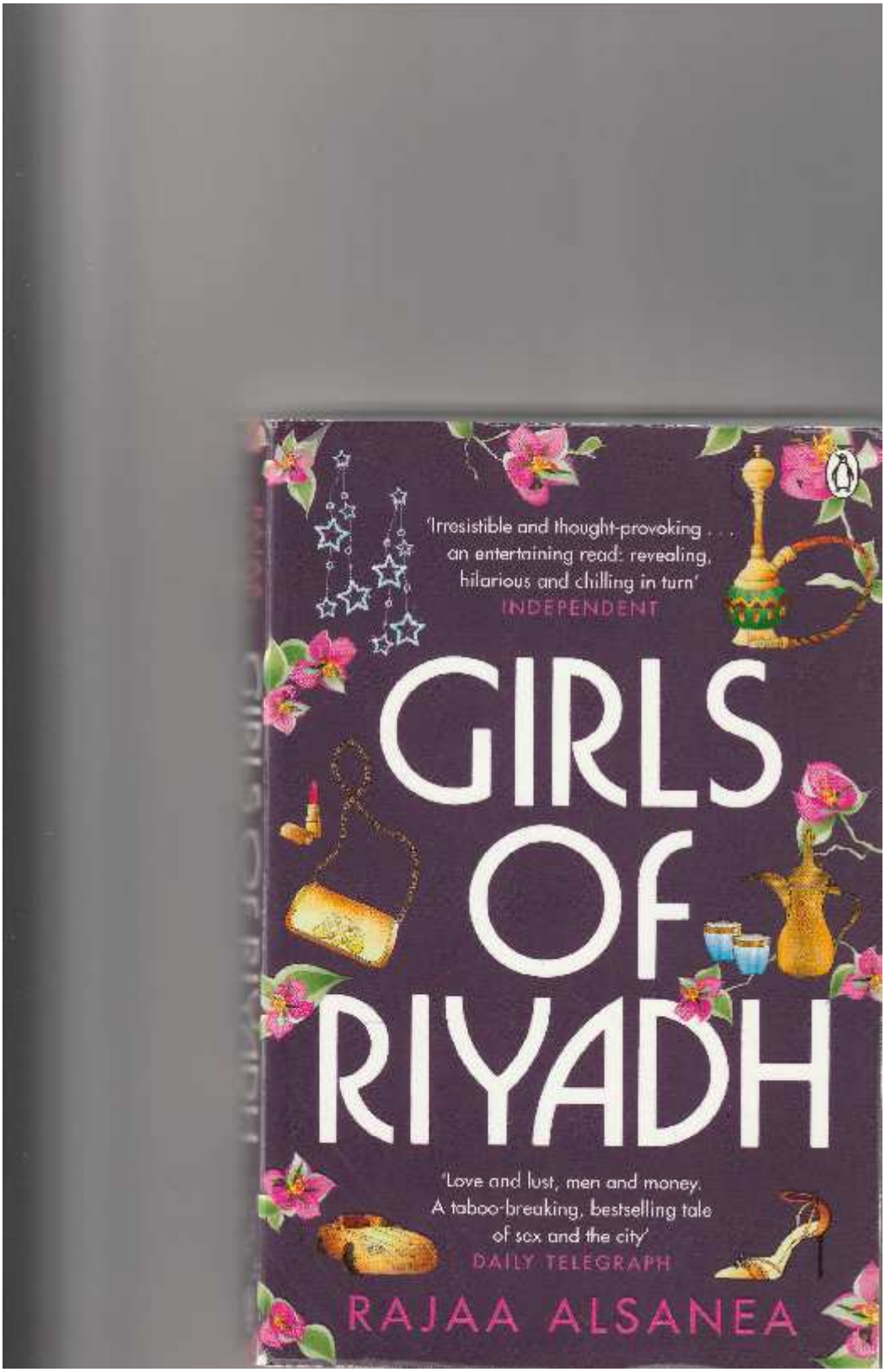
'Irresistible and thought-provoking . . . an entertaining read: revealing, hilarious and chilling in turn'
INDEPENDENT
GIRLS OF RIYADH
'Love and lust, men and money. A taboo-breaking, bestselling tale of sex and the city'
DAILY TELEGRAPH
RAJAA ALSANEA

4-4-6-3- نص ظهر الغلاف:

طبع على ظهر غلاف الرواية الأصلية باللغة العربية كلمة للأديب الكبير الراحل غازي القصيبي الذي أكدت الكاتبة في أكثر من حوار لها أنّه قدوتها في هذا المجال وإعجاب الأديب الراحل بعمل الكاتبة وتثمينه يكون له دور كبير في زيادة القيمة الفنية للعمل واستقطاب القراء وزيادة نسبة المبيعات، وقد حاول غازي القصيبي من خلال كلمته أن يقدّم للقارئ لمحة عن مضمون الرواية والمواضيع التي ستتطرق لها الكاتبة إضافة إلى محاولة تعريفه بالكاتبة رجاء الصانعي ومدحها والإشادة بعملها وتوقعاته لها بمستقبل واعد في هذا المجال.

أما في النسخة المترجمة من الرواية فنجد مقتطفات من المقالات التي كتبت في المجلات والصحف الأجنبية بخصوص الرواية، إضافة إلى بعض النقاط العريضة التي تقدّم لمحة عن موضوع الرواية وشخصيات الفتيات الأربعة التي تدور حولهن أحداث الرواية، وهذا النوع من التوظيف للآراء والمواقف التي اتخذتها الصحافة العالمية (Independent,Daily Telegraph,Financial Times,New Statesman)

وغيرها من شأنه إقناع القارئ الأجنبي بتميّز العمل وبالتالي زيادة نسبة المبيعات التي تعدّ أحد الأهداف الأساسية لدور النشر،وبالتالي فإنّ المترجمة لم تخصّص هذه المساحة للتعبير عن موقفها أو رأيها النسوي مثلما تقوم به بعض المترجمات النسويات فلا نشهد أي ظهور لصوتها في هذه المساحة.

4-4-6-4-المقدمة:

لم تضمّن الكاتبة النسخة الأصلية من الرواية بمقدمة أو كلمة ولم تستعن دار النشر بكتّاب آخرين لتقديم العمل عدا النص المطبوع على ظهر الغلاف من قبل الأديب الكبير الراحل غازي القصيبي بينما نجد في النسخة المترجمة من الرواية كلمة للكاتبة وجهتها للقارئ الأجنبي قبل شروعه في قراءة الرواية حيث ذكرت أنّه لم تتخيل يوما عند كتابتها للرواية أنّها ستصدرها بأي لغة أخرى عدا اللغة العربية وأنّ القارئ أو العالم الغربي سيهتم بها فبالنسبة لها ولغيرها من السعوديين أنّ الغرب لا يزال يرى الشرق إما رومانسيا كبلاد ألف ليلة وليلة أو سياسيا كالبلاد التي ظهر منها بن لادن ومفهوم الإرهاب أين تغطي النسوة أنفسهن بالأسود من أعلى الرأس إلى أسفل القدمين وحيث تمتلك كل عائلة بئر بترول خاصا بها في الحديقة الخلفية، ولهذا قد يكون صعبا نوعا ما تغيير هذه الصورة

التي كوّنها الغرب عن مجتمعها لكنها شعرت وكأنّه من واجبها أن تكشف جانبا آخر من الحياة في المملكة الذي يجهله القارئ الغربي.

ومن باب المسئولية أكدت أن الشخصيات في الرواية لا تمثّل جميع بنات الرياض ولكن فئة فقط منهن.

وأملت أن يرى القارئ عند انهاءه للرواية ويستوعب آمال وعزم وأحلام المرأة السعودية التي كغيرها من النساء في هذا العالم لديها مشاعر وأحلام ومشاريع وأنّ البعض من هاته النسوة قد بدأنّ في شقّ طريقهن الخاص نحو تحقيق أهدافهن وحياة ومستقبل أفضل بما يتوافق قيّم ومبادئ الثقافة العربية الإسلامية، وبهذا نجد هنا أنّه وعلى عكس ما تقوم به المترجمات النسويات اللاتي ترين المقدمة أحيانا متسعا للتعبير عن فكرهن النسوي وإبداء موقفهن من النصّ المترجم،فإنّ المقدمة في النسخة المترجمة كانت من حظ الكاتبة التي عبّرت من خلالها للقارئ الأجنبي عن انشغالات وآمال المرأة العربية بشكل عام والمرأة السعودية بشكل خاص، فكانت المقدمة بقلم نسوي عربي .

4-4-6-5- الخاتمة:

ضمّنت الكاتبة النسخة الأصلية من الرواية بكلمة ختامية تحت عنوان بيني وبينكم شرحت من خلالها للقارئ مواقف صديقاتها عند قراءتهن للعمل وما آلت إليه حياتهن بعد الأحداث التي سردتها في الرواية، وهي ذات الكلمة التي نجدها في النسخة المترجمة من الرواية غير أنّها أضافت في العمل المترجم كلمة شكر وعرفان لعائلتها ولكل من ساهم وساعدها على إنجاز الترجمة ووجّهت بالغ التقدير والإحترام لقدوتها الأديب الراحل غازي القصيبي، وهنا أيضا لم تكن الخاتمة في النسخة المترجمة بقلم المترجمة التي أبقت صوتها مخفيا (invisible) على عكس بعض المترجمات النسويات اللاتي قد يبدين ويبرزن صوتهن في الخاتمة.

4-4-6-6-الهوامش:

نلاحظ أنّ الكاتبة في نصها الأصلي لم تلجأ إلى إستعمال الهوامش، بينما لجأت إليها المترجمة تفسيرا وشرحا لبعض التعابير الإسلامية وتوضيحا أيضا لبعض التواريخ الإسلامية،كما ستعملتها لشرح بعض الخصائص الثقافية التي يتميز بها المجتمع السعودي كاللباس وبعض العادات والتقاليد وأجواء الإحتفال ببعض المناسبات الدينية والإجتماعية وواقع الحياة بشكل عام في المجتمع السعودي سياسيا،ثقافيا،دينيا وإجتماعيا التي تعدّ غريبة

على القارئ الأجنبي،إضافة إلى تعريف القارئ الغربي ببعض الشخصيات العربية المعروفة فنيا وإعلاميا التي قد وظّفتها الكاتبة في نصها،وبهذا نجد أنّ المترجمة قد خصصت الهوامش لصالح القارئ الغربي لإعانته على استيعاب وإدراك النص في حين كان يمكنها استعمال الهوامش لإظهار صوتها النسوي مثلما هو متعارف عليه في الترجمة النسوية.

تحليل ومناقشة أمثلة المدونة:

سنقوم هنا أيضا مع المدونة الثانية التي اخترناها لبحثنا هذا باستخراج بعض الأمثلة التي لاحظنا فيها بعض الإنزياحات عن النص الأصلي وسنصنّفها إلى ذات المستويات التي صنفّنا إليها المدونة الأولى وعليها ستكون البداية مع:

4-4-6--على المستوى المعجمي:

سنتعرض هنا إلى بعض الأمثلة التي لاحظنا فيها استبدال بعض الوحدات المعجمية بوحدات معجمية أخرى لا تردّ المعنى الحقيقي للمفردة العربية الموظّفة من قبل الكاتبة وهذا ما سنلحظه فيمايلي:

1- إلى كل الساخطين والناقمين، الثائرين والغاضبين.ص2

To the enraged and the outraged, the heated and the hostile ,the rebellious and the bilious.p2

نلا حظ في هذا المثال أنّه تمّ توظيف مجموعة من الصفات تنتمي جميعها أو تحمل كلها معنى الغضب لكن بدرجات متفاوتة فالساخط أكثر حنقا من الثائر والناقم ليس على الدرجة ذاتها من الإنفعال مع الغاضب ونجد أنّه تمت ترجمة هذه الصفات الأربعة باستبدالها بستّة صفات في اللغة الإنجليزية ،فصفتي (enraged and outraged) تعنيان أن الشخص قد بلغ أُقصى درجات الغضب أي هو متأجج غضبا

وهذا المعنى لا نعبّر عنه بالصفة (ساخط) ب اللغة العربية التي يقابلها في اللغة الإنجليزية الصفة (irritated)،بينما الصفة الإنجليزية (the heated) التي تعني أن يصبح الشخص غاضبا بتأثره بأي شيئ قد يزعجه لا تردّ معنى الصفة العربية(ناقم) التي كان يمكن ترجمتها بالصفة (indignant) أما الصفة العربية (ثائر)فيقابلها باللغة الإنجليزية الصفة (rebellious)أما صفتي (hostile)التي تعني (عدائي) وصفة(bilious)التي تعني (نكد)لا نجد لهما ما يقابلهما في الجملة العربية فهما إضافة يمكن إزالتها وترجمة الصفة (angry) بغاضب فقط ، وفي هذا المثال نجد الكاتبة تخاطب جملة القراء الذين شنّوا عليها حملة من الإنتقادات والإهانات حيث أنّ روايتها كانت تنزّل على شكل مقاطع مساء كل يوم جمعة عبر الإنترنت لهذا فقد كانت تتفاعل مع قراءها عبر بريدها الإلكتروني ، فأبرزت هنا الصعوبات التي تواجهها المرأة الكاتبة عند طرحها لمسألة العلاقة بين الجنسين في المجتمع وكشفها لحقيقة ما تتعرض له المرأة من إضطهاد من العائلة أو الزوج أو الصديق والمجتمع ككلّ ليس بإسم الدين بل بسبب بعض المفاهيم و الأحكام الإجتماعية والمعتقدات التقليدية التي كوّنت بخصوص المرأة والتي تحكم سيطرتها على العلاقة بين الرجل والمرأة ،حتى أنّ الكاتبة كانت تكتب باسم مستعار تخوّفا من ردّة فعل الجتمع لطرحها قضايا مماثلة وقد حاول المترجم نقل هذا الإنشغال للقارئ الأجنبي .

2- وكرّست طاقته لتجذبه إليها بعد أن أعلنت والدتها أنّ سياسة التمنع قد جابت العيد.ص6

She agreed to devote all of her energy to lead him on ,since her mother has recently announced to her on phone that the policy of withholding had decidely backfired in this case.p13

نلاحظ في هذا المثال أنّ المترجم لم يدرك معنى عبارة (جابت العيد)التي تعني نجاح الخطة وبلوغ النتائج المرجوة وترجمها عكس المعنى الذي قصدته الكاتبة في نصها فالفعل (backfire) يعني إخفاق الخطة وفشلها والحصول على نتائج عكس تلك المرجوة وعنا كان يمكن إستبدال الفعل (backfire) بالفعل نجح (to succeed) الذي يرد معنى العبارة العربية (جابت العيد)، وهنا أيضا طرحت الكاتبة أحد المعتقدات والممارسات التي تقوم بها النسوة لإثبات براءتهن لأزواجهن وكأنّ على المرأة دوما أن تبررّ وتثبت عفتها لتنال رضا زوجها في حين لا يطالب الرجل بأي شيئ من ذلك .

3- والعرق يتصبب من كل مسام جلدها.ص26

Sweat beading on her forehead.p51

تمّ في هذا المثال استبدال عبارة (من كل مسام جلدها)بلفظة (forehead)التي تعني (جبين) فالترجمة نصف بأنّ العرق يتصبب من الجبين فقط على عكس العبارة العربية التي تعني أنّ العرق يتصبب من أكثر من مكان واحد في الجسم لهذا كان يمكن ترجمة عبارة (والعرق يتصبب من كل مسام جلدها)ب she was oozing buckets of sweat التي تردّ بعض المعنى الذي تحمله الجملة العربية.

4- الله يخلف عليك يا سدوم.ص27

May God protect you, Saddoamah,dear !

تمّ ترجمة عبارة (الله يخلف عليك)أي عسى الله أن يعوّض عنك بما هو أحسن بالعبارة الإنجليزية (May God protect you)التي تعني ليحفظك الله يا عزيزتي سديم !بينما كان يفضّل ترجمتها ب May God compensate you and grant you something similar to which you have lost. التي تردّ معنى العبارة العربية، ونلحظ هنا إستعمال الكاتبة لبعض التعابير الدينية مبرزة من خلالها أنّ طرح قضايا المرأة لا يعني الإعراض عن تعاليم الدين الإسلامي الذي يشكلّ أحد المقومات الأساسية التي تقوم عليها النسوية العربية.

5- الله الحافظ.ص 27

Good God !p51

تمّ هنا في هذا المثال ترجمة عبارة (الله الحافظ)ب(Good God) التي لا تردّ معنى العبارة العربية والمفهوم الذي قصدته الكاتبة حيث كان يجدر ترجمتها ب(God the protector).

6- سامحني يا عزيزي عبد الله.ص28

Easy on me Abdullah.p53

تمّ في هذا المثال ترجمة الفعل (سامحني) ب(easy on me) التي تحمل معنى (حاول أن تتفهمني)في حين كان يمكن ترجمة الفعل (سامح) ببساطة بما يقابله في اللغة الإنجليزية ونتحصل على العبارة(would you forgive me Abdullah)

7- أنا لا أحلّل ما أفعل ولا أحرّمه.ص32

I do not analyse every move I make and I do not worry about every act possibly being taboo.p61

قام المترجم في هذا المثال بترجمة الفعل (أحلّل) بالفعل الإنجليزي (to analyse) بينما الكاتبة لم تقصد هذا المعنى بتوظيفها للفعل (حلّل) بالشدّة في هذه الجملة، بل قصدت منه مفهوم الحلال الذي هو عكس الحرام ويمكن أن نستشف هذا المعنى من خلال السياق حيث قالت أنّها لا تحكم على أي فعل تقوم به إن كان حلالا مطابقا للشرع أوحراما مخالفا له لهذا فالفعل(to analyse) لا يردّ المعنى المقصود في الجملة العربية لهذا كان يمكن استبداله مثلا بالصفة(permissible) فتعطينا العبارة التالية :

I do not say every move I make is permissible, I do not worry about every act possibly being taboo.

8- هل كفرت ؟ص48

Is that too much to ask ?p89

لم يترجم المترجم هنا عبارة "هل كفرت"بما يقابلها حرفيا في اللغة الإنجليزية لكنه حاول تقريب المعنى من القارئ الأجنبي بترجمتها "is that too much to ask ?" لأنّ العبارة العربية تحمل في طياتها هذا المعنى وكأنّه يقصد بها "هل تطلب المستحيل"وربما لو قام بترجمة العبارة حرفيا كأن يقول:" does she disbelieve in God ? " ربما قد تخلق نوعا من الحساسية لدى القارئ الأجنبي لا سيما وأنّ الكفر عند المسلمين يكون بالخروج عن دين الإسلام أو إعتناق دين آخر غيره.

9- لن يكون لي أي مشاكل مع تعدّد الزوجات.ص69

لا يا شيخ ! والله طلعت ملكع بجد !

I will not have any problems juggling two wives

Ha, ha ,very funny ! So the real you is wicked after all,eh ?.p127

تمّ في هذا المثال ترجمة عبارة (تعدد الزوجات) ب(juggling two wives) التي تعني أنّ هذا الشخص قادر على السيطرة وعيش حيايتن مع زوجتين مختلفتين وهنا تمّ ربط مفهوم تعدّد الزوجات بزوجتين فقط في حين يمكنه أن يصل إلى حدّ أربعة زوجات كما شرعّه عزّوجلّ، لهذا من الأفضل لو ترجمة عبارة تعدّد الزوجات بما يقابلها في اللغة الإنجليزية باستعمال مفردة (polygamy) والتي تعني أن يكون للشخص أكثر من زوجة واحدة دون أن تُحدّ بعدد معين،وهنا طرحت الكاتبة أحد إنشغالات النسوية وهو موضوع تعددّ الزوجات الذي يعدّ ظاهرة منتشرة نوعا ما في المجتمع العربي وأبرزت الكاتبة موقفها منه وعمل المترجم على نقله أيضا للقارئ الغربي.

10- يروح راشد يعيش حياته حر ومن غير قيود ويحب ويتزوج ويسوي كل اللي يبغاه وأنا أعيش في هم ونكد باقي عمري.ص82

Rashid goes off to live his life free and without any ties . He can fall in love ,he can get married ,he can do whatever he wants, while I have to live with this aggravation and trouble the rest of my life.p162

ترجم المترجم هنا مفردة (هم) بالمفردة الإنجليزية (aggravation) التي تعني تفاقم وتأزم الأمور وازديادها سوءا في حين كان يمكنه ترجمتها بالمعني الذي أرادته الكاتبة في نصها باستعمال مفردة (grief) على سبيل المثال التي تردّ معنى المفردة العربية، ونلحظ هنا أنّ المترجم لجأ إلى أسلوب الترجمة الحرفية لنقل النص العربي للقارئ الأجنبي ، ونلحظ أنّ الكاتبة طرحت أيضا في هذا المثال أحد إنشغالات المرأة العربية وماتعانيه المرأة المطلقة في المجتمع حيث أنّ الرجل تحميه ذكورته ويتمكن من مواصلة حياته بصفة عادية بينما تعاني المرأة المطلقة من مجموعة من الأحكام المسبقة التي تكوّن عليها وتلام هي على مسألة الطلاق وتعاب ويمارس عليها لمجتمع دور الرقيب حيث تحدّ حريتها ،حتى أنّ المرأة المطلقة تشعر وكأنّ حياتها انتهت أنّها لن تتمكن من بناء أسرة مرة أخرى وإن تمكنت فسيكون مع زوج يكبرها سنا أو أرمل لرفض الرجل العربي عامة التزوج من إمرأة مطلقة خاصة وإن كان عندها أطفال،و قد قام المترجم بنقل هذا للقارئ الأجنبي معتمدا في ذلك على أسلوب الترجمة الحرفية .

11- تردني رسائل كثيرة تحوي قدحا في أم نوير ،وتذم أهالي صديقاتي الذين سمحوا لبناتهم بالتردد على منزل إمرأة مطلقة وحيدة .هل الطلاق كبيرة من الكبائر ترتكبها المرأة دون الرجل؟ لم لا يضطهد الرجل المطلق في مجتمعنا كاضطهاد المرأة المطلقة ؟ ص98

I’am getting many,many responses rebuking and insulting Um Nuwayir , and censuring the families of my friends who have allowed their daughters to spend a single evening at the home of a divorced woman who lives alone.Wait is divorce a major crime

comitted by the woman only ? why dosen't ur society harass the divorced man the way it crushes the divorced woman ?p185

طرحت الكاتبة في هذا المثال أيضا إنشغالات المرأة المطلقة ونظرة المجتمع لها والتمييز بينها وبين الرجل المطلق الذي لا يعاني من الإضطهاد والرقابة والضغط الذي تتعرض له المرأة المطلقة التي وكما يبدو في المثال لا يحبذّ حتى أن تصاحبها أو تخالطها الفتيات وحتى النساء باعتبارها قدوة سيئة ستؤثر سلبا على تفكير الفتيات ،إضافة إلى فكرة كونها تعيشها بمفردها ما لا يسمح لها باستضافة الفتيات في بيتها للمبيت فوجود رجل في حياة المرأة يدفع عنها الكثير من الأعين التي تترقب أخطائها ما يوضح سيادة السلطة الذكورية وتلك الأفكار التقليدية التي تبجّل الرجل وتحطّ من قيمة المرأة وتلك التصورات والمفاهيم الخاطئة التي كوّنت عن المرأة التي تحدّ من حريتها وتهضم العديد من حقوقها والتي لا تزال سائدة في المجتمع السعودي والمجتمعات العربية عامة ، والتي تثير سخط العديد من النسويات اللاتي يطالبن بإلغاء هذا التمميز بين الجنسين وقد عمل المترجم على نقل هذا الإنشغال للقارئ الأجنبي مستعملا في ذلك أسلوب الترجمة الحرفية.

12- بتكون صعبة ومحرجة وغير مريحة.ص102

It is just too difficult , dangerous and awkward.p193

قام المترجم في هذا المثال بترجمة الصفة (صعبة) بما يقابلها في اللغة الإنجليزية وهي الصفة (difficult) أما محرجة فقد استبدلها بالصفة (dangerous) التي يقابلها في اللغة العربية الصفة (خطير) وغير مريحة ترجمها بالصفة (awkward) ويمكن قبولها لأنها قد تحمل بعض معنى الإرتباك والغرابة مايجعل الشيئ غير مريحا،غير أنّ الصفة (محرجة) لا يمكن ترجمتها ب(dangerous) لأنّها لا تردّ معناها الحقيقي وكان يجدر ترجمتها ب(embarassing) التي تحمل ذات المعنى ،وبهذا نجد أنّ المترجم قد لجأ إلى أسلوب الترجمة الحرفية في نقله لمعنى المفردات غير أنّه قام باستبدال صفة واحدة فقط ولم ينقل المعنى المقصود إلى اللغة الإنجليزية.

13- صنبور مقفل .ص119

A leaky tap.p215

تمّ هنا في هذا المثال ترجمة الصفة (مقفل) بالصفة الإنجليزية (leaky) التي تعني راشح أي يتسرب منه الماء و(راشح) و(مقفل)لا يؤديان ذات المعنى لهذا يجدر ترجمة المفردة العربية (مقفل) ب (locked) التي تؤدي ذات المعنى.

14- عندها مهمة خطيرة ومصيرية هذه الليلة.ص151

She had an important historic mission to accomplish .p282

لم يقم المترجم في هذا المثال بترجمة الصفة (خطيرة) بل اكتفي فقط بترجمة الصفة (مصيرية)ب (important) التي تردّ المعنى المقصود من قبل الكاتبة أما الصفة (خطيرة) فقد استبدلها ب(historic) التي يقابلها في اللغة العربية صفة (تاريخي) وهي أيضا تردّ بعض معنى المفردة العربية الموظفة من قبل الكاتبة (خطيرة) من حيث أنّ هذه المهمة ستدخل التاريخ وكل ما يسجلّ في صفحات التاريخ يكون ذا أهمية وخطورة يقوم به أشخاص ذوي جرأة وشجاعة وإرادة كبيرة، غير أنّ المهمة التي تتحدث عنها الكاتبة مختلفة وليست تاريخية بالمعني الحقيقي للكلمة بل مجرد تشبيه لهذا كان يمكن ترجمة الصفة (خطيرة)ببساطة بالصفة الإنجليزية (dangerous) التي تردّ المعنى الحقيقي للكلمة.

نلا حظ من خلال الأمثلة التي تعرضنا لها في ما سبق أنّ الوحدات المعجمية التي تمّ الإنزياح عنها أثناء عملية الترجمة تشكّل إما:

- عدم ضبط المعنى الدقيق لبعض المفردات التي تنتمي لنفس الحقل الدلالي.
- عدم استيعاب معنى بعض العبارات الثقافية.
- استبدال بعض الوحدات المعجمية بوحدات معجمية أخرى لا تطابقها.
- الخلط بين بعض المفردات التي تحمل أكثر من معنى واحد خاصة بدون التشكيل.

4-4-6-8-على المستوى النحوي:

سنتطرق فيمايلي لبعض الأمثلة التي لحظنا فيها بعض الإختلافات النحوية بين اللغة المصدر واللغة الهدف:

1- اتّخذ مكانه إلى جانبها مفسحا المجال لبقية الرجال حتى يباركوا لهما زفافهما الميمون.ص5

Then took his place by her side ,giving way for the rest of her male relatives to pass on their good wishes to her.p10

نلاحظ في هذا المثال تغيير على مستوى استعمال الضمائر حيث نجد في الجملة العربية إستعمال لضمير المثنى الغائب(هما) في العبارة(حتى يباركوا لهما)، أما في الترجمة فنجد أنّ المترجم غيّر الضمير إلى المفرد الغائب المؤنث (هي) في عبارة (to pass on their good wishes to her) ، ويعدّ هذا في الحقيقة أحد الأساليب المنتجة في الترجمة النسوية (تأنيث اللغة) لإعلاء وإظهار الصوت النسوي.

2- الماركات الشهيرة التي لا تشتري أفراد الشلّة الرباعية من سواها.ص25

The famous brand that everyone in the little four-person shillah bought.

تمّ في هذا المثال الإنتقال من صيغة النفي في الجملة العربية إلى صيغة الإخبار في الجملة الإنجليزية دون نفي ويعدّ هذا تطويع إختياري أحد أساليب الترجمة غير المباشرة.

3- أنّ الحمل هو الطريقة الأضمن لاستمرار الحياة الزوجية.ص49

Pregnancy was the only way to ensure that the marriage continues.p91

نجد في الجملة العربية إستعمال للزمن الحاضر من خلال توظيف الضمير (هو) دون إضافة أي فعل في صيغة الماضي، غير أنّه نجد في الجملة الإنجليزية توظيف للزمن البسيط ((past simple للفعل (to be) في العبارة (pregnancy was) فنلاحظ هنا إنتقال من توظيف الحاضر إلى الماضي رغم أنّه لا يوجد أي لبس في الجملة العربية فلو استعمل الماضي في الجملة العربية لقالت الكاتبة (أنّ الحمل كان هو) لكنها قالت (أنّ الحمل هو) أي هذه الطريقة لا تزال تستخدم حاليا لها من الأفضل لو استعمل المترجم الفعل (to be) في المضارع بقوله:

Pregnancy is the only way to ensure that the marriage continues.

وقد عبّر هذا المثال عن أحد المشاكل التي تواجهها المرأة في علاقتها مع الرجل حيث قد تلجأ أحيانا إلى الحمل كوسيلة وذريعة للمحافظة على الزواج إما رغبة منها في البقاء مع زوجها أو تخوفا من الطلاق والمجتمع الذي لن يرحمها ، وقد يعدّ الإختلاف بين الأزمنة في الجملتين العربية والإنجليزية كتوضيح للقارئ حيث أنّه قد لا تزال تلجأ المرأة في المجتمعات العربية لهذا النوع من الطرق للحفاظ على زواجها بينما تعدّ فكرة تقليدية بالنسبة للقارئ الأجنبي.

4- حتى نحن صديقاتها لم نعتقد أنّها تتسرع.ص83

Even her friends did not think she was rushing.p162

نلاحظ هنا أيضا في هذه العبارة تغيير على مستوى إستعمال الضمائر حيث استعملت الكاتبة في الجملة العربية ضمير المتكلم في صيغة الجمع (نحن) بينما تمّ استبداله في الترجمة بضمير الملكية للمؤنث الغائب(her) الذي يستعمل مع ضمير المؤنث الغائب (she)، ويعتبر هذا تأنيثا للغة أحد الإستراتيجيات التي تطالب بها المترجمات النسويات لإ[راز وإعلاء الصوت الأنثوي في النصّ .

5- اشتهيت أعمل برونزاج والله أنّو أكثر أتراكتيف.ص101

Oh ! c mon guys !you do not appreciate a good tan !p191

نلحظ هنا أنّ المترجم لم يقم بترجمة حرفية للعبارة العربية حيث أنّه لو ترجمها حرفيا لحصلنا عل العبارة التالية:

I wanted to get a tan, it is more attractive.

لكن ورغم هذا نلحظ أيضا أنّه تمّ الإنتقال من صيغة الإخبار باللغة العربية إلى صيغة التعجب والنفي في الجملة الإنجليزية ،ويعدّ هذا أحد أساليب الترجمة غير المباشرة وهو التطويع الإختياري التي تستعمل غالبا في الترجمة الأدبية، ومن خلال هذا المثال نلحظ أنّ الكاتبة طرحت إنشغالا نسويا آخر وهو مقاييس الجمال التي يجب أن تلتزم بها المرأة والتي قرّرها المجتمع حتى وإن لم ترض بها وهو لون البشرة الأبيض الذي يعدّ ميزة يبحث عنها الرجل ويجب على المرأة التقيّد بها وامتلاكها ،فاكتساب السمرة في فصل الصيف حتى وإن أعجب المرأة فقد يعيق مسألة زواجها على عكس ما هو رائج في المجتمعات الغربية ،فحاولت الكاتب من خلال هذا التطرق إلى حق المرأة في الإختيار والحياة التي تريدها.

لقد قامت المترجمة من خلال الأمثلة التي تعرضنا لها ببعض التغييرات على المستوى النحوي بين اللغتين منها:

- تغيير على مستوى إستعمال الضمائر أحيانا لتأنيث اللغة وإبراز الصوت النسوي.
- الإنتقال بين الأزمنة من مضارع إلى ماضي وغيرها.
- تغيير الجمل من أسلوب النفي إلى الأسلوب الإخباري.

4-4-6-9- على المستوى الدلالي:

سيلاحظ قارئ بنات الرياض وسيشعر بالتأكيد كلّما تقدّم في القراءة بالأشياء المميزة التي جعلت هذه الرواية تحقق تلك الضجة والنجاح عربيا وعالميا فبالإضافة إلى طريقة صدور الرواية في البداية وأسلوب الكاتبة المتميّز فقد حاولت إشراك قارئها قدرالإمكان وجعله يشعر ويعيش حقيقة تجارب الفتيات بجعلها أُقرب قدر الإمكان من الواقع ومن وسائلها في ذلك كثرة توظيف الحوار بين الشخصيات مستخدمة في أغلب الأحيان اللهجة السعودية وأحيانا اللغة الإنجليزية مثلما هو رائج ومتداول في المجتمع السعودي خاصة بين أفراد الطبقة المخملية، إضافة إلى إستخدام بعض الأقوال والأمثال الشعبية التي تشكّل جزءا أساسيا من اللغة والثقافة السعودية والتي تحاول الكاتبة أن تعرّف بها القارئ العربي والأجنبي من خلال عملها، وفيما يلي سنتطرق إلى بعض ما وظّفته الكاتبة من أمثال واقتراحات المترجم لها في اللغة الإنجليزية :

1- ما شاء الله ملح وقبلة.ص4

Mashallah ,God willing, no envy touch her she is so pretty.p5

قامت المترجمة في هذا المثال بنقل عبارة (ما شاء الله) مثلما جاءت في اللغة العربية وهو أحد أساليب الترجمة الحرفية (الإقتراض) ثم أضافت لها ما يقابلها في اللغة الإنجليزية عبارة(God Willing)وحاولت إيصال معنى (ملح وقبلة) للقارئ الأجنبي بترجمتها ب(she is so pretty) وهي تردّ معنى العبارة العربية، كما استعملت عبارة (no envy

touch her) وهي ترجمة حرفية للعبارة المستعملة في اللغة العربية لابعاد الحسد وقد يجدها القارئ الأجنبي غير مألوفة بعض الشيئ لهذا كان يمكن للمترجمة أن تستعمل مثلا عبارة (touch wood) التي يستعملها القارئ الأجنبي لإبعاد الحظ السيئ، وبهذا تكون المترجمة قد مزجت بين أسلوب الترجمة الحرفية وبعض إستراتيجيات نظريات الترجمة الحيدثة التي تخوّل للمترجم الإضافة والحذف والتعديل على النص الأصلي.

2- وكما يقول المثل الشعبي العوض ولا القطيعة.ص26

لم تقم المترجمة بترجمة هذا المثل وقامت بحذفه في حين كان يمكنها إستبدالها بما يقابلها في اللغة الإنجليزية كاستعمال مثلا:

Half a loaf is better than no bread.

التي تردّ معنى العبارة أو المثل المستعمل من قبل الكاتبة فالشيئ حتى لو كان صغيرا أو قليلا يبقى أفضل من لا شيئ ، وبهذا فإنّ إستعمال الكاتبة لأسلوب الحذف يوضّح اعتمادها على بعض إستراتيجيات الترجمة الحديثة التي تجعل المترجم مؤلفا ثانيا للنّص مثل النظرية الوظيفية وأسلوب التوطين لأنطوان بيرمان.

3- كان الزواج عندهم كالبطيخ على السكين كما يقولون.ص29

Marriage as they always say like the watermelon on the knife you never know what you were going to get.p56

قامت المترجمة هنا بترجمة المثل العربي ترجمة حرفية محاولة شرحه للقارئ الأجنبي بينما كان يمكنها إستبداله وإستعمال ما هو أُقرب لثقافته مثل:

The proof of the pudding is in the eating.

4- أقضب قريدك لا يجيك اللي أقرد منه.ص91

As the proverb says ,hold on whatever you have got otherwise you will get a lot worse.p172

لجأت المترجمة هنا إلى الترجمة الحرفية لنقل المثل العربي للقارئ الأجنبي في وجود أمثلة مقابلة تردّ هذا المعني عند القارئ الأجنبي مثل:

Beggars can not be choosers .

التي تعني أنّ الشخص يجدر به أن يقتنع ويتمسك بما لديه حتى لا يأتيه الأسوأ.

5- ايش جاب لجاب بين الشبشب والقبقاب .ص95

As the Egyptians say : why would you even compare the two ? you are comparing plastic flip-flops to wooden clogs.p180

إنّ إستعمال الترجمة الحرفية هنا أيضا وفي أغلب الأمثلة المذكورة آنفا قد يكون رغبة من المترجمة في الحفاظ ونقل خصوصيات اللغة والثقافة الأصلية للقارئ الأجنبي لكن معناها قد يضيع هكذا باستعمال الترجمة الحرفية وقد لا يستوعبها القارئ الأجنبي،وكان يمكن للمترجمة أن تستبدلها لما أهو أقرب ومألوف لدى القارئ الأجنبي كاستعمال:

Never the twain shall meet.

التي تعني أنّ شيئين مختلفين لا يجب أو لا يمكن أن يلتقيا ويقارنا.

لا حظنا من خلال الأمثلة التي حلّلناها سابقا أنّ المترجمة فضلّت اللجوء إلى أسلوب الترجمة الحرفية لنقل وترجمة بعض الأمثال الشعبية التي وظّفتها الكاتبة في عملها وأحيانا قامت بحذف البعض منها وكما ذكرنا سابقا أنّ الترجمة الحرفية لا يمكن الإعتماد عليها في هذا السياق لأنّها لا تنجح معظم الأحيان في إيصال المعنى المقصود والمنشود من قبل الكاتبة لهذا يستحسن إستبدال هذه العبارات الثقافية بما يقابلها في اللغة المنقول إليها.

4-4-6-10- على المستوى الأسلوبي:

سنصنّف الأمثلة التي سنتطرق إليها من الناحية الأسلوبية إلى:

الترجمة بما يناسب المتلقي (أسلوب التغريب):

1- يملأ صوت محمد عبده المنبعث من جهاز التسجيل.ص3

The voice of the famous Saudi singer Muhamed Abdu finally blasted from the amplifiers.p4

نلا حظ في هذا المثال أنّ المترجمة قامت بإضافة صفة (famous)وعبارة (saudi singer) شرحا منها للقارئ الأجنبي الذي قد يجهل هوية هذا المغني في حين لم تجد الكاتبة هذا ضروريا مع القارئ العربي لشهرة هذا المغني على المستوى العربي .

2- اتجهت البنات نحو أحد المطاعم الراقية لتناول العشاء.ص11

The girls made their way towards the elegant Italian restaurant.p18

قامت المترجمة هنا في هذا المثال بتحديد صنف المطعم الذي ذهبت إليه البنات بإضافة صفة (Italian) في حين اكتفت الكاتبة مع القرائ العربي بوصف المطعم فقط بالراقي بينما ارتأت

المترجمة أنّه من الأفضل تحديد صنف المطعم واختيار المطبخ الإيطالي الذي يعدّ ويعتبر من المطابخ الراقية التي يفضّل الذهاب إليه في مناسبات معينة.

3- إلى كل من ملّ قصص الحب الطرزاني.ص2

To all who have grown weary of the me Tarazan you Jane brand of romance novel.p2

نلحظ في هذا المثال أنّ المترجمة قد أحدثت بعض التغييرات على هذه الجملة بذكر إسم البطلة (Jane) التي جمعتها قصة حب مع الشخصية الخيالية طرزان بينما اكتفت الكاتبة أو لم ترى داعي لذكر إسم البطلة مع القارئ العربي وكأنّ المترجمة متأكدة من أنّ قراءها على دراية بالقصة وإسم بطليها.

4- ماذا فعل التنبل بقمرة في تلك الليلة.ص13

What did that jerk do to Gamrah on that night.p28

نلاحظ في هذا المثال أنّ المترجمة قامت بإَضافة الصفة الإنجليزية (jerk) لوصف زوج قمرة علما أنّه لم تقم الكاتبة بشيئ مماثل حيث اكتفت بذكر إسم زوج قمرة فقط غير أنّ المترجمة نعتته بذلك من تصرفاته مع قمرة و صفة (jerk) عادة ماتستعمل لوصف بلاهة أو عدم إنسانية بعض الأشخاص وللتعبير عن مدى الغضب والحنق تجاه شخص ما،غير أنّ الكاتبة لم توظّف مفردات مماثلة إحتراما وتقديرا للقارئ العربي الذي قد يجدها غير مناسبة.

5- عطلة الحج.ص17

During Eid el Adha break.p34

قامت المترجمة هنا بشرح معنى عبارة(عطلة الحج)للقارئ الأجنبي باستبدالها ب(Eid el Adha break)أي فترة الراحة القصيرة التي يتحصل عليها المواطن السعودي أيام عيد الأضحى فهكذا قد يسهل على القارئ الأجنبي إستيعاب المعلومة لأنّه هو أيضا يحصل على عطل قصيرة فترة الأعياد لكن يمكن لو أبقت على عبارة (عطلة الحج) قد يستغرب الأمر ويجده غير مألوفا بعض الشيئ.

6- During the milkah period ,the traditional time between the official signing of the documents and the actual wedding ceremony.p33

تعتبر هذه العبارة إضافة من قبل المترجمة لا نجد لها أي أثر في النص الأصلي حيث أضافتها المترجمة كنوع من التوضيح للقارئ الأجنبي الذي يجهل هذا النوع من الإجراءات التي تسبق حفلة الزفاف الخاصة بالمجتمع والثفافة السعودية والتي تختلف تماما عن حفل الزفاف ومراسم الزواج في المجتمعات الغربية.

7- ربما النهاية المأساوية للفيلم الأجنبي الذي شاهداه معا.ص18

May be the tragic end of the movie they had watched together (armaggedon)p34

أضافت المترجمة هنا في هذا المثال إسم الفيلم الأجنبي الذي حضرته الشخصيتان قد يكون قناعة منها أنّ القارئ الأجنبي بالتأكيد قد شاهد هذا الفيلم لرواجه حينها(عام 1998) ووجدت أنّه من الأفضل ذكر إسم الفيلم لانتمائه أصلا لمحيط وثقافة القارئ الأجنبي فبالتالي لن يكون أجنبيا على قارئ الترجمة بل على قارئ النص الأصلي، ولهذا لم تذكر الكاتبة لقارئ النص الأصلي إسم الفيلم بل اكتفت فقط بوصفه بالأجنبي.

8- Since drinking alcohol is forbidden in Saudi Arabia, as it is against islamic law. P20

تعتبر هذه الجملة معلومة إضافية من قبل المترجمة لم تذكرها الكاتبة في نصها الأصلي لأنّ القارئ العربي على دراية بهذا وغير محتاج لهذا النوع من التوضيح عكس القارئ الأجنبي الذي قد يجهل هذا النوع من المعلومات لإعتبارت دينية ثقافية.

9- أو البايجر.ص21

Or pager (that was in 1996 mobile were not popular yet).

أضافت المترجمة الجملة الواردة بين قوسين كنوع من التوضيح للقارئ الأجنبي بينما لم تقم الكاتبة بتوضيح مماثل لقارئ النص الأصلي.

10- We call them sunni underpants i have no idea why.p28

تعتبر هذه الجملة أيضا إضافة من قبل المترجمة لا نلحظ لها أي وجود في النص الأصلي وهذه أيضا نوع من التوضيح والشرح للقارئ الأجنبي الذي لا يعرف هذا النوع من اللباس على عكس قارئ النص الأصلي.

11- أروى الشوشو.ص27

Arwa the lesbo !.p51

وصفت الكاتبة شخصية أروى بالشوشو وتفادت ذكر أي صفة أخرى قد تكون غريبة أو غير مألوفة في فكر وثقافة القارئ العربي غير أنّ المترجمة وصفت الشخصية بصفة (lesbo) أي (lesbian) التي تعني إمرأة تمارس السحاقية أي نقلت مباشرة ما كانت تلمح إليه الكاتبة خاصة وأنّ هذه الممارسة أو الإتجاه أصبح عادي جدا ومألوف ومقبول ومحترم كنوع من الحرية الشخصية في الأوساط والثقافة الغربية.

12- على رأي راشد الماجد.ص35

قامت المترجمة بحذف هذه العبارة لأنّه قد يجهل القارئ الأجنبي شخصية وهوية هذا المغني العربي لهذا ارتأت أنّ حذفها قد يكون أكثر ملائمة للقارئ الأجنبي.

13- وليد الك..... !ص38

Waleed the bastard…. ! p77

لم تتم الكاتبة في الجملة العربية وصفها لوليد بل اكتفت بذكر حرفين فقط من الصفة تاركة المهمة للقارئ لإتمام وإختيار توع الصفة التي تليق بهذا الرجل وهذا إحتراما للقارئ العربي بينما وصفت المترجمة وليد ب(bastard) وهي نوع من المفردات تستعمل للشتم عند الإنزعاج والغضب من رجل ما ورأت المترجمة أنّه لا ضرر من ذلك وأنّ القارئ الأجنبي ولن يجد هذا النوع من المفردات غير مناسبة أو ينزعج من وجودها بل هي مجرد وصف للتصرفات الشنيعة التي قامت بها هذه الشخصية.

14- أرميها بعدها مثل الكلبة.ص50

Then planning to throw her like a trash.p33

استبدلت المترجمة هنا مفردة (الكلبة) ب(trash) التي تعني قمامة أو نفاية وعادة هذا ما هو مستعمل ومألوف في اللغة الإنجليزية ولدى القارئ الأجنبي حيث يتم التخلص فقط من الأشياء غير الضرورية والتي لا يمكن استعمالها ثانية التي تعدّ من النفايات ولا يمكن إستعمال حيوان الكلب في عبارات مماثلة حيث يعتبر هذا الحيوان صديق ورفيق درب يشكّل جزءا من حياة أغلب الأجانب على عكس الثقافة العربية الإسلامية التي تعتبره مكروها ما جعله يصبح مستخدما في الشتم وتوظيف بعض أوصافه كالنباح لوصف بعض الجوانب السيئة للأفراد ككثرة الكلام مثلا،لهذا توظيف هذا التشبيه في اللغة العربية لا يتقبله القارئ الأجنبي ما جعل المترجمة تغيّر العبارة بما يتوافق وثقافة القارئ الغربي ،وقد طرحت الكاتبة هنا أيضا إنشغالا نسويا آخر وهو مسألة الطلاق دون رضا الطرفين ، دون سبب مقنع وفقط برغبة من الرجل حيث تجد المرأة نفسها أمام قرار مصيري يخصها لكنها لا تملك منه شيئا تنصاع فقط لرغبات الزوج وحياتها متوفقة على كلمة منه.

15- نحن بانتظار هذا الثور يتلحلح.ص71

We were running out of patience waiting this firas…p130

لم تقم المترجمة بترجمة مفردة (الثور) التي استعملتها الكاتبة في النص الأصلي لأنّها لن ترد المعنى الذي أرادت الكاتبة إيصاله للقارئ فحيوان الثور يحمل هنا معنى الغباء أو قلة الإستيعاب ويوظّف أحيانا لشتم شخص ما لتصرفاته الحيوانية وهذا لا يعبّر عنه بالمفردة ذاتها في اللغة والثقافة الإنجليزية لهذا قامت المترجمة بالإكتفاء بذكر إسم الشخصية فقط.

16- لو قلت اني مشتهية مانجو واش كان سويتو.ص81

What if I was craving something really hard to get ?then what would you have done ?p131

لم تقم المترجمة بترجمة مفردة (مانجو) واستبدلتها بعبارة (something hard to get) والتي يقابلها في اللغة العربية عبارة (ماذا لوطلبت شيئا يصعب الحصول عليه) وهذا ليس لأنّ مفردة مانجو ليس لها مقابل في اللغة الإنجليزية بل لأنّ القارئ الأجنبي لا يرى في المانجو فاكهة يصعب الحصول عليها على عكس القارئ العربي الذي تعدّ هذه الفاكهة ثمينة باهضة الثمن في بلده لأنّه لا ينتجها بل يستوردها من الخارج.

17- حفيد ويليام موندانى.ص93

A grandson of a man who owned one of the world's most famous wineries.p175

لم تقم المترجمة في هذا المثال بترجمة إسم العائلة الذي وظّفته الكاتبة في نصها لأنّه مختلق و هذا ما سيلاحظه القارئ الأجنبي بالتأكيد لهذا ولإضفاء نوع من المصداقية للعمل الأدبي ارتأت المترجمة أنّه يجب حذف إسم العائلة.

18- He was her saint.p227

تعتبر هذه المترجمة إضافة من قبل المترجمة لا توجد في النص الأصلي وقد أضافتها للتعبير عن مدى حب سديم لفراس فمفردة (saint) تعبّر عن مدى التقديس والمشاعر الكبيرة التي يكنّها شخص لشخص آخر يصل تقريبا حدّ العبادة وأيضا للتعبير عن كمال هذه الشخصية

التي تكاد تكون قديسة،ومفردة (saint) مألوفة لدى فكر وثقافة وديانة القارئ الأجنبي لكنها ليست كذلك لدى القارئ العربي الذي لا يؤمن بالقديسين وغيرها من المعتقدات التي لا تنتمي للثقافة العربية الإسلامية.

19- خلونا نتفرج على عدنان ولينا.ص135

Let’s just watch those love birds over here.p252

لم تقم المترجمة هنا بترجمة عبارة (عدنان ولينا) نسبة إلى المسلسل الكرتوني الياباني الذي اشتهر في الوطن العربي حيث أصبح يرمز إلى كل شخصين يحبّان بعضهما البعض بعدنان ولينا غير أنّ المترجمة استبدلتها بعبارة (love birds) طائرا الحب المستعملة والمألوفة والقريبة من ثقافة القارئ الغربي.

<u>الإبقاء على العناصر الثقافية والحضارية للنص الأصلي (أسلوب التقريب):</u>

1- كانت لميس المستشارة الفلكية للشلة.ص30

Lamees had always served as astrological consultant for their little shillah.p57

قامت المترجمة بترجمة المفردة العربية (الشلّة) مثلما جاءت في اللغة العربية فقط بأحرف لاتينية(shillah) ليس لعدم وجود مقابل لهذه المفردة في اللغة الإنجليزية حيث كان يمكن ترجمتها مثلا بمفردة(clique) فنتحصل على العبارة (for their little clique) لكن يمكن أن تكون المترجمة رغبت في إيصال خصوصة العلاقة التي تجمع الفتيات الأربعة بنفس اللون والنكهة التي طبعتها في العمل الأصلي وهذا ليس لأنّ مفردة (clique) قد لا تردّ ذات

المعني بل لكي يتخيل القارئ الأجنبي رابط وصلة الصداقة بلمسة عربية،وهنا من الأفضل لو قامت بإيضاح معنى المفردة في الهامش لإزالة الغموض الذي قد ينتاب القارئ الأجنبي.

2- عندما دندنت الطقاقة في المايكروفون...ص130

When the taggaga crooned into the microphone.p243

قامت المترجمة هنا أيضا بترجمة مفردة (طقاقة) ب(taggaga) أي (أسلوب الإقتراض) أي ذات المفردة بحروف لاتينية فقط في حين كان يمكنها ترجمتها بما يقابلها في اللغة الإنجليزية (a female singer) لكي يسهل على القارئ الأجنبي فهم وإستيعاب معنى الجملة لأن مفردة (طقاقة) تنتمي إلى اللهجة السعودية وقد يصعب حتى على القارئ العربي من البلدان العربية الأخرى فهم معناها إلا من حيث السياق لأنّها تعبرّ عن أحد الخصوصيات الثقافية اللغوية للمجتمع السعودي.

3- أرتدت لميس ثوبا أبيضا رجاليا مع شماغ وعقال.ص8

Lamees wore a masculine –style flowing white thobe with a shimagh draped over head with a black eqal.p15

ترجمت المترجمة اللباس التقليدي السعودي الرجالي المكوّن من الثوب والشماغ والعقال مثلما جاء في اللغة العربية نقلته فقط بأحرف لاتينية معرّفة بذلك القارئ الأجنبي بأحد الجوانب والخصائص الثقافية وتقاليد وأعراف المجتمع السعودي بدلا من استبدالها بما يقابلها في اللغة الإنجليزية ك :

A loose ankle –length robe كمقابل لمفردة (ثوب)

و(head covering) لمفردة (شماغ) و(black rope) لمفردة (عقال) تاركة بذلك القارئ الذي يبحث عن الإختلاف على التعرّف على سحر وأسرار العالم الشرقي.

4- لبيع الشيشة والجراك والمعسل واشترين شيئا بعددهن واختارت كل واحدة منهن مذاق العسل الذي تفضّله.ص9

A tiny shop that sold water pipes or what we call the sheesha-otherwise known as the hookah or hubbly-bubbly,the girls bought enough sheeshas that they would not have to share and each girl chose her favourite flavour of the water-pie tobacco mixed with molasses and fragrant essences.p18

قامت المترجمة في هذا المثال بترجمة مفردة (الشيشة) بما يقابلها في اللغة الإنجليزية (the hookah وhubbly-bublly)أي بمفردتين إضافة إلى إعادة إستعمال المصطلح العربي (sheesha) فقط بأحرف لا تينية لتعريف القارئ الأجنبي باسم هذه الآلة في اللغة العربية ، ومن الأفضل لو اختارت المترجمة مفردة واحدة فقط لنقل مفردة (الشيشة) للقارئ الأجنبي مثلما تقتضيه قواعد العمل الترجمي أما في ما يخص مفردة (الجراك) التي تعني التبغ الذي تضاف إليه مجموعة من الفواكه المجففة و(المعسل) الذي هو التبغ الذي يضاف إليه دبس العسل الأسود فقد قامت المترجمة بنقل معاني هذه المفردات عن طريق الشرح حيث استعملت عبارة (water- pipe tobacco mixed with molasses) كبديل لمفردة المعسل حيث (molasses) تعني دبس السكر بينما اختارت(water pipe tobacco mixed with fragrant essences) لنقل مفردة الجراك أو من الأفضل لو استعملت (water-pipe tobacco mixed with some dried fruits) التي تنقل المعنى الصحيح لهذه المفردة.

5- كيفية إعداد الجريش.ص31

How to prepare Jerieesh a traditional Saudi dish.p60

نقلت المترجمة هنا مفردة (الجريش) مثلما جاءت في اللغة العربية شارحة بأنّه طبق تقليدي سعودي رغبة منها في الحفاظ على روح وأصالة العمل الأصلي وتعريف القارئ الأجنبي بأحد الجوانب الثقافية للمجتمع السعودي والمطبخ السعودي التقليدي كنوع من الإختلاف والمغامرة التي قد يبحث عنها القارئ الأجنبي في هذا النوع من النصوص وكان يمكن للمترجمة استبدال هذه المفردة ب (Grints) التي يألفها القارئ الأجنبي وهي ذاتها الجريش السعودي لكن طريقة الطبخ تختلف طبعا غير أنّه هو الجريش بحدّ ذاته هذا النوع من حبوب القمح هي الجريش (grints) لكن كما قلنا رغبة من المترجمة لإرضاء تطلعات القارئ الأجنبي الذي يبحث عن هذا النوع من الخصوصة في النصوص الشرقية فقد لجأت المترجمة لأسلوب الإقتراض للحفاظ على بعض خصوصية النص الأصلي.

6- رائحة بخور رخيص.ص81

And cheap boukhour.p150

تمت ترجمة مفردة (بخور) هنا ب(boukhour) أي أبقت المترجمة على ذات المفردة عبر أسلوب الإقتراض ، في حين كان يمكنها استبدالها بما يقابلها في اللغة الإنجليزية مثل مفردة (incense) التي ترد معنى المفردة العربية.

7- قضت أم قمرة الساعات السبعة الأخيرة من الولادة.ص85

Umm Gamrah spent the last seven hours of labour….p159

قامت المترجمة هنا لترجمة عبارة (أم قمرة)ب(Umm Gamrah) بدلا من استبدالها بما يقابلها في اللغة الإنجليزية كنوع من التوضيح وإزالة الغموض الذي قد يقع فيه القارئ الأجنبي ك (the mother of Gamrah) بل أبقت على العبارة العربية تاركة للقارئ مهمة مهمة إكتشاف المعنى ولتركه يعيش أجواء وطبيعة العلاقة الأسرية في المجتمع السعودي.

8- والله ما سويت له شيئ.ص85

Wallah, I did not do a thing to him.p160

أبقت المترجمة في هذا المثال على عبارة القسم العربية (wallah)بدلا من استبدالها بما يقابلها في اللغة الإنجليزية وما يناسب ثقافة المتلقي ك(i swear to God) رغم أنّ هذا قد يخلق نوعا من الغموض لدى المتلقي لكنه يعتبر جزء وجانبا من خصوصيات وروح العمل الأصلي.

من خلال الأمثلة التي حلّلناها سابقا نلاحظ أنّ:

- قامت المترجمة بإحداث بعض التعديلات والتغييرات على النص الأصلي في بعض الحالات التي ارتأت فيها ضرورة للتوضيح والشرح لتقريب الرسالة من المتلقي.
- قامت المترجمة أحيانا بحذف بعض العبارات الثقافية المستعملة في النص الأَصلي في حين كان يمكنها استبدالها بما يقابلها في لغة وثقافة المتلقي.
- قامت المترجمة بحذف بعض العبارات التي قد يجدها المتلقي غريبة لاعتبارت ثقافية إجتماعية.

- أبقت المترجمة على بعض الخصوصيات الثقافية للنص الأصلي عبر أسلوب الإقتراض ، في حين كان يمكنها استبدالها بما يتوافق وثقافة القارئ المتلقي إرضاء لتطلعات القارئ الذي يبحث عن الإختلاف.

- عملت المترجمة على نقل بعض العبارات الثقافية مثلما جاءت في النص الأَصلي رغم الغموض واللبس الذي قد ينتاب قارئ النص المترجم.

خلاصة:

نستنتج من خلال الأمثلة التي استخرجناها من المدونة وحلّلناها وصنّفناها إلى أربعة مستويات: المستوى المعجمي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي والمستوى الأسلوبي أنّ المترجمة لجأت إلى أسلوب الترجمة الحرفية في نقل النص الأصلي وبمساعدة من الكاتبة التي أرادت أن توصل عملها إلى القارئ الغربي مثلما تلقاه القارئ العربي غير أنّه ورغم الجهد المبذول من قبل المترجمة كي تبقى أمينة قدر الإمكان إلى النص الأصًلي حدثت بعض الإنزياحات على المستويات المذكورة توافقا ومتطلبات العمل الترجمي الذي يقتضي الإنتقال بين لغتين وثقافتين مختلفتين ما يفرض على المترجم أحيانا اللجوء إلى بعض الأساليب الترجمية كالحذف والإضافة والتغيير ضمانا للنقل السليم للرسالة وتأُثيرها على المتلقي، حيث لحظنا أنّ الوحدات التي تمّ الإنزياح عنها على المستوى المعجمي كانت إما :

- لعدم ضبط المعنى الدقيق لبعض المفردات التي تنتمي لنفس الحقل الدلالي.
- أو لعدم إستيعاب معنى بعض العبارات الثقافية.
- استبدال بعض الوحدات المعجمية بوحدات معجمية أخرى لا تطابقها.
- الخلط بين بعض المفردات التي تحمل أكثر من معنى واحد خاصة بدون التشكيل.

وعلى المستوى النحوي فقد تمّ:

- إجراء بعض التغييرات عى مستوى إستعمال الضمائر.
- الإنتقال بين الأزمنة من مضارع إلى ماضي وغيرها.
- تغيير الجمل من أسلوب النفي إلى الأسلوب الإخباري.
- الإنتقال من صيغة النفي إلى أسلوب الإستفهام.

أما على المستوى الدلالي فقد لجأت المترجمة إلى أسلوبي النقل الحرفي والحذف وكما ذكرنا سابقا فإنّ الترجمة الحرفية لا يمكن الإعتماد عليها في هذا السياق لأنّها لا تنجح في معظم الأحيان في إيصال المعنى المقصود والمنشود من قبل الكاتبة لهذا يستحسن إستبدال هذه العبارات الثقافية بما يقابلها في اللغة المنقول إليها.

وعلى المستوى الأسلوبي:

- فقد قامت المترجمة بإحداث بعض التغييرات والتعديلات على النص الأًصلي في بعض الحالات التي ارتأت فيها ضرورة للتوضيح والشرح لتقريب الرسالة من المتلقي.
- كما قامت المترجمة أحيانا بخذف بعض العبارات الثقافية المستعملة في النص الأصلي في حين كان يمكنها إستبدالها بما يقابلها في لغة وثقافة المتلقي.

كما لاحظنا أيضا من خلال مقارنتنا للنسخة الأصلية والنسخة المترجمة أنّ:

- لم يطرأ أي تغيير على العنوان.
- الصورة المطبوعة على النسخة المترجمة كانت أكثر جاذبية من تلك المطبوعة على النسخة الأصلية واختيرت خصيصا لتتماشى مع توقعات القارئ الأجنبي حول المرأة في الشرق أو بالأحرى لجذب إهتمامه.
- لم تضمّن النسخة الأصلية بمقدمة بينما خصصت مساحة لها في النسخة المترجمة وكانت بقلم الكاتبة التي طرحت من خلالها انشغالات وآمال المرأة العربية والسعودية وبالتالي كانت المقدمة في النسخة المترجمة فضاء لإبراز الصوت النسوي لكن من توقيع الكاتبة لا المترجمة مثلما تقوم به بعض المترجمات النسويات.
- كانت الخاتمة في النسخة المترجمة ترجمة لما جاء في النسخة الأصلية حيث روت الكاتبة ردة فعل صديقاتها بعد قراءتهن للرواية وشكرت الأديب الراحل غازي القصيبي لتشجيعه لها وبهذا لم تكن الخاتمة فضاء تعبّر من خلاله المترجمة موقفها من النص.
- لا توجد في النص الأصلي أية هوامش أما في الترجمة فقد خصّصتها المترجمة لإعانة القارئ على إستيعاب وإدراك بعض الخصائص الثقافية الإجتماعية للمجتمع السعودي فلم يكن صوتها ظاهرا في الهوامش ولم تخصصها لإبداء موقفها من العمل المترجم.

الخاتمة:

تطرقنا في بحثنا هذا إلى أحد الألوان الأدبية الحديثة التي ظهرت في أوربا وانتقلت إلى الوطن العربي خلال القرن التاسع عشر وهو الأدب النسوي، ويعتبر هذا الشكل الأدبي الحديث نوعا خاصا من الأدب ليس نسبة إلى جنس مؤلفه المرأة فقط بل للخصائص التي يقوم عليها هذا الأدب والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها والرسالة التي يرمي إلى إيصالها إلى المرأة والرجل والمجتمع كافة والمستمدة أساسا من قيّم ومبادئ الحركة النسوية التي تعدّ أوّل حركة تحررية قامت لتناضل وتدافع عن حقوق المرأة وتطالب بالحرية والعدل والمساواة وإلغاء جميع أشكال التمييز ضدّ المرأة.

ظهر النص النسوي العربي لأوّل مرة في المشرق العربي وتعتبر الكاتبة زينب الفواز صاحبة رواية (حسن العواقب أو غادة الزهراء) الصادرة عام 1899أول كاتبة صدر لها نص روائي نسوي في الوطن العربي لتتوالى بعدها المحاولات وتظهر المزيد من الأقلام النسوية العربية في المشرق العربي وتلمع العديد من الأسماء النسوية في هذا المجال نذكر منها عفيفة كرم، لبيبة هاشم، مي زيادة، باحثة البادية(ملك حفني ناصف) وبعدهن كثير كوليت خوري، ليلى بعلبكي، سحر خليفة، غادة السمان، وداد سكاكيني، إملي نصر الله وغيرهن بينما تأخّر ظهور النص الروائي النسوي في المغرب العربي والخليج العربي لتأخر ظهور جنس الرواية بشكل عام في هذه الأنحاء لظروف أخرى سياسية إجتماعية ذكرناها في الفصول النظرية السابقة، ورغم هذا التأخر الذي عرفته الرواية النسوية في منطقة المغرب العربي والخليج العربي غير أنّ هذا لم يمنعها من اللحاق بركب النجاح الذي حققته الرواية النسوية في المشرق العربي إلى حدّ بلوغها العالمية حيث أقبلت العديد من دور النشر الغربية على ترجمة بعض الأعمال النسوية من هاتين المنطقتين نظرا للنجاح الكبير الذي حققته هذه الروايات على المستوى العربي ما جعل العديد من الباحثين يختلفون ويبحثون عن أسباب خفية وراء سر هذا الإهتمام الكبير الذي أصبحت توليه دور النشر الغربية للأعمال النسوية العربية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

ولهذا فقد اخترنا في بحثنا هذا روايتي (الفصل الأخير) للكاتبة المغربية ليلى أبوزيد ورواية (بنات الرياض) للكاتبة السعودية رجاء الصانعي وبهذا نكون اخترنا روايتين من منطقتين عربيتين مختلفتين لكاتبتين من جيلين مختلفين حيث تعدّ الكاتبة ليلى أبو زيد رائدة من روّاد الأدب النسوي في بلاد المغرب حيث بدأت الكتابة حوالي الثمانينات من القرن العشرين وتعدّ أوّل كاتبة مغربية تترجم أعمالها إلى اللغة الإنجليزية بينما تعتبر الكاتبة السعودية رجاء الصانعي من مواليد الثمانيات من القرن العشرين وتعدّ روايتها بنات الرياض الصادرة عام 2005 أوّل عمل روائي لها حيث حاولنا دراسة وتحليل الخطوات التي اتبعتها المترجمتان عملهما علما أنّ كلا المترجمين حظيا بمرافقة ومساعدة الكاتبتين في الترجمة فهل قاما

بالحفاظ على روح وخصوصية ورسالة النص الأصلي أم قاما بالتعديل والتغيير بما يتوافق وفكر وثقافة المتلقي،لقد لحظنا أُثناء دراستنا للترجمة أنّ المترجمين حرصا على النقل الحرفي للعمل الأَصلي خاصة مع رواية بنات الرياض وبهذا فقد كان أسلوب الترجمة الحرفية أحد الأساليب الأساسية التي اعتمد عليها ولجأ إليها المترجمان في التعامل مع النص الأصلي مع اللجوء أحيانا إلى أسلوب الحذف والإضافة والتعديل أحيانا لتفادي أي شكل من أشكال التوتر والحساسية التي قد يشعر بها القارئ الغربي لأسباب تاريخية سياسية ثقافية، وأحيانا للتوضيح وإزالة الغموض الذي قد يقع فيه القارئ الغربي نظرا للإختلاف الثقافي بين المجتمعين.

لاحظنا من خلال دراستنا لترجمة العنوان، الصورة المطبوعة على النسخة الأصلية والنسخة المترجمة،نص ظهر الغلاف، المقدمة، الخاتمة والهوامش:

- لم تقم المترجمتين بأي تعديل على عنوان الروايتين بل أبقيتا على عنوان الروايتين مثلما ورد في النص العربي.
- قامت دور النشر الغربية باستعمال صور على ظهر الغلاف غير تلك المستعملة في النص الأصلي وبعض الجوانب منها اختيرت خصيصا لاستقطاب إهتمام القارئ الأجنبي مثلما جاء في رواية بنات الرياض (استعمال صور أحذية،سيارات فاهرة،عطور ومواد تجميل..)،أما في ما يخص رواية الفصل الأخير فصورة المرأة المطبوعة على غلاف النسخة المترجمة كانب عبارة عن إمرأة سمراء بثياب المرأة المثقفة الغربية وهي غير الصورة المطبوعة في النص العربي.
- أما في ما يخص النص المطبوع على ظهر الغلاف فنجد أنّ رواية الفصل الأخير قد طبع في النسخة المترجمة نبذة عن الكاتبة وموضوع الرواية قصد تشويق القارئ الغربي،أما رواية بنات الرياض فقد تمّ إستبدال كلمة الأديب الراحل غازي القصيبي بشهادة المجلات والصحف الأجنبية التي كتبت عن الرواية وهذا أقرب للقارئ للغربي الذي قد يجهل هوية الأديب الراحل غازي القصيبي ويشدّ إنتباهه للرواية الأصداء الإيجابية التي لقتها الرواية في الصحافة العالمية.

وما يهمنا خاصة في ترجمة النصوص النسوية هو (المقدمة،الخاتمة والهوامش) التي غالبا ما تستخدمها المترجمات النسويات كفضاء للتعبير وإظهار موقفهن وصوتهن النسوي وما لاحظناه في عملنا هذا أنّصوت المترجمتين كان مخفيا(invisible) في هذه العناصر الثلاثة.

- لم تلجأ المترجمتين إلى إستخدام هذه العناصر لإبداء موقفهن من العمل المترجم.
- تمّ توظيف المقدمة في نص بنات الرياض (الترجمة) لإبراز وإظهار الصوت النسوي لكن من قبل الكاتبة لا المترجمة حيث كانت المقدمة ترجمة لكلمتها.

- أما في نص الفصل الأخير فقد تمّ تضمين العمل الأصلي بكلمة ختامية يستشف القارئ منها صوت الكاتبة النسوي وموقفها من الصعوبات التي لا تزال تواجه المرأة عموما والكاتبة بشكل خاص وبهذا كانت فضاء إصافي للكاتبة طرحت من خلالها انشغالها للقارئ .

وبهذا فإنّ هذه المساحات (مقدمة،الخاتمة والهوامش) التي تتخذها المترجمات النسويات وسيلة للتعبير عن موقفهن النسوي وموقفهن من النص المترجم لم تخصص في هذين العملين من قبل المترجمتين لذلك وهذا قد يكون عائدا إلى كون النص الأصلي بحدّ ذاته يصبّ في صالح قضية المرأة لهذا قد لم تر المترجمتين من ضرورة للإضافة غير أنّه حبذّا لو أظهرتا نفسيهما وتمكنّ القارئ من الإطلاع على موقفهما من موضوع حياة المرأة وقضيتها في البلاد العربية.

لقد توصلنا من خلال الأمثلة التي درسناها وحلّلناها في الفصل التطبيقي والتي صنّفناها إلى أربعة مستويات: المستوى المعجمي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي والمستوى الأسلوبي أنّه وبالرغم من محاولة المترجم أن يكون أمينا للنص الأصلي قدر الإمكان بمساعدة من الكاتبة إلا أنّه حدثت بعض الإنزياحات على المتسويات التي ذكرناها حيث قام المترجم أحيانا بإجراء بعض التغييرات بما يتوافق واللغة والثقافة التي ينقل إليها ما يعدّ خاصية أو ميزة من ميزات الفعل الترجمي حيث يضطر المترجم أحيانا إلى إتخاذ بعض الإجراءات لغايات مختلفة إيديولوجية أحيانا أو سياسية أو ثقافية....

فالوحدات التي تمّ الإنزياح عنها على المستوى المعجمي كانت إما:

- وحدات غير مألوفة لدى القارئ الأجنبي.
- وحدات تحمل أكثر من معنى واحد لا سيما من غير التشكيل.
- عدم ضبط المعنى الدقيق لبعض المفردات التي تنتمي إلى نفس الحقل الدلالي.
- عدم إستيعاب معنى بعض العبارات الثقافية.
- ترجمات تعبّر عن نظرة الآخر الغربي للإسلام.
- عدم النجاح في ترجمة العبارات التي تنتمي إلى الثقافة العربية الإسلامية.
- تفادي ترجمة المفردات التي قد تسبّب حساسية لدى القارئ الأجنبي.

أما على المستوى النحوي فقد تمّ:

- الإنتقال بين الأزمان مثل الزمن المضارع والزمن الماضي أو من الأمر إلى الماضي وغيرها.
- إستبدال المبني للمعلوم بالمبني للمجهول.
- عدم إستبدال بعض المحسنات البديعية بما يقابلها في اللغة الإنجليزية.

- الإنتقال أو التغيير في الضمائر.
- إستبدال الجمل الإستفهامية بصيغ النفي أو الإنتقال من أسلوب الإستفهام إلى أسلوب التعجب.

وهذا نتيجة ما تتطلبه طبيعة السرد وعبقرية اللغة الإنجليزية ، رغم أنّ البعض منها كان يمكن الإبقاء عليها مثلما وردت في النص الأصلي.

وعلى المستوى الدلالي:

فقد اعتمد المترجم عند نقله للأمثال الواردة في النص الأصلي على النقل الحرفي دون الأخذ بعين الإعتبار البعد الثقافي بين اللغتين مما أدى إلى ضياع معنى ومغزى الأمثال عند نقلها إلى اللغة الإنجليزية كما لجأ أيضا إلى أسلوب الحذف في حين وجود البديل في اللغة الإنجليزية.

أما على المستوى الأسلوبي:

فقد تمّ حذف بعض الخصائص والعناصر الثقافية للغة المنقول منها وتغيير البعض الآخر لتفادي خلق حساسية لدى متلقي الترجمة ومحاولة أن تكون الترجمة قريبة قدر الإمكان منه مع الإبقاء على بعض الخصائص الحضارية والثقافية للغة المنقول منها التي قد يرغب متلقي الترجمة في إكتشافها والتعرف عليها.

لحظنا أيضا أنّه وبالرغم من التعديلات التي طرأت على النصين الأصليين فهذا لم يغيّر ولم يمس الرسالة الأساسية للعمل الأصلي التي حرصت الكاتبتين بمساعدة المترجمين على نقلها مثلما جاءت قدر الإمكان للقارئ الأجنبي وهذا يجعل من هذه المبادرة طريقة جيّدة للحفاظ على النص الأصلي وضمان عدم ضياعه أُثناء الترجمة حيث نصادف العديد من النصوص ليست النسوية فقط بل الأدبية عموما وبشكل خاص تفقد جوهرها أثناء الترجمة نظرا لبعض الصعوبات التي قد تعتري المترجم أثناء عمله لا سيما عندما يكون النقل بين بين ثقافتين مختلفتين حيث تتدخل العديد من العوامل في عملية الترجمة ليس إتقان اللغة و التمكن منها فحسب بل إعتبارات أخرى إيديولوجية ثقافية وإجتماعية ما يوضّح مرة أخرى مدى حساسية وخطورة هذه الممارسة ودورها الكبير في التواصل والوساطة بين الشعوب والأعباء الكثيرة التي تلقى على عاتق المترجم والتي قلّ من يتصدى لها، كما لاحظنا أيضا أنّه لم تكن هناك أية نوايا سلبية في نقل العملين العربيين للقارئ الأجنبي كما قد يفسره بعض الباحثين على الأقل مع العملين اللذين اخترناهما حيث لم نلحظ أي تغيير سلبي يمس الرسالة الأصلية للعمل أو قد يضرّ بها خاصة وأنّ الكاتبتين أشرفتا بنفسيهما على الترجمة ما يوضحّ أنّ إقبال

الناشر الغربي على الأعمال النسوية العربية وخاصة مع هذين العملين هو بسبب النجاح والشهرة والضجة التي أحدثها العملان عربيا أي بغاية وقصد الربح التجاري الذي تسعى إليه هذه الجهات، ويجدر بنا التذكير في النهاية بأنّ النصوص النسوية وكغيرها من النصوص من الميادين المختلفة تتطلب من المترجم أن يكون ذا دراية بالمجال الذي يترجم منه أما عن أسلوب وطريقة الترجمة فالغرض والغاية من الترجمة هو الذي يحدّدها في معظم الأحيان وبما أنّ الهدف الأساسي لهذه النصوص هو إعلاء وإظهار الصوت النسوي ومساندة المرأة والدفاع والمحاربة من أجلها فإنّ الباحثات النسويات يدعين إلى التقيدّ ببعض الإجراءات التي تخولّها بعض نظريات الترجمة الحديثة والتي تسمح بإجراء تعديلات وتغييرات على النص الأصلي بما يتوافق والفكر والمبادئ التي تقوم عليها الحركة النسوية (كمسألة تأنيث اللغة وإظهار الصوت النسوي باستعمال الهوامش أو كتابة مقدمات ...وغيرها) باعتبارهن الترجمة إعادة كتابة وتأليف للنص الأصلي وضرورة دعم النص المترجم للفكر النسوي .

قائمة المراجع:

أوّلا باللغة العربية:

- ابراهيم أحمد ملحم (2016) الأنثوية في الأدب النظرية والتطبيق، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن.
- ابراهيم عباس (2005) الرواية المغاربية شكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الرائد للكتاب، الجزائر.
- إصلاح جاد وآخرون (2012) النسوية العربية رؤية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- الطاهر وطار (2007) الزلزال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.
- إمام إمام عبد الفتاح (1996) أرسطو والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- أندري ليفيفير (2011) الترجمة التاريخ الثقافة ، ترجمة أحمد مومن، دار الألمعية للنشروالتوزيع، قسنطينة الجزائر.
- إيّاد نصار (23-10-2010) نظرة على ترجمات القصة والرواية النسوية العربية، صحيفة قاب قوسين.
- بثينة شعبان (1999) مئة عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب، بيروت.
- برنار فاليت (1992) النص الروائي تقنيات ومناهج، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- بوشوشة بن جمعة (2007) الأدب النسائي الليبي، المغاربية للطباعة، تونس.
- بوشوشة بن جمعة (2003) التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي، المغاربية للنشر، تونس.
- بول ريكور (2014) إشكاليات الترجمة، ترجمة عبد الرحمان مزيان، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر.
- توفيق الحكيم(1972) فن الأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- ثريا التركي (2006) جدّة أم الرخا والشدة، دار الشروق، القاهرة.
- جان رينيه لادميرال (2011) التنظير في الترجمة، ترجمة محمد جدير، المنظمة العربية للترجمة، لبنان.
- جبرا ابرهيم جبرا (1983) الأديب وصناعته دراسات في الأدب والنقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

- جمال محمد جابر (2005) منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، دار الكتاب الجامعي، العين الإمارات العربية المتحدّة.
- جورج طرابيشي (1981) الأدب من الداخل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- جورج طرابيشي (1981) رمزية المرأة في الرواية العربية ودراسات أخرى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- جورج لوكاتش (1988) نظرية الرواية، منشورات التلّ، الرباط.
- جورج مونان (1994) المسائل النظرية في الترجمة، دار المنتخب العربي، بيروت لبنان.
- حسين المناصرة (2008) ذاكرة رواية التسعينات قراءات في الرواية السعودية، دار الفارابي، بيروت.
- حنفاوي بعلي (2009) مدخل في نظرية النقد النسوي ومابعد النسوية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- دوغلاس روبنسون (2009) الترجمة والإمبراطورية، ترجمة ثائر علي ديب، دار الفرقد، سوريا.
- رشيدة بنمسعود(2006) جماليات السرد النسائي، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء.
- رفيعة الطالعي(2005) الحب والجسد والحرية في النص الروائي النسوي في الخليج، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت.
- رفيق رضا صيداوي(2008) الرواية العربية بين الواقع والتخييل، دار الفارابي، لبنان.
- ر.م البيرس(1982) تاريخ الرواية الحديثة، منشورات عويدات، بيروت.
- روبرت همفري(1982) تيار الوعي في الرواية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- رياض القرشي(2008) قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، دار حضرموت للدراسات والنشر، اليمن.
- سارة جامبل(2002) النسوية وما بعد النسوية دراسة ومعجم لغوي، ترجمة أحمد شامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- سارة.م.إيفانز(1996) الحرية ونضال المرأة الأمريكية، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- سامية بنت مضحي العنزي(2016) مكتبة الملك الفهد الوطنية، المملكة العربية السعودية.
- ساندي سالم أبو يوسف(2001) الرواية العربية وإشكالية التصنيف، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.

- سعيدة بن بوزة(2016)الهوية والإختلاف في الرواية النسوية في المغربالعربي، دار زيننوي للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا.
- سعيد يقطين (2006) الرواية والتراث السردي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- سعيد يقطين (1989) تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- سمر روحي فيصل(2003) الرواية العربية البناء والرؤيا، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا.
- سيمون دي بوفوار(1979) الجنس الآخر، ترجمة محمد علي شرف الدين، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- شحادة الخوري(1988) الترجمة قديما وحديثا، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة تونس.
- شحادة الخوري (1992) دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق سوريا.
- شهلا العجيلي (2011) الخصوصية الثقافية في الرواية العربية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- شوقي بدر يوسف (2006) الرواية والروائيون، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية.
- شوقي جلال (2010) الترجمة في العالم العربي الواقع والتحدي ، المركز القومي للترجمة، مصر.
- شيرين أبو النجا (1998)عاطفة الإختلاف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- شيرين شكري وأبو بكر أميمة (2002) المرأة والجندر إلغاء التمييز الثقافي والإجتماعي بين الجنسين، دار الفكر، دمشق.
- صلاح فضل (2003) أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت لبنان.
- طه وادي (1994) صورة المرأة في الرواية المعاصرة، دار المعارف،القاهرة.
- عبد الحميد محمد علي (2009) معاناة المرأة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- عبد الرحمن بن محمد الوهابي (2008) الرواية النسائية السعودية والمتغيرات الثقافية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق.
- عبد الرحمن عبد الحميد علي (2005) النص الأدبي في العصر الحديث بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث،القاهرة.
- عبد العزيز عتيق، تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت.
- عبد العزيز عتيق(1972) في النقد الأدبي، دار النهضة العربية ، بيروت.

- عبد الله محمد الغذامي (2006) المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.
- عبد السلام أقلمون (2010) الرواية والتاريخ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت.
- عبد المحسن طه بدر(1963) تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، القاهرة.
- عبد الملك المرتاض (2000) الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر.
- عبد الملك المرتاض (2005) في نظرية الرواية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.
- عبد النور إدريس (2013) النقد الجندري وتمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان.
- عزيزة مريدن (1980) القصة والرواية، دار الفكر، دمشق.
- عمررضا كحالة (1979) المرأة في القديم والحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- فاتحة الطايب (2010)الترجمة قي زمن الآخر ترجمات الرواية المغربية إلى الفرنسية نموذجا، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- فتحي بوخالفة (2010)التجربة الروائية المغاربية دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتاب الحديث، الأردن.
- فضيلة الفاروق(1999) مزاج مراهقة، دار الفارابي، بيروت لبنان.
- فيصل الأحمر(2018) خرائط العوالم الممكنة في الإقتراب من الخيال العلمي العربي، دار فضاءات للنشر والتوزيع،عمان.
- فيصل دراج (1999) نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- قاسم أمين(2011) تحرير المرأة، موفم للنشر، الرغاية الجزائر.
- ماريان لوديرير، دانيكا سيليسكوفيتش (2009) التأويل سبيلا إلى الترجمة، ترجمة فايزة القاسم، المنظمة العربية للترجمة، لبنان.
- محمد سيد فهمي (2012) مشاركة المرأة في مجتمعات العالم الثالث، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- محمد عوني عبد الرؤوف (2008) تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي والغرب الأوروبي، مكتبة الآداب، القاهرة.
- محمد معتصم (2007) بناء الحكاية والشخصية في الخطاب الروائي النسائي العربي، دار الأمان للطباعة والنشر، الرباط.
- محمد نور الدين أفاية (1988) الهوية والإختلاف في المرأة الكتابة والهامش، افريقيا الشرق، الدار البيضاء.

- مصطفى فاسي (2000) دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر.
- مصطفى يعقوب عبد النبي (2007) الترجمة في العصر العباسي، إنانا للطباعة والنشر، ريف دمشق-قطنا-ساحة السريان.
- مفيدة محمد ابراهيم (2000)المرأة العربية والفكر الحديث، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان.
- ميشال بوتور(1986) بحوث في الرواية الجديدة، منشورات عويدات، بيروت.
- مي زيادة (1982) المؤلفات الكاملة، جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت.
- مي زيادة (1975) كلمات وإشارات، مؤسسة نوفل، بيروت.
- نجم مفيد (2005) ا لأدب النسوي إشكالية المصطلح، مجلة علامات في النقد، ج57.
- نهى بيومي(1998) المكبوت في زمن المكتوب، في زمن النساء والذاكرة البديلة، تحرير هدى الصدى وسمية رمضان وأميمة أبو بكر، ملتقى المرأة والذاكرة، القاهرة.
- نهى محمد أمجد نافع(2004) المرأة والسياسة في مصر المشاركة السياسية عبر ثلاثة عقود، المكتبة المصرية، الإسكندرية.
- هدى الصدّة هالة كمال(2002) أصوات بديلة المرأة العرق والوطن في العالم الثالث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- هويدا الصالح (أفريل 2014) مجلة الشرق الأوسط، الروايات النسوية في السعودية.
- ياسمينة صالح (2002) بحر الصمت، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت.
- ياسمين فيدوح (2012)فن الترجمة بين النقل والإبداع في سرد شهرزاد، صفحات للدراسة والنشر، دمشق سوريا.
- يمنى العيد(1998) فن الرواية العربية، دار الآداب، بيروت.
-

ثانيا:المراجع باللغة الأجنبية:

- Amin Malak (2005) Muslim Narratives and the Discourse of English, State University of New York Press , New York.
- Aubaud Camille (1993) Lire les Femmes de Lettres , Ed dunod, Paris.
- Badian .M (1995) Feminists Islam and Nation, Gender and the Making of Modern Egypt ,Princton.
- Beck.L and Keddie.N (1978) Women in the Muslim World, Combridge.
- Benveniste Emile (1974) Problèms de Linguistique Générale 2, ed Guallimard.
- Bourqia Rahma (1996) Femme et Fecondite , Afrique Orient , Casablanca.
- Bruno, Remaury (2000) Le BEAUX Sexe Faible, ed Grasset et Fasquelle , Paris.
- Butler Christopher (1999) Feminists Theorize the Political, Routledge.
- Catford ,J.C, (1965) A Linguistic Theory of Translation , London.
- Chamberlain ,Lori (1988) Gender and the Metaphorics of Translation : Journal of Women and Culture in Society,13(3), pp.454-472.
- Daoud Mohamed (2002) Le Roman Algérien de Langue Arabe , ED Crasc, Oran , Algérie.
- Didier, Béatrice (1981) L 'écriture Femme , PUF ? Paris.
- Derrida , Jacques (1972). La Dissémination , Paris , Seuil.
- Eagleton , Mary (1996) Feminist Literary Theory , A Reader , Blackwell Publishers LTD , Oxford.

- Godard, Barbara (1983) Preface to these Our Mothers, Toronto, Coach house Press.
- Godard Barbara (1984) Translating and Sexual Difference, Resources for Feminist Research , 13(3), pp13-16.
- Gontard , Marc (2005) Le Récit Féminin au Maroc , Presses Université de Rennes .
- Huughe Laurence (2001) Ecrit Sous Le Voile , Ed Publisud , Paris.
- Joan Scott (1999) Gender and the Politics of History ,Columbia University Press.
- Johnson , Barbara (1981) Preface to Dissemination , Chicago , University of Chicago Press.
- Lagnaoui , Ahmed (1999) Aux Frontières De La Tradition Marocaine , Les éditions Toubkal , Casablanca .
- Lefevere , H (1979) Translating Literature :The German Tradition From Luther to Rosenzweig, Amesterdam.
- Lewis , Philip (1985) The measure of Translation Effects , Difference in Transaltion , ed. Joseph P. Graham , Cornell University Press.
- Marth , Robert (1972) Romain des Origines et Origine du Romain , Ed , Grasset , Paris.
- Melman.B (1995) English Women and the Middle East , Sexuality Religion and Work , Basingtoke ,U.K.
- Michelle Zimbalist Rosaldo (1947) Woman Culture and Society , Stanford University Press.
- Morris , Pam (1993) Literature and Feminism an Introduction, Blackwell Publishers Ltd, Oxford.
- Mounin,G(1976) Linguistique et Traduction, Dessart et Mardaga , Bruxelles.
- Newmark Peter (1988) A Textbook of Translation , Prentice Hall , London
- Nouvel Jean (1987) La Commercialisation Privée de La Femme , Edition Demain , Paris .

- Rokeya Sakhawat Hossain (1973) The Degradation of Women , Bangla Academy.
- Toril , Moi (1985) Sexual-Textual Politics : Feminist Literary Theory , Methuen and Co. Ltd.

ملخص باللغة الإنجليزية (Abstract):

The present research entitled " Translation of the Feminist Novel from Arabic To English (the case of novel of Leila Abu Zeid The Last Chapter translated into English by John Liechy and the novel of Rajaa el Sanea Girls of Ryad translated into English by Marilyn Booth) critically analyzes the English translation of the novels mentioned above and aims to identify and discuss the strategies used by the translators and whether they succeeded or not in recreating these novels in English with all their ambiguities , author' s emotions and imagination in other words author's style and other literary techniques such as figures of speech, proverbs and especially the cultural and religious particularities that characterize and differentiate that kind of texts from other kinds of writting.

At the beginnig of this research, we raised a problematic related to the translation of literary texts that are considered the most difficult ones to translate because they comprise not only linguistic particularities but also cultural ones, that is why dealing with this kind of texts requires a deep knowledge of the cultural and literary history of both the source and the target language .

So the problematic raised in this research is the following :

What are the strategies adopted by the translators in translating these novels ? did they use the literal strategy that gives more importance to the form of the original text or did they choose to transfer the sense aimed by the author ? what are the strategies used to achieve their target ? did they produce a text close to the original text or did they produce a text close to the culture and the language of the target reader ?did they make the reader understand the sense as it is understood by the reader of the original ?

In order to find an answer to this problem, we divided our research into two sections : theoretical section and practical one.

In the first section of this chapter, we tried to highlight the basic terms and concepts that introduce this study, and it deals with the theoretical of the study and is divided into three other chapters.

The first chapter is entitled : "Feminism between revolutionary movement and literary creativity " we tried first to compare women's rights in ancient civilizations with her life now in modern societies, then we gave a definition of feminism , what is this movement , where did it appear first, then we gave a glimpse about this movement in the Arab world and especially in Morocco and in the Kingdom of Saudi Arabia , what are the most importanat goals that this movement work to achieve , and at the end we talked about Feminist Literature , what are its characteristics and how did this new kind of literature appear in the Arab World.

The second chapter is entitled : "The Feminist Novel" we gave a definition of the novel as a new kind of literary texts, and how did it evolve along history , we talked also about the relation between women and writing and what characters did she represent in some Arabic novels , after that we came to the feminist novel –subject of this study- and particularly the feminist novel in Morocoo and in the Kingdom of Saudi Arabia.

The chapter is entitled : "Translation and Feminism " we started this chapter by talking about the role that translation played in ancient civilizations , this very old linguistic practice and skill that enabled the human -being to communicate to exchange knowledge and to improve relations among different civilazations and how it contributed to the flourish of this latter , then we talked about the literary translation as a distinguished field of translation that deals with different kinds of literary texts such as the novek(subject of this study) and we gave the different characteristics of the literary text that differentiate it from

other kind of texts, after that we talked about the relation between feminism and translation or what is called feminist translation , what kind of translation theories are used in translating feminist texts , does the translator need a particular knowledge or qualities to deals with those texts to obtain a successfull ,faithfull and accurate translation , then we tried to discuss the status of translation in the Arab World and the translation of the Arabic feminist novel and the reasons behind it success in the Western World.

In the second section that deals with the practical aspect of this study and that contains only one chapter , the fourth chapter, we started by the presentation of the first novel "the last chapter " presenting the author and the translator and why we chose it as a corpus for this study, then we gave the reader an abstract of the main events of the novel and tried to reveal the feminist aspect of the novel by deriving the feminist claims implied in it, then we gave the reader the plan we adopted in analysing the corpus and how we classified the examples according to the translation errors we found in analysing the translation and comparing it to the original text , and we noticed that although the different techniques adopted by the translator : for instance the literal translation, the skopos theory, foreignization and domestication …he sometimes did not succeed to render the meaning of some cultural words used in the original text.

Each sample is followed by its translation as well as an analysis that aims at knowing which technique the translator chose and the result of his choice and what kind of errors he made (lexical , grammatical , semantical ,or stylistic errors) , we tried to propose the alternative translation when it was possible , and we applied the same method with the second novel (Girls of Riyad).

As a final conclusion we come to say that :

- the feminist texts are like other texts from different domains requires a good knowledge of the feminist theory , and to be

familiar with the source and the target language and their cultures.

- We use the same translation theories adopted in translating other texts from different domains.
- The translators tried to preserve the message as the authors have originally intended and making it acceptable to the reader of the target language.
- The literal translation overwhelmed the most part of the corpus.
- The translation of the whole corpus is good in general although there are some translation errors due to the cultural difference or a missunderstanding of the message intended by the author.
- We can say that the translation is faithfull by approaching the two ideals needed in literary translation namely , fidelity and authenticity.
- The reasons behind the worlwide success achieved by those novels is the success and the popularity they knew in the Arab World , so it is all about commercial gain and there are no other political or cultural reasons .

ملخّص باللغة العربية:

لم تحظ المرأة بمكانة مرموقة في المجتمعات القديمة باختلاف ثقافاتها وأزمانها فهذا أرسطو يعزو وجودها إلى إنحراف في مسار الطبيعة وهذا أفلاطون يأسف كونه ابن إمرأة، أما الرومان فيرونها عبدة مملوكة يُتاجر بها والهنود يتشائمون من وجودها....وبين التجارة والإمتلاك والإستعباد والإشمئزاز تكونت مجموعة من المفاهيم التي صاحبت وشكّلت حياة المرأة على مرّ العصور.

ورغم هذه الإحباطات والتضييقات النفسية والفكرية التي عرفتها ورغم العراقيل التي صفّت أمامها فإنّ النزعة التحرّرية التّي بداخلها دفعتها دوما إلى إستكشاف والخوض في ميادين كانت حصرا على الرجل في محاولة منها لإثبات نفسها وقدرتها على مجابهة ومنافسة الرجل في شتّى نشاطات الحياة، فتتمكّن بالتالي من تحسين واقع الحياة التي تعيشها وتغيير نظرة المجتمع إليها وترفض تلك الأفكار التّي كوّنت عنها، رغم إيقانها لمدى الصعوبات والعراقيل التي حتما ستواجهها في تمرّدها على فكر وقوانين وأعراف الجماعة .

ويعتبر الميدان الأدبي أحد هذه الميادين التي كانت حكرا على الرجل إلى غاية ظهور بعض الأسماء النسوية اللّاتي استطعن بفضل موهبتهن ومهارتهن أن تخلّدن أسماءهن في صفحات التاريخ جنبا إلى جنب مع أسماء كبار الشعراء والأدباء الذّين عاصروهنّ.

لقد ظهر الأدب النسوي والرواية النسوية بشكل خاص لأوّل مرة في الغرب حوالي أواخر القرن الثامن عشر كمنحى جديد ومسلك حديث للتنديد والمطالبة بحقوق المرأة منطويا تحت لواء الحركة النسوية التي أسّس لظهورها مجموعة من المفكرين الذين ناضلوا وحاربوا وطالبوا بالتغيير والمساواة وإلغاء جميع أشكال التمييز والظلم الذي تعاني منه المرأة والسعي لاسترداد جميع حقوقها المسلوبة وأشهر هؤلاء:جون ستيوارت مل،ماري ولستونكرافت، فيرجينيا ولف...،وغيرهم.

اتخذت الحركة النسوية في بدايتها منحى سياسي إجتماعي تطالب فيه بحقوق المرأة السياسية والمساواة بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات لتنتقل بعدها إلى ميادين وقطاعات أخرى ونظرا لردود الفعل الإيجابية التي لقتها هذه الحركة والإنضمام المتزايد للنسوة في صفوفها فقد راحت هذه الحركة تنتشر من بلد إلى آخر مستمدة مبادئها وقيّمها ومطالبها من قيّم ومبادئ وثقافة البلد الذي تنتمي إليه.

أدّت النجاحات التي حققتها الحركة النسوية باتجاهاتها المختلفة باستردادها المتزايد للحقوق التي حرمت منها المرأة لعصور إلى توسيع دائرة مطالبها ومواصلة النضال عبر قطاعات مختلفة أشهرها ميدان الكتابة .

لقد وجدت المرأة في الكتابة ساحة ومعتركا جديدا للقتال وأداة ووسيلة فعالّة للنضال والمطالبة بحقوقها التي لم تستردها بعد ولسرد أحوالها ومعاناتها والظلم الذي تعانيه موجهة بذلك رسالة للآخر والمجتمع تثبت فيها أهليتها وقدرتها على الخوض في ما يخوض فيه الرجل وأنّها لم تخلق لتكون أدنى منه بل لتكون مساوية ومكملة له.

ولم تفقد تلك الهجمات والحملات التي شنّت على الأدب الذي تنتجه المرأة (سواء في الشرق أو الغرب) من عزمها وإرادتها بل دفعتها للمثابرة والمواصلة وإنتاج وميلاد نوع أدبي جديد كان ولا يزال محط نقاش وتشكيك في وجوده من عدمه ألاّ وهو الأدب النسوي.

ولقد اختلف الأدباء والباحثون في الشرق حول هذا اللون الأدبي الذي اقتحم الساحة الأدبية العربية وبين مؤيّد ومعارض لهذا الأدب اختلفت حتى التسميات التي أطلقت عليه فمن أدب نسوي إلى أدب نسائي أو أنثوي علما أنّ النسائي يختلف عن النسوي فالنسائي هو نسبة لجنس مؤلفه المرأة حتى ولو لم يكن مضمونه نسويا أما النسوي فهو الأدب الذي يسعى إلى تحرير واستعاد حرية المرأة وحياتها وحقوقها والتحسين من أوضاعها والنضال من أجل مكانة أفضل في المجتمع وغد أفضل ومستقبل واعد تعيش فيه المرأة دون أي تمييز عن الرجل تحت كنف الحرية والعدالة والمساواة بغض النظر عن جنس مؤلفه إن كان رجلا أو إمرأة.

لقد لمعت العديد من الأسماء النسوية العربية في هذا الميدان ويؤرخ إلى نهاية القرن التاسع عشر وبالتحديد عام 1899 كتاريخ لظهور أوّل عمل روائي نسوي عربي للكاتبة اللبنانية زينب الفواز تحت عنوان"حسن العواقب أو غادة الزهراء" لتتوالى بعدها الأعمال الروائية النسوية من شتى أقطار البلاد العربية وسيلاحظ قارئ هذه الروايات أنّه ومهما تباعدت المسافات فإنّ معاناة المرأة واحدة وحلمها واحد تتقاسم ذات المشاعر والطموحات والأهداف.

ولقد تناولنا في عملنا هذا دراسة ترجمة هذا الصنف أو الإتجاه الأدبي الحديث في شكله الروائي الذي لم يظهر في الوطن العربي إلى غاية أواخر القرن التاسع عشر والذي إلى جانب اشتراكه مع أصناف الأدب الأخرى في تحقيق الهدف والغاية الأساسية التي سعى إليها الأدب وهي الإصلاح والتوجيه والإرشاد بطريقة فنية غير مباشرة، فهو يهدف أيضا إلى تحقيق بعض التغييرات على جميع المستويات والأَصعدة التي تمس المرأة في المجتمع وإلغاء جميع أشكال التمييز ضدّها والعنف والظلم الممارس بحقها والقهر النفسي والفكري الذي كانت تعيشه سالفا.

وبما أنّ الأدب عموما يستمد مادته من الواقع الذي يعيشه الأفراد فسيكون انعكاسا لهوية الأمة التي يعبّر عنها ولمقوماتها وقيّمها ومبادئها ولهذا فإنّ الأدب النسوي العربي سيأخذ بعين الإعتبار ويركّز في رسالته على ثقافة وقيّم المجتمع العربي الإسلامي.

لقد حققت الرواية النسوية العربية نجاحا تجاوز حدود الوطن العربي ليبلغ العالمية حيث شهدت بعض الروايات النسوية إقبالا متزايدا من دور النشر الغربية وترجمت إلى لغات متعددة لتشكّل غالبية أو معظم الأدب العربي المترجم إلى لغات أجنبية وهذا خلال القرن العشرين وقد اختلفت آراء الباحثين حول سر هذا الإهتمام المتزايد بالأعمال النسوية العربية وتعدّدت تفسيراتهم لها ولهذا ارتأينا في بحثنا هذا أن ندرس ترجمة الأدب النسوي العربي من الجانب اللغوي والثقافي ونرى هل عمل المترجم على نقل العمل بأمانة أم قام بتطويعه بما يناسب ثقافة المتلقي،إلى أي أسلوب ترجمي لجأ المترجم في نقله للعمل الأصلي،هل احتفظ العمل المترجم لذات رسالة العمل الأًصلي أم قام المترجم بالتعديل بما يتوافق فكر وثقافة اللغة المستقبلة.

ولقد خصصنا روايتي "الفصل الأخير (The Last Chapter)" للكاتبة المغربية ليلى أبو زيد و"بنات الرياض (Girls of Riyadh) " للكاتبة السعودية رجاء عبد الله الصانع مدونة لبحثنا هذا تعمدنا إختيار روايتين عربيتين من ثقافتين مختلفتين الثقافة المغربية والثقافة السعودية وأيضا للنجاح والشهرة الكبيرة التي حققها العملان عربيا وعالميا رغم أنّ الكاتبتين تنتميان إلى جيلين مختلفين وأنّ الكاتبة ليلى أبو زيد هي أولّ كاتبة مغربية ترجمت أعمالها إلى اللغة الإنجليزية ورواية "الفصل الأخير" ليست أول عمل روائي لها بينما تعدّ "بنات الرياض" أوّل عمل روائي صدر للكاتبة السعودية الشابة رجاء الصانعي واعتمدنا على الترجمة التي قام بها المترجم الأمريكي (John Lietchy) لرواية الفصل الأخير والصادرة عن قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة عام 2000 وعلى الترجمة التي قامت بها المترجمة الأمريكية (Marilyn Booth) لرواية بنات الرياض والصادرة عام 2008 عن Penguin Books حيث حاولنا تحليل بعض الأمثلة التي جاءت في العملين محاولين أن نستشف إلى أي جانب حرص المترجم على أن يكون أمينا أكثر هل إلى العمل والثقافة الأصلية أم إلى قارئ ومتلقي الترجمة والثقافة المستقبلة ولقد تضمّن القسم النظري من هذا العمل ثلاثة فصول:

حيث جاء الفصل الأول بعنوان "الحركة النسوية بين النشاط التحرري والإبداع الأدبي" وحاولنا من خلاله تقديم بعض التعاريف المختلفة لمفهوم الحركة النسوية التي توصلنا إلى أنها حركة تحررية ظهرت في العشرينات من القرن التاسع عشر تقوم على مجموعة من المبادئ والمطالب والأهداف التي تسعى في مجملها إلى تحسين وضع المرأة في المجتمع واسترداد حريتها وحقوقها التي سلبت منها لعصور، كما تطرقنا إلى بدايات هذه الحركة في

الغرب وظهروها في الشرق والإتجاهات المختلفة التي تبنتها هذه الحركة التي ورغم إشتراكها في الأهداف الأساسية التي تسعى إلى تحقيقها هذه الحركة وهي الحرية والعدل والمساواة إلاّ أنّها إختلفت في بعض المطالب والرؤى والتوجهات التي انقسمت إلى نسوية ماركسية ونسوية ليبيرالية ونسوية راديكالية، كما ذكرنا أهم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها الحركة النسوية وحاولنا توضيح بعض المفاهيم التي قد يجدها القارئ غامضة أو مبهمة أو تحمل نفس الدلالة المرتبطة بحقل النسوية "كالجندر والأنثوية ومصطلحي نسوية ونسائية " لننتقل بعدها إلى أحد أشهر الميادين التي انتقل إليها النضال النسوي ألا وهو الميدان الأدبي وظهور مفهوم الأدب النسوي وركزنا بالخصوص على ظهوره في في بلاد الشرق محاولين تقديم لمحة عنه في البلاد العربية مع ذكر أهم خصائصه وأهدافه.

ولهذا جاء الفصل الثاني بعنوان" النص الروائي النسوي" حاولنا في البداية التطرق لجنس الرواية بشكل عام بتقديم مفاهيم مختلفة لهذا الشكل الأدبي الحديث ومحاولة التأريخ لظهوره في الغرب وكيفية إنتقاله إلى الشرق بفعل الترجمة التي تثبت دورها دوما في الوساطة بين الشعوب ومدّ جسور التعارف بينهم،لننتقل بعدها إلى النص الروائي النسوي مفهومه وتاريخ ظهوره في البلاد العربية لنركز بعدها على النص الروائي النسوي السعودي والمغربي بشكل خاص باعتبار الروايتين اللاتي اخترناهما كمدونة لبحثنا هذا تنتميان إلى هاتين الثقافتين العربيتين.

وارتأينا أن يكون الفصل الثالث بعنوان "الترجمة والنسوية" تحدثنا بداية عن الترجمة كممارسة حضارية ودورها في تاريخ البشرية وذكرنا بعض مفاهيم الترجمة الأدبية باعتبارها على علاقة بالنص الروائي النسوي لنتطرق بعدها إلى مفهوم الترجمة والنسوية وكيف أنّ الحقلين على علاقة ببعضهما كما تعرضنا أيضا إلى واقع الترجمة في الوطن العربي وواقع ترجمة الرواية العربية والنسوية بشكل خاص خاصة في بلاد المغرب والمملكة العربية السعودية.

أما الفصل الرابع والأخير فهو فصل تطبيقي قمنا فيه بدراسة تحليلية لترجمة روايتي "الفصل الأخير" لليلى أبو زيد و"بنات الرياض" للكاتبة رجاء الصانعي، أشرنا في البداية إلى أسباب إختيار المدونة كما قدمنا لمحة عن الكاتبتين والمترجمين إضافة إلى ملخص الروايتين مع ذكر الجانب النسوي لكلتيهما ثم قمنا بتحليل أهم النماذج التي استخرجناها من المدونتين والتي قسمناها إلى أربعة مستويات:

- المستوى المعجمي.
- المستوى النحوي.
- المستوى الدلالي.
- المستوى الأسلوبي.

حدّدنا من خلالها أهم الإنزياحات التي وقعت أُثناء الإنتقال من اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها وماهي الإجراءات التي اتخذتها المترجمة (حذف تعديل إضافة) ولصالح من كانت هذه التعديلات، هل كانت حفاظا على النص الأصلي أم كانت لتقريب الرسالة من القارئ المتلقي ،علما أنّ كلا المترجمين حظيا بمرافقة ومساعدة الكاتبتين في الترجمة فهل قاما بالحفاظ على روح وخصوصية ورسالة النص الأصلي أم قاما بالتعديل والتغيير بما يتوافق وفكر وثقافة المتلقي،لقد لحظنا أُثناء دراستنا للترجمة أنّ المترجمين حرصا على النقل الحرفي للعمل الأَصلي خاصة مع رواية بنات الرياض وبهذا فقد كان أسلوب الترجمة الحرفية أحد الأساليب الأساسية التي اعتمد عليها ولجأ إليها المترجمان في التعامل مع النص الأصلي مع اللجوء أحيانا إلى أسلوب الحذف والإضافة والتعديل أحيانا لتفادي أي شكل من أشكال التوتر والحساسية التي قد يشعر بها القارئ الغربي لأسباب تاريخية سياسية ثقافية، وأحيانا للتوضيح وإزالة الغموض الذي قد يقع فيه القارئ الغربي نظرا للإختلاف الثقافي بين المجتمعين.

لاحظنا من خلال دراستنا لترجمة العنوان، الصورة المطبوعة على النسخة الأصلية والنسخة المترجمة،نص ظهر الغلاف، المقدمة، الخاتمة والهوامش:

- لم تقم المترجمتين بأي تعديل على عنوان الروايتين بل أبقيتا على عنوان الروايتين مثلما ورد في النص العربي.
- قامت دور النشر الغربية باستعمال صور على ظهر الغلاف غير تلك المستعملة في النص الأصلي وبعض الجوانب منها اختيرت خصيصا لاستقطاب إهتمام القارئ الأجنبي مثلما جاء في رواية بنات الرياض (استعمال صور أحذية،سيارات فاهرة،عطور ومواد تجميل..)،أما في ما يخص رواية الفصل الأخير فصورة المرأة المطبوعة على غلاف النسخة المترجمة كانب عبارة عن إمرأة سمراء بثياب المرأة المثقفة الغربية وهي غير الصورة المطبوعة في النص العربي.
- أما في ما يخص النص المطبوع على ظهر الغلاف فنجد أنّ رواية الفصل الأخير قد طبع في النسخة المترجمة نبذة عن الكاتبة وموضوع الرواية قصد تشويق القارئ الغربي،أما رواية بنات الرياض فقد تمّ إستبدال كلمة الأديب الراحل غازي القصيبي بشهادة المجلات والصحف الأجنبية التي كتبت عن الرواية وهذا أقرب للقارئ للغربي الذي قد يجهل هوية الأديب الراحل غازي القصيبي ويشدّ إنتباهه للرواية الأصداء الإيجابية التي لقتها الرواية في الصحافة العالمية.

وما يهمنا خاصة في ترجمة النصوص النسوية هو (المقدمة،الخاتمة والهوامش) التي غالبا ما تستخدمها المترجمات النسويات كفضاء للتعبير وإظهار موقفهن وصوتهن

النسوي وما لاحظناه في عملنا هذا أنّصوت المترجمتين كان مخفيا(invisible) في هذه العناصر الثلاثة.

- لم تلجأ المترجمتين إلى إستخدام هذه العناصر لإبداء موقفهن من العمل المترجم.
- تمّ توظيف المقدمة في نص بنات الرياض (الترجمة) لإبراز وإظهار الصوت النسوي لكن من قبل الكاتبة لا المترجمة حيث كانت المقدمة ترجمة لكلمتها.
- أما في نص الفصل الأخير فقد تمّ تضمين العمل الأصلي بكلمة ختامية يستشف القارئ منها صوت الكاتبة النسوي وموقفها من الصعوبات التي لا تزال تواجه المرأة عموما والكاتبة بشكل خاص وبهذا كانت فضاء إصافي للكاتبة طرحت من خلالها انشغالها للقارئ .

وبهذا فإنّ هذه المساحات (مقدمة،الخاتمة والهوامش) التي تتخذها المترجمات النسويات وسيلة للتعبير عن موقفهن النسوي وموقفهن من النص المترجم لم تخصص في هذين العملين من قبل المترجمتين لذلك وهذا قد يكون عائدا إلى كون النص الأصلي بحدّ ذاته يصبّ في صالح قضية المرأة لهذا قد لم تر المترجمتين من ضرورة للإضافة غير أنّه حبذّا لو أظهرتا نفسيهما وتمكنّ القارئ من الإطلاع على موقفهما من موصوع حياة المرأة وقضيتها في البلاد العربية.

لقد توصلنا من خلال الأمثلة التي درسناها وحلّلناها في الفصل التطبيقي والتي صنّفناها إلى أربعة مستويات: المستوى المعجمي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي والمستوى الأسلوبي أنّه وبالرغم من محاولة المترجم أن يكون أمينا للنص الأصلي قدر الإمكان بمساعدة من الكاتبة إلا أنّه حدثت بعض الإنزياحات على المتسويات التي ذكرناها حيث قام المترجم أحيانا بإجراء بعض التغييرات بما يتوافق واللغة والثقافة التي ينقل إليها ما يعدّ خاصية أو ميزة من ميزات الفعل الترجمي حيث يضطر المترجم أحيانا إلى إتخاذ بعض الإجراءات لغايات مختلفة إيديولوجية أحيانا أو سياسية أو ثقافية....

فالوحدات التي تمّ الإنزياح عنها على المستوى المعجمي كانت إما:

- وحدات غير مألوفة لدى القارئ الأجنبي.
- وحدات تحمل أكثر من معنى واحد لا سيما من غير التشكيل.
- عدم ضبط المعنى الدقيق لبعض المفردات التي تنتمي إلى نفس الحقل الدلالي.
- عدم إستيعاب معنى بعض العبارات الثقافية.
- ترجمات تعبّر عن نظرة الآخر الغربي للإسلام.
- عدم النجاح في ترجمة العبارات التي تنتمي إلى الثقافة العربية الإسلامية.
- تفادي ترجمة المفردات التي قد تسبّب حساسية لدى القارئ الأجنبي.

أما على المستوى النحوي فقد تمّ:

- الإنتقال بين الأزمان مثل الزمن المضارع والزمن الماضي أو من الأمر إلى الماضي وغيرها.
- إستبدال المبني للمعلوم بالمبني للمجهول.
- عدم إستبدال بعض المحسنات البديعية بما يقابلها في اللغة الإنجليزية.
- الإنتقال أو التغيير في الضمائر.
- إستبدال الجمل الإستفهامية بصيغ النفي أو الإنتقال من أسلوب الإستفهام إلى أسلوب التعجب.

وهذا نتيجة ما تتطلبه طبيعة السرد وعبقرية اللغة الإنجليزية ، رغم أنّ البعض منها كان يمكن الإبقاء عليها مثلما وردت في النص الأصلي.

وعلى المستوى الدلالي:

فقد اعتمد المترجم عند نقله للأمثال الواردة في النص الأصلي على النقل الحرفي دون الأخذ بعين الإعتبار البعد الثقافي بين اللغتين مما أدى إلى ضياع معنى ومغزى الأمثال عند نقلها إلى اللغة الإنجليزية كما لجأ أيضا إلى أسلوب الحذف في حين وجود البديل في اللغة الإنجليزية.

أما على المستوى الأسلوبي:

فقد تمّ حذف بعض الخصائص والعناصر الثقافية للغة المنقول منها وتغيير البعض الآخر لتفادي خلق حساسية لدى متلقي الترجمة ومحاولة أن تكون الترجمة قريبة قدر الإمكان منه مع الإبقاء على بعض الخصائص الحضارية والثقافية للغة المنقول منها التي قد يرغب متلقي الترجمة في إكتشافها والتعرف عليها.

لحظنا أيضا أنّه وبالرغم من التعديلات التي طرأت على النصين الأصليين فهذا لم يغيّر ولم يمس الرسالة الأساسية للعمل الأصلي التي حرصت الكاتبتين بمساعدة المترجمين على نقلها مثلما جاءت قدر الإمكان للقارئ الأجنبي وهذا يجعل من هذه المبادرة طريقة جيّدة للحفاظ على النص الأصلي وضمان عدم ضياعه أُثناء الترجمة حيث نصادف العديد من النصوص ليست النسوية فقط بل الأدبية عموما وبشكل خاص تفقد جوهرها أثناء الترجمة نظرا لبعض الصعوبات التي قد تعتري المترجم أثناء عمله لا سيما عندما يكون النقل بين بين ثقافتين مختلفتين حيث تتدخل العديد من العوامل في عملية الترجمة ليس إتقان اللغة و التمكن منها فحسب بل إعتبارات أخرى إيديولوجية ثقافية وإجتماعية ما يوضّح مرة أخرى مدى حساسية

وخطورة هذه الممارسة ودورها الكبير في التواصل والوساطة بين الشعوب والأعباء الكثيرة التي تلقى على عاتق المترجم والتي قلّ من يتصدى لها، كما لاحظنا أيضا أنّه لم تكن هناك أية نوايا سلبية في نقل العملين العربيين للقارئ الأجنبي كما قد يفسره بعض الباحثين على الأقل مع العملين اللذين اخترناهما حيث لم نلحظ أي تغيير سلبي يمس الرسالة الأصلية للعمل أو قد يضرّ بها خاصة وأنّ الكاتبتين أشرفتا بنفسيهما على الترجمة ما يوضحّ أنّ إقبال الناشر الغربي على الأعمال النسوية العربية وخاصة مع هذين العملين هو بسبب النجاح والشهرة والضجة التي أحدثها العملان عربيا أي بغاية وقصد الربح التجاري الذي تسعى إليه هذه الجهات، ويجدر بنا التذكير في النهاية بأنّ النصوص النسوية وكغيرها من النصوص من الميادين المختلفة تتطلب من المترجم أن يكون ذا دراية بالمجال الذي يترجم منه أما عن أسلوب وطريقة الترجمة فالغرض والغاية من الترجمة هو الذي يحدّدها في معظم الأحيان وبما أنّ الهدف الأساسي لهذه النصوص هو إعلاء وإظهار الصوت النسوي ومساندة المرأة والدفاع والمحاربة من أجلها فإنّ الباحثات النسويات يدعين إلى التقيدّ ببعض الإجراءات التي تخولّها بعض نظريات الترجمة الحديثة والتي تسمح بإجراء تعديلات وتغييرات على النص الأصلي بما يتوافق والفكر والمبادئ التي تقوم عليها الحركة النسوية (كمسألة تأنيث اللغة وإظهار الصوت النسوي باستعمال الهوامش أو كتابة مقدمات ...وغيرها) باعتبارهن الترجمة إعادة كتابة وتأليف للنص الأصلي وضرورة دعم النص المترجم للفكر النسوي .

مسرد المصطلحات:

المصطلح باللغة العربية	المصطلح باللغة الإنجليزية
الحركة النسوية	Feminism movement
النسوية الليبيرالية	Liberal Feminism
النسوية الماركسية	Marxist Feminsim
النسوية الإشتراكية	Socialist Feminism
الجندر	Gender
النوع الإجتماعي/الجندر	Gender
الأدب النسوي	Feminist Literature
الرواية النسوية	Feminist novel
الترجمة النسوية	Feminist translation
نظرية الترجمة الوظيفية	Skopos theory
نظرية تعدد النظم	Polysystem theory
نظرية التوطين والتغريب	Foreignization and Domestication
الترجمة الحرفية	Literal translation
الترجمة الأدبية	Literary translation
الرواية العربية	The Arabic novel